وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر (بن يوسف بن خده)
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته

(جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا)

ـــ دراسة لغوية دلالية ـــ

رسالة معدة لنيل شهادة الماجستير
في تخصص :دراسات لغوية نظرية
من إعداد الطالب:يوسف عمر لعساكر

السنة الجامعية :2004 ـــ 2005

.وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر (بن يوسف بن خده)
كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الجدل في القرآن
خصائصه ودلالاته

(جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا)

ـــ دراسة لغوية دلالية ـــ

رسالة معدة لنيل شهادة الماجستير
في تخصص :دراسات لغوية نظرية

من إعداد الطالب:يوسف عمر لعساكر

السنة الجامعية : 2004 - 2005

إشراف الأستاذ: د/ محمد العيد ارتيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

ــ أمّي الحنون و أبي العزيز الدّاعين لي بالنجاح والتوفيق

ــ جدّتي أطال الله عمرها

ــ زوجتي المخلصة الوفية الصبورة

ــ إلى صهريّ الكريمين وابنيهما وبناتهما وزوجاتهم وأزواجهم ،وأبناءهم وبناتهم .

ــ قرّتي عينيّ آمنة وأنس المخفّفان لي أعباء البحث

ــ جميع أخواتي وإخوتي وأزواجهم وزوجاتهم وأبنائهم وبناتهم

ــ عمتي وأخوالي وخالاتي جميع الأقارب

ــ جميع المعلمين والأساتذة الذين كان لهم فضل في تعليمي وتكويني وتأديبي

ــ جميع الأصدقاء الذين جمع بيني وبينهم العلم والعمل والتعليم والنشاط الاجتماعي والثقافي.

ــ كل من يهتم بالدراسات اللغوية القرآنية

حمد وشكر خاص

ــ أحمد الله عز وجل وأشكره على أن وفّقني لإنجاز هذا البحث المتواضع

ــ أشكر أستاذي المشرف على قبوله الإشراف على هذا البحث وجدّيته وجميل صبره وحسن رعايته رغم طول مدة البحث

ــ أشكر السيد الفاضل : الحاج عبد الله لعساكر على تشجيعه ومساعدته لي لإتمام هذا البحث .

ــ أشكر كلّ من ساهم في إنجاز هذا البحث بالرأي أو النصيحة أو الكتابة وأخص بالذكر :

الأستاذعمر آل الحكيم، فراجي علي، والأستاذ الحاج سعيد بكير وأخوه يحي ، والأستاذ ترشين محفوظ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " [1]

إن من خصائص القرآن الكريم أنه منسجم وموافق لطبيعة الإنسان وفطرته تفكيرا وسلوكا ووجدانا، لكون القرآن كلام الله عز وجل المحيط والبصير والخبير بأدق مميزات الإنسان وطبائعه، جملة وتفصيلا، ممهماكان هذا الإنسان، وأينما كان، وكيفما كان، ومتى كان " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " [2]" إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا "[3]" إن الإنسا لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير شديد "[4] " وكان الإنسان أكثر شيء جدلا "[5].

وهدي القرآن وإرشاده وتوجيهاته ومواعظه، وأوامره ونواهيه، لم تغفل هذه الطبائع بل جاء مراعيا ومقوما لها .

يعد الجدل من طبائع الإنسان التي فُطر بها، فهو أكثر ميلا للجدل والمناقشة، وحينما تطرق القرآن إلى الحديث عن هذا الموضوع أُقر لكونه طبيعة من طبائع الإنسان وأمره بذلك لكن في نفس الوقت قيد هذا الأمر بالوجهة الصحيحة والحسنة للجدل " وجادلهم بالتي هي أحسن "[6] " ولا تجادلو أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"[7] وتوعد بالمقابل من أخل بهذا الشرط وهذا القيد بقوله " إن الذين يجادلون في آيات الله لا يخفون علينا " [8]

ولقد أجاب القرآن عن كثير من التساؤلات التي طرحها الإنسان والتي يمكن أن يطرحها " يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس"[9] " يسألونك ماذا ينفقون قل العفو"[10] " يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير" كما أجاب عن بعض الإشكاليات أيضا كقضية الظهار مثلا قال تعالى " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير" .

ومما يدل على أن القرآن لا يلغي طبيعة الجدل التي فطر بها الإنسان بل يقوّمها ويوجّهها الوجهة الحسنة ما قصّه الله علينا من جدال وقع في الأمم الماضية بداية من جدال الملائكة لله عز وجل حول خلافة الإنسان له في أرضه، وجدال إبليس واحتجاجه عن تفضيل آدم عليه، ثم جدال الأنبياء لأقوامهم وفي الأخير جدال محمد صلى الله عليه وسلم لمخالفي دعوته من قومه وغيرهم .

والقرآن حينما شجّع الإنسان على الجدال وأمره ذلك وفق شروط وضوابط معينة وإجابته عن الأسئلة والإشكاليات التي انتابت وتنتاب الإنسان من حين لآخر وقصّه علينا ما حدث من جدال في الماضي ليعلم الإنسان كيف يكون الجدل وسيلة من

---

[1]) سورة
[2]) سورة
[3]) سورة
[4]) سورة
[5]) سورة
[6]) سورة
[7]) سورة
[8]) سورة
[9]) سورة
[10]) سورة

وسائل التفكير ، والإعتقاد، والعمل، وليعلم الإنسان كيف يقنع ويقتنع ويتعظ بالتي هي أحسن، ويثير فيه طبيعة المواجهة، ويحرك الإنسان من الداخل ليخرج عن صمته، ويتعلم كيف يتطلع على النور، وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع وضرورته إلا أن الإنسان للأسف الشديد لم يحسن استغلال هذه الميزة ولم يستغلها بما يعود عليه وعلى غيره بالنفع والصلاح في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة، فكفر برسالات الأنبياء، وأنكرها وحاربها ، ولم يتأمل ولم يتدبر مضمون هذه الرسالات، ولم يكد فكره وعقله في البحث والتنقيب عن قيمتها وأهميتها وضرورتها بل حاربها وتمرّد عليها، وأكثر من هذا هاجم أصحابها أنبياءً وأتباعا وحاول القضاء عليهم وإسكات صوتهم ، ووقف الأنبياء أمامهم يجادلونهم بالطريقة الحسنة، والمنهج الأنسب، والعبارات الأوضح، والكلام البديع البليغ الدقيق السهل الخفيف، وبما أتوا من أخلاق وآداب غير أن هذا الموقف الإيجابي من الأنبياء لم يزدهم إلا عتوا واستكبارا وإصرارا لما هم فيه وفسادا .

ودراستي للجدل القرآني تركز على الجانب اللغوي والإشكالية المطروحة في هذه الدراسة هل يمكن اعتبار الجانب اللغوي حجّة أخرى تضاف إلى الحجج التي يستند إليها الأطراف المتجادلة ؟ كيف خدم الجانب اللغوي مضمون الجدل وللإجابة عن هذه الإشكالية عنونت بحثي " الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته " وقصدت بالخصائص الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية (التركيبية) للجدل القرآني، أما الدلالة فقصدت بها مدى خدمة هذه الخصائص لجانب مضمون الجدل بما تدل عليه من دلالات .

أما أسباب اختياري لموضوع الجدل في القرآن وخصائصه ودلالاته فهي :

1) ميلي إلى الغوص في القرآن و محاولة استخراج درره ولآلئه، والحياة بين أصواته وكلماته وجمله وعباراته ، وأساليبه المعجزة .

2) إن موضوع الجدل في القرآن وخصائصه ودلالاته لم يتطرق إليه باحث بهذه الكيفيةفي حدود علمي، وتوجد دراسات أخرى حول هذا الموضوع لكن لم تتناوله بالطريقة التي تناولت بها هذا الموضوع ولقد استفدت منها وهي

أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان : أ.بن عيسى عبد القادر /بطاهر.

مناهج الجدل في القرآن : زاهر عواض الألمعي

مجادلة منكري البعث.

الجدل عند الأصوليين: أ.مسعود فلوسي .

كما استفدت من الدراسات اللغوية للقرآن وهي:

لغة القرآن في جزء عم: أ.

سورة الفرقان دراسة أسلوبية: أ. عبد العزيز عدمان

3) أن أضيف بحثا جديدا إلى رصيد المكتبة القرآنية

ـ أما أبرز الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث كون الجدل ذو طابع فلسفي و الجدل القرآني موضوع واسع مترامي الأطراف ذو محاور ومجالات متعددة يتطلب مني الجهد الكثير والوقت الواسع، ولذلك اضطررت لتحديد البحث واقتصاره على محور

معين واخترت محور جدال الأنبياء مع أقوامهم والتركز في هذه العينة على بعض الأنبياء وأقوامهم وهم نوح وقومه، هود وقومه عاد، وصالح وقومه ثمود، وإبراهيم وأبيه وقومه، وشعيب وقومه أهل مدين، وهذا يعود على أنها مجال خصبة للدراسة في جانبيها المضموني واللغوي، واستثنيت لوط عليه السلام لعدم توفر جدله على مقاييس كافية للدراسة، كما استثنيت جدال موسى عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام بالرغم من توفرها على مقاييس هامة وكافية وجديرة بالدراسة إلا أنهما يأخذان حيزا معتبرا من القرآن الكريم، وهذا ما يزيد في طول البحث ، كما أنني اقتصرت على بعض السور التي ورد فيها جدال الأنبياء مع أقوامهم وهي الأعراف، الأنبياء، المؤمنون، مريم، الشعراء، الصافات، الأحقاف.

أما ما يتعلق بمنهج البحث فلقد اعتمدت على المنهج التحليلي الوصفي الإحصائي التاريخي.

ولقد قسمت البحث إلى بابين أحدهما يتعلق بالجانب النظري والآخر يتعلق بجانبها التطبيقي .

لقد عنونت الباب الأول بـ " الجدل و الجدل القرآني " وقسمته إلى فصلين :

تناولت في الفصل الأول الجدل من حيث مفهومه وتطوره وقسّمته إلى ستة مباحث تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم الجدل لغة واصطلاحا، مصطلح الجدل في المعاجم الغربية وقارنت بين الجدل وبعض المصطلحات الأخرى (الحوار، المحاجة، المناظرة، المكابرة، الخلاف) ثم تطرقت إلى نشأة الجدل وتطوره في اليونان في المبحث الثاني، ثم انتقلت إلى البيئة العربية الإسلامية وتناولت تطور الجدل وخصائصه بداية من المبحث الثالث إلى المبحث السادس .

ففي المبحث الثالث تحدثت عن الجدل في البيئة العربية قبل الإسلام، والأديان التي اتصل بها العرب قبل الإسلام وما وقع من جدال بين الأديان في تلك الفترة ثم تطرقت بعد ذلك إلى الحديث عن الجدل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم في المبحث الرابع، وتناولت فيه طبيعة الفكر العربي في هذه الفترة، وما وقع من جدل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي المبحث الخامس تكلمت عن الجدل في عصر الخلفاء الراشدين فتناولت أسباب الجدل بين المسلمين في هذه الفترة وأهم محاور الجدل وهي الجدل في الخلافة، وفي أصول الدين، وفي المسائل الفرعية، أما في المبحث السادس فقد تحدثت فيه عن الجدل في العصر الأموي فقارنت بين علم الكلام و الجدل ثم تطرقت إلى ما وقع من جدل في هذا العصر والمتمثل في جدال الفرق السياسية والفرق الدينية وأبرزها جدال المعتزلة، وفي المبحث السابع تحدثت فيه عن الجدل في العصر العباسي وركزت فيه حول جدال المعتزلة والذي يعد من مظاهر الجدل في هذا العصر وتحدثت عن بعض أقطاب المعتزلة، كما تعرضت للحديث عن قضية خلق القرآن وما وقع من جدال حولها

ـ أما الفصل الثاني فلقد خصّصته للحديث عن الجدل القرآني وخصائصه ومناهجه ومحاوره، وقسّمته إلى أربع مباحث، تطرقت في المبحث الأول إلى مفهوم الجدل القرآني وخصائصه، وتحدثت في المبحث الثاني عن مناهج منطقية للجدل القرآني، وقارنت في المبحث نفسه بين المنطق اليوناني والجدل القرآني وخلصت إلى نتيجة

مفادها أن للجدل القرآني مناهج مستوحاة من طبيعة القرآن، وفي المبحث الثالث تحدثت عن المناهج القرآنية للجدل القرآني، وتطرقت في المبحث الرابع إلى الحديث عن بعض محاور الجدل القرآني .

أما الباب الثاني فلقد عنونته " الخصائص اللغوية للجدل القرآني ودلالاتها " وتعرضت في للجانب التطبيقي من الدراسة وقسمته وقسمته إلا ثلاث فصول، وتناولت من خلالها الجانب الصوتي والجانب الصرفي، والجانب اللغوي التركيبي .

تناولت في الفصل الأول الخصائص الصوتية للجدل القرآني وقسمته إلى أحد عشر مبحثا، تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم الدلالة وأنواعها ، وتعرضت في المبحث الثاني للحديث عن الأصوات وأقسامها وصفاتها، وتناولت في المبحث الثالث الصوت ودلالته في اللغة العربية و القرآن الكريم، وفي المبحث الرابع قمت بإحصاء الأصوات المتواترة في الجدال الدائر بين بعض الأنبياء وأقوامهم ودلالاته، وفي المبحث الخامس تكلمت عن تكرار بعض الأصوات في الجدل بين الأنبياء وأقوامهم ودلالاته، وانتقلت في المبحث السادس للحديث عن المقطع ودلالاته في الجدل القرآني، فقمت بتعريفه وذكر أنواعه ودلالاته في الجدل القرآني أما المباحث المتبقية فقد خصّصتها للحديث عن ظاهرتي النبر والتنغيم في الجدل القرآني خصائصها ودلالاتها ففي المبحث السابع تحدثت فيه عن ظاهرة النبر وقواعدها في اللغة العربية و القرآن الكريم، وتطرقت في المبحث الثامن للحديث عن ظاهرة التنغيم وأهميتها ودورها في اللغة العربية، وفي المبحث التاسع قارنت فيه النبر الدلالي (التأكيدي) والتنغيم، وفي المبحث العاشر تحدثت فيه عن النبر الدلالي (التأكيدي) والتنغيم في القرآن الكريم، وقمت بدراسة بعض آيات الجدال الدائر بين الأنبياء وأقوامهم بالتركيز على ظاهرتي النبر والتنغيم ودلالاتهما، وفي المبحث الحادي عشر تطرقت فيه إلى نبر الجمل ودرست نموذجين من جدال الأنبياء مع أقوامهم .

ـ أما الفصل الثاني المخصص لدراسة الخصائص الصرفية ودلالاتها في الجدل القرآني فقد قسمته إلى مبحثين ، تناولت في المبحث الأول مفهوم الصرف وعلاقته بالنحو، ومفهوم الدلالة الصرفية، وتحدثت في المبحث الثاني عن الخصائص الصرفية للجدل القرآني ودلالاتها ، فقمت بدراسة الإسم وإحصاء الأسماء الواردة في جدال الأنبياء مع أقوامهم ودلالاتها وتناولت الإسم من حيث التفكير والتعريف ودلالاته ثم تطرقت إلى دراسة الفعل وإحصاء الأفعال الواردة في جدال الأنبياء مع أقوامهم ودلالاتها، وتحدثت عن بعض الصيغ الفعلية ودلالتها وتعدية الفعل ودلالته، وفي الأخير تطرقت إلى الحديث عن بعض المشتقات ودلالاتها .

ـ أما الفصل الثالث المخصص لدراسة الخصائص النحوية (التركيبية) ودلالاتها في الجدل القرآني فلقد صدّرته بتمهيد ، وقسمته إلى خمس مباحث، تناولت في التمهيد مفهوم النحو التركيب والإفادة، ثم مفهوم الجملة وأقسامها، وتعرضت في المبحث الأول إلى الحديث عن الجملة الإسمية المتبثة مجردة ومؤكدة، والجملة الفعلية الماضوية المنفية، وتحدثت عن الجملة المضارعية المثبتة مجردة ومؤكدة، كما تحدثت أيضا عن الجملة المضارعية مؤكدة بالقصر (بالنفي والإستثناء وإنما)، وتطرقت في المبحث الثالث إلى الحديث عن الجملة الشرطية، وتناولت الجملة

الشرطية المصدرة بأدوات الشرط، والجملة الشرطية الخالية من الأدوات، ثم انتقلت للحديث عن الجملة الإستفهامية في المبحث الرابع، وتناولت فيه الجملة الإستفهامية المتضمنة معنى التقرير، وفي المبحث الخامس والأخير تحدثت فيه عن جملة الأمر وجملة النهي وتطرقت فيه إلى الحديث عن المعاني الحقيقية والمجازية لكل منهما .
ولقد اعتمدت في دراستي لخصائص ودلالات الجدل القرآني على مصادر ومراجع ملائمة لطبيعة الموضوع فمن هذه المصادر والمراجع ما يتعلق بعلوم القرآن، ومنها ما يتعلق باللغة العربية وجوانبها الثلاثة الصوتية والصرفية والنحوية .

الخاتمة

بعد دراستي للجدل القرآني خصائصه ودلالته تمخضت عن البحث جملة من النتائج تتعلق بالجانب الصوتي والصرفي والنحوي التركيبي

الجانب الصوتي :

أ ـ تواتر الأصوات

ـ إن عدد الأصوات المتواترة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد تواترها في كلام الأقوام، وهذا راجع إلى النفس الطويل الذي اتّصف به الأنبياء عليهم السلام في مجادلتهم لأقوامهم، وإقناعهم بالحجج والبراهين، وردّهم عن الإفتراءات والأكاذيب والتهم التي يلصقها بهم أقوامهم .

ـ عدد تواتر الأصوات المجهورة أكثر من عدد الأصوات المهموسة، وهذا راجع إلى ان أي نص لغوي لا بد أن تحتل فيه الأصوات المجهورة الصدارة في الكثرة، وبما أن النص القرآني هو نص صوتي معجز فلا بد أن تحتل فيه الأصوات المجهورة الصدارة في جانبها الكمي، إضافة إلى أنّ سياق الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم يقتضي استعمال الأصوات المجهورة بكثرة لأن كل طرف يحتاج إلى الجهر بما يدّعيه وإبطال حجج الخصم باستعمال الأصوات المجهورة .

ـ عدد تواتر الأصوات الشديدة أكثر من عدد الأصوات الرخوة، وسبب كثرة الأصوات الشديدة راجع إلى طبيعة الجدل في حد ذاته كونه يمتاز بنوع من الحدة والشدة في الكلام بين الطرفين المتجادلين وهذه الشدة متأتية من أن كل طرف يدافع وينافح ويكافح ويستعمل كل ما أوتي من وسائل البينة بغية التشبث والتمسك برأيه ومحاولة إبطال آراء الخصم ودحض حججه .
ـ إحتلت الأصوات الشبه الصائتة الصدارة في الكثرة في سباق جدال الأنبياء مع أقوامهم لما تحمل هذه الأصوات من دلالات النهي والنفي والتنبيه والإستفهام إضافة على أن أغلب فواصل الآيات الواردة في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في موسيقى فواصل القرآن .
ـ عدد تواتر الأصوات المستفلة يفوق عدد الأصوات المستعلية والسبب يعود إلى قلة استعمال الأصوات المستعلية في الكلام عموما لصعوبة نطقها مقارنة بالأصوات المستفلة التي لا يجد المتكلم حرجا وكلفة عند النطق بها، وبما أن هذه الأصوات يصعب نطقها فهي كذلك تثقل كاهل السامع لها وتسبب له ضيقا وحرجا، بينما الأصوات المستفلة هي سهلة وخفيفة نطقا وسماعا والأنبياء يتلطفون في مجادلتهم لأقوامهم حتى في احتيار الأصوات الملائمة التي تستسيغها وتقبلها آذان أقوامهم، ويحرصون كل الحرص على إيصال ما يدعون إليه إلى إسماع القوم بطريقة لا يشعر القوم بالملل و الصجر عند سماعها فالأنبياء يتواضعون مع أقوامهمسلوكا وكلاما، ولا يتشدقون بالأصوات التي تثقل كاهل الأقوام بل يوصلون دعوتهم بأيسر طريق وأخف كلام 0
ـ صفة الإنفتاح في الأصوات هي الصفة الغالبة في الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم مقارنة بصفة الإطباق، والسبب يرجع إلى ما قيل في الأصوات المستعلية والمستفلة .
ـ أما ما يتعلق بالأصوات الصائتة فإن الفتحة هي أكثر الأصوات الصائتة تواترا وهذا راجع إلى سهولة النطق بالفتحة، ثم تليها الكسرة، ثم الضمة بعد ذلك .
ب) تكرار الأصوات :
ـ أما ما يتعلق بتكرار الأصوات في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم فإن يؤدي دلالات تتعلق بكلا الطرفين، فتكرارها في كلام الأنبياء جاء موافقا للرد على الإفتراءات والإدعاءات الباطلة،و إظهار الحقائق ، وتزييف مزاعم الأقوام، والرد على تهديدات الأقوام وتنبيه الأقوام بوجود الله، ومحاولتهم تثبيت ألوهية الله في نفوس الأقوام، كما تدل على رعاية الله واهتمامه بهؤلاء الأقوام، وشدّة الأنبياء وتمسكهم و إلحاحهم في دعوتهم، وإمحاض النصح لأقوامهم، والتذكير بعظم النعم التي أسبغها الله على بعض الأقوام .
وأما الأقوام فقد وظفوا بعض الأصوات لإلصاق التهم الباطلة على أنبيائهم، وتزييف بعض الحقائق، وتذمرهم من دعوة أنبيائهم، والغيظ والغضب والحنق الشديد، وتهديدهم الأنبياء بالعذاب، وشدة رفضهم لنبوتهم واحتقارهم وازدرائهم بهم وبأتباعهم ونفي الأفضلية والمزية عنهم .

ج) المقاطع
وظف كل من الأنبياء والأقوام المقاطع القصيرة والطويلة والمقفلة للتعبير عن أغراضهم
ـ تدل المقاطع المقفلة في كلام الأنبياء على سرعتهم في دعوتهم لأقوامهم، وسرعة وفاء الله بوعده واستجابته للأقوام إن آمنوا بأنبيائهم، وتدل على الزجر والتأنيب كما تدل على التذكير بنعم الله على الأقوام، وإشعار الأقوام بجدية الأنبياء فيما جاءوا من أجله، والحرص والحزم والدعوة والتزام الحدود، وعدم تجاوزها والعفة المطلقة والعدل والإنصاف .
ـ أما المقاطع الطويلة فلقد وردت في سياق كلام الأنبياء لتؤدي وظيفة أمر الأقوام بعبادة الله والإنابة إليه، ونصحهم وإرشادهم وتوجيههم إلى الخير وعدم البقاء في الكفر والظلال، وأمرهم بالسلوكات الحسنة، ونهيهم عن السلوكات السيئة وأما المقاطع القصيرة فقد قامت بدور المساعد للمقاطع المقفلة والطويلة .
أما الأقوام فقد وظفوا المقاطع المقفلة في التكذيب لما جاء به الأنبياء والتهديد والوعيد الشديد إن لم ينتهوا عن دعوتهم، ووظفوا المقاطع الطويلة للتعبير عن اللامبالاة والتهاون، وتضييع المزيد من الوقت، والمبالغة في الإصرار والتمادي في طريق الظلال، والتمسك بعبادة الأجداد والتشبث بها، وأما المقاطع القصيرة فلقد أعانت المقاطع المقفلة والطويلة في التعبير عن أغراض القوم .

د) النبر والتنغيم
ـ النبر إما أن يكون مراعاة للأداء الصوتي، ويسمى بنبر القاعدة أو الصيغة، وإما قصدا لدلالة معينة ويسمى نبرا دلاليا (تأكيديا)
ـ النبر القاعدي (الصيغة) والنبر الدلالي يعد وسيلة لفهم القرآن إن طبقه المجودون والمرتلون للقرآن.
ـ دل النبر في كلام الأنبياء دلالات عدة أهمها التركيز على إخلاص العبادة لله وحده دون غيره، التنبيه عن المآل ال1ي سوف يؤول إليه الأقوام إن لم يؤمنوا بما جاء به الأنبياء، الإستنكار الشديد على غفلة الأقوام وعبادتهم آلهة من دون الله حث الأقوام على الرجوع إلى الله وطلب المغفرة منه، التذكير بآلاء الله ونعمه على الأقوام وصف الله بسعة رحمته وسرعة إجابته وشدة محبته للمنيبين إليه ودل النبر في كلام الأقوام دلالات عدة وهي النفي الصريح لدعوة الأنبياء، وصفها بالكذب، الحط من قيمة النبوة وأتباع الأنبياء، شدة تمسكهم بعقيدة الأجداد والتظاهر بعدم الفهم لما دعوا إليه تعظم أنفسهم، والإفتخار ببأسهم وقوتهم، تهديدهم للأنبياء .
ـ أما التنغيم فهو يتراوح من الثبات والهبوط في كلام الأنبياء المناسب لمقام النصح والإرشاد والنهي والصعود المناسب لمقام الإستفهام الإنكاري والتعجب، أما التنغيم في كلام الأقوام فهو يتراوح بين الثبات والهبوط المناسب لمقام الإستهزاء والإحتقار والإنكار والرفض لدعوات الأنبياء .

2) الجانب الصرفي

أ) الإسم

ـ عدد الأسماء الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير الأسماء الواردة في كلام أقوامهم

ـ عدد الأسماء يفوق عدد الأفعال وسبب كثرة الأسماء يعود إلى طبيعة موضوع الجدل وهو إرساء دعائم العقيدة وتثبيتها في القلوب وذلك بالتعريف بالله واليوم الآخر، وصفات الله، والإيمان بالرسول والرسالة التي جاء بها، كما تدل الأسماء على خصوصيات بعض الأقوام وما هو شائع في زمانهم كما تدل أيضا على ردود أفعال الأقوام السلبية وذلك وصف أنبيائهم أوصافا سلبية هم وأتباعهم وساهمت في إيجاد تصنيف جديد للأقوام .

ـ لقد دل الإسم النكرة في الجدل بين الأنبياء وأقوامهم على التعميم، والتقليل ، والتنظيم والنوعية.

ـ من خصائص الإسم المعرفة الإظهار في مقام الإضمار، عود الضمير إلى ما بعده تقدم الضمير على الخبر العقلي، دلالة إسم الإشارة على التحقير والتصغير من شأن الأنبياء، الحط من قيمة الأصنام، ودلالة إسم الموصول على الإستحقاق والتفخيم، والتوبيخ والإهتمام، والذم، والتشهير، ودلالة الإسم المضاف إلى معرفة، التحبيب والإعتزاز، التذكير بنعم الله، التشريف، الإختصاص .

ب)الفعل

ـ عدد الأفعال الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد الأفعال الأفعال الواردة في كلام الأقوام.

عدد الأفعال المضارعة أكثر من عدد الأفعال الماضية وعدد أفعال الأمر.

تدل الأفعال على حركية وفعالية الأنبياء في تصحيح عقيدة سلوك أقوامهم، كما تدل بالمقابل

على حركية وفعالية الأقوام في تخطئة وتسفيه وتكذيب وتضليل أنبيائهم .

ـ يعد الفعل المضارع أكثر الأفعال ورودا نظرا لكونه أكثر حركية من الأفعال الماضية وأفعال الأمر، واستمد هذه الحركية من تعدد دلالاته وهي التحديد والتعليل، التوبيخ، النفي ، التوكيد، النهي .

ـ إستعان الأنبياء بالأفعال الماضية لتذكيرهم بنعم الله عليهم وبالمقابل وظّف الأقوام بعض الأفعال الماضية في إنكار دعوات الأنبياء ونفيها .

ـ قامت الأفعال الماضية بدور حكاية أدوار الأنبياء في سبيل دعوتهم لأقوامهم كما حكت بالمقابل ردود أفعال الأقوام نحو أنبيائهم .

ـ يعود سبب قلة أفعال الأمر إلى طبيعة الجدل وهي سعي كل طرف إلى إقناع الطرف الآخر بصحة دعواه والسعي إلى تعليل أحكامه وآرائه والتنويع في أسلوب الإقناع، وفعل الأمر يراد به طلب القيام بالفعل في المستقبل، والجدل ليس

أوامر فوقية تجبر الطرف الآخر على القيام بها وتطبيقها، بل هو محاولة إقناع الطرف الآخر بتعليل الأوامر، وسلوك بل أساليب شتى ليقتنع بها ثم يطبقها .
ـ أفعال الأمر التي استعملها الأنبياء في جدالهم لأقوامهم يراد بها الخير والصلاح والهدى والرشاد والفائدة الدنيوية والأخروية وبالمقابل قابل الأقوام وأوامر أنبيائهم الدالة على الخير لهم بمطالبتهم الإتيان بالعذاب، وإسقاط العذاب عليهم، ومطالبتهم بالهجران والأكثر تآمر الأقوام على إلحاق أبلغ الضرر على أنبيائهم والكيد لهم بألوان من الكيد .

ج) صيغ الفعل

في جدال الأنبياء مع أقوامهم إستعمل كلا الطرفين صيغا مزيدة للدلالة على المعاني منها ما هو مزيد بحرفين كـ (افتعل) التي تدل على مبالغة الأقوام على احتقار أتباع الأنبياء و(تفعّل) الدالة على تكلف الأنبياء الفضل والمكانة العالية وهي تهمة من التهم ألصقها بعض الأقوام على نبيهم ، و(انفعل) دلت على الإنتظار والترقب وهو تهدبد من الأنبياء لأقوامهم، و(أفعل) دلت على ضجر بعض الأقوام من جدال أنبيائهم لهم، و(فعّل) تدل على مبالغة بعض الأقوام في إلحاق الضرر على أنبيائهم بغية إسكات صوتهم .
ومنها ما هو مزيد بثلاثة أحرف ك(استفعل) الدالة على مبالغة بعض الأقوام إنكار دعوات أنبيائهم واتخاذ كل السبل والتدابير للحيلولة دون سماع أنبيائهم، وهذا يعود إلى مبالغتهم في التكبر والإستعلاء ودلت أيضا على القدرة على التصرف في الأرض واستغلالها وهي منّة إلاهية ذكّر بها الأنبياء أقوامهم ليعرفوا وليعلموا مدى لطف الله بهم لعلهم يرجعون إلى جادة الصواب.

د) تعدية الفعل

لقد استعملت بعض الأفعال في الجدل القرآني متعدية إلى المفعول به بواسطة بعض حروف الجر بغية إقناع الطرف الآخر، من الأفعال ما تعدى بـ "على " لإظهار شدة خوف الأنبياء من نزول العذاب على قومهم أو لتهديدهم على العذاب الشديد إن بقوا على حالهم ، وتعدية بعض الأفعال بـ "عن " يدل على المبالغة في الإنكار، وتعدية بعض الأفعال بـ "إلى" يدل على الوعد بصلاح حال الأقوام إن آمنوا .

ج) المشتقات

ـ تعد المشتقات من أبرز الصيغ الصرفية التي وردت في ثنايا الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم ، ووظّفها كلا الطرفين في التعبير عن أغراضه ومقاصده واستعملها في تقوية رأيه وموقفه، ومن الصيغ التي يوظفها الأنبياء في سبيل دعوتهم لأقوامهم وتسهيل سبل الهداية لهم (فُعيل) التي دلت على سعة رحمة الله بعباده (فعول) التي تدل على شدة حب الله وودّه للمؤمنين به، (مفعال) التي للدلالة على كثرة خيرات الله و(فعّال) للدلالة على كثرة غفران الله للذنوب (فعيل) للدلالة على مبالغة عصيان الشيطان لله تحذيرا للأقوام منه وأما الصيغ التي استعملها الأقوام ضدّ دعوات أنبيائهم (فُعيل) للدلالة على المبالغة في عدم الإطمئنان من دعوتهم، والمبالغة في رمي الأنبياء بالظلال، والمبالغة في طلب

هجران الأنبياء وابتعادهم، والمبالغة في التهكم على الأنبياء ، (مُفَعّل) للدلالة على المبالغة في وصف الأنبياء بالسحر، (فُعّال) للدلالة على شدة ومكر الأقوام لأنبيائهم.

الجانب النحوي (التركيبي)

أ) الجملة الإسمية

- عدد الجمل الإسمية الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد الجمل الإسمية الواردة في كلام الأقوام .

- جاءت أغلب الجمل الإسمية مؤكدة سواء أكانت مثبتة أو منفية، وجاءت مؤكدة بالأدوات وبغير الأدوات كالتقديم والتأخير كما جاءت مؤكدة بمؤكد واحد أو بأكثر من توكيد يصل إلى أربع توكيدات .

- التزمت الجملة الإسمية في الغالب الترتيب العادي (المبتدأ + الحبر) سواء أكانت مثبتة أم منفية وسواء أكانت مجردة أم مؤكدة ، ورد أغلب أسمائها ضمائر (متصلة أو منفصلة) كما وردت أغلب أخبارها أسماء ظاهرة .

مضمون الجمل الإسمية الواردة في كلام الأنبياء صفات الله، وظيفتهم، عدم الإهتمام بما في نفوس أنبيائهم ، عدم طردهم لأتباعهم، عدم نجاة أقوامهم من عذاب الله، إبطال التهم الملتصقة بهم، عدم الطمع بما في أيدي أقوامهم، ودلالات الجمل الإسمية على : التعليل، التبرئة، التحذير، الإشهاد، الإستدراك، الترجي ، التهكم، الإحتثحصاص، التعجب، التعريض.....

- مضمون الجمل الإسمية الواردة في كلام الأقوام : الشك، التكذيب، وصف الأنبياء بالظلال، والسفاهة، والجنون، والسحر، والبشرية، إنكار البعث، عدم التخلي عن آلهتهم، عدم الإيمان بأنبيائهم.... ودلالاتها: الإحتقار ، الإستهزاء، التهكم، التحذير، التهديد، الإفتخار

ب)الجملة الماضوية

- عدد الجمل الماضوية الواردة في كلام الأنبياء أكثر من عدد الجمل الماضوية الواردة في كلام الأقوام

- من خصائص الجملة الماضوية أنها التزمت الترتيب العادي للجملة الفعلية (فعل + فاعل + مفعول به) ، وجاء الفاعل فيما ضميرا متصلا واسما ظاهرا في الغالب وقلّ مجيئه ضميرا مستترا ، وأما المفعول به فقد جاء ضميرا متصلا واسما ظاهرا في الغالب وجاءت الجملة الماضوية مءكدة بـ " قد " و"لقد " و" التقديم والتأخير" " المفعول المطلق" و "التوكيد اللفظي " و" التوكيد المعنوي " .

- عدد الجمل الفعلية الماضوية المثبتة المؤكدة أكثر من عدد الجمل الماضوية المثبتة المجردة .

- يكاد يخلو الجدل القرآني من الجمل المنفية المجردة، ويحلو من الجمل المنفية المؤكدة.

- مضمون الجملة الماضوية الواردة في كلام الأنبياء: الإقرار بفضل الله عليهم، تذكير الأقوام بنعم الله عليهم، تبرئة انفسهم من التهم الموجهة إليهم، إقرار صفات الله

ومحاولة تثبيتها في نفوس الأقوام ، ودلالاتها هي : الإعتراف بالجميل ، التبرئة، التهديد، الإغراء، الإختصاص، الإهتمام .
ـ مضمون الجملة الماضوية الواردة في كلام الأقوام : الضجر، التأثيرفي الأنبياء لإثنائهم عن عزمهم، ودلالاتها الجحود، الإنكار ، التكذيب، ولقد وردت الكثير من الأفعال الماضية في شأن الأقوام ومحكية عن ردود أفعالهم تجاه أنبيائهم ومضمونها : التكذيب ،مخالفة الأوامر (عقر الناقة مثلا) التمرد، العتو، الإنتكاس .
ج) الجملة المضارعية
ـ عدد الجمل المضارعية الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد الجمل المضارعية الواردة في كلام الأقوام .
ـ من خصائص الجملة المضارعية أنها التزمت الترتيب العادي للجملة الفعلية (فعل + فاعل + مفعول به) وجاء الفاعل في كل الجمل المضارعية ضميرا إلا ما ندر وجاء ضميرا مستترا في الغالب، وضميرا مستترا في بعض الأحيان، أما المفغول به فقد جاء ضميرا واسما ظاهرا في الغالب، وجاءت جملة مصدرية في بعض الأحيان .
ـ عدد الجمل المضارعية أكثر من عدد الجمل الماضوية، وعدد الجمل المضارعية المثبت أكثر من الجمل المضارعية المنفية، وعدد الجمل المضارعية المؤكدة هي أكثر من الجمل المضارعية المجردة .
ـ مضمون الجمل الواردة في كلام الأنبياء : وظيفة الأنبياء ودورهم، تذكير الأقوام بنعم الله عليهم، إقرار الأقوام بما يقومون به من تكذيب وصد عن سبيل الله، والوعد بالإستغفار، الوعيد بالعذاب ، تسخيرالله الكون للأقوام ، نفي علم الغيب، نفي مخالفة الأنبياء لأقوام من أجل المخالفةومندلالاتها: التعليل، الإهتمام، الإختصاص، التهديد.
ـ مضمون الجمل المضارعية الواردة في كلام الأقوام ، عدم الإعتراف بالأنبياء وبما جاءوا به ، إدعاء عدم فهم الرسالة، نفي الأفضلية عن الأنبياء ، وصف الأنبياء بالكذب ، افتخارهم بعبادتهم للأصنام، الإزدراء ، التهكم ، التهديد .
د) الجملة الشرطية
تنقسم الجملة الشرطية في الجدل القرآني إلى جملة شرطية مصدرة بالأداة وجملة شرطية غر مصدرة بالأداة، وأغلب الجمل الشرطية المصدرة بالأداة مصدرة بالأداة " إن " كما أن أغلب هذه الجمل الشرطية ذات جواب محذوف دل عليه ما سبق جملة الشرط أو ما جاء بعدها، وتدل الجملة الشرطية دلالات عدة كالإحتراس ، التهكم، التعليل، التحقير، التشجيع، التعجيز، التحريض، التحميس، التحذير، التهديد، الوعيد .
ـ أما الجملة الشرطية غير المصدرة الأداة فهي جملة إنشائية كجملة الأمر وجملة النهي والتي تتضمن جوابا مثل جواب الشرط، والفرق بين جواب جملة الأمر وجملة النهي أن جواب جملة الأمر هو وعد بالخير وجواب جملة النهي وعيد بالشر غالبا .
ـ مضمون جملة الأمر المتضمنة معنى الشرط هي مضمون ما جاء به الأنبياء من أجلهوهي أوامر موجهة للأقوام مثل عبادة الله، وتقواه وطاعته، وطاعة الرسول والإستغفار والتوبة من الذنوب وأما أجوبة هذه الجمل هي وعود دنيوية كنزول

المطر، منح الأموال والبنين، جعل الجنات والأنهار، والهداية والتوفيق، ووعود أخروية كمغفرة الذنوب، والفوز بالجنة .
- مضمون جملة النهي المتضمنة معنى الشرط يتعلق بعدم مس ناقة صالح والتعرض لها بالأذى، ومضمون جواب جملة النهي الوعيد بالعذاب .
- تعد الجملة الأنشائية المتضمنة معنى الشرط وسيلة إقناع استعملها الأنبياء ووظفوها في جدالهم مع أقوامهم؛ فإذا أمروا أقوامهم وعدوهم بالخير الدنيوي والأخروي ترغيبا لهم إلى الإيمان والتصديق بدعوتهم، وإذا نهوا أقوامهم أوعدوهم بما يعود عليهم بالشر والوبالدنيا وأخرى ترهيبا لهم من مغبة الكفر والعصيان .

هـ) الجملة الإستفهامية

يتميز الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم بالجمل الإستفهامية الكثيرة نظرا لطبيعة الموضوع وأغلب هذه الجمل الإستفهامية من معناه الحقيقي إلى معاني مجازية كثيرة ، ولقد تصدرت همزة الإستفهام أغل الجمل الإستفهامية، كما أن أغلبها ورد في كلام الأنبياء .
- تنقسم الجمل الإستفهامية التي دلت على معاني مجازية إلى قسمين هما الإنكار والتقرير
- لقد تضمن الإنكار معني أخرى كالتنبيه، التحقير، التهويل ،والتشجيع، والإبطال والتكذيب والتوبيخ
- تتضمن التقرير إقرار الخصم بالفعل ، وتوبيخه وتهديده، ومطالبة الخصم بالإعتراف عن خطئه، والتنبيه والتذكير، والإعتبار.

و) جملة الأمر وجملة النهي

1) جملة الأمر

تنقسم جملة الأمر في الجدل القرآني إلى جملة أمر حقيقي وجملة أمر مجازي، والأمر في جملة الأمر الحقيقي عام في أغلبه وورد في كلام الأنبياء ومضمونه الأمر بعبادة الله ، والشكر له، والتقوى، وطاعة الرسول، والإستغفار، وخاص ورد في كلام بعض الأنبياء ومضمونه التذكير نعم الله وآلائه، وترك الناقة وعدم التعرض لها بالأذى، طلب الرزق من الله، انماء الكيل والميزان والوزن بالقسط والعدل .
وأما الأمر الدال على معاني مجازية مضمونه أمر الأقوام الأنبياء بالإتيان بالعذاب ، التذكير بما وقع للأمم الماضية، الإستمتاع بالعيش، الثبات على المكانة، الإنتظار، الإرتقاب، الكيد ، إلحاق الضرر بالأنبياء، نصرة الآلهة ودلالاته التعجيز ، التهكم، الإعتبارن التهديد والوعيد، التحدي ، التحريض

2) جملة النهي

جملة النهي قليلة في الجدل القرآني مقارنة بجملة الأمر، والنهي إما أن يكون نهي الناس عن سلوك كانوا يقومون به كنهي شعيب آل مدين عن النجس والإفساد في الأرض أو نهي الناس عن سلوك معين إبتداءً كنهي صالح قومه عن مساس الناقة وإلحاق ضرر بها وجملة النهي الوارد في كلام الأنبياء أغلبها يفيد لمعناه الحقيقي وهو التحريم ،وخرج النهي الوارد في كلام الأنبياء و الأقوام من معناه الحقيقي وأدى بعض المعاني المجازية كالتحدي والتحريض والتحذير .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير: المثل السائر، قدّم له وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة ط2 ، 1403 هـ / 1983 م منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
- ابن جني: - التصريف الملوكي، صحّحه وفهرس مطالبه وشواهده سعيد بن مصطفى النعسان الحموي ، ط 1 ، 1331 هـ /1931 م ، شركة التمدن الصناعية بالقربية .
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط، د ت ، د نا، د م
- سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق لجنة من الأساتذة، مصطفى السقا ، محمد الزفزاف ، ط1 ، 1974 هـ / 1954 م ، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث العربي ، إدارة الثقافة العامة، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر .
- ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي ، ط2 ،1416 هـ /1996 م ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه احسان عباس ، د ط، د ت ، دار صادر بيروت .
- ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط2 1981 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- ابن سينا :رسالة حدوث الحروف ،1302 هـ ، د ط ، د نا ، القاهرة .
النجاة ، د ط ، 1331 هـ ، مطبعة القاهرة .
- ابن عصفور : الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط4 ، 1399 هـ / 1979 م ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- ابن العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، د ط ، 1402 هـ/ 1982م دار الكتب العلمية
- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط2 ، 1389 هـ /1969 م ، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- ابن القيم : الفائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط2 ، 1408هـ /1988 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين) : لسان العرب، قدّم له عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خلياط ، د ط ، 1407 هـ /1988 م، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب ، بيروت .
- ابن هشام (الأنصاري) : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 1411 هـ /1991م، شركة أبناء شريف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، صيدا .
- ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، د ط، دت ، در الجيل ، بيروت .

- ابن يعيش (موفق الدين) : شرح المفص للزمخشري، د ط، د ت، إدارة الطباعة المنيرية .
- أبو ريان (محمد علي) : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د ط، 1976 م، دار النهضة العربية، بيروت .
- أبو زيد (أحمد) : التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظر المعنوي والصوتي ، د ط، 1992، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء .
- أبو زهرة (محمد) : تاريخ الجدل ، د ط، د ت، دار الفكر العربي.
- أبو السعود (محمد بن محمد العماري) تفسير أبي السعود المسماة إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط4 ،1414هـ /1994 م مطابع دار إحياء التراث العربي، النشر دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان 0
- أبو موسى محمد محمد : خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط5 ، 1421هـ
2000م ، أميرة للطباعة، مكتبة وهبة عابدين، القاهرة .
- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد) : تهذيب اللغة، تحقيق ابراهيم الأبياري، 1967 م، دار الكاتب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة .
- الاسفرابيني : التبصير في الدين ، تحقيق زاهد الكوثري .
- الأصفهاني (الحسن بن محمد الراغب): المفردات في غريب القرآن، حققه وضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني ، ط 1 ، 1418 هـ /1998 م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان
- أكرور مصطفى: حق التلاوة، ط 1 ، 1994 م، دار نجيب للطباعة والنشر.
- الألمعي (زاهر عواض) : مناهج الجدل في القرآن، د ط، د ت ، مطابع الفرزدق التجارية .
- الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين البغدادي) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصحّحه محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر، دط، 1414هـ/1994 م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان .
- أمين أحمد : ضحى الإسلام، ط10، د ت ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان .
فجر الإسلام، ط10، د ت ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان .
- أنيس ابراهيم: الأصوات اللغوية
دلالة الألفاظ، ط2 ،1963 م، مكتبة الأنجلو المصرية .
في اللهجات العربية، د ط، 1973 م ، د نا ، القاهرة .
من أسرار اللغة، ط7 ، 1994 م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
- بدوي أحمد: من بلاغة القرآن الكريم، ط2 ، 1405 هـ /1985 م، مطبعة نهضة مصرن الفجالة ، عاالم الكتب، القاهرة.
- بشر كمال: دراسات في علم اللغة، ط2، 1971، دار المعارف بمصر .

- علم اللغة العام (القسم الثاني : الأصوات) ، د ط، 1973 م، دار المعارف بمصر، كرنيش، النيل، القاهرة .
- بلانشي روبير: المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل ، ترجمة أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .
- البهى محمد : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ط5، دت ، دار الفكر .
- تريكو جول : المنطق الصوري، ترجمة محمد يعقوبي .
- التفتزاني سعد الدين: المختصر على تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، د ط، د ت ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- تمام حسان: اللغة العربيةمعناها ومبناها، ط3، 1418 هـ /1998م ، عالم الكتب ، القاهرة .
مناهج البحث في اللغة .
- التوحيدي (أبو حيان) : البحر المحيط .
- التومي محمد: الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، د ط، د ن، شركة الشهاب، الجزائر .
- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ط1، 1418 هـ/1998م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- الجاحظ: البيان والتبيين .
الحيوان
- الجرجاني (عبد القاهر) : التعريفات، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، ط1، 1416هـ/ 1996 م، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان .
دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه محمد عبده،وعلق عليه محمد رشيد رضا، ط1، 1415هـ/1994م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان.
كتاب أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، ط3، 1403هـ /1983م ، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت .
كتاب الجمل في النحو، شرح ودراسة وتحقيق يسري عبد الغني عبد الله، ط1، 1410هـ/1990م، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان .
- الحديثي خديجة: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ط1 ، 1965م/1385هـ ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد .
- حسن محمود السيد: روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في الأسلوب القصصي المعجز، دط، دت، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرحل، الإسكندرية.
- الحلبي عيسى البابي: الكافية في الجدل ، د ت، د ط، 1979م ، دنا، القاهرة .
حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دط، دت، دار الفكر العربي.
- الحملاوي: كتاب شذا العرف في فن الصرف، دط، دت، المكتبة العلمية، بيروت .

- خليفة (مصطفى بن عيسى حاجي): كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط، دت، دنا، دم .
- الدجني عبد الفتاح: في الصرف العربي، نشأة ودراسة، ط2، 1403هـ /1983م ، مكتبة الفلاح، الكويت .
- الدرويش محي الدين: إعراب القرآن وبيانه، ط6، 1419هـ/1999م ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق بيروت .
- الدمشقي (جمال الدين) : تاريخ الجهمية والمعتزلة، دط، 1331هـ ، مطبعة المنار.
- دي لاسي أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ ،ط1، 1972م، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد) : ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، دراسة وتحقيق وتعليق علي محمد معوض و عادل أحمد بن عبد الجوّاد، ط1، 1416 هـ/1995م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- الراجحي عبده: التطبيق الصرفي، دط، دت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .
- الرازي (الفخر) : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط3، 1405هـ، دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت لبنان
- الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية
تاريخ آداب العرب، ط4، 1394هـ/1974م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان .
- الرضى الإستراباذي : شرح الرضى على كافية ابن الحاجب، شرح وتحقيق عبد العال سالم مكرم، ط1، 1421هـ/2000م، عالم الكتب القاهرة .
- زاهر رفقي، المنطق الصوري تاريخه ومسائله ونقده، ط1، 1400هـ/1980م، دار المطبوعات الدولية .
- الزرقاوي: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ط1 ، 1996م، دار الفكر بيروت.
- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) : البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دط،1408هـ/1988م، دار الجيل بيروت .
- زكريا إبراهيم: مشكلة الفلسفة، دط، 1971م، مكتبة مصر ،القاهرة .
- الزمخشري : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، ط1 ، 1415هـ /1991م، دار الكتب العلمية، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة .
- الزيات محمد حسن: دفاع عن البلاغة، ط2، 1967 م ، مطبعة الإستقلال، عالم الكتب ، القاهرة .
- السامرائي فاضل: معاني النحو، ط1، 1420هـ/2000م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن .
- السبكي بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، دط، دت، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

ـ السعران محمود : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دط، دت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .
ـ السكاكي : مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، 1420هـ/2000 م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
ـ سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، 1402هـ/1982م، دار الجيل للطباعة، مصر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
ـ السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1418هـ/1997م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الدار النموذجية، المطبعة العصرية ، بيروت صيدا .
المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبط وتصحيح فؤاد علي منصور، ط1، 1418هـ/1998م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
ـ الشعراوي : تفسير الشعراوي، دط، دت، أخبار اليوم، قطاع الثقافة .
ـ الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر): الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط6، 1417هـ/1997م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
ـ الشيباني عمر التومي : مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دط، دت، الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس .
ـ صافي محمود: الجدول في إعراب القرآن، صرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، ط2، 1416هـ/1985م، دار الرشيد دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت لبنان .
ـ صبحي أحمد محمود: في علم الكلام المعتزلة.
ـ صليبا جميل: الفكر الفلسفي في الثقافة المعاصرة، دط، دت، منشورات الجامعة الأمريكية، بيروت
المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية، ط1، 1971م، دار الكتاب اللبناني، بيروت
ـ الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دط، 1997م، دار مصر للطباعة، دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع، تونس .
ـ عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، ط1، 1418هـ/1998م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن .
ـ عبد الرزاق مصطفى: تمهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية، ط2، 1386هـ/1966م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
ـ عتيق عبد العزيز: علم المعاني، دط، 1405هـ/1985م، سلسلة في البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيوت .
ـ عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية.
ـ عطا: مصطفى عبد القادر، تاريخ بغداد، ط1، 1417هـ/1997م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
ـ عمر أحمد مختار : الصوت اللغوي.
علم الدلالة

ـ الغرابي مصطفى: تاريخ الفرق ونشأة علم الكلام، ط1، 1948م مطبعة السعادة، المكتبة الحسينية ، مصر .
ـ فاخوري حنا والجر خليل: تاريخ الفلسفة العربية مقدمات عامة الفلسفة الإسلامية، ط2، 1982، دار الجيل ، بيروت لبنان
ـ فرغل يحي هاشم حسن: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، جوانب التفكير في العقيدة الإسلامة، دط، 1392هـ/ 1972 م، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .
ـ فضل الله حسين: الحوار في القرآن الكريم، قواعد وأساليب، معطياته، دط،دت، دار المنصوري للنشر، الجزائر .
ـ فضل الله مهدي : مدخل إلى علم المنطق،(المنطق التقليدي) ، ط3، (أغسطس)1985م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .
ـ فوده عبد العليم السيد: أساليب الإستفهام في القرآن الكريم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، دط، دت، نشر الرسائل الجامعية، مؤسسة دار الشعب القاهرة.
ـ فيود بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل علم المعاني، ط1، 1419هـ/1998م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر الجديدة، دار المعالم الثقافية للنشر ولتوزيع.
ـ القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، ط8، 1401هـ/1981م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت.
ـ قطب سيد: التصوير الفني في القرآن .
في ظلال القرآن، ط25، 1417هـ/1996م، دار الشروق ، القاهرة بيروت .
ـ الكعبي ربيعة: التركيب الإستثنائي في القرآن الكريم، دراسة نحوية بلاغية، ط1، 1993م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان.
ـ كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط3، دت، دار المعارف،مصر .
تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، دت، دار القلم بيروت لبنان .
ـ لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، .
حروف القرآن
المعاني في ضوء أساليب القرآن .
ـ المازني: المنصف في شرح كتاب التصريف.
ـ المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة باللغة العربية، وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط7،1401هـ/1981م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
ـ محمود عبد الحليم: نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام
ـ المخزومي مهدي: النحو العربي قواعد وتطبيق، ط2، 1406هـ/1986م، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان.

النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، 1406هـ/1986م، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان.
- مطر عبد العزيز: علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح، دط، 1405هـ/1998م ، دار قطر بن الفجاءة.
- المغربي ابن يعقوب: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص، دط، دت، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- الملطي أبو الحسن ممد أحمد الشافعي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، دط، 1949م، دنا
- نجار رمزي: الفلسفة العربية عبر التاريخ، ط2، 1979م، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت
- النشار علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط8، دت، دار المعارف، القاهرة
- النعيمي حسار سعيد: الدراسات اللهجية الصوتية.
- نقرة تهامي: سيكيولوجية القصة القرآنية، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، دط، 1971م، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع والنشر .
- نمر نسيب: تطور الديالكتيك عبر التاريخ وقانونه الأساسي وحدة ونضال المتضادات، دط، دت، دار الرائد العربي، بيروت لبنان .
- ياسوف أحمد: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، إشراف وتقديم نور الدين عتر، ط1، 1415هـ/1994م، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا دمشق .
- يعقوبي محمد: المنطق القطري في القرآن الكريم، دط، دت، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ، ابن عكنون، الجزائر .

الباب الأول

الجدل

والجدل القرآني

الفصل الأول

مفهوم الجدل وتطوره

المبحث الأول: مفهوم الجدل

المطلب الأول: الجدل لغة

أولاً: جاء في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس: "جدَلَ الجيم والدّال واللاّم أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"[1]، و"جدلتُ الحبل" أي أحكمت فتله، وجدلت البناء أي أحكمته"[2] و"وجدل َيَجدِلُ: اشتدّت خصومته "[3]، و" رَجُلٌ جَدِلٌ ومجِدالٌ شديد الجدل إذا كان قوي الخصام شديدُه"[4]، و" جادل مجُادلة جِدالا، ناقشه وخاصمه"[5]، قال تعالى: " وجادلهم بالتي هي أحسن"[6]، والمجادلة: " هي المناظرة والمخاصمة"[7] .

ثانيًا: الجدل مشتق من الجَدالة، أي هي الأرض "وجَدَّله: صرعه، "وقف علي على طلحة وهو قتيل فقال أُعزُز علي أبا محمد أن أراك مجُدَّلاً تحت نجوم السماء"[8] أي صريعا على الأرض. فالجدالة هي الأرض التي يصرع فيها الخصم بعد نفاذ ما يملك من قوة بدنية أو عقلية أو سلاح. جاء في أساس البلاغة: "جدّله أي ألقاه على الجدالة"، وجدل الرجل أي صرعه وغلبه في الجدل، " ويقال جادله فجدله"، فكأنّ كل واحد من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه فيكون من ضرب به الجدالة، فالجدل لغة له معنيان، أحدهما: يدل على الصّراع والخصام، والآخر يدل على الصرع ،وغلبة طرف على طرف آخر، فكأنّ المعنى الثاني هو نتيجة للمعنى الأول؛ فإذا تصارع خصمان صراعا كلاميا أو بدنيا فالنتيجة حتما تكون بغلبة أحدهما على الآخر، كما أنّ الدلالة الثانية هي غاية الدلالة الأولى، فغاية الصراع والخصام هو الغلبة، فلذلك يلجأ كلّ واحد من المتصارعين إلى إحكام السيطرة على الآخر بما يملك من أدلة قوية،وحجج دامغة،وبراهين واضحة،واستعمال قدراته العقلية من ذكاء وفطنة وخيال من أجل تبكيت خصمه ومباهتته، فالجدل لغة هو صراع وخصام يؤول في النهاية إلى انتصار طرف على آخر.

المطلب الثاني: الجدل اصطلاحا

إذا أراد الباحث أن يعرّف الجدل اصطلاحا وجد أنّ الذين عرّفوا الجدل تناولوه من زوايا معينة؛

منهم من تناوله من حيث التعريف، ومنهم من عرّفه من حيث طبيعته، كما أنّ هناك من أورد مفهوما للجدل من زاوية الهدف وما يرميه، ومن هؤلاء أيضا من تعرّض لتعريف الجدل كعلم له آدابه وضوابطه ومزاياه، وأغلب هؤلاء عرّفوا الجدل بالربط بين طبيعة الجدل والغاية منه، وسنعرض تحديد هذه الجوانب كل على حدة للوصول إلى مفهوم شامل للجدل من حيث الاصطلاح، وهذه الجوانب هي: تعريف الجدل، طبيعتة، الغاية منه، الجدل كعلم له آداب وضوابط.

---

1 - أحمد ابن فارس:مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، 1389 ه - 1969م ،شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ج 1 ص 433 .

2 - الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، حققه وضبطه وراجعه محمد خليل عتياني،ط1 ،1418ه - 1998م،دار المعرفة للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، كتاب الجيم، ص 97 .

3 - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب قدّم له عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دط، 1407ه - 1988م، دار الجيل - بيروت ، دار لسان العرب - بيروت ، م1 ص420 .

4 - المصدر نفسه .

5 - المصدر نفسه .

6 - سورة النحل الآية 125 .

7 - ابن منظور: لسان العرب، م 1 ص 420.

8 - المصدر نفسه ، المكان نفسه .

ـ فالجدل من حيث التعريف هو "في الأصل فن الحوار و المناقشة[1]"و"درة كلامية وبراعة حجاجية[2]" و"طريقة في المناقشة والاستدلال".[3]
ـ أمّا طبيعة الجدل فهو: "لخصومة والمنازعة في البيان والكلام"[4] ،وهو أيضا" المشادة الكلامية"[5]، و "لمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"[6]، و "شتداد الخصومة في النقاش"[7]، و"هو عبارة عن مراء"[8].
ـ أمّا مفهوم الجدل من حيث الغاية ومايؤدّي إليه هو "لإظهار المذاهب وتقريرها"[9]، و"لإلزام بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم"[10]، و"الارتقاء من تصور إلى تصور للوصول إلى أعم التصورات وأعلى المبادئ"[11]، كما يهدف الجدل"إلى تحقيق الغلبة بالدليل والحجة في اتخاذ رأي ما وإسقاط بالرأي المخالف"[12] .
ـ أمّا الذين تناولوا الجدل كعلم له آداب وضوابط ـ كابن خلدون في المقدمة ـ فيرى أنّ الجدل " هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنّه لمّا كان باب المناظرة في الرد والقبول مُتسعا، كل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابًا، ومنه ما يكون خطأً؛ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابًا وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها في الردّ والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون مخصومًامنقطعًا، ومحلّ اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال "[13]، وعرفه أيضا بـ " أنّه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره [14] .
مما سبق يتضح أن الجدل هو نوع من الحوار والمناقشة يتصف بالصراع والخصام والنزاع الكلامي، بين فردين لهدف تحقيق الغلبة بإظهار الاتجاهات والمذاهب والآراء، بالأدلة ونفي حجج الخصم ودحضها وتفنيدها من أجل إحقاق حق أو إبطال باطل، أو من أجل إبطال حق وإحقاق باطل، وهذا يتوقف على مدى براعة المتجادلين وما يستندون إليه من أدلة وحجج.

المطلب الثالث: الجدل من حيث التسمية

استعمل بعض الباحثين المصطلح الأجنبي " Dialektiqueدياليكتيك" كالدكتور عبد الرحمن بدوي في بعض كتبه (خريف الفكر)، (الزمن الوجودي)، كما أنّ بعضهم استعمل لفظ الصراع وأراد به الجدل مثل، "بولس سلامه" في كتابه الصراع في الوجود"، وأغلب المؤلفين القدماء أو المحدثين استعملوا لفظ "الجدل" كأبي زهرة في كتابيه (تاريخ الجدل)، (المعجزة

---

1 ـ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ط1، 1971م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1،ص 391 .
2 ـ محمد التو مي: الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، دط، دت، شركة الشهاب، الجزائر، ص 14 .
3 ـ ابن منظور:لسان العرب ،م1 ، ص 420 .
4 ـ زاهر عوّاض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، دط، دت، مطابع الفرزدق التجارية، ص 20 .
5 ـ محمد التو مي :الجدل في القرآن الكريم، ص8 .
6 ـ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الجيم ، ص 97 .
7 ـ زاهر عوّاض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص20 .
8 ـ المصدر نفسه .
9 ـ المصدر نفسه .
10 ـ المصدر نفسه .
11 ـ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص391 .
12 ـ محمد التو مي :الجدل في القرآن الكريم، ص14 .
13 ـ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، ط2، 1416هـ/1996م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت، ص428 .
14 ـ المصدر نفسه .

الكبرى)، وزاهر عوّاض الألمعي (مناهج الجدل في القرآن الكريم)، ومحمد التومي(الجدل في القرآن) وغيرهم كثيرون.

المطلب الرابع: مصطلح الجدل Dialektik في بعض المؤلفات والمعاجم الغربية

يرى الأستاذ نسيب نمر في كتابه (تطور الديالكتيك) أنّ كثيراً من المؤلّفات والمعاجم الغربية ترى أنّ كلمة ديالكتيك في الكتب الفلسفية القديمة وفي مفاهيم بعض الفلاسفة تعني الجدل الكلامي، أو البحث المنهجي، و إذا عدنا إلى مفهوم الكلمة نفسها نجدها مؤلفة من Dia التي تدل علىمعنى التبادل والمقايضة،وقد أخذت على أنّها تبادل في الكلام وفي الحجج والأدلة والبراهين الكلامية ويصحّ أن تؤخذ على أنّها التضاد التقابل التعارض،التأثير المتبادل بين الأشياء،دون أن تقتصر على فنّ الجدل أو فنّ المماحكة،أوفنّ المنطق، أوفنّ المناقشة، أوفنّ التفكير. إنّ موسوعة "دالمبير" و"ديدرو"1751-1760 تعرّف الديالكتيك بفن التفكير والمناقشة بصورة صحيحة، وفي المعجم العلمي لسنة 1835 يعرّفه بأنّه فنّ التفكير. وبعد مائة سنة وبالضبط في عام 1935 يقول نفس المعجم أنّه مجموعة قواعد التفكير حاذفًا كلمة فنّ،وترى موسوعة "لاميرو" 1885إلى1901أنّ الديالكتيك هو فنّ صوغ المماحكات المتماسكة والدقيقة وجعلها تتسلسل بصورة محكمة.أمّا المعاجم الغربيّة الحديثة فتعرّف الديالكتيك بأنّه فنّ المناقشة أو فنّ المناقشة بمماحكة كمعجم "لالوند" مثلا ، ويرى نفس المعجم الطبعة الخامسة 1947 أنّ الديالكتيك كلّ مجموعة من الأفكار يتعلّق بعضها ببعض تعلّقا شديدًا ومنطقيًا وفي معجم اللغة الفرنسية الذي وضعه " لبتريه"1863أنّ الديالكتيك لدى أرسطو هو فنّ المناقشة بصفة عامة، أمّا"لاروس"القرن العشرين فإنّ الديالكتيك هو فنّ التفكير بحسب منهج وبصورة صحيحة،و إنّ كلمة ديالكتيك ومنطق لم تبق اليوم إلاّشيئاً واحداًتقريباً إن لم تكن تماماً شيئاً واحداً كما كانت لدى الرواقيين والمرسيين في العصور الوسطى، ولقد جعل الأب (بوبييه)في كتابه "محاضرات في الفلسفة "أنّ المنطق والديالكتيك مترادفان"[1].

مما سبق نستنتج أنّ أغلب المعاجم تتفق على أنّ الجدل :

- هو فن أو قواعد أو مبادئ تكتسب عن طريق التعلّم .
- تتفق كلّها على تسميته بالمناقشة أو الحوار أو التبادل و المقايظة .
- كما تتفق أيضًا على إضفاء شرط الصحة والسلامة و النظام.

ومن ثم فالجدل عند الغرب هوفن المناقشة أو الحوار بصفة سليمة وتبادل للأفكار بطريقة منظمة ،و الفرق بين مصطلح الجدل عند لبعرب والغرب يكمن في الطبيعة ؛فمصطلح الجدل لدى العرب هو النزاع والخصام أمّا لدى الغرب أن يكون منظمًّا ويمارس بطريقة سليمة .

المطلب الخامس: الجدل والحوار والمحاجّة وللمناظرة والمكابرة والخلاف

أولا: الجدل والحوار

صاحبت هاتان الكلمتان الإنسان منذ أن بدأ يدرك ما حوله من آراء متعددة، ومذاهب مختلفة، واتجاهات متباينة؛ فحاول الإدلاء بأفكاره ومنحها صفة الوضوح بالإلمام بكل جوانب هذه الأفكار وهذا ما يسمى بالحوار، ولكن إذا خاض صراعا ضد أفكار معينة وضد معارضين له يتحول الموقف إلى صدام من أجل الغلبة، وهذا مايسمى جدلا أو جدالا. ومقارنة بسيطة، بين

---

1 - نسيب نمر: تطور الديالكتيك عبر التاريخ وقانونه الأساسي وحدة ونضال المتضادات، دط، دت، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ص 11 – 12.

كلمة "حوار" و كلمة "جدل"، نجد أن كلمة حوار أوسع مدلول من كلمة جدل لأنّ هذا الأخير يتضمن معنى الصراع، بينما الحوار يتسع لأكثر من ذلك.[1]

ثانيا :الجدل والمحاجّة:

المحاجة استدلال الخصم لإثبات دعواه بما يملك من أدلة وبراهين، دون إلزام خصمه على اتباع مذهبه وآرائه، بينما الجدل أعم من ذلك، فإذا تجادل خصمان في قضية ما يحاول كلا الطرفين إبراز رأيه باعتباره الأصح، وأكثر من ذلك يلزم خصمه باتباع رأيه وإلزامه مذهبا لايقول به[2]

الجدل والمناظرة والمكابرة:

فالجدل الهدف منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال،والمناظرة الهدف منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت فيه أنظار المتناقشين أمّا المكابرة الهدف منها ليس موضوعياً بل ذاتياً وهو حبّ الشهرة ومطلق اللّجاجة وغيرها من الأغراض التي لا تفي بالمطلوب ويمكن أن تجتمع هذه المعاني في جلسة واحدة للمناقشة ولقد يبتدئ المتناقشان في المناقشة بغية الوصول إلى الحقيقة، ويرد في ذهن أحدهما رأي يراه صوابا فيتمسك به، ويلزم خصمه به، فهذا يسمى جدلا، وحينما يستمر أحد الأطراف في لجاجته بالرغم من معرفة غلبة خصمه عليه بالأدلة الدامغة ويراها واضحة ولكن تأخذه العزة بالاثم فيتمادى في لجاجته وحينئذ يسمى مكابرة.[3]

رابعا: الجدل والخلاف أو علم الخلاف أو الخلافيات

علم الخلاف أو الخلافيات "صنف من العلم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية، وهو الجدل... إلا أن الجدل خص بامقاصد الدينية "[4]، يقول العلامة "ابن خلدون" :" هو علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم، ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرمون الاستدلال عليه"[5]، ولابد للذي تخصص في علم الخلاف أن يعلم الطرق التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام لبعض المسائل الفقهية للحفاظ عليها وحصانتها بسياج من الأدلة القوية كي لا تصل إليها أدلة المخالف التي تكون أقوى فيهدمها، ومن ثم فعلم الخلاف هو جدل لأنّ كليهما يحاول أن يهدم آراء خصمه، ويثبت آراءه ويبرزها ويحافظ عليها من النقض والهدم من قبل الخصم، إلاّ أنهما يفترقان من حيث الموضوع، فكلٌّ من الجدل وعلم الخلاف ينفرد بمجال خاص، فالجدل مجاله أصول الدين ومواضيع تتصل بالعقيدة ،أمّا علم الخلاف فمجاله الفقه وأصوله، فلذلك نجد أنّ علم الخلاف يكون بين أئمة المذاهب الإسلامية فتارة يكون الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق أحدهما، وتارة أخرى يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما[6]، وأمّا الجدل فيكون في مسائل العقيدة، وهو ما يعرف بأصول الدين أو علم الكلام، أو علم العقائد، وهذه المسائل مثل صفات الله، مرتكب الكبيرة خلق القرآن ... إلخ.

فالجدل يختلف عن الحوار كونه أحد أنواعه ،كما يختلف عن المحاجة كونه يلزم الخصم إضافة إلى دحض آراء الخصوم ،كما يختلف عن علم الخلاف لكونه يتعلّق بالعقيدة وعلم الخلاف أو الخلافيات يتعلّق بالفقه.

---

1 - ينظر محمد حسين فضل الله :الحوار في القرآن قواعده ، أساليبه ، معطياته،دط ، دت ،دار المنصوري للنشر - الجزائر، ج1،ص15 .

2 - ينظر محمد التو مي، الجدل في القرآن الكريم، ص9.

3 - ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 5 - 6 .

4 - مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة: كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط، دت، ص721- 722 .

5 - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص428 .

6 - المصدر السابق ،المكان نفسه .

المبحث الثاني: نشأة الجدل وتطوره في اليونان

تمهيد: يعتبر الجدل طبيعة في الإنسان وجبلّة متأصلة فيه منذ أن خلق إلاّ أنّ الإنسان مفطور على حبّ الإطلاع وطرح الأسئلة من حين لآخر ومحاولة إيجاد تفسيرات للأشياء والظواهر الحاصلة أمامه، ومن ثمّ يتحصل على الأفكار والمعلومات فيجد نفسه مدفوعا إلى الإفضاء بها والإفصاح عنها، فلا يهدأ له بال ولا يغمض له جفن ولا يستكين بل تجده دائما في عراك وسجال في سبيل نصرة حق أو تصحيح خطإ أو توجيه مفهوم أو تبادل للأفكار موافقة أو مخالفة له أو برهنة أو معارضة أو تعلّما أو وتعليما وما شابه ذلك مما هو موجود في الفطرة الإنسانية ،قال تعالى : " وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا " [1]، و الجدل لا يقتصر على الإنسان فقط بل نجده في المخلوقات الأخرى كالملائكة وإبليس الذي ورد جدلهم في القرآن، وسوف أتطرق إلى هذا النوع من الجدل عند الحديث عن محاور الجدل في القرآن.

وبما أنّ الجدل أمر فطري في الإنسان فقد وجد بوجوده، لذلك يصعب أن أحدّد نشأة الجدل، إلاّ أنّه يمكن القول أنّ الجدل نشأ وبدأ حينما خُلق الإنسان في هذا الكون، وحينما بدأ الإنسان ينظر إلى هذا الكون الفسيح الممتد أمامه فيقف مشدوها لعظمته الدالة على عظمة خالقه وتستولي عليه الحيرة الممزوجة بالدهشة والخوف، وفي ذهنه ركام من الأسئلة يجد نفسه مجبورا على الإجابة عنها كي يتحقق معنى وجوده، " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ "[2] .

والقرآن الكريم أصدق سجل يروي لنا نماذج من جدال الأمم الغابرة منذ أن خلق، وأوّل جدال قصّه علينا القرآن هو جدال الملائكة مع الله عز وجل قال تعلى على لسان الملائكة " قالو أتجعل فبها من يفسد فيها و يفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون " [3]، ثم يأتي بعد ذلك جدال إبليس اللعين مع الله مكابرة وتكبرا " قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ"[4] .

و الجدل في نشأته مرتبط بنشأة الفلسفة أو التفكير الفلسفي لأنّ الإنسان يمتاز بنزعة تساؤلية وميل مستمر نحو التساؤل عما يحيط به من ظواهر كونية وأحداث اجتماعية ،محاولاً بذلك الوصول إلى فهم العلاقة بين وجوده وبين تلك الظواهر، ولهذه النزعة التساؤلية لدى الإنسان نجده ينزع إلى الفلسفة التي لا تعدو أن تكون في تفسيرها "تلك العملية التساؤلية التي نحاور فيها أنفسنا ونتجادل فيها مع العالم الخارجي[5].

وهو مرتبط بالمنطق كمرحلة من مراحل نشوئه لأنه " منذ أن بدأ الإنسان بالتساؤل عن الوجود ومظاهره كان يفكر، بمعنى أنّه كان يستدل ويحكم دون أن يعرف المنطق أو حتى ينتبه إلى موضوعه"[6]، لأن" المنطق كعلم يستلزم أولا وجود منطق عملي عفوي [وهو الجدل] مثلما

---

[1] ـ سورة الكهف، الآية 54 .

[2] ـ سورة المؤمنون، الآية 115 .

[3] ـ سورة البقرة، الآية 30.

[4] ـ سورة الحجر، الآية 32 ـ 33.

[5] ـ عمر التومي الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دط، دت، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ص135 ـ 136 .وينظر أيضا زكرياء ابراهيم: مشكلة الفلسفة، القاهرة ـ مكتة مصر، 1971 م، ص69 .

[6] ـ مهدي فضل الله: مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليدي)، ط 3، آب (أغسطس) 1985م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 8 .

يفترض النحو وجود استعمال اللغة"[1]، "كما كان يتكلم دون أن يعلم شيئا عن علوم اللغة من نحو وصرف، التي تحكم اللغة التي يتعامل بها"[2] .

المطلب الأول: نشأة الجدل في اليونان

أمّا مايتعلّق بنشأة الجدل الذي هو نشأة الفلسفة، فإنّ مؤرخي الفلسفة من الغربيين عادة مايرجعون ذلك إلى اليونان فذهب أغلبهم إلى أنّ ا لفيلسوف اليوناني الطبيعي القديم "طاليس "هو أول من استخدم التفكير الفلسفي، وأرجع بعضهم ذلك إلىالمدارس الثلاثة الأيونية، الأيلية الفيثاغورية[3]. وكانت المشكلة التي قدحت زناد الفكر الإغريقي لأوّل مرّة هي من أيّ مادة نشأ الكون ؟[4]

وأمّا نشأة الجدل باعتباره مرحلة من مراحل نشوء المنطق فيعتبر "أرسطو" أنّ "زينون الأيلي" (490- 430 ق.م) أوّل واضع لعلم الجدل[5]، غير أن الأستاذ نسيب نمر في كتابه (تطور الديالكتيك عبر التاريخ) يرى " أنّ رائد الديالكتيك الأول هو "هيروقليطس" (540-475 ق.م)"[6]، والفرق واضح بين الفيلسوفين فزينون هو مثالي جدلي وهيروقليطس مادي جدلي والأول أيوني والثاني أيلي.

أولا: الجدل الأيوني الطبيعي:حاول أقطاب هذا الإتجاه إعطاء تفسيرًا ماديًا لأصل الكون فهم يرون أن أصل الوجود هو المادة فقال "طاليس" بالماء، و"أنكسيمانس" بالهواء، و"هيروقليطس" بالنار، فكانوا من الماديين الواحدين[7]، فقال أنبادوقليس بالعناصر الأربعة النار والماء والهواء والتراب (أو الأرض)فكان من مذهب الكثرة[8]، أما "أنكسيماندريس" فلم يقل بأي بأي مادة، بل قال إن اللانهائي هو المادة الأولى للعالم، الذي هو أزلي خالد الذي لا يفنى" [9].

أ ـ طاليس (624-546 ق.م): يرى طاليس أنّ الماء هو المادة الأولى، والجوهر الأوحد الذي تتكون منه الأشياء، ودعّم رأيه بالدليل، فقال: " إن النبات والحيوان يتغذيان بالرطوبة، ومبدأ الرطوبة الماء، فما منه تغذى الشيء فهو يتكون منه بالضرورة، ثم إنّ النبات والحيوان يولدان من الرطوبة، فإنّ الجراثيم الحية رطبة، وما منه يولد الشيء فهو مكون منه، بل إنّ التراب يتكون من الماء، ويطغى عليه شيئا فشيئا"[10]، " والقول بأنّ الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحد الذي تتكون منه الأشياء كان مألوفا عند الأقدمين، وقد سبقه هوميروس في هذا الشأن، وقالت أسطورة بابلية من قبل "في البدء قبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر"[11] .

ب ـ أنكسيمندريس (610-547 ق.م): يعد من تلامذة طاليس إلا أنّه اختلف معه في أصل الكون، فهو يرى أنّ الماء لا يصلح لأن يكون المبدأ الأول، وذلك لأنّه يمكن أن يتحول الجامد (البارد) إلى سائل بالحرارة، ومن ثمّ فالحار والبارد يسبقان الماء، ويرى أنّه لا يمكن تعيين المبدأ الأول، وسمى المبدأ الأول للكون باللامتناهي، واعتبرها لا متناهية غير معينة من حيث

---

[1] ـ روبر بلانشي: المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسم، ترجمة: د.خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 19 .

[2] ـ المرجع السابق، المكان نفسه .

[3] ـ ينظر محمد التومي الشيباني :مقدمة في الفلسفة الإسلامية،ص 12 .

[4] ـ رفقي زاهر:المنطق الصوري تاريخه ومسائله ونقده، ط1، 1400 هـ/ 1980م، دار المطبوعات الدولية،ج1،ص 7 .

[5] ـ ينظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، دت، دار القلم، بيروت لبنان، ص30 .

[6] ـ نسيب نمر: تطور الديالكتيك عبر التاريخ، ص18

[7] ـ لأنهم يرون أن العالم يرجع إلى أصل واحد .

[8] ـ يرى أن العالم يرجع إلى أكثر من أصل .

[9] ـ ينظر المصدر السابق ، المكان نفسه .

[10] ـ ينظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص13

[11] ـ ينظر المصدر نفسه المكان نفسه .

الكيف وغير محدودة من حيث الكم، بل هي خليط من الأضداد؛ كالحار والبارد واليابس والرطب وغيرها، فكانت مختلطة في البداية ثم انفصلت عن طريق الحركة ، ومن ثم فإنّ أنكسمندريس يرى أولا أنّ أصل الكون لا يرجع إلى أصل واحد خلاف ما يرى أستاذه ويرى ثانيا أنّه لا يمكن تحديده بأصل معين لتظافر عوامل عديدة إجتماعا وافتراقا وتضادا وأدى هذا إلى تكوين الأشياء تكوينا آليا في نظره .

جـ ـ أنكسيمانس (585-524 ق.م): هو تلميذ أنكسيمندريس اعتقد كما اعتقد طاليس أنّ الأرض قرص مسطح قائم على قاعدة، وأنكر أنّ الشمس تتحرك ليلا تحت الأرض، وأرجع علة اختفاء الشمس من المساء إلى الصباح بأن جبالا شاهقة تحجبها عن الأنظار من جهة الشمال، أو بأنها أبعد عن الأرض في الليل منها في النهار، وقد سبقه إلى هذا التفسير قدماء المصريين،وقد استعاض عن المتناهي باعتباره مزيجا من الأشياء بشيء واحد وهو الهواء، واعتبره المادة الأولى للكون، واستعاض عن الحركة، وما تحدثه من اجتماع وافتراق بخاصتين ملازمتين للهواء هي التكاثف والتخلخل بذاته، فيحدث الأشياء بأنواعها وعلى ذلك يفسر العالم بعلة واحدة تعمل على نحور آلي، وفي هذا التفسير تقدم كبير للمذهب الأيلي إلى الوحدة والبساطة[1].

د ـ هيروقليطس (540-475 ق.م): وملخّص مذهبه أنّه يهتم بالأضداد ووحدتها، واهتم بموضوع التناقض واعتبره قانونا عاما للوجود، وعني بمبحث التغير أيضا فيرى أنّ الأشياء في تغير متصل ومستمر، ويمثل لهذا القانون بمثالين، أحدهما جريان الماء فيقول: "أنت لا تنزل النهر مرتين، فإن مياهها جديدة تسري من حولك دائما والآخر هو اشتعال النار وهذا المثال أحب إليه من المثال الأول، لكون النار أسرع حركة وأدل على قانون التغير، ولذلك نجده يعتبر النار المادة الأولى للكون التي تخرج منها الأشياء وترجع إليها، ولولا التغير لم يكون شيء "[2] فهو يرى" أنّ الاستقرار موت وعدم التغير صراع بين الأضداد يحلّ بعضها محل بعض، والشقاء أبو الأشياء ومالكها، لولا المرض لما اشتهينا الصحة، ولولا العمل لما نعمنا بالراحة ولولا الخطر لما كانت الشجاعة، ولولا الشر لما كان الخير، أليست النار تحيي موت الهواء، والهواء يحيي موت النار، والماء يحيي موت التراب، والتراب يحيي موت الماء، والحيوان يحيي موت النبات، والإنسان يحيي موت الاثنين...ماءالبحر أنقى وأكدر ماء يشربه السمك ولايستسيغه الإنسان، وهو نافع للأول، ضار للثاني،ونحن ننزل النهر ولاننزل من حيث مياهه تتجدّد بلانقطاع، ونحن موجودون في كل لحظة،فكل شيئ هو كذا موجود وغيرموجود"[3]

هـ ـ فيثاغورس وفرقته :لقد فسّر الفيثاغوريون وعلى رأسهم فيثاغورس الوجود بطريقة رياضية، ويرون أنّ هذاالعالم أشبه بعالم الأعداد، غير ما فسّره الفلاسفة السابقون بكونه ماءً,أو تراباً، أوهواءً.وقالو: " إنّ مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات أعداد وأنّ العالم عدد ونغم ...وأنّ الأعداد نماذج تحاكيها الموجودات دون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها إلافي الذهن " ... ولم يكونوا يتمثلون العدد مجموعاً حسابياً، بل مقدارًا وشكلاً، ولم يكونوا يرمزون له بالأرقام بل كانوا يصورونه بنقط على قدر مافيه من آحاد ويرتّبون هذه النقط في شكل هندسي ؛ فالواحد النقطة والإثنان الخط الثلاثة المثلث والأربعة المربع ...فخلطوا بين الحساب والهندسة ...فأصابوا خصائص الجسم الرياضي لاخصائص الجسم الطبيعي ولم يفسّرو الحركة والكون والفساد ... "[4]

---

[1] ـ ينظر المصدر السابق، ص16 .

[2] ـ ينظر المصدر نفسه، ص17 ، 18؛ وينظر مهدي فضل الله، علم المنطق، ص 10 .

[3] ـ **يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص18 .**

[4] ـ المصدر السابق ، ص22 .

ممّا سبق يتضح أنّ الجدل في هذه الفترة هو محاولة اكتشاف أصل هذا الكون فهو صراع فكري حول المادة الأولية للكون ،وفسّروا أصل نشأته تفسيرًا ماديًا بحثًا باستعمال حواسهم ، واستغلال ما في الكون من معطيات مادية ، وربطوا الأسباب بالمسببات ، والنتائج بالمقدمات مستعينين ببعض الخواص الفيزيائية كتبخر الماء وتجمده ، ولكن لم يصلوا إلى علّة العلل ، ولم يتفقوا على موجد هذا الكون ، فتاهوا في بيداء المادة التي انطلقوا منها في تفكيرهم ظنًّا منهم أنّها تسعفهم وتمدّهم ببصيص من الأمل في إيجاد موجد هذا الكون ، ولكن هذه المادة زادتهم قلقًا وضطرابًا وتضاربًا للآراء ، وأمّا من الناحية المنهجية فلم نجد لهؤلاء منهجًا جدليًّا معيّنًا .

المطلب الثاني: تطور الجدل في اليونان

ترجع أولى المحاولات الجدية على نحو واع في ممارسة الجدل إلا أنّه غير منظم إلى "زينون الأيلي" وخاصة عند سقراط في محاولاته التهكمية التي أراد من خلالها كشف أغاليط وعيوب جيل السفسطائية وتلاعبهم في معاني الألفاظ ثم محاولات أفلاطون الجدلية، إلاّ أنّ أرسطو أول من تنبه إلى أنّ للكلام صوراً وأشكالاً خاصة فتوسع في البحوث المنطقية، فعيّن طرق التفكير الصحيح ونظّم منهجية المجادلة وقواعدها.

ثانياً: الجدل الأيلي الميتافيزيقي

يعدّ "بارمينيدس "هو المؤسّس الحقيقي للمدرسة الأيلية إلاّ أنّ"أكسانوفان"(570_480ق م) قدسبقه في الإعلان عن أساس المذهب، ثم وضعه في صورته الكاملة، وجاء بعده "زينون" ونصّب نفسه للدّفاع عنه، ثم أدخل "ميسلون" عليه بعض التعديل، دون أن يمس جوهره، وكلهم يقولون " أنّ العالم موجود واحد وطبيعة واحدة، ويقولون هذا لاكالطبيعيين الذين يفرضون موجوداً واحدًا (ماء أو هواء أو نار) ويستخرجون منه كثرة الأشياء بالحركة والتغير العرضي (اجتماع وانفصال أوتكاثف أو تخلخل) بل يقولون أنّ العالم ساكن، فهم ينكرون الكثرة والحركة"[1]

أ) - "بارمنيدس"(540 - ؟): ولد في إليا ويقال إنّه تتلمذ ل"أكسانوفان" "ومن المحقّق أنّه تأثّر به وآمن بوحدة الوجود، وضع كتابًا تحت عنوان (في الطبيعة) ؛وهوعبارة عن شعر وقسّمه إلى قسمين الأول في الحقيقة أي الفلسفة، والثاني في الظن أي العلم الطبيعي. والمعرفةعنده نوعان: عقلية وهي ثابتة، وظنية حسية وهي خادعة وهمية؛ ويرى أن الوجود إما أن يكون موجودا أوغير موجود وإذا كان غير موجود فلا يمكن لأحد أن يبحث فيه أو يعرفه، ومن ثمّ فإنّ مذهب "بارمنيدس "القائل بالسكون والثبات يكون مقابلاً ومعاكساً لمذهب "هيروقليطس " رائد الجدل المادي أو الديالكتيك.

وكان "بارمنيدس" مثاليًافي نظامه الفلسفي ولذالك اعتبر مؤسس الميتافيزيقا أي ماوراء الطبيعة واستحق أن يسميهأفلاطون "بارمنيدس الكبير" وكان أول فيلسوف جرّد مبدأ الذاتية ومبدأ عدم التناقض، وأعلنها صراحة، وجعل منها أساس العقل الذي لا يتزعزع[2] .

ب - زينون الأيلي: (490-430 ق م) أول واضع لعلم الجدل أومبتكر علم الجدل[1] هو تلميذ "بارمنيدس"، ولقد قدّم حججًا منطقية على استحالة الحركة في العالم الطبيعي نتيجة وحدة

---

[1] - المصدر السابق ، ص27 .

[2] - ينظر المصدر **نفسه، ص** 28 - 30**. وينظر أيضا نسيب نمر: تطور الديالكتيك عبر التاريخ، ص**32 - 35 .

المكان وقابليته للقسمة الآمتناهية إلى أجزاء لامتناهية في الصغر، و نهج منهجًاجدليًا بحتًا يقوم على برهان الخلف ويرمي إلى إفحام الخصم وإيقاعه في التناقض، وبرهان الخلف هو الذي يثبت صدق قضية معينة بإثبات أنّ نقيضها مستحيل، ولم يستعمل الجدل عرضًا وطبعًاعلى ما يتفق لسليقة العقل،وإنّماقصد إليه قصدًا،ووضعه في صيغة فنية.

ولقد كان أرسطو يرى أنّ "زينون " هو مؤسس علم الجدل، لأنّه يسلّم بما يقول به خصمه، ثم يستخلص منه نتيجتين متناقضتين. ومن أشهركتبه (المهاجمات) أو (تهافت الفلاسفة) الذي هاجم فيه الفلاسفة في أربعين حجّة، وامتاز بحجج أربعة ضد الحركة وهي :

1) اجتياز نصف المسافة قبل اجتياز المسافة كلها واجتياز نصف النصف أولاً وهكذا إلى مالانهايةلأنّ الممكن يمكن قسمته إلى مالا نهاية

2) آخيل والسلحفاة .

3)السهم .

4) الأجسام الثلاثة. [2]

جـ مبلسوس (440- ؟ق م): بعد "زينون "جاء "ميسلون" المدافع الثاني عن "بارمينيدس". وملخّص مناقشته للمذاهب الأيونية القائلة بالكثرة والتغير " لوكانت الأشياء وكيفياتها حقيقة على ماتبدو في الحس، ولوكان هناك حقًا تراب وماء ونار وذهب وحديد وأبيض وأسود، لوجب أن يبقى كل منهما على حاله دون تغيير،إذ أنّ ما يتغير يبطل أن يكون هو هو، وكيف نصدّق أنّ شيئًا هو بارد بعد أن نكون صدقنا أنّه حار؟ ولوصحّ التغير لكان معناه أنّ الوجود ينعدم، وأنّ اللاّوجود يظهر، ولكنّ الطبيعيين أنفسهم يقولون أنّ شيئًا لايخرج من اللاّشيئ، ولايعود إلى اللاشيئ فقولهم يرتد عليهم، والمعرفة الحسيّة التي يعتمدون عليها كاذبة، فإنّها ترينا الوجوه كثيرة متغيرة، والحق الواضح في العقل أنّ الوجود واحد متجانس ثابت "[3] ، ولم تكن في طريقة بحث "مليسوس" عناصر ديالكتيكية كماهي عند "زينون"، كماأنّه توصل إلى أنّ الوجود ليس جسمًا لأنّ الوجود إذا كان موجودًا فلا بدّ أن يكون واحدًا وإذاكان واحدًا فلا يمكن أن يكون جسمًا إذلوكان له جسم فلا بدّ أن يكون ذا أجزاء، ولن يكون واحدًا [4].

د ـ أنبادوقليس (490 ـ 430 ق م): عاد بعض الفلاسفة إلى التفسير الطبيعي للكون وهم متأثرون بالأيليين والفيثاغوريين يشتركون في القول بأنّ أصل الأشياء لاترجع إلى أصل واحد، بل إلى كثرة حقيقية، ولايوجد تحول إلى مادة أخرى، وإنّما تتألّف بتأليفات مختلفة من أصول ثابتة، ويختلفون في تصور هذه الأصول وطرق انضمامها وانفصالها، ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة "أنبادوقليس". "فأنبادوقليس" لم يحاول رد الأشياء إلى مادة أولى كما فعل الأيونيين، ولكنّه اعتبر المواد الثلاثة لأصل الكون عناصرًا وأصولاً، وأضاف مادة التراب، فكان أول من وضع التراب أصلاً من أصول الكون، واعتبر أنّ المواد الأربع كلّها أصولاً للكون ولا يوجد لأول ولاثان بينهما فلايخرج بعضها من بعض، ولايعود بعضها إلى بعض، كل منهما كيفية خاصة الحار للنار والبارد للهواء والرطب للماء واليابس للتراب وتجتمع بهذه العناصر وتفترق بفعل قوتين كبيرتين يسميهما المحبة والكراهية، المحبة تضم الذرات المتشابهة عند التفرق، والكراهية تفصل بينهما [5]

---

[1] ـ وابتكاره للجدل لأنه اكتشف طريقة جديدة لدحض فروض الخصم وإظهار النتائج غير المقبولة وغير المسلم بها والتي هي ناشئة عن فروض الخصم وسمي هذا المنهج في الجدل برهان الخلف إلاّ أنه لم يستطع أن يصيغ هذا المنهج صياغة نهائية وترك المجال لأرسطو، ينظر محمد فتحي عبد الله: الجدل من أرسطو إلى كانط دراسة مقارنة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 11.

[2] ـ **ينظر المصدر السابق، ص**30 ـ 32 **.وينظر أيضًا مهدي فضل الله :مدخل إلى علم المنطق، ص** 9 ،10 .

[3] ـ **يوسف كرم: تاريخ اتلفلسفة اليونانية، ص** 33 .

[4] ـ ينظر **نسيب نمر: نتطور الديالكتيك عبر التاريخ، ص** 40.

[5] ـ ينظر المصدر السابق، ص35 ـ 36 .

يتضح جليًا أنّ الجدل بدأ يتطور في القرن الخامس قبل الميلاد ، وتطوره يكمن في جانبين وهما :

ـ المضمون : إذ ارتقى من الأفكار المادية البحتة إلى الأفكار الميتافيزيقية .

ـ المنهج : فقد تطور خصوصًا على يد زينون الذي ابتكر طريقة في الجدل للإطاحة بأدلة الخصم ، وهو ماعرف بعد ذلك ببرهان الخلف .

ثالثا: الجدل السفسطائي

بعد أن دحرت أثينا الفرس وحفظت لليونان استقلالهم وعقليتهم نبغ العلماء والشعراء والفنانون والمؤرخون والأطباء والصنّاع وقويت الديموقراطية في جميع المدن وتعاظم التنافس والنزاع بين الأفراد أمام المحاكم والمجالس الشعبية ،وشاع الجدل القضائي والسياسي فنشأت من هاتين الناحيتين الحاجة إلى تعليم الخطابة ووسائل المحاجة فنشأت السفسطائية[1]. وكان ذلك في القرن السادس للميلادعلى يدطائفة من المعلمين كانوا يعلمون بأجر "وكانوا يتاجرون بالعلم ؛ فقد كانوا يتنقلون بين المدن يطلبون الشباب الثري ويتقاضونه الأجور الوفيرة، وكان هذا الشباب يهرع إليهم ليتقوى بالعلم فوق ماتوفر له من أسباب الغلبة كالمال والعصبية ...فأصابوا مالاً وفيراً وجاهًا عريضًا، ولكنّ اليونان كانوا يستقبحون أن يباع العلم ويشترى وكانوا يفهمون التعليم أنّ التلاميذ يفدون إلى معلم يقيم في مكان دائم ولايبذلون المال إلاّ الضروري لحاجات المدرسة فعكس السفسطائيون الآية وتنزلوا بالعلم إلى مستوى الحرف والصنائع فلحقتهم الزراية، ولم يأخذوا بالعلم على أنّه معرفة الحقيقة ،ولم يستعملوا العلم لقيمته الذاتية ولالفطرة العقل الذي تدفعه لطلب الحق ،بل استعملوا العلم لجر منفعة غريبة عن العلم وهزأوا من العقل، ومهما يقل من أنهم أخرجوا الثقافة من المدارس الفلسفية ونشروها في الجمهور، وأنّهم مهدوا للمنطق والأخلاق فقد كادوا يقضون على الفلسفة لولا أن أقام الله سقراط، ينتشلهامن هذه الورطة المهلكة "[2] .

أمّا مايتعلق بمبادئهم أنهم شككوا في حقائق الأشياء وفي القيم وامتدّ عبثهم إلى المبادئ الخلقية والاجتماعية، ونشروا التشكك في الدين ،وسخروا من شعائره ،واختلقوا الأقاويل على الآلهة .

ومن أبرز الآراء التي اعتمدوا عليها فيى مذهبهم مقولة "بروتاغوراس"في كتابه (عن الحقيقة)": "الإنسان مقياس الأشياء،فهومقياس وجود مايوجد منها ومقياس لاوجود مالا يوجد " وشرحها أفلاطون وشرحها أرسطوا مؤداها أنّ الأشياء هي بالنسبة لي هي ماتبدوا لي، وهي بالنسبة إليك هي ماتبدو لك وأنت إنسان وأنا إنسان ؛ فالمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك، لا الحقيقة الموضوعية، ولما كان الأفراد يختلفون سنًّا وتكوينًاوشعورًا وكانت الأشياء تختلف وتتغير، كانت الإحساسات متعدّدة بالضرورة متعارضة ؛ أليس هواءً بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش منه الآخر، ويكون خفيفًا على الواحد عنيفًا على الآخرإذن فلايوجدشيئ هو واحدفي ذاته وبذاته، ولا يوجد شيئ يمكن أن يسمّى أو أن يوصف بالضبط لأنّ ككل شيئ في تحول مستمر "[3]

أمّامنهج جدلهم فإنّه" يقوم على أساس التلاعب اللغوي بمدلول الألفاظ، ولم يكن همّ السفسطائيين البحث عن الحقيقة لذاتها وإنّما كانوا يتوسلون النجاح والمنفعة في حياتهم العملية، فاستعملوا الخطابة كوسيلة للإقناع والتأثير على السامعين، على اعتبار أن الخطابة تعتمد على

---

[1] ـ ينظر المصدر السابق، ص45 .

[2] ـ المصدر نفسه .

[3] ـ محاورة تيتاتوس، ص166 -168، بدلالة يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 47.

زخرف القول والألفاظ البراقة أكثر من اعتمادها على العقل وحججه المنطقية "[1] ، وكانت طريقة غورغورياس في الخطابة وهي إحدى وسائل السفسطائيين الرئيسية، العناية بالفخامة والجرس والمحسنات اللفظية واستخدام المجازات والإستعارات والتشبيهات [2]، فكانت الفلسفة في نظرهم ضرب من الجدل والتلاعب اللفظي الذي يساعد صاحبه على تأييد القول الواحد ونقيضه، وأصبح هدف الجدل هو الجدل لذاته لا لطلب الحق وإصابة اليقين، لذلك لايعوّدون طلبتهم علىالبحث عن الحقيقة لذاتها وأصبح كل همّهم أن يجعلوا طلبتهم ينتصرون في مناقشاتهم ليس إلاّ، وهذا هو منهج "غورغورياس"في تعليم طلبته لذلك قال أرسطو: "إنّ مثل "غورغورياس"في تعليم الخطابة مثل صانع الأحذيةالذي يقدّم لصبيانه عددا كبيرا من الأحذية المصنوعة بدلاً من تعليمهم أسرار صناعتها[3] .

ومن أساليب جدلهم لدحض خصومهم التنديد بأغلاط منطقية في أساليب المحاجة التي يدافعون بها عن أساليب أطروحاتهم بل من مجادلتهم لهم في حقيقتها وعلى المجادل أن يكون قادرًا على التمييز بين المقاييس الصحيحة وغير الصحيحة الأمر الذي يفترض معرفة منطقية ضمنية على الأقل لكن سفسطات الخصم ليست دائمًا عفوية وبريئة ،فنهاية المهارة تكمن في تلبيس شكل منطقي لايدحض لأحكام مغلوطة ؛ وذلك إمّا لتبرير رأي مناقض، وإمّا إكراه غيرهم على الظهور بمظهر مضحك، ولقد اشتهر السفسطائيون بمهارتهم في هذا الفن وذهبوا إلى حد الاعتزاز بذلك، ويقال أنّ "بروتاغوراس"كان يتبجح بقدرته " على أن يجعل الحجة الأسوأ تبدو كأنّها هي الأحسن ومن هنا جاء اسم السفسطة الذي أطلق على تلك المماحكات الزائفة عمدًا"[4] ،والسفسطائيون يعلمون علم اليقين أنّ مايدافعون عنه باطلا، ولكنّهم يستعملون المغالطة لجعل الباطل حقا، بحجج زائفة مشوهة مخدوعة، وكانوا يتفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء وبإيراد الحجج الخلابة في مختلف المسائل والمواقف، ولم يكن يتم غرضهم بغير النظر في الألفاظ ودلالتها، والقضايا وأنواعها، والحجج وشروطها، والمغالطة وأساليبها.

ومن المغالطات السفسطائية أغلوطة "الكذاب "التي تنسب إلى" أربليس" ومفادها أن الإنسان إذاكذب وقال إنّي كاذب فهل هو صادق أم كاذب، وإذا كان الجواب إنّه صادق فكيف كذب إذن ؟ وإذا كان الجواب إنّه كاذب فماذا عن اعترافه بالكذب، وكيف يمكن أن يكون بالتالي صادقًا وكاذبًا في آن معًا والأغلوطة الثانية "أغلوطة القرون" والثالثة "أغلوطة الرجل المتنكر" والرابعة "أغلوطة الكومة [5]

رابعًا: الجدل السقراطي (470 - 399 ق.م) :

ولد "سقراط" في أثينا وتعلم فيها، واتهم بالإلحاد، وحكم عليه بالإعدام. ولقد أثار الإعجاب والعداوة في نفس الوقت، وأثره ظاهر في تطور الجدل أو الفلسفة، وقسّم تاريخ الفلسفة إلى قسمين: قسم ما قبل سقراط وقسم مابعده، ولقد مال إلى الحكمة في سن مبكرة وتأثر بالفيثاغوريين الأروفيين، ولقد أفاد من الناحية العقلية من مناهج السفسطائيين في الجدل ،ولم يتأثر بشكوكهم، وتأمّل في الرياضيات ولم يُطل التأمل فيها لبُعدها عن العمل ،ونعى عن الطبيعيين تناقضهم فيمابينهم، واقتنع بأنّ العلم هو العلم بالنفس لذلك نجد أنّه أحدث ثورة في الفلسفة وفي أسلوبها ،فانصرف عن دراسة الطبيعة إلى دراسة الإنسان، وحوّل النظر من الفلك

---

[1] - مهدي فضل الله :علم المنطق التقليدي، ص 10 .
[2] - نسيب نمر :تطور الديالكتيك، ص53.
[3] - عمر التومي الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص 19 - 20 .
[4] - روبير: المنطق وتاريخه، ص26 - 27 .
[5] - مهدي فضا الله: علم المنطق التقليدي، ص 35.

والعناصرإلى النّفس، واتخذ شعارًا له كلمة قرأها في معبد دلف هي "إعرف نفسك بنفسك"وهذا معنى قول "شيشرون"أنّ سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض فحوّلها إلى دراسة مشكلات النّاس وقضايا حياتهم ودراسة الأخلاق والسياسة [1] .

أمّا ما يتعلق بفلسفته فنجده أنّه يرى أنّ لكل شيء طبيعة وماهية ويسميها الحد، وغاية العلم في تصوره هو إدراك الماهيات ،لذلك كان يستعين بالاستقراء ويتدرّج من الجزئيات إلى الماهية المشتركة بينها، ويردّ كل جدل إلى الحد والماهية فيسأل ما الخير؟ ومالشر؟ وما العدل وما الظلم؟ وما الحكمة وما الجنون وما الشجاعة وما الجبن؟ وما التقوى وما الإلحاد؟ وهكذا كان يجتهد في حد الألفاظ والمعاني حدا مانعا، ويصنف الأشياء في أجناس وأنواع لمنع الخلط بينها، في حين كان السفسطائيون يستفيدون من اشتراك الألفاظ وإبهام المعاني ويتهربون من الحد الذي يكشف المغالطة، فهو أول من طلب الحد الكلي طلبا مطّردا، وتوصّل إليه بالاستقراء "وإنّما يقوم العلم على هاتين الدعامتين، يكتسب الحد بالاستقراء، ويركب القياس بالحد، فالفضل راجع إليه في هاذين الأمرين، وقد كان لاكتشاف الحد والماهية أكبر الأثر في مصير الفلسفة، فقد ميز بصفة نهائية بين موضوع العقل وموضوع الحس، وغيّر روح العلم تغييرا تاما" [2]، فسوقراط إذن لم يستعمل الجدل وسيلة للتغلب على السفسطائيين وإنّما وسيلة للبحث عن الحقيقة، والوصول إلى ماهية الشيء "ويروى عنه أنّه شاهد يوما رجلاً ينفخ في كفّيه، فسأله لماذا تنفخ في يديك؟ فأجابه الرجل ألا ترى أنّني أحاول أن أستدفئ قليلا، فعاد فسأله: ولكن هل النّفس دافئ؟ فأجابه الرجل: لا بكل تأكيد، فعاد سقراط يسأله: ولكن ألسنا ننفخ في الطعام إذا كان ساخنا حتى نُبرّده قبل أكله ؟ فجاءه الجواب: نعم، فقال سقراط: هل يكون النفس باردا أم ساخنا؟ فردّ الرجل بأنّ النفس بارد وساخن معا، واحتجّ سقراط قائلا: كيف يكون الشيء الواحد باردا وساخنا في وقت واحد؟ فصمت الرجل ولم يعد يستطيع جوابا"[3] .

وأما منهج سقراط الجدلي في البحث فله مرحلتان تدعى إحداهما بالتهكم، وتدعى الأخرى بالتوليد، فكان يتصنّع الجهل متظاهرا بالتسليم بأقوال محدثيه ويلقي الأسئلة شأنه شأن من يطلب العلم، بحيث ينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة ولكنهم لا يسلمونها، فيوقعهم في التناقض، ويجبرهم على الإقرار بالجهل، وجدل سقراط التهكمي هو السؤال مع تصنع الجهل أو تجاهل العالم، والغرض من كل هذا هو تخليص العقول من العلم السفسطائي الزائف المشوّه وإعدادها للتسليم بالحق وبعدها ينتقل إلى مرحلة التوليد، فيساعد محدثيه بالأسئلة والاعتراضات مرتبة ترتيبا منطقيا إلى الوصول إلى الحقيقة التي يقروّن بجهلهم نحوها، فيصلون إليها وهم لا يشعرون، ويحسبون أنّهم توصلوا إليها بمحض إرادتهم، فالتوليد هو استنباط الحق من النفس، وهذا المنهج تمثل به صناعة أمّه التي كانت قابلة[4] .

ولقد أعجب به الأثينيون بالرغم من دمامة خلقته بحديثه البسيط البليغ معا، وبقوّة عارضته وشدّة مراسه للجدل، "ولم تكن له مدرسة معينة، بل كان يجتمع بالناس في أي مكان يجادل فيه ويخاطب، وكانت له حلقة من الإخوان والمريدين منهم الأثينيون ومنهم الغريب ... ولقد آثر التحدث إلى الشباب لكي يصلح ما أفسده السفسطائيون، ويبصرّهم بالحق والخير، ليهيئ للبلد مستقبلا طيبا بأيديهم ... فمضى في مهمته يعلم الحكمة بلا ثمن وهو يعتقد أنه يحمل في عنقه أمانة سماوية.[5]

---

[1] ـ ينظر يوسف كرم :تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 50، وينظر عمر التومي الشيباني: مقدمة في تاريخ الفلسفة الإسلامية ص20.

[2] ـ **يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص52 .**

[3] ـ **مهدي فضل الله: علم المنطق التقليدي ص10.**

[4] ـ **ينظر أفلاطون "الجمهورية" م.أ.ص337 أفلاطون "ثيتيانوس" ص149 - 152 بدلالة يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص52.**

[5] ـ المصدر نفسه المكان نفسه .

خامسا: الجدل الأفلاطوني (467-347 ق.م) :

ولد أفلاطون في أثينا وتثقف كأحسن ما يتثقف أبناء طبقته، وقرأ شعر اليونان وعلى الخصوص "هوميروس" وأقبل على العلوم ومال إلى الرياضيات بالخصوص واطّلع على كتب الفلاسفة وتعرّف إلى سقراط في سن العشرين، ولكن حينما أعدم سقراط غادر أثينا وقصد "ميغاري" ثم مصر، ورجع إلى أثينا مرة أخرى، ثم رحل إلى إيطاليا للتعرف على المذهب الفيتاغوري، ورحل بعد ذلك إلى صقلية ونفاه ملكها "ديونيسيوس" إلى جزيرة "أجينا" وأخيرا رجع إلى أثينا وأنشأ على أبواب مدينتها مدرسة سميت بالأكاديمية، علم فيها مدة أربعين سنة، وكان التعليم فيها يتناول جميع فروع المعرفة مثل الرياضيات والفلك والموسيقى والبيان والجدل والأخلاق والسياسة والجغرافيا والتاريخ والطب والتنجيم، فكانت هذه المدرسة قد وعت تراث اليونان الفكري من "هوميروس" إلى سقراط، وتوفي أفلاطون أثناء حرب "فيليوس" المقدوني[1].

يعتبر أفلاطون أول فيلسوف بحث في مسألة المعرفة لذاتها وأفاض فيها من جميع جهاتها واستقصى أنواع المعرفة وصنفها إلى أربعة وهي:

أولا: الإحساس، وهو إدراك عوارض الأجسام وأشباهها

ثانيا: الظن، وهو الحكم على المحسوسات كما هي كذلك

ثالثا: الاستدلال/ وهو عالم الماهيات الرياضية المتحققة في المحسوسات

رابعا: التعقل، وهو إدراك الماهيات المجردة من كل مادة .

وجعل من معرفة الذات نقطة البداية في كل بحث فلسفي، غير أنّه لم يلبث أن أرجع إلى الفلسفة الطابع العام وجعلها تستوعب موضوعات الطبيعة والنفس والأخلاق وما وراء الطبيعة، وأصبحت الفلسفة عنده هي اكتساب العلم، وموضوع العلم هي الوجود الحقيقي الثابت الضروري، لا الأشياء المحسوسة التي لا تكف عن التغير، ولا تنطوي على أية حقيقة أو ثبات[2]، "ولقد صنف أفلاطون العلوم إلى ثلاثة

أولا: علم الجدل، الذي يشمل النظر إلى الإنسان في مسائل ما بعد الطبيعة، التي تتناول البحث في طبيعة الوجود، ككل في المعقولات الأولى

ثانيا: العلم الطبيعي، الذي يشمل علم الطبيعة والفلسفة وعلم النفس

ثالثا: علم الأخلاق الذي يبحث في السلوك الإنساني" [3].

وإذا نظرنا إلى الجدل عند أفلاطون نجد أنّ هذا الأخير قد تأثر بالجدل واعتبره الوسيلة الوحيدة للبحث في الفلسفة، وغيّر معنى الجدل المشوّه المموّه عند السفسطائيين إلى معنى الجدل المخلص الذي يولد الحقيقة، واعتبر الجدل هو مناقشة بين اثنين أو أكثر، أو مناقشة النفس لنفسها، بل ذهب في مفهومه للجدل إلى أوسع من هذا فأطلق لفظ الجدل على العالم الأعلى الذي ليس بعده مناقشة[4].

والجدل عند أفلاطون من حيث المنهج قسمان جدل صاعد وجدل هابط أو نازل فالجدل الصاعد هو الارتقاء بفكرالإنسان وعقله من الاحساس إلى الظّن ومن الظّن إلى العلم الإستدلالي ومن العلم إلى العقل المحض، والهابط هو النزول من أعلى المبادئ والتصورات إلى أدناها عن طريق القسمة، ومفاد المنهجين الجدليين هو الإرتفاع بالعقل من المحسوس إلى المعقول بدون استخدام وسائط معينة والانتقال من معان إلى معان بواسطة معان حتى تصل إلى الفكرة العليا

---

[1] - ينظر المصدر السابق، ص 62 - 63 .

[2] - ينظر **زكرياء إبراهيم: مشكلة الفلسفة**، ص30 - 31. بدلالة **محمد التومي الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية**، ص 20- 21 .

[3] - عمر **التومي الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية**، ص20 - 21 .

[4] - **الجمهورية**، ص511 ب، بدلالة **يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية** ص69 .

فكرة الخير أو الواحد ثم النزول إلى المحسوسات، واجتياز مرتبة الأجناس حتى الأنواع الأخيرة، فالجدل عند أفلاطون هو علم يجتازجميع مراتب الوجودمن أسفل إلى أعلى وبالعكس،وهو علم يشمل المنطق وماوراء الطبيعة [1].

وأما محاورات أفلاطون التي تعدّ هي الأخرى منهج من مناهج الجدل فإنّها تتكون من فنون ثلاثة هي الدراما والمناقشة والشرح، فإذا أخذنا فن المناقشة نجده عبارة عن بحث في مسألة ومحاولة حلّها عن طريق الجدل ،وقد لاينتهي الحديث في مسألة معينة إلى نتيجة ،ولكن على كل حال هو طلب الحقيقة بخلاف الجدل السفسطائي الذي هو معارضة واختلاف من أجل المعارضة ،ومناظرة خصمين كل منهما مصمّم على موقفه.

غير أنّه إذا قارنا بين جدل أفلاطون وجدل السفسطائية فلا يعني أنّ جدل أفلاطون يؤدّي دائما إلى نتائج حقيقية صادقة، بل أحيانا نستنتج نتائج مغلوطة فمحاججته ليست دائما ذات منطق لاغبار عليه "لقد تحدث "يوسن سكي"عن جدله ومحاوراته فاعتبر هذه الأخيرة أمرًا لا يحتمله المنطقي لكونها تحتوي على اخطاء أولية، وبالرغم من كل هذا لايجوز أن ننكر دور أفلاطون في التحضير للمنطق ،يكفي أنّه اكتشف القانون المنطقي، فكما توجد قوانين تدير حركة الأفلاك توجد قوانين تدير حركة الأحكام العقلية، مع مقارنة هي أنّ الأفلاك الروحية تحترم القوانين باستمرار، بينما نحن البشر ننتهك باستمرار القوانين التي تتحكم بمسار أفكارنا لأننا لا نملك رؤية واضحة، ولهذا نقع في الضلال، ولاجتناب ذلك ينبغي أن نعرف هذه القوانين" [2]

سادسًا: الجدل الأرسطي (348 - 322 ق.م):

قدم أرسطو إلى أثينا ليستكمل علمه وعمره ثمانية عشرة سنة، ودخل الأكادمية ـ مدرسة أفلاطون ـ ومالبث أن نبغ فيها وأطلق عليه أفلاطون اسم "العقل"لذكائه الخارق و"القرّاء"لكثرة اطلاعه، ثم أصبح معلّما للخطابة، وبقي أرسطو في الأكادمية عثرين سنة، وبعد وفاة أفلاطون غادر أرسطو أثينا قاصدا أسيا الصغرى وتزوج فيها وبقي فيها مدة طويلة ،ثم رجع إلى أثينا في آخرسنة 335ق م وأنشأ مدرسة في ملعب تسمى "لوقيون"نسبة إلى الملعب، وبعد اثني عشرة سنة اضطر أن يبرح أثينا مرة ثانية بعد وفاة الإسكندر سنة 323 ق م واتّهم بالإلحاد من قبل الأثينيين، فعهد بالمدرسة إلى "ثاوفراسطوس"الذي كتبت المدرسة باسمه في أوّل الأمر،وغادر المدينة قائلا بتهكم "لاحاجة لأن أهيئ للأثينيين فرصة جديدة للإجرام ضد الفلسفة "وقصد مدينة خلقيس في جزيرة أروبا وتوفي بها ممعودا [3].

يعد أرسطوأعظم فلاسفة اليونان على الإطلاق "أضاف إلى مفهوم الفلسفة عمقا وشمولا لم يكون له من قبل وعرّفها بأنها البحث عن الوجود بما هو موجود فجعلها مرادفة للعلم بمعناه العام الذي يشمل العلوم النظرية والفنية ... ولاغرابة في هذا الدمج بين العلم والفلسفة، لأنّهما صدرا عن أصل واحد، واقترن أحدهما بالآخر في طريقهما الطويل،ولم يفترقا إلا في مطلع العصر الحديث" [4].

ولقد نظر أرسطو إلى العلم في مجموعه وانفرد بتصنيف شامل للعلوم ورأى أنّ العلم ينقسم إلى قسمين أساسيين هما العلم النظري والعلم العملي ؛ أمّا العلم النظري فإنّه ينظر إلى الوجودمن ثلاث جهات:

ـ الأولى من حيث هو متحرك ومحسوس ويسمّى بالعلم الطبيعي.

---

[1] ـ ينظر الجمهورية ص533 (ج) بدلالة يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص69

[2] ـ روبير: المنطق وتاريخه، ص28 - 29 .

[3] ـ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص 112 - 113.

[4] ـ عمر التومي الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص 22

ـ الثانية من حيث هو مقدار وعددويسمى بالعم الرياضي.
ـ الثالثة من حيث هو موجودبالإطلاق ويسمى بالعلم ماوراء الطبيعة .
وأمّاالعلم العملي فغايته تدبير الأفعال الإنسانية: في نفسها وهو العلم العملي بمعناه المحدد وفي موضوع يؤلف ويصنع، وقصد بالعلم العملي أفعال الإنسان بماهو إنسان في ثلاث نواح: في شخصه وهو الأخلاق بالمعنى الضيق، وفي الأسرة وهو تدبير المنزل، وفي الدولة وهو السياسة[1]، وتصنيفه للعلوم يعد أكبر دليل على ابتكاره لقوانين الفكر وتنظيمه وأطلق عليه لفظ علم هوعلم المنطق .

علم المنطق هو علم يتعلمه الإنسان قبل أن يخوض في علم آخر، ليعلم به أي القضايا يطلب البرهان عليه، وأي برهان يطلب لكل قضية فإنّ من الخلف طلب العلم ومنهج العلم في نفس الوقت، فالمنطق آلة العلوم (أورغانون) وموضوعه صور العلم لامادته ولفظ "منطق" لم يرد في كتب أرسطو وورد في عصر شيشرون بمعنى الجدل، إلى أن استعمله اسكندر الأفروديسي بمعنى المنطق "وموضوع المنطق أفعال العقل من حيث الصحة والخطأ، ولمّا كانت أفعال العقل ثلاثة :التصور السادج، والحكم وترتيب التصورات وتفصيلها، والإستدلال والحكم بواسطة فقد جاءت كتب أرسطو موزعة إلى ثلاثة أقسام:
ـ (كتاب المقولات) يدور حول الأمور المتصورة تصورًا ساذجًا.
ـ (كتاب العبارة) في الأمور والأقوال المؤلفة .
ـ (كتاب التحليلات الأولى) في الاستدلال بالإجمال، ولما كان الاستدلال من حيث المادة إمّا برهانيا صادرا عن مبادئ كلية يقينية، لا تقبل الشك، وإمّا جدليا مركبا من مقدمات ظنية احتمالية، وإمّا سفسطائيا مؤلفا من مقدمات كاذبة مزيفة، تحتوي على نتيجة احتواء ظاهريا لا حقيقيا، فقد وضع أرسطو ثلاثة كتب أخرى هي :
ـ (التحليلات الثانية أو البرهان) "أنالوطيقا" الثانية :ويبحث في الشروط الواجب توفرها في البرهان
ـ (الجدل) "طوبيقا" :وفيه يبين القوانين التي تستقيم بها صناعة الجدل [2]
ـ (الاغاليط) "السفسطيقا" أي البرهان المموه: وهو عبارة عن تفنيد الحجج السفسطائية؛ تبدأ الأولى بتعريف الغلط أو السفسطة بأنّها قياس في الظاهر فقط لا في الحقيقة، وتستطرد إلى بيان العلاقة بين هذا الكتاب وسائر الكتب المنطقية، وأنّ أفعال السفسطائيين، إمّا في القياس المطلوب به إنتاج شيء، وإمّا في أشياء أخرى خارجة عن القياس، فالمغالطات في القياس إمّا أن تقع في اللفظ أو في المعنى أو في صورة القياس أو في مادته، وإمّا أن تكون غلطا أو مغالطة في أشياء خارجة عن القياس مثل تخجيل الخصم أو ترذيل أقواله أو الاستهزاء به، أو قطع كلامه أو الإغراب عليه في اللغة أو استعمال ما لا دخل له في المطلوب وما يجري مجرى ذلك"[3]، فهذا النوع من الجدل المسمى السفسطائي هو ما يعرف بالجدل المذموم، أمّا فن الجدل في ذاته بما له من موضوع محدد، ومبادئ ونتائج فقد اكتشفه بنفسه، إذن فالجدل عند أرسطو هو جزء من المنطق وتصنيف من تصانيف المنطق، ونوع من أنواع الاستدلال، ويكفي أن يكون الجدل كتابا ألفه أرسطو لكي يرشد الإنسان المجادل إلى طرق الجدل الصحيح دليلا على أنّ الجدل في عهد أرسطو وصل إلى قمة التطور.

---
[1] ـ ينظر يوسف كرم: تاريخ، ص22.
[2] ـ ينظر المصدر السابق، ص118.
[3] ـ ابن سينا: النجاة ص141 ـ 148، طبعة القاهرة، 1331هـ بدلالة يوسف كرم: تاريخ، ص131 .

ولقد عرف أرسطو الجدل بأنه: "استدلال بالإيجاب أو بالسلب في مسألة واحدة بالذات مع تحاشي الوقوع في التناقض ،والدفاع عن النتيجة الموجبة والسالبة" [1]، واعتبره وسيلة للوصول إلى الحقيقة لأن العلم في نظره"لا يُعلّم ولا يُدون في الكتب بل يكشف بطريق الحوار، فلا يمكنك أن تلزم الخصم بنتيجة القياس إلا إذا استخرجتها بمبدأ مسلم به عنده، ولا يمكنك أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام من دون أن تتيقن أن الخصم يتبعك"[2]، وتحدث أيضا عن فوائد الجدل فهي "رياضة عقلية وأنّه منهج يستطيع العالم والجاهل أن يمتحن بموجبه مدعي العلم، بل إنّ له فائدة علمية هي أنّه يساعد على كشف المبادئ الأولية في علم من العلوم، لبحث الآراء العامة وآراء العلماء في موضوع ذلك العلم، فإنّ العلوم الجزئية لا تبرهن بنفسها على مبادئها الخاصة، فامتحان الآراء يعين العقل على الاقتراب من المبادئ ووضع المسائل، وقد كان أرسطو القدوة في هذا المنهج علما وعملا، ففي كل علم وكل مسألة سرد أقوال المتقدمين ومحّصها ومهد بذلك لدراسة المسألة ذاتها، بحيث يمكن أن يستخرج من كتبه تاريخ الفلسفة والعلم والفن"[3] .

أمّا العلاقة بين الجدل والمنطق أو الاستدلال الجدلي والاستدلال المنطقي، فالاستدلال المنطقي يتميز بصفة عامة بخضوع العقل لموضوعه خضوعا تاما، فهو وثوقي وواقعي هدفه البرهان والعلم الذي يعتبره أرسطو استنتاجيا وبرهانيا، فالمنطق إذًا وضع من أجل العلم، ويمتاز بالصدق لاشتماله على مقدمتين ونتيجة يقينية أيضا.

أمّا الاستدلال الجدلي فهو يتكون من مقدمتين ظنيتين ويتميز بالحوار الذي تستعمل فيه الإجابات لا لحل المشاكل بل للتخلص واجتناب التناقض. والقياس هو أداة الجدل، كما هو أداة المنطق، غير أنّ مقدمتي القياس الجدلي ظنيتين ولا يقران عن روابط موضوعية، بل هما من المواضيع العامة التي هي مصدر الاستدلالات الخطابية ويترتب عن هذا كون النتيجة ظنية فقط.[4]

فالجدل عند أرسطوجزء من المنطق وتصنيف من تصانيفه، ونوع من أنواع الاستدلال المنطقي ، ويكفي أن يكون الجدل كتابًا ألّفه أرسطو- لكي يرشد الإنسان إلى طريق الجدل الصحيح – دليلاًعلى أنّ الجدل في عهد أرسطو وصل إلى قمّة التطور .

سابعا: الجدل بعد أرسطو

بعد أرسطو تراجع الإبداع الفلسفي لعدم وجود من يخلف أرسطو، ومن قام قبله من عظماء الفلاسفة أمثال سقراط وأفلاطون، بل قام بعده فلاسفة أقل منزلة من الفلاسفة الأولين في العصر الهيليني، وقامت اتجاهات فلسفية صغيرة عكف رجالها على تجديد المذاهب القديمة تلفيقا وجمعا بين أجزاء من مذاهب مختلفة، والاقتصار على نقطة معينة، ومجال ضيق كعنايتهم بالأخلاق مثلا؛ وركّزوا في أبحاثهم على سلوك الإنسان بدلا من التفكير في الوجود، ورغّبوا في السعادة الفردية والطمأنينة السلبية، فجدّد "أبيقورس" مذهب "ديمقريطس" وجدّد "الرواقيون" مذهب "هيروقليطس" وذهب الرواقيون إلى أن الفلسفة هي الفضيلة، وحاولوا تطبيقها في الحياة العملية ،وذهب الأبيقوريون إلى الحياة السعيدة باستعمال العقل، فشاخت العقول، وتراخت النفوس وضعفت الثقة بالعقل[5]، ولذلك فإن الجدل في هذه المذاهب ظلّ قائما كما من قبل في عهد الفلاسفة العظماء، إن لم نقل تراجع إلى الوراء بعد أن وصل إلى قمة

---

[1] المصدر السابق، ص130 .

[2] - **جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص** 391 .

[3] يوسف كرم : تاريخ،ص130 .

[4] - **جول تريكو: المنطق الصوري، ترجمة محمود يعقوبي، ص**36.

[5] - **ينظر المصدر السابق ، ص**210**، وينظر أيضا عمر التومي الشيباني: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص**24.

التطور في عهد أرسطو ـ شأنه شأن البحث الفلسفي الذي تناقص فيه الإبداع الفلسفي ـ فهو قد بقي على وتيرة معينة، ومن أهم المدارس التي اهتمت بالاستدلال الفلسفي بعد أرسطو واشتغلت به أكثر من أي شيء آخر هي "الرواقية" و"المبغارية"

ثامنا:الجدل الميغاري الرواقي:

ظهرفي القرن الثالث والقرن الأول قبل الميلاد تيارًا في الجدل ـ إلى جانب الجدل الأيلي والسفسطائي والأرسطي ـ سمّي بالميغارية وهي مدرسة أسّسها إقليدس الذي تأثر بسقراط وتأثر تأثرًا شديدًا بالأيليين وهذه المدرسة لم تحتفظ من تراث الأيليين إلاّ بجدل زينون،وكان خلفاء إقليدس مشهورين بالجدل وخصوصًا العقائد الوضعية وكانوا يسمّون"الجدليين"أو "الجدّاليين"لكونهم أساتذة في هذا المجال أي الجدال والسجال وفن تعجيز الخصم، ولقد تهجّم "تيمون" على إقليدس لأنه أعطى للميغاريين هوس المجادلة[1].

وجدل الميغاريين عبارة عن ألعاب لفظية تثير الفضول والتسلية في إثارة الخصوم ومضايقتهم بطرح ألغاز عليهم لذلك كانت توصف هذه المدرسة بالمماحكة وتوصف بالجدل ،ولهم مغالطات سميت بالذرائع، وأبرزها "الأيوبوليد"[2]أي ذريعة الكذّاب .

وأمّا الرواقية فقد وضع أصولها "زينونالكتيومي" (336 ـ 224 ق.م)الذي ولد في كيتوم، وكان أبوه تاجرًا يذهب إلى أثينا للتجارة ويرجع منها محمّلاً بكتب السقراطيين فقرأها ابنه زينون، واتصل بأصحابها في أثينا حوالي سنة 312 ق.م وتعلّم من "ثاوفراسطس" و"أقراطيس"تلميذ ديوجانس الكلبي ومن"أستيلون"الميغاري ومن رجال الأكادمية وأنشأ بعد ذلك مدرسة في رواق (استوي) باليونانية وأطلق على أتباعه اسم الرواقيين وسماهم المسلمون بأصحاب المظلة [3]،ومن أبرز رواد الرواقية "أفريسديووس"(282 ـ 209 ق.م) الذي رفع من قيمتهابتدريسه البارع والتآليف الكثيرة واستحق اللقب الثاني لمؤسس الرواقية،ولا يمكن الإحاطة بكل رجال الرواقية نظرًا لضياع العديد من كتبهم رغم كثرتها. والفلسفة في نظرهم هي حب الحكمة ومزاولتها، والمقصود بالحكمة هي علم الأشياء الإلاهية والإنسانية ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام :العلم الطبيعي، والجدل (أي المنطق) ،والأخلاق[4] .

وأمّا مايتعلق بعلاقة المنطق بالفلسفة فإنّ الرواقيين قدأدرجوا المنطق في الفلسفة بوصفه أحد أجزائها الثلاثة غير ما اعتبره الأرسطوطالسيون أنّه أداة من أدوات الفلسفة ،وقد شبهوا الفلسفة بكائن حي والمنطق بمثابة عظامه والعضلات والفيزياء بمثابة اللحم والأخلاق بمثلبة الروح[5]،وشبّهواالفلسفة بحقل؛ العالم الطبيعي أرضه الخصبة، والجدل أو المنطق سياجه، والأخلاق ثماره، وقسّموا المنطق إلى قسمين :

ـ الخطابة أوعلم البيان أوعلم الكلام المسترسل .

ـ الجدل الذي هو علم الكلام بين المجيب والسائل .

ولقد اهتم الرواقيون بالاستدلال الذي يمثل محور فلسفتهم ويقوم على عدم التسرع في الحكم، وحاولوا أن يقيموا منطقًا لايتعارض فيه الفكر مع الواقع العملي فقسّموا الاستدلال الجدلي إلى قسمين:

ـ يتعلق الأول بالدلالات ويتناول النحو وكل مايتعلق بالغة

---

[1] ـ ينظر: روبير بلانشي :المنطق وتاريخه، ص 131 .
[2] ـ ينظر المصدر نفسه، ص 27.
[3] ـ ينظر يوسف كرم :تاريخ،ص223.
[4] ـ ينظر المصدر نفسه، ص 224.
[5] ـ روبير بلانشي: المنطق وتاريخه، ص134 ـ 144 .

- يتعلق الثاني بالمدلولات وهذا الأخير صبّوافيه جلّ اهتمامهم وهذا لايعني أنّهم أنكروا الجانب الأول بل انشغلوا في مدى توافق اللغة مع الفكر[1] "وكانوا يقولون أنّ الألفاظ يجب أن تعبّر عن معان محدّدة، وكان شيخهم "زينون الأكتيومي" يدلّل على وجود الآلهة بقوله: "العقل والحكمة يقتضيان تمجيد الآلهة، ولكن ليس من الحكمة تمجيد أشياء ليست موجودة، وإذن فالآلهة موجودة "كما دلّل أنّ الكون لايخلو من عقل ووجدان بقوله: "لاشيء ممّايخلو من العقل والوجدان يستطيع أن يلد موجودات ذات عقل ووجدان والكون يلد موجودات ذات عقل ووجدان،إذن الكون نفسه ذو عقل ووجدان إذن الكون نفسه وجدان"[2].

وإذا أردنا أن نبحث عن العلاقة بين الجدل أو المنطق الميغاري والجدل أوالمنطق الرواقي نجد أنّ أحد الباحثين لم يستسغ إطلاق لفظ منطق على الرواقية واعتبره غير صحيح لأنّ "مانسميه منطق كان الرواقيون يسمونه جدلاإذ أنّ كلمة منطق عندهم كانت تدل - بمعنًى أوسع - على كلّ مايتعلّق باللغة بما في ذلك البيان والنحو ثانيًا لأنّ هذا المنطق وهذا الجدل الذي نسب إلى الرواقية استمدّ الرواقيون قسمه الرئيسي من مدرسة فلسفية سابقة كانت مزدهرة في عصر أرسطو وكانت تعارضه كمدرسة مناوئة، ومهما تضاءلت المعلومات التي بحوزتنا عن الميغاريين فإنّ مانعرفه عنهم كاف أنّهم هم المؤسّسون الحقيقيون للمنطق المسمّى الرّواقي،ويكون من العدل تسمية هذا المنطق أو الجدل بالميغاري الرواقي، صحيح أنّه لم يتطور تمامًا مع "كريسيب"، وهذا الأخير كان ذائع الصيت في الأزمنة القديمة ومعترفًا به حتّى من قبل خصومه كمنطقي كبير جدًّا وموضوع في مرتبة أرسطو وأحيانًا قبل مرتبته، وكان يقال إذا كان للآلهة من جدل فلا يمكن إلاّ أن يكون جدل "كريسيب".وممّا يلاحظ أنّه في عداد المناطقة البارزين في هذا المنطق الميغاري الرواقي هناك واحد رواقي مقابل اثنين أو ثلاثة من الميغاريين"ديودورو فيلون" - "أيوبوليد"[3] ، ومن ثمّ فإنّ جدلي المدرسة الميغارية لاسيما "ديودور"وفيلون"هم اللذان أوحيا للرواقيين بالقسم الأساسي من منطقهم الذي ظهرت أسسه منذعصر أرسطو .

وممّا سبق يتضح أنّ الميغاريين وخصوصًا الرواقيين يسمّون هذا المنطق جدلاً،كما أنّ الرواقية استلهمت مذهبها من الميغارية التي لها فضل السبق في مجال الإستدلال العقلي ،ثمّ جاء الرواقيون فاضفوا لها طابع العلم لذلك ينسب عدد غير قليل من المؤلفين المنطق أو الجدل للرواقية.

إنّ منطق أوجدل الميغارية الرواقية ليس بعيدًا عن منطق أرسطو إلاّ أنّ هذا الأخير قسّم الإستدلال المنطقي إلى ثلاثة أقسام: الإستدلال البرهاني، والجدلي، والسفسطائي، وقام بدراستهاوحلّل هذه الأنواع وميّز بين الإستدلال الصحيح والإحتمالي والكاذب، أمّا الميغارية فكانت مناوئة لأرسطو وركّزت على الجانب السلبي للجدل بمعنى دحض آراء الخصوم والحط من قيمتها.

تاسعًا: الجدل المدرسي في العصر الوسيط:

المقصود بالجدل المدرسي هو الجدل الذي كان سائدًا في العصر الوسيط من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر، فالجدل في هذا العصر كان يدرّس في المدارس والجامعات ويمارس بين الفلاسفة، ومن أبرز المواضيع التي دار حولها الجدل علاقة الفلسفة بالدين أو علاقة العقل بالدين، ويعنون بلفظ الجدل المنطق لذلك نجد أنّ الجدل الذي كان يدرّس في

---

[1] - ينظر المصدر نفسه، المكان نفسه .
[2] - مهدي فضل الله: علم المنطق التقليدي، هامش ص11 .
[3] - روبير بلانشي: المنطق وتاريخه، ص123.

الأكاديميات أو الجامعات كان مقتصرًاعلى كتب أرسطو المنطقية ؛المقولات والعبارات والتحليلات الأولى .

ومن أبرزالمسائل التي كانت تناقش بصدد شرح الكتب المقدسة والمناقشات اللاهوتية :مسائل الثالث الأقدس، وسرّ القربان، والملائكة هل هم جسميون أم مفارقون للمادة، والنفس الإنسانية هل هي حالة في الجسم حلول الشيء في المكان، وهل حدّد الجسم لها حدودًا،وكيف يكون ذلك وهي روحية، وعقاب جهنّم هل هو النار أو الألم للذنوب المقترفة، ورؤية الله في النعيم هل هي معاينة بعين الجسم، وكانوا يعتمدون على آباء الكنيسة وخاصة "أوغسطين"[1]

ومن أبرز الفلاسفة الجدليين في هذه الفترة "جيربيردورياك"ولد في منتصف القرن وتلقى ثقافته الأول فيى دير بلدته،ثم ذهب إلى إسبانيا ودرّس فيها ثلاث سنين واطّلع فيها على العالم العربي،وعاد إلى فرنسا وعين رئسًا لمدرسة رانس، ثمّ درّس بباريس وانتخب بابا سنة 999 م ،ولقد أطلق عليه بعض معاصريه بالبابا الفيلسوف،ولم يكن فيلسوفًا كبيرًا،وإنّما كان شخصيةً عظيمةً، وكان أديبًا كبيرًا يستشهد بقدماء الكتاب، ويدرّس الجدل [2].

وفي القرن الحادي عشرةكثر الجدل واشتد الصراع بين العقل والدين أو المنطق واللاهوت، وكان بعض الفلاسفة يطوفون بالبلاد يخطبون ويجادلون فدعوا بالفلاسفة والجدليين والسفسطائيين والمشّائين، ووجدوا استعدادً وقابلية للخطابة ،والجدل على العقائد، ففتح هؤلاء باب المعارضة على مصراعيه من طرف اللاهوتيين أو رجال الدين واعتبروا الجدل عبث صبياني كما اعتبره البعض الآخر زندقة، ومن ثم أثيرت أشكالية العقل والدين أو المنطق أو اللاهوت أو الجدل واللاهوت ،وظهر فلاسفة جدليون أي مناطقة ونبغ لاهوتيون وكان أعظمهم قدراً القديس "أنسلم".

وكان التعليم على مجموعتين ثلاثية ورباعية ففي المجموعة الثلاثية كان تعليم الغراماطيق والخطابة، ويعتمد على قراءة بعض الشعراء والكتاب من الرومان ومن جاء بعدهم من آباء الكنيسة والشعراء والمسيحيين وكان الجدل الاهتمام الأكبر ومن أبرز الجدليين في هذه المرحلة بطرس "دمياني "(1007 - 1072)و"بيرنجيدوتر" (؟- 1088) "لانفران"(1005-1089) القديس "أنسلم"(1033-1109) "روسلان"(1050-1120).

بطرس دمياني(1007-1072): هوإيطالي وأحد كبار اللاهوتيين في عصر اتفق مع الجدليين في قولهم أنّ المنطق لا يتناول سوى الألفاظ غير أنّه اختلف معهم إلى حد الإنكار تطبيق المنطق على اللاهوت، استنادًا إلى هذه المقولة من ناحية، وعلى سمو فوق العقل من ناحية أخرى.

ويرى أنّ الجدل مجاله توضيح الطرق الواجب اتباعها في المناقشة ولا يتجاوزه إلى ماهية الأشياء، ورأى أنّه من الواجب على العلوم الإنسانية أن تكون بمثابة الخادمة من السيدة في تعاملها مع الكتب المقدسة "[3] ،وقد كانت لعبارته "إنّ الفلسفة خادمة للاهوت "حظ كبير فيما بعد فقد تداولتها الألسنة والأقلام بين معارض ومؤيد،وجرت في العصر الحديث مجرى المثل للدلالة على مبلغ امتهان المدرسيين للعقل والواقع أنّ مرماها عنده وعند معاصريه محدود فكانت الفلسفة عبارة عن الجدل، وكان الجدل مجرد آلة فكرية لاعلمًا بمعنى الكلمة يقوم في وجه الدين، فكان المقصود تعيين منهج اللاهوت لاتعيين العلاقة بين العقل والإيمان ولم يصر

---

[1] - **ينظر يوسف كرم :تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط3، دت، دار المعارف بمصر، ص 69 - 70.**

[2] - ينظر المصدر السابق، ص 79 - 80 .

[3] - **ينظر المصدر نفسه، ص 82 - 83 .**

للعقل أو الفلسفة مضمون محدّد إلاّحين اتسعت المعلومات الفلسفية وعرفت كتب أرسطو وهذا ماينبغي الإنتباه إليه في تاريخ العلاقة بين العقل والدين عند المدرسيين [1]

ب بيرنجي دوتور(1000-1088):فرنسي من الذين وظّفو الجدل لفهم الدين فضلّوا ويرى في الجدل خير وسيلة للبحث عن الحق، فإذا استخدمنا الجدل فقد استخدمنا العقل، والإنسان إنّما صنعه الله على صورته بالعقل والعدول عن استخدام العقل عدول عن هذا الشرف [2].

ج - لانفران(1005-1089):هو إيطالي من أكثر الفلاسفة توفيقًا في تحديد العلاقة بين الجدل والإيمان حاز شهرة كبيرة كأستاذ في ديربك البدكتي ،وعين رئيسًا لأساقفة كنتزيرى سنة1070 ورأى أنّ الجدل في ذاته لا يتعارض مع الإيمان إذا استعملناه استعمالاً حسنًا ويتعارض مع الدين لو أسأنا استعماله، ومن ثم اتخذ موقفًا وسطًا بين الجدليين الذين يسيئون تأويل العقائد واللاهوتيين الذين ينبذون الجدل نبدًا تامًا فإذاكان المقصود بالجدل هو الفلسفة أو العقل الصحيح يكون رأيه أنّ العقل الصحيح يتفق مع الإيمان

د - القديس أنسلم (1033-1109):إيطالي هو أكبر اسم في القرن الحادي عشر، اشتهر بدليل وجود الله، مازال يفتن الفلاسفة إلى أيامنا،ذهب إلى فرنسا وعمره عشرين سنة وبقي فيها ثلاث سنين يتعلّم من مشاهير الأساتذة ودخل دير "بكحيث"وذاع صيته، وقصد ديره الشبان من أنحاء فرنسا وإنجلترا وأصبح الدير بفضله من المعاهد الممتازة، وعين سنة 1093 رئيسًا لأساقفة كنتربري فشغل هذا المنصب حتى وفاته ويرى"أنّ الإيمان يولد المحبة في النفس والمحبة تدفع بالنفس إلى استعجال الرؤية الآجلة بالإستدلال فالإيمان شرط التعقل فإنّ الذي لايؤمن لايشعر بموضوع الإيمان، والذي لا يشعر لايفهم، إنّ الشعور بالشيء يفوق مجرد سماع الحديث عنه ،والتعقل وسط بين الإيمان والحياة الدنيا ،ومعاينة الله في الآخرة هو اقتراب من علم الله ،وبناءً على ذلك ينكر أنسلم على الجدليين محاولتهم إخضاع الإيمان للمنطق أي مناقشة موضوعه،كما لوكان من الممكن ألاّيكون صادقًا ويخاف معارضي المنطق في اقتصارهم على السنة فيقول إنّ الرسل والآباء لم يقولواكل شيء وأنّ الحقيقة لأوسع وأعمق من أن يأتي البشر على آخرها، أجل إنّ العقل في فحصه عن معاني العقائد لن يبلغ أبدًا إلى تمام إدراكها"[3]

هـ روسلان (1050 - 1120):فرنسي جدلي آخر أول من قال بمذهب الاسمية ،درّس في عدة مدارس بفرنسا ،وتخرج على يده تلاميذ كثيرون وأطلق عليه لقب مؤسس لوقيون جديد لهذا السبب ولاعتناقه مذهب أرسطو على ماكان معروفًا حين ذاك[4].

---

[1] - ينظر المصدر نفسه، المكان نفسه .
[2] - المصدر السابق، ص 81 .
[3] - المصدر نفسه، ص 85 .
[4] - المصدر نفسه، ص 83 .

المبحث الثالث :الجدل في البيئة العربية الإسلامية

المطلب الأول:الفكر العربي قبل الإسلام

إذا أتينا إلى تاريخ العرب قبل ظهور الإسلام وتأمّلنا حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية بالخصوص نجدهم كانوا يعيشون حياة بسيطة خالية من التعقيد، وليس لهم نظامًا فكريًا متكاملا ًبحيث يمكن أن نسميّه فلسفة ،فكلّ ماكان لهم في مجال الفكر فلتات من اللسان وخطرات من الحكمة، والأقوال المأثورة، والنوادر والحكايات والقصص، مما يحض على الشجاعة والكرم والخصال الحميدة، ومن الآراء البسيطة الخاصة بالوجود والحياة ،ويظهر في أدبهم نثرًا وشعرًا ومن أبرز هؤلاء الشعراء طرفة ابن العبد وزهير بن أبي سلمى[1]كما "كانوا يتشبثون بأنواع من النظر العقلي يشبه أن يكون من أبحاث الفلسفة العلمية لاتصالها بما وراء الطبيعة من الألوهية وقدم العالم ،أو حدوثه والأرواح والملائكة والجن والبعث ونحو ذلك "[2] .

ومهما يكن من أمر فإنّ التفكير الفلسفي الصحيح لم يظهر عند العرب بالرغم من ازدهاره في اليونان في تلك الحقبة، وأمّا مايتعلق بتراثهم من فلك ومعارف طبية وأساطير رائجة، وأمثال وحكم فيبقى مجرد تراث ،لايكوّن فلسفة ولا منطقًا لبعده عن الفلسفة والتفكير الفلسفي ،لأنّ الفلسفة كما يقول الدكتور جميل صليبا "هي ظاهرة من ظواهر الحضارة كالعلوم والفنون والقدرة التقنية وغيرها، وهي لاتزدهر في المجتمع إلاّبعد بلوغه درجة معينة من التقدم الثقافي ... فإذالم يتقدم العلم لم تتقدم الفلسفة ؛ذلك لأنّ الفلسفة والعلم يسيران جنبًا إلى جنب ،وإن كان ظهورهما في تاريخ الحضارة متأخرًا لأنهما يتطلبان نضجًا عقليًا لاقبل للمجتمع به "[3] وفكر العرب الفلسفي لم يظهر إلاّبعد ظهور الإسلام الذي لفت نظرهم في التفكير الميتافيزيقي وجعلهم يتأملون في الله ووجوده، وخلود الروح وبعثها، وكان مرجعهم الوحيد آنذاك هو القرآن الكريم قبل اقتباسهم للفلسفة إضافة إلى الفتوحات الإسلامية التي يرجع إليها الفضل في احتكاك ثقافتهم بثقافاتها، وبروز مشاكل سياسية وقضايافكرية تحتّم عليهم التفكير الفلسفي .[4]

المطلب الثاني :الأديان التي اتصل بها العرب قبل الإسلام

لم تكن ديانات العرب كلها وثنية بل كانت هنالك أديان إلى جوار عبادة الأوثان اتصل بها العرب وعرفوها،وقدجمع القرآن الكريم هذه الأديان في الآية السابعة عشرة من سورة الحج، قال تعالى » "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا "[5]

أمّا اليهودية فكانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة استقرت في الجزيرة بعد هجرة اليهود في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد وتجمع هؤلاء في يثرب وفدك وخيبر ووادي القرى [6].

---

[1] ـ ينظر حنّا الفاخوري وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، مقدمات عامة ـ الفلسفة الإسلامية، ط 2، 1982، دار الجيل، بيروت، ج1، ص 129 .

[2] ـ مصطفى عبد الرزاق :تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1386 هـ 1966م، ص 104 .

[3] ـ جميل صليبا: الفكر الفلسفي في الثقافة العربية المعاصرة،دط ،دت ، بيروت، منشورات الجامعة الأمريكية، ص25 .

[4] ـ ينظر رمزي نجار: الفلسفة العربية عبر التاريخ، ط2، 1972م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص79 .

[5] ـ سورة الحج، الآية 17 .

[6] ـ ينظر محمد علي أبو ريان :تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، 1976م، دار النهضة العربية، بيروت، ص35 - 36.

وأمّا النصرانية فقد انتشرت في شبه الجزيرة العربية عن طريق التجار المبشرين، وانتشرت أكثر بعد غزو أبرهة الحبشي اليمن[1] وأقام كنيسة في صنعاء أراد أن يقصدها العرب بدلاً من الكعبة .

أمّا الصابئة فهم يقرّون بالألوهية، غير أنّهم يقولون بوجود واسطة لمعرفة الله ومعرفة أوامره، والتجأوا إلى هياكل الأرواح وعبدوا الكواكب [2].

والمجوسية يسمون بالثنوية لأنّهم اعتقدوا أنّ للعالم أصلين إثنين مدبرين يقسمان الخير والشر يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة[3].

وينقسم المشركون إلى ثلاثة أقسام قسم أنكر الخالق والبعث والإعادة وقال قائلهم:

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأمّ عمرو

وقال الله تعالى على لسانهم:"وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ"[4] وقالوابالطبع المحمي والدهر المفني، قال الله تعالى:"وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"[5] وسمّوا لذلك بالدهرية،وقسم آخر آمن بوجود الخالق، وأثبت حدوث العالم وأقرّ بنوع من الإعادة وجحدوا إرسال الرّسل وعبدوا الأصنام وقرّبوا لها القرابين زعمًا منهم أنّها تشفع لهم عند الله،وهم أغلب العرب وقال الله تعالى عنهم: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى" [6]

أمّا القسم الأخير أقرّبالخالق ووجوده وأثبت بأنّ العالم محدث غير أنّه أنكر البعث ولقد حدّثنا القرآن عن أحدهم فقال تعالى:"وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" [7]، [8].

ولقد أحسّ فريق من عقلاء العرب وخاصتهم بفراغ ديني وعقائدي قبل ظهور الإسلام واتضح أنّ قومهم ضلّوا السبيل وانحرفوا عن دين جدّهم إبراهيم عليه السلام ،وتفرّقوا في البلاد يبحثون عن الحقيقة، وعدد هؤلاء أربعة هم:ورقة ابن نوفل، وعبد الله بن جحش بن رئاب، وعثمان ابن الحويرث، وزيد ابن عمرو بن نفيل، وسمي هؤلاء بالحنفاء ومقابل الحنفاء وجدت طائفة روحية انبثقت من أعماق الوثنية الجاهلية تحاول تعميق الدين الوثني ،وإحاطته بنوع من القداسة الزائدة والعاطفة المتأججة، وتسمى هذه الطائفة بالحُمُّس، فذهبوا في دينها مذهب التأله والزهد، ولهم بعض التصرفات ،كامتناعهم عن أكل الطعام الذي يحملونه معهم إلى الحرم،وعدم دخولهم بيتًا من شعر ... إلخ .[9]

المطلب الثالث: الجدل بين الأديان

كان بين الأديان التي رأيناها سابقًا خصومة وجدل ومن هذه الأديان التي كان الجدل بينها: الجدل بين اليهود والنصارى، والجدل بين النصارى والمشركين، والجدل بين المشركين والحنفاء .

أولاً الجدل بين اليهود والنصارى :

---

[1] - ينظر المرجع نفسه، ص 36 .

[2] - **ينظر مصطفى عبد الرزاق :تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 102 .**

[3] - ينظر المرجع نفسه، المكان نفسه .

[4] - سورة الأنعام، الآية 29 .

[5] - سورة الجاثية، الآية 24 .

[6] - سورة الزمر، الآية 3 .

[7] - سورة يس، الآية 78 - 79.

[8] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط6، 1417هـ/1997م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ج2، ص582 - 583.

[9] - ينظر محمد علي أبو ريان :تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص، ص 41 - 42

ولقد ذكر القرآن الكريم الجدل بين اليهود والنصارى قال تعالى:"وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"[1]

وقال أيضًا: "وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"[2]

ثانيًا الجدل بين النصارى والمشركين :

كان الجدل قائمًا بين القبائل العربية المشركة المجاورة للقبائل النصرانية فكان النصارى يبشّرون تلك القبائل بعقيدتهم وينذرونهم بوجود بعث ونشور وغير ذلك ممّا ينكره المشركون، وكان القسيسون يتجولون في الأسواق يبشّرون بالعقيدة المسيحية ،وكان العرب لا يطمئنون إلى عقيدة التثليث ولايؤمنون برب مصلوب لذلك تصدوا للرد على النصارى وإبطال دعاويهم وكان الجدل يدور بين عقليتين فكريتين، إحداهما بسيطة سادجة لا تدرك تعقيدًا وأخرى معقدة تدعوا إلى عقيدة ليس من السهل تقبلها"لكن النصارى كانوا يلحنون عليهم بالحجة،عندما كانوا يعمدون إلى تحطيم عقدة العرب في عبادة الأوثان، وإنكار البعث وغيرها وكانو يدللون عليهم بعلمهم وثقافتهم ...وكانت المنازلة الفكرية سجالاً،لاانتصار أحد على الآخر "[3]

ثالثًا الجدل بثين اليهود والمشركين :

إنتشر اليهود في البلاد العربية، واحتكوا بأهلها وأرادوا أن ينشروا دينهم في البلاد العربية كلها غير أنّ العرب قابلوهم بالإنكار والازدراء لأنّ اليهود يبالغون في الرفع من قيمتهم ومنزلتهم الدينية حتّى زعموا أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه ،ولأنّ اليهود يتصفون بخصال دنيئة مثل عدم الوفاء بالعهود، قال الله تعالى:"وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [4]،ونظرًا لكونهم يرفعون من قيمتهم فهم ينظرون إلى العرب وإلى كل الناس نظرة ازدراء واحتقار. وكانت تكثر المجادلات بين اليهود والمشركين ،ولقد حكى لنا ابن هشام في سيرته شيئًا من هذا في سيرته "قال سلمة ابن سلامة :كان لنا جار من يهود بني إسرائيل في بني عبد الأشهل فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بني الأشهل وأنا يومئذ أصغرمنهم سنًّا ولقد لبست بردًا مضطجعًا فيها بدار أهلي فذكر هذا اليهودي القيامة والبعث والحساب والجنة والنار ،وكان يجادل بعض المشركين ،فقال له أحد المشركين ويحك يا فلان أوترى هذا كائنًا إنّ الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويجزون فيها على أعمالهم ؟ قال اليهودي نعم ،والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في النار يحمونه، ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجو من تلك النار غدًا؟ فقالوا: ويحك يافلان فما آية ذلك ؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده إلى مكة واليمن، فقالوا: ومتى نراه، فنظر إلي، وأنا من أحدثهم سنًا، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه"[5].

فهذا نمودج لجدل بين يهودي يريد توضيح عقيدة البعث ومشرك يناقشه في هذه القضية واستدل اليهودي بما يمكن أن يراه برهانًا على دعواه.

رابعًا: الجدل بين المشركين والحنفاء:

---

[1] - سورة البقرة، الآية 113 .

[2] - سورة التوبة، الآية 30 .

[3] - محمد أبو زهرة :تاريخ الجدل، دط، دت، ملزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، ص 34 - 35 .

[4] - سورة آل عمران، الآية 75 .

[5] - ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دط، دت، دار الجيل، بيروت، م1، ج2، ص38 .

ذكر فيما سبق أن الحنفاء قوم من العرب أنكروا على المشركين عبادة الأوثان فهجروها فمن هؤلاء من دخل النصرانية، ومنهم من دخل اليهودية ،ومنهم من بقي على عبادة الله وحده ،ولم يجد في اليهودية والمسيحية دين يطمئن إليه قال ابن هضام في سيرته: "اجتمعت قريش يومًا في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده ويدورون به، وكان ذلك اليوم عيدًا لهم في كل سنة يومًا فخلص منهم أربعة نفر نجيًا، ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض، قالوا أجل، وهم ورقة ابن نوفل ... وعبيد الله ابن جحش ... وعثمان ابن الحويرث ... وزيد ابن عمرو بن نفيل ... فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ماقومكم على شي ء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ما حجر نطيف به لايسمع ولايبصر، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم، ؛ فأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ... ،وأمّا عبد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الإلتباس حتّى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما قدم الحبشة تنصر وفارق الإسلام، حتى هلك هناك نصرانيا ... ،وأمّا عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده ... ،وأمّا زيد بن عمرو فاعتزل الأوثان وبقي على ذلك واستمر يبحث عن دين إبراهيم، وقد رؤي يومًا وهو شيخ كبير مسندًا ظهره إلى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش، والذي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللّهم لو أنّي أعلم أي الوجوه أحبّ إليك عبدتك به ولكن لا أعلمه ثمّ يسجد على راحته ونظم لذلك شعرًا :

أربًّا واحدًا، أم ألـفي ربٍّ أدين إذانقسمت الأمـور
عزلت اللات والعزى جميعًا كذلك يفعل الجلد الصبور

ثمّ خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها، ثمّ أقبل وجال الشام كله، حتى انتهى إلى راهب بمَيْفَعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحقيقة، دين إبراهيم، فقال :إنك لتطلب دينًا مأأنت بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن أضل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فألحق به، فإنّه مبعوث الآن هذا زمانه ... ،فخرج سريعًا يريد مكة، حتىإذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه ... ،عن ابن إسحاق أنّ ابنه، سعيد بن زيد بن عمرو، وعمربن الخطاب، وهو ابن عمه، قالا لرسول الله صلىالله عليه وسلم: "أتستغفر لزيد ابن عمرو ؟ قال: نعم فلإنه يبعث أمة واحدة "[1] .

وكانت دعوة هؤلاء محفزة للجدل بينهم وبين إخوانهم العرب ولكن إخوانهم من العرب لم ينظروا إليهم نظرة عاطفة، ولم يجدوا لهم حجة يردّون بها عليهم وكان رد فعلهم خارج عن موضوع الجدل ؛وهذا باضطهادهم وإخراجهم من الديار ،وهذا شأن العاجزين عن الجدل ومقارعة الحجة بالحجة، وهذه صورة من صور الجدل آنذاك وعجزهم ناشئ عن بقائهم على فكرة بالية، وكسلاً ذهنيًا يمنعهم من التحليق في غير الجو الفكري الذي ألفوه سواءً أكان حقًا أم باطلاً، أمّا الحنفاء فأرادوا أن يصلوا إلى الحق بعقولهم ،فهم يمتازون بقوة النفس وقوة الفكر، ويمتاز فكرهم بالحركة وقوة الإستدلال، ومن ثم فالجدل يظل قائمًا بين ذوي الفكر المستقل المستنير العامل والمقلدين ذوي الفكر الخامل المقلد [2] "فالعرب كان يكفيهم أن يعبدوا الأصنام زلفى إلى الله الذي عجزت الأديان المختلفة أن تردهم إليه ...، فلا يصيخوا إلى قادم أو دخيل ،كانوا يريدون شيئًا من باطنهم يصل حاضرهم بماضيهم السحيق ... ،كانوا يتشوقون إلى

---

[1] ـ المصدر السابق: م1، ج2، ص50- 55 وص61 .
[2] ـ ينظر أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص37 - 39 .

صوت النبي ء الأخير رسول من أنفسهم من ولد إسماعيل يتلوا عليهم من آيات الله ويحقق لهم دعاء إبراهيم ... وقد سمعوا الصوت أخيرًا "[1].

المبحث الرابع: الجدل في عصر النبي ء صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: الفكر العربي بعد ظهور الإسلام

ولمّا ظهر الإسلام ونادى النبي ء صلى الله عليه وسلم ذلك النداء وهو الإيمان بالله الواحد الأوحد والإيمان بجميع رسله وأنبيائه وملائكته، وكتبه، ورسله، وقضائه وقدره، وجزائه العادل في الدار الآخرة، وجاءهم بدين يخالف الأجيان التي كانت في البلاد العربية في عقائده وعباداته، شرائه الاجتماعية وآدابه الخلقية بعد أن كان يسود البلاد عبادة الأوثان والأديان المختلفة من نصرانية ويهودية ومجوسية وصائبة ، "وكان الأصل الأول لهذه الدعوة هو القرآن الكريم الذي نزل مفرقًا مدة ثلاث وعشرين سنة ... ،ولم يكن القرآن مجرد مواعظ أخلاقية أو تاريخًا أنزل للعبرة عن قرون ماضية، وإنّما هو كتاب ميتافيزيقي وإنساني وأخلاقي وعملي، ووضع الخطوط الرئيسية للوجود كله فهو كتاب الكون منذ نشأته إلى فنائه، وأعلن وحدة الله وفاعليته ... وأعلن القرآن فكرة الخلق ؛ أنّ الله خالق وأنّه خلق من لاشي ء أوجد الحياة من العدم، وبهذا أنكر فكرة قدم المادة، وكما أعلن بدء الزمان، فقد أعلن نهايته ... ولم يترك نظريةً أو مذهبًا فلسفيًا شغل به العقل الإنساني بدون أن يبحث فيه وأن يضع أصوله العامة ... وهنا انتقل القرآن من الميتافيزيقا إلى الطبيعة ... وعرض للقوانين التي تحكمها ... فتح للعقل الإنساني المجال للنظر في هذه القوانين ،وهنا يظهر الإنسان خليفة الله والمثل الأكبر والقدوة التي لا تحد ... واندفع القرآن إلى الإنسان يمجده في طوره الأخير، ويدفعه إلى اكتناه الآفاق الكونية، وقد اعتبره مسؤولاً عن كل فعل من أفعاله ... "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه"[2] وأنكر القرآن صلب المسيح ... ورأى أنه لايفدي الإنسان سوى عمل الإنسان لا التضحية من نبيء أو رسول" [3] وتضمن القرآن الكريم كثيرًا من القضايا الفكرية والفلسفية مثل تنزيه الله من كل شبه، ومدى اتصافه تعالى بصفات قديمة زائدة على ذاته العلية، والإيمان بالقضاء والقدر، وفكرة الجبر والإختيار في أفعال العباد، وطبيعة الروح ومصيرها، إلى ذلك من العقائد الفكرية التي تضمنها القرآن والتي أصبحت مجالا للجدل الفكري والنقاش الفلسفي ... فإنّ تفكير المسلمين ظل بعيدًا عن التفكير الفلسفي المعقد زاهدًا في بحث المسائل الميتافيزيقية والمسائل الجدلية الإعتقادية وذلك طيلة عهد النبيء صلى الله عليه وسلم (610 - 632 م) وعهد الخلفاء الراشدين من بعده وطيلة الجانب الأكبر من العهد الأموي (661 - 750)[4]

المطلب الثاني: الجدل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن نزل قوله تعالى " فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين " على رسول الله جاهر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته ونادى العرب عامة وقريش خاصة، قائلاً: "إن الرائد لايكذب أهله والله لو كذبت الناس ماكذبتكم، ولوغررت الناس ماغررتكم، والله الذي لاإلاه إلاّ هو إنّي لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة والله لتموتون كما تنامون، ولتبعثن

---

[1] - علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط8، دار المعارف القاهرة، ج1، ص1 ، 2.

[2] - سورة الزلزلة، الآية7 - 8 .

[3] - علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ص 31 - 33 .

[4] - ينظر عمر التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، ص57 - 61 .

كما تستيقظون، ولتجزون بالإحسان إحسانًا وبالشر شرًّا وإنّها للجنة أبدًا أو النار أبدًا، ولكنكم لأول مرة من أنذر بين يدي عذاب شديد "بمجرد أن نادى النداء تجادل من في المدينة في أمره بين حائر ومضطرب، بين قديم قد ألفه وجديد عرفه إلاّ أنّه يرى في الجديد ما يناقض غايته ومآربه، وميل إليه لأنّه يرى فيه وضوح الحق المبين"[1] والجدل في عهد النبيء صلى الله عليه وسلم كان في جبهات مختلفة ومتعددة أهمها جداله للمشركين، جداله للنصارى، جداله لليهود .

أولاً: جدال النبيء صلى الله عليه وسلم للمشركين:

ذكر ابن هشام في سيرته أنّه:"اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة و أبو سفيان والنضر بن الحارث ... اجتمعوا مع غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض إبعثوا إلى محمد فكلمّوه وخاصموه تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إنّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعًا ... حتى جلس إليهم فقالوا له: يامحمد إنّا والله مانعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل هذه الأحلام، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلاّ جئته فإن كنت ... تطلب مالاً جمعنا لك من أمولنا حتى تكون أكثر مالاً وإن كنت تطلب الشرف فينا، فنحن نسوّدك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملّكناك علينا ،وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك ... فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم مابي ماتقولون، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف عليكم، ولا الملك عليكم ولكنّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتابًا وأمرني أن أكون بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا منّي ماجئتكم به فهو حظكم، قالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منّا شيئًا ممّا عرضناه عليك فإنّك قد علمت أنّه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا، ولا أقلّ ماءً ولا أشدّ عيشًا منّا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسيّر عنّا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا فنسألهم عمّا تقول أحقّ هو أم باطل فإن صدّقوك وصنعت ،ما سألناك صدّقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وإنّه بعثك رسولاً كما تقول ،فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: مابهذا بعثنا إليكم من الله! إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم"[2] ،لأنّ الذي يطلب المعجزة فهو ضمنيًا لم يؤمن بالرسالة التي بلغت إليه لذلك يلجأ إلى أسلوب آخر يحاول من خلاله دحض هذه الدعوة ،وعدم الاستجابة لها ولقد سألوه أسئلة تعجيزية كثيرة فكان جوابه لهم بعدم تلبية مطالبهم لأنّه ليس بالذي يسأل ربه هذه الأسئلة ،ولمّا لم لم يجدوا حجة تنال من رسالة الإسلام ومن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ذهبوا إلى اليهود لعلهم يجدون ما يؤيد مزاعمهم فقال اليهود لهم: سلوه عن ثلاث فأمركم يهين فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ماكان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ماهي ؟ فسأل المشركون النبي ء صلى الله عليه وسلم عن هذه الأسئلة فانتظر عليه الصلاة والسلام حتى نزلت سورة الكهف مشتملة على الأجوبة فكان الثلاثة هم أصحاب الكهف، والرجل الطواف هو ذو القرنين والروح كان الجواب عنها في سورة الإسراء قال تعالى:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "[3] / [4]

---

[1] - محمد أبو زهرة تاريخ الجدل، ص 42 .
[2] - ابن هشام: السيرة النبوية، م1، ج2، ص 132 - 134 .
[3] - سورة الإسراء، الآية 85 .
[4] - ينظر سيرة ابن هشام، م1، ج2، ص 139 .

فالمشركون لمّا جادلوا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجادلوه في موضوع الرسالة بل كان جدالهم خارج عن الموضوع ،فلم يحاولوا مناقشة مضمون الرسالة التي جاء بها والتأمل في مراميها ومحاولة فهم مقاصدها ،لأنهم لم ستعدوا للإيمان به من قبل أن يأتي به ومن بعد ما أتى به ،ومن ثمّ نستنتج أنّ جدال المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم جدال عناد ومكابرة وحاولوا بجدالهم تعجيز الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لالطلب الحق والصواب ـ بمطالب كثيرة وكل ما تجود به مخيلتهم ويجعلون من عدم إجابته لهم دليلاً وبرهانًا يستندون إليه على عدم الإيمان به ،وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في جداله لهم يلتزم الدقة في التعبير وعدم الخروج من الموضوع .

ثانيًا: جدال النبي ء محمد صلى الله عليه وسلم للنصارى

لقد بدأ الجدال بين الرسول صلى الله عليه وسلم والنصارى في هضبة الحبشة في حقيقة المسيح وفي الكلمة وغيرها من المسائل التي تدور حول العقيدة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في جداله مع النصارى يهاجمهم في عقيدة التثليث، وينكر عليهم ادعاءهم أنّ عيسى وأمّه عليهم السلام إلاهان من دون الله، وينكر عليهم أنّ الله هو المسيح، كما ينكر عليهم عبادة الصليب.

ولقد أوفد النصارى وفدًا إلى النبي ء صلى الله عليه وسلم وهو بمكة إذ بلغهم خبره من المهاجرين إلى الحبشة فسارعوا إليهم للإطلاع على هذا الدين الجديد وفي محتواه بحثًا عن الحق ،فقرأ عليهم القرآن الكريم فآمنوا به كلهم ،فقال لهم أبو جهل: ما رأينا ركبًا أحمق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم، فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترنا فأنزل في ذلك قوله تعالى:"الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ" [1].

وجادله نصارى نجران وهو في المدينة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أنّ لله ولد "[2] قالوا: "فمن مثل عيسى خلق من غير أب فأنزل الله قوله تعالى:"إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" [3] ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة فرفضوا فصاح فيهم القرآن: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ" [4]

إنّ رفض نصارى نجران المباهلة وقبول الجزية لهو أكبر دليل على أن جدل هؤلاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم هو أيضا من قبيل المكابرة والمعاندة فلو كان جدالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم يبغون من خلاله الوصول إلى الحقيقة لما رفضوا أي شيء يكون وسيلة لإظهار الحقيقة.

ثالثًا: جدال النبي صلى الله عليه وسلّم مع اليهود

قابلت اليهودية الإسلام أول نشأته في المدينة ،وكان اليهود جيران المسلمين واشتبكوا مع المسلمين اشتباكات عنيفة، ودعاهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى الإسلام وأعرضوا عنه

---

[1] ـ سورة القصص، الآية 52 - 54.
[2] ـ سيرة ابن هشام، م1، ج2، ص115 .
[3] ـ سورة آل عمران، الآية 59 ،60 .
[4] ـ سورة آل عمران، الآية 61 .

لأسباب واهية، منها أنّ من طبيعتهم الحسد يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله، ولأنّ أنصار الرسول صلّى الله عليه وسلّم من خصومهم في الجاهلية، وأنّهم لايعترفون بنبي من غير بني إسرائيل، ويقول الله تعالى على لسانهم " نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"[1] فهذا ماجعلهم ينكرون دعوة محمد صلّى الله عليه وسلّم مكابرة ومهاترة، واندفعوا إلى مجادلة الرسول صلى الله عليه وسلّم وسائر المسلمين ووقعوا معهم في اشتباكات ثمّ انقلبت هذه الإشتباكات إلى حروب عنيفة انتهت باستئصال اليهود من الحجاز وانتقالهم إلى أذرعات الشام .

وفي مجادلة الرسول صلى الله عليه وسلّم لليهود أنكر عليهم الكثير من الأشياء ؛كإنكاره تحريفهم للتوراة، وأكل أموال النّاس بالباطل، وأكلهم الربا، وحرصهم الشديد على الدنيا [2]ومن أمثلة مجادلة النبيء لليهود "أنّ نفرًا من أحبار اليهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقالوا يامحمد: أخبرنا عن أربع نسألك عنهن، فإن فعلت اتبعناك وصدّقناك وآمنّا بك، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أخبرتكم بذلك لتصدّقنّني، قالوا: نعم، قال: فاسألوا ما بدالكم، قالوا فأخبرنا كيف يشبه الولد أمّه، وإنّما النطفة من الرجل ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم: أنشدكم بالله وأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما علت صاحبتها كان لها الشبه ! قالوا اللهمّ نعم، قالوا فأخبرنا كيف نومك ؟ قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنّ نوم الذي تزعمون إنّي لست به تنام عينه وقلبه يقظان، فقالوا اللهمّ نعم فقال فكذلك نومي تنام عيني وقلبي يقظان، قالوا: فأخبرنا عمّ حرّم إسرائيل على نفسه، قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنّه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنّ اشتكى شكوى فعافاه الله منها، فحرّم على نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه شكرًا لله فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا: اللهمّ نعم فقالوا أخبرنا عن الروح، قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذي يأتيني ؟ قالوا اللهمّ نعم، ولكن يا محمد لنا عدو وهو ملك إنّما يأتي بالشدّة وهو يسفك الدّماء ،ولولا ذلك لاتبعناك قال فأنزل الله فيهم "قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ وَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" [3]، [4]

وممّا سبق يتّضح أنّ جدال اليهود للنّبيء صلّى الله عليه وسلّم لايبتعد عن جدال من سبقوهم مع سيدنا موسى عليه السّلام فهو جدال لا يريدون من وراءه إلاّ تعنّتًا ولا يبغون صوابًا ولا حقيقة زد على ذلك اشتهارهم بخلف الوعد ؛ فلقد وعدوا رسول الله إن أجابهم على تلك الأسئلة الأربعة فسوف يصدّقونه وقد أجابهم إلى ذلك كله، ولكن لم يلتزموا بما وعدوه به إلاّ أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان يستعمل الرفق واللين والعطف وهذا بقسمه عليهم بأحبّ أيامهم إليهم ليستميلهم إليه .

رابعًا الجدال في الدّين وموقف الرسول صلّى الله عليه وسلّم :

لم يخل زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم من الجدال في الدّين بين الصحابة وكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم يكره الجدال والمراء في الدين بين المسلمين لذلك كان يجنب المسلمين ذلك

---

[1] - سورة المائدة الآية 18

[2] - ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج 1 ص 61 - 62 .

[3] - سورة البقرة الآيات 97 -101 .

[4] - ابن هشام: السيرة النبوية،م2، ج 3، ص 79، 80 .

قدر المستطاع، يروى عنه عليه السلام أنّه خرج على أصحابه مرّة وهم يتناظرون في القدر ورجل يقول: ألم يقل الله كذا ؟ ورجل يقول: ألم يقل الله كذا؟ فغضب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال: "أبهذا أمرتم ؟ إنّما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنّما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضًا لايكذب، أنظروا ما أمرتكم به فافعلوا وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"[1]

ومن مواقف الرسول صلّى الله عليه وسلّم في الجدل في الدين ماحكاه أبو الدرداء وأنس ووائلة بن الأسقع "خرج علينا رسول الله عليه وسلّم ونحن نتنازع في شيء من الدين، فغضب غضبًا شديدًا لم يغضب مثله، قال: ثمّ انتهرنا وقال يا أمّة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وهج النّار، ثمّ قال: " أبهذا أمرتم ؟ أوليس عن هذا نهيتم، إنّما أهلك من كان قبلكم بهذا"[2] ،ولقد اقتنع الصحابة من مغبة الجدال في الدّين فاتجهت نفوسهم إلى الطريق العملي ونشر الدعوة الإسلامية بين الأمم الأخرى ولم يضيعوا الوقت في الجدال كالأمم الأخرى، ونتيجة ذلك أنّهم سبقوا غيرهم وتقدّموا عليهم وملكوا أعظم دولتين في ذلك الوقت وهما الفرس والروم وبقي الحال على ذلك في زمانه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين من بعده .

المبحث الخامس الجدل في عصر الخلفاء الراشدين

المطلب الأول: اختلافات آلت إلى جدل بين المسلمين

توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وترك الأمة الإسلامية موحدة ومتماسكة ،ولكن بعد وفاته مباشرة بدأ الخلاف و الجدل بين المسلمين ،وكان الجدل والخلاف غالبا ما ينتهي إلى الوحدة مرة أخرى، فأي افتراق يؤدي إلى اتفاق وهذا خلال عصر الخليفتين أبو بكر وعمر ،ولم تتصدع الوحدة الإسلامية ولم يفترق المسلمون إلا في نهاية عصر الخليفة الثالث وبداية عصر الخليفة الرابع.

ـ وأول اختلاف آل إلى جدل بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم [3] وهو اختلافهم في موضع دفن الرسول صلى الله عليه وسلّم بعد وفاته ،أراد أهل مكة من المهاجرين ردّه إلى مكة لأنها مسقط رأسه، ومأنس نفسه، وموطن قدمه أو موطن أهله وموقع رحله، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه في المدينة لأنها دار هجرته، ومدار نصرته وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس لأنّه موضع دفن الأنبياء، ومنه معراجه إلى السماء ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روي عليه السلام " الأنبياء يدفنون حيث يموتون" [4]

واختلف المسلمون بعد دفن الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن من يخلفه فاختلف المهاجرون مع الأنصار في الإمامة، فالأنصار أرادوا لأن يكون الخليفة منهم، لما لهم من فضل الإيواء والنصرة، ولأنهم من حماة الإسلام ونصراء الرسول ، وفريق ثاني وعلى رأسهم أبو بكر رأوا أن الأمر للمهاجرين، وفريق ثالث جعلوها في بني هاشم، ورشّحوا

---

[1] ـ الشهرستاني: الملل والنحل ج 1 ص28 .

[2] ـ شمس الدّين أبو بكر بن قيم الجوزية: أعلام الموقعين عن ربّ العالمين ـ تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج 1، ص 329، 330.

[3] ـ لقد وقع خلاف قبل هذا الخلاف وهو الخلاف الذي وقع في مرضه عليه السلام لما اشتدّ بالنبي (ص) مرضه الذي مات فيه قال:" ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي، فقال عمر رضي الله عنه" إن رسول الله (ص) قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله " وكثر اللغط فقال النبي (ص) " قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع"، الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص30 .

[4] ـ الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص 29 .

الإمام علي لأسبقيته على بني هاشم في الإسلام، وحسم عمر بن الخطاب الأمر ومد يده إلى أبي بكر لمبايعته، وبايعه الناس وقال ألا إنّ بيعة أبي بكر كانت فلته وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه[1].

ـ وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه اختلف المسلمون وتجادلوا " في قضية مانعي الزكاة فقال قوم لا نقاتلوهم قتال الكفرة وقال قوم لا نقاتلوهم حتى قال أبو بكر لو منعوني عقالا مما أعطوا رسول الله لقاتلتهم عليه ومضى بنفسه إلى قتالهم ووافقه الصحابة بأمرهم" .[2]

ـ وأثناء وفاة أبي بكر الصديق نص هذا الأخير لخلافة عمر فوقع الخلاف و الجدل وتسائل الناس عن سبب تولية أبي بكر عمر الخلافة وهو فظّ غليظ فأوقف هذا الخلاف أبو بكر حينما قال: لو سألني ربي يوم القيامة لقلت: ولّيت عنهم خير أهلهم "[3]

ـ واختلف المسلمون وتجادلوا حول خلافة عمر بالرغم من ترك هذا الأخير الخلافة شورى بين ستة من الصحابة فوقع الجدل حول كيفية مبايعة أحد المرشحين الستة واستقر رأيهم حول مبايعة عثمان بن عفان ولكن أقاربه استغلوا دماثة خلقه فجير عليه ووقعت اختلافات كثيرة.[4]

المطلب الثاني: الجدل في الخلافة

عندما تطرقت إلى الإختلافات التي آلت إلى جدال بين المسلمين وجدت أنّ من أهم أسباب اختلاف المسلمين هي قضية الإمامة أو الخلافة، وهي السبب الجوهري في تفرق المسلمين وانقسامهم إلى فرق ومذاهب، وقضية الإمامة كانت قضية سياسية ثمّ تطورت وأصبحت دينية تمس جوهر العقيدة، والجدال حول الإمامة مرّ بثلاثة أدوار:

ـ ففي الدور الأول كان موضوع الجدال يدور حول أحقية النصار أم المهاجرين للإمامة، وانتهى ذلك الجدال بالإقرار للمهاجرين .

ـ وأمّا الدور الثاني هوماوقع من جدال بين المسلمين في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وكان سببه المؤامرات التي حيكت من قبل عبد الله بن سبأ لتأليب المسلمين عليه، فكان بعض من الناس يشتكون من المظالم والظلم الذي يقترفه الولاة في الأمصار، وبعضهم ينتقد سياسة عثمان، ولمّا كثرت الشكاوي في شأن عثمان وخلافته جادله علي كرّم الله وجهه حول هذه الأوضاع المتردّية كما جادله جماعة من الكوفيين والبصريين .

أولا: جدل علي مع عثمان

قال علي لعثمان: "النّاس ورائي وقد كلّموني فيك والله ماأدري ماأقول، وما أعرف شيئًا تجهله، ولا أدلك على أمر تعرفه، إنّك لتعلم ما نعلم، ماسبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وما خصصنا بأمر دونك، وقد رأيت وسمعت، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلّم ونلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ... تعلم يا عثمان أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدى ... وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ، وضلّ به ... وإنّي أحذّرك سطوة الله ونقماته فإنّ عذاب الله شديد أليم، وأحذّرك أن تكون إمام هذه الأمّة المقتول ... فقال عثمان قد والله علمت ليقولن الذي قلت ،أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولا أسلمتك، ولاعبت عليك، ولا جئت منكرًا إن وصلت

---

[1] ـ ينظر محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ط 5، دت، دار الفكر، ص33 .
[2] ـ الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص33 .
[3] ـ ينظر المصدر نفسه المكان نفسه .
[4] ـ ينظر المصدر نفسه المكان نفسه .

رحمًا وسددت خلةً، وأدّيت ضائعًا، ووليت شبيهًا بمن كان عمر يولي، أنشدك الله ياعلي، هل تعلم أنّ المغيرة بن شعبة ليس هناك: قال نعم، فتعلم أنّ عمر ولاّه، قال نعم، قال فلم تلومني، إن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته، قال علي سأخبرك إنّ عمر ابن الخطاب كان كل من ولي، فإنّما يطأ على صماخه، إن بلغه عنه حرف جلبه، ثمّ بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل، ضعفت، ورفقت على أقاربك، قال عثمان: هل تعلم أنّ عمر ولّى معاوية خلافته كلّها ؟ فقد وليته، فقال علي: أنشدك هل تعلم أنّ معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه، قال نعم، قال: فإنّ معاوية يقتتطع الأمور دونك وأنت لاتعلمها، فيقول للنّاس هذا أمر عثمان، فيبلغك ولا تغير على معاوية ثم خرج علي من عنده"[1].

هذا نمودج للجدال حول قضية الخلافة وهو عبارة عن مساءلة الخليفة عن السلبيات والمشاكل والمظالم والظلم الذي يقترفه الولاة في الأمصار، وذلك بتذكير الخليفة عثمان ابن عفان عن مسؤوليته تجاه ماسترعاه، وأنّه يعلم أكثر من أي إنسان آخر واجبات الراعي نحو الرعية، وثواب الإمام العادل وعقاب الإمام الجائر، وتحذيره من مغبة ذلك بأن ينال سخط الله إن استمرت الأوضاع كما هي دون إعادة النظر في هذه السلبيات، فكا ن جوا ب عثمان أن الواقع الذي يعيش فيه يجهله علي ولذلك قال له عثمان لوكنت مكاني ما حاسبتك على فعل قمت به ،وخصوصًا قضية توليته لأقاربه واستدل على عمر ابن الخطاب الذي يضرب به المثل في العدل وقدولى قريبه المغيرة ابن شعبة وعثمان ولّى قريبه ابن عامر فأجابه علي موضحًا الفرق بينه وبين عمرابن الخطاب ،فعمر كان حازمًا أشدّ الحزم مع الولاة الذين يولّيهم في الأمصار فلو سمع بمظلمة من المظالم اقترفها أحد هؤلاء الولاة عنّفه وأدّبه أمّا عثمان كان متساهلاً إلى درجة أنّ معاوية كان يقوم بأعمال لايعلمها عثمان فيبنسبها إليه وعندما يصل إليه ما يقوم به معاوية فلا يبدي موقفًا حازمًا تجاهه .

ثانيًا: جدل الكوفيين والبصريين مع عثمان

جمع عثمان هذا الوفد من الكوفيين والبصريين حينما جاءوا يعترضون على عثمان و من جملة ماقال "وما لي من بعير غير راحلتي، ومالي ثاغية ولا راغية، وإنّي قد وليت، وإنّي أكثر العرب بعيرًا وشاةً، فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي، أكذلك ؟ قالوا نعم وقالوا كان القرآن الكريم كتبًا فتركتها إلاّ واحدة. قال ألا وإنّ القرآن واحد جاء من عند واحد وإنّما أنا في ذلك تابع، أكذلك ؟ قالوا نعم، وقال إنّي رددت الحكم وقد سيّره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من مكة إلى الطائف ثمّ ردّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم سيّره ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم ردّه، أكذلك ؟ قالوا اللّهم نعم ... وقال إنّي أحبّ أهل بيتي وأعطيهم، فأمّا حبّي لهم فإنّه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وإمّا إعطاؤهم فإنّي أعطيهم من مالي ولاأستحلّ أموال المسلمين على نفسي، ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي ... وما آكل إلاّ من مالي"[2].

من خلال ما سبق نستنتج أنّ عثمان في حديثه مع الكوفيين والبصريين كان في موقف دفاع عن بعض الإتهامات التي وجّهت إليه وكان الكوفيون والبصريون ـ حينما يردّ عن إحدى هذه التهم ـ يقولون له نعم حينما يردّ على بعض هذه التهم والتهم لدالموجهة إليه إليه هي أنّه يملك أموالاً ليست له، جمع القرآن في مصحف واحد، تولية أقاربه وإعطائهم المال من بيت أموال المسلمين فأجاب عنها وبرّأ ساحته منها.

---

[1] ـ ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 95 -97.

[2] ـ ينظر أبو زهرة : تاريخ الجدل، ص 97 ، 98 .

- أمّا الدور الثالث بعد أن بويع علي بالخلافة فقد أتت جماعة إلى علي تودّ الاقتصاص من قتلة عثمان، ولمّا استمهلهم تقدمت عائشة رضي الله عنها وطلحة و الزبير ،وحاربهم علي في وقعة الجمل المعروفة، وبعد وقعة الجمل وانتصار علي على عائشة، ومقتل كل من طلحة و الزبير ظهر طمع معاوية في الخلافة ووقع الجدل بين المسلمين أيهما أحق بالخلافة وكان الجدال بين علي ومعاوية عن طريق المراسلة [1].

ثالثًا: جدال علي لمعاوية

بعث علي بكتاب إلى معاوية يجادله فيه في أمر الخلافة "أمّا بعد ... ماأنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما لأبناء الطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم، هيهات ... ألا تربع إلى الإنسان على ظلعك، وترضى بقصور ذرعك، وتتأخر حيث أخرك القدر ... وإنّك لذاهب في التيه، رواغ عن قصد ... فدع منك من مالت به الرمية، فإنّا صنائع ربّنا والنّا س بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزّنا، ولا عادي طولنا ... فمنا النبي، ومنكم المكذّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ،ومنّا سيد شباب أهل الجنّة، ومنكم صبية النار، ومنّا خير نساء العالمين، ومنكم حمّالة الحطب، ... وزعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت، وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن كذلك فليست الجناية عليك فيكون عذرها إليك، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ... ثمّ ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأيّنا كان أعدى عليه وأهدى إلى مقاتلته، أمن بذل نصرته فاستقعده واستكفّه ؟ أمّا من استنصره فتراخى عنه، وبثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه، كلاّ والله "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا"[2]، واستمرت المراسلات بين علي ومعاوية حول موضوع الخلافة إلى أن وقعت معركة صفين وافترق المسلمون بعد هذه المعركة وانقسموا إلى ثلاثة أقسام، انصار علي، أنصار معاوية، المحكمة [3].

المطلب الثالث الجدال في أصول الدين

لقد احتفظ الصحابة بوصايا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واقتدوا به خصوصًا بالجدال في الدين أو العقائد،"وزهدوا في أي بحث يتناول مسلئل الميتافيزيقا، وقد رأوا أنّ طبيعة عملهم الذي رسمه القرآن لهم هو تحقيق الأفعال الإنسانية وتجنب المسائل الإعتقادية ... فلم يحاول أحد منهم في عهد النبيء صلّى الله عليه وسلّم ولابعده اللّهم إلاّ نادرًا" [4] غير أنّهم استعملوا الجدل ضد اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلّم ،وإلى إثبات الإلاهية مع عبدة الأصنام، وإلى إثبات البعث مع منكريه ثم مازادوا في هذه القواعد التي هي أمهات العقائد على أدلة القرآن شيىء ،فلوا علموا أنّ ذلك كان نافعًا لأطنبوا فيه ولخاضوا في تحرير الأدلة خوضًا يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض ... وكان الأمر هكذا في زمان أبي بكر وعمر وعند كلّ من التزم المنهج الصحيح [5].

في عهد عمر الفاروق رضي الله عنه أخذ رجل يقال له صبيغ بن عسل يسأل عن المتشابه، ويتكلّم فيما لا يفيد وقد يحدث فتنًا بين العامة ،فطلبه عمر وقال له من أنت ؟ قال أنا عبد الله بن صبيغ وقال له عمر: أنا عبد الله بن عمر، وأخذ يضربه بعراجين النخل حتّى دمى رأسه فقال

---

[1] - ينظر المصدر نفسه، ص 100 .
[2] - سورة الأحزاب الآية 18 .
[3] - ينظر المصدر السابق ، ص100 - 101 .
[4] - علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج 1، ص 37 .
[5] - ينظر عبد الحليم محمود: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص 125 - 126 .

صبيغ: حسبك ياأمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي ،ثمّ نفاه إلى البصرة حتّى صلح حاله، وهكذا كان سهر عمر على الفاتنين بين العامة بدون شبهة تستوجب الكشف"[1] ومن مواقفه أيضًا في حراسة العقيدة "أنّه سأل سائل عن آيتين متشابهتين، فعلاه بالذرة، كما أنّه سأله سائل عن القرآن أهو مخلوق أم لا ؟ فتعجّب من قوله، فأخذ بيده، حتّى جاء به إلى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه فقال ياأبا الحسن إسمع ما يقول هذا الرجل قال: وما يقول يا أمير المؤمنين ؟فقال الرجل سألته عن القرآن أمخلوق هو أم لا ؟فوجم لها رضي الله عنه، وطأطأ رأسه، ثمّ رفع رأسه وقال سيكون لكلام هذا نبأ في آخر الزمان ولو ولّيت من أمره ما ولّيت لضربت عنقه"[2].

ومن أولى المسائل المتعلّقة بالدّين أثيرت في عصر الخلفاء الرّاشدين هي مسألة القدر ولقد حذّر ونهى عن الخوض فيها والامساك عن ذكرها مع وجوب الإيمان بها، وهو نوع من الخضوع إلى الله والإقرار بإحاطة علمه بكلّ شيء وتقديره في الأزل يروى أنّ عمر أتى بسارق فقال له: لما سرقت فقال: قضى الله علي، فأمر به فقطعت يده، وضرب أسواطًا، فقيل له في ذلك فقال القطع للسرقة، والجلد لمّا كذب على الله أراد هذا السارق أن يتنصل من مسؤوليته في السرقة لما أرجع ذلك إلى القضاء لكن عمر بن الخطاب عاقبه على ذلك محمّلاً له مسؤوليته في السرقة، ولقد إدّعى بعض النّاس أنّ الاعتقاد بالقدر يوجب عدم الحذر،فقيل لعمر رضي الله عنه عندما امتنع عن دخول مدينة بها طاعون أفرارًا من قدر الله ؟ فقال عمر: "نفّر من قدر الله إلى قدر الله"، فكأنّ عمرًا رضي الله عنه يبين لهم أنّ قدر الله محيط بالإنسان في كلّ الأحوال، وإنّه لا يمنع الأخذ بالأسباب، وإنّ ذات الأقدارمقدورة فيجب علينا الأخذ بها،والسير في طريقها إقامة للتكاليف وتحمّلاً لتبعات الأشياء [3].

هذه هي مواقف الصحابة حول قضية الجدال في الدين والمتمثلة في شخصية عمر رضي الله عنه المعروف بالحزم والشدّة وخصوصًا مايتعلّق بأمور العقيدة، حرصًا منه على وحدة المسلمين، لحساسية فترة خلافته فترة الفتوحات الإسلامية شرقًا وغربًا وشمالاً التي تحتاج إلى تكثيف الجهود والحزم في الأمور المستجدة، وقد صدق حدس أبو بكر الصديق قبل وفاته حينما وصّى أن يكون عمر بن الخطاب خليفة للمسلمي و أصرّ على ذلك بالرغم من اختلاف المسلمين حول شخصية عمر المعروف بالشدة وقال قولته المشهورة: "لو سألني ربي يوم القيامة لقلت ولّيت عليهم خير أهلهم "

أمّا في زمان علي بن أبي طالب فقد اشتدّ الجدل في مسألة القدر ،جاء في نهج البلاغة "قام شيخ إلى علي فقال أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره فقال: والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئًا، ولا هبطنا واديًا، إلاّ بقضاء الله وقدره، فقال الشيخ: فعند الله أحتسب عناي، وما أرى لي من الأجر شيئًا، فقال مه ياشيخ، لقد عظّم الله أجركم في مسيركم، وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا مضطرّين، فقال الشيخ: وكيف والقضاء والقدر ساقنا، فقال ويحك لعلّك ظننت قضاءً لازمًا وقدرًا حتمًا، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تأت لائمة الله لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عباد الأوثان، وجنود الشيطان، وشهود الزور، أهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الأمّة ومجوسها، إنّ الله أمر تخييرًا، ونهى تحذيرًا، وكلّف

---

[1] - الأسفراييني: التبصير في الدين، ص 5.

[2] - المصدر نفسه المكان المكان نفسه.

[3] - ينظرمحمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 107 ،108.

تيسيرًا، ولم يعص مغلوبًا ولم يطع كارهًا، ولم يرسل الرّسل إلى خلقه عبثًا ولم يخلق السماوات وما بينهما باطلاً "ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار"فقال الشيخ: فما القضاء والقدر الذين ما سرنا إلاّ بهما؟ فقال: هو الأمر من الله والحكم، ثم تلا قوله سحانه وتعالى:" وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه " فنهض الشيخ مسروراوهو يقول :

أنت الإمام الذي نـرجوا بـطاعته يـوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتـبسا جـزاك ربـك عنا فيه إحسانا[1]

فإذا قارنا موقف علي من الجدل في هذه القصة في زمانه بموقفه من الجدل في زمان عمر بن الخطاب وحول قضية خلق القرآن لوجدنا أكثر تشددا في الموقف الأول وأكثر تسامحا في الموقف الثاني لذلك نجد أن الجدل في الدين سوف يتطور شيئا فشيئا حتى تنشأ فرق ومذاهب أساسها الإختلاف في وجهة نظر حول أصل من أصول الدين .[2]

ومن أبرز المسائل التي وقع فيها الجدل بين المسلمين مسألة مرتكب الكبيرة التي أثارها الخوارج بعد وقعة النهروان وحينما اضطهدوا من طرف الأمويين الذين يرون أنّهم أخذوا الحكم عنوة ،وارتكبوا المظالم وأدّى هذا إلى السؤال عن مرتكب الكبيرة، وهذه القضية لم تثر من قبل المحكمة أو الخوارج بل أثارها الشيعة والمعتزلة بعد ذلك، وأخذ الجدل حول هذه المسألة ينموا ويزيد حتى اختلف فيها العلماء اختلافا طويلا وكانت من أسباب افتراق المسلمين كما وجدت مسائل أخرى تتعلق دائما بالدين والعقائد ووقع الجدل فيها وهي مسألة الرجعة التي أثارها عبد الله بن سبأ اليهودي في آخر خلافة عثمان وطرحت أكثر في زمان علي ـ كرم الله وجهه ـ ومفادها الاعتقاد برجوع النبي صلى الله عليه وسلم وغالوا في ذلك أشد المغالاة إلى أن قالوا إنّ عليا كان نبيا إلا أنّ جبريل أخطأ وجاء إلى محمد وقد تصدى علي لهؤلاء لأنهم وصلوا في مغالاتهم إلى تأليه علي ،وقتل منهم عددا كبيرا وبعد مقتل علي زعم عبد الله بن سبأ أنّ عليا لم يقتل بل صعد إلى السماء شأنه شأن عيسى عليه السلام، وإذا بحثنا عن سبب ظهور هذه الاعتقادات الباطلة نجدها ترجع إلى أنّ القائلين بها هم قريبوا العهد بالإسلام وقريبوا العهد بالعقائد الفاسدة التي كانوا يعتقدونها قبل الدخول في الإسلام، وكل هذه العقائد من أصول الدين[3] .

المطلب الرابع: الجدل في الفروع

كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يلتبس عليهم أمر من الأمور، فكان يجيبهم بما أوحى الله به إليه لكن لما انتقل ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الرفيق الأعلى تطورت الحياة الإجتماعية فطرأت أحداث وجدت فنون وعرضت أمور فكانوا يرجعون إلى كتاب الله ،فإن لم يجدوا فيه الجواب الكافي إتجهوا إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فإن لم يجدوا في ذلك أثرا اجتهدوا في آرائهم[4] ،وكان جدال الصحابة في الفروع من أجل الوصول إلى الحقيقة فلم يكن بينهم صراع أو تنازع أو تناحر ركيزتهم في ذلك القرآن الكريم، فإذا وجد خلاف بينهم فهو رحمة ،واختلافاتهم راجعة إلى اختلاف وجهات النظر عموما، وتعد مسألة

---

[1] ـ ينظر المصدر السابق، ص106.
[2] ـ ينظر المصدر نفسه، ص108 .
[3] ـ ينظر المصدر نفسه، ص108 - 109 .
[4] ـ ينظرالمصدر نفسه، ص109 .

الإمامة التي اختلف فيها المسلمون فرعية، ولكن أمور سياسية جعلت الجدل فيها يتطور إلى أن أصبح جدلا عقديا من صميم العقيدة الإسلامية.

المبحث السادس: الجدل في العصر الأموي

تمهيد:

سبق الحديث عن أنّ المسلمين أجازوا الجدل في الفروع وحذّروا من الجدل في الأصول وماظهر من خلافات دينية وسياسية بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم من الإمامة والميراث ومانعي الزكاة لم ترق إلى مستوى الجدل في العقائد، ولكن حينما امتدت الفتوحات الإسلامية وبدأت مرحلة إختلاط المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى وما تحمله من ثقافات وعقائد واصطدم الدين الإسلامي بتلك الديانات ،وأدّى ذلك إلى نشوء الجدل بين الإسلام وهذه الديانات ،وفي هذه المرحلة من تاريخ الجدل بين المسلمين انتقل الجدل من المسائل السياسية الفرعية وأبرزها مسألة الإمامة إلى مسائل دينية عقدية وأبرزها مسألة مرتكب الكبيرة ولقد سلك التفكير الديني، منذ العصر الأموي، مسلكين أساسيين مسلك أولئك الذين يتقبلون الأمور تقبلا يستند إلى الرواية والأقوال التي قال بها الفقهاء أو نسبت إلى رجال الفقه، ثم مسلك أولئك الذين يريدون أن يستندوا في الاعتقاد إلى ما يتقبله العقل ؛وكان الأولون يسمون أهل الحديث وأصحاب النقل أما الآخرون يسمون أهل الرأي ،ولقد تمخض من كل ما سبق ظهور الفرق الإسلامية، السياسية كالشيعة والمحكمة والمرجئة ،والدينية كالجبرية والقدرية والمعتزلة ،وكل ما سبق ذكره يعد من أسباب ظهور علم الكلام فيما بعد لذلك ارتأيت أن أتحدث عن هذه المراحل من تطور الجدل في إطار نشأة علم الكلام كعوامل لنشأة هذا العلم وأقسّم هذه العوامل إلى عوامل داخلية وعوامل خارجية وأتعرض للحديث عن الجدل بين الإسلام والديانات الأخرى في العوامل الخارجية وأتحدث عن الجدل بين الفرق في العوامل الداخلية وقبل كل هذا العرض لا بد من تعريف علم الكلام وعلاقته بالجدل.

المطلب الأول: مفهوم علم الكلام وعلاقته بالجدل

أولاً: مفهوم علم الكلام:

" هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها

- وموضوعه العقائد الدينية وهي التوحيد والنبوة والمعاد(الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، البعث، رؤية الله...إلخ وتدور هذه المسائل جميعا حول الله – ذات وصفات وأفعال(1)

- أما ما يتعلق بهدف علم الكلام فهو " نصرة ماجاء به الدين من العقائد والأحكام وتغير كل ما خالقه بالأدلة العقلية"(2)،وقد سمي علم أصول الدين لأنه يتعلق بالأحكام الأصولية أو الاعتقادية في مقابل علم الفقه الذي يتعلق بالأحكام الفرعية العلمية(3).

---

(1) ـ أحمد محمود صبحي، في علم الكلام ج1 (المعتزلة)ط4. دت ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ص2

(2) ـ المصدر نفسه،ص3.

(3) ـ المصدر نفسه، نفس المكان نفسه.

ثانيًا: علاقة علم الكلام بالجدل: أما العلاقة بينهما من حيث التسمية فنجدهما يختلفان فإطلاق لفظة كلام على علم الكلام لأن مسألة كلام الله أو خلق القرآن هي من أشهر المسائل التي ثار فيها الخلاف والجدل بين المسلمين ولكن هو جدل ،ولكن حينما وصل إلى مرحلة معينة ودار الجدل والنقاش حول جانب معين من الدين الإسلامي ،وتكلّم بعض المسلمين عن أمور حذّروا من الكلام عنها فضلا عن الجدل حولها سمي كلاما، وسمي هذا العلم – علم الكلام- كلاما لأنه بإزاء المنطق للفلاسفة، ومن المعلوم أنه أصبح الجدل منطقا والمنطق جدلا عند الرواقية والمدرسيين، وكثيرا ما يذكر لفظ كلم بمعنى جادل أو ناظر إذن فعلم الكلام هو جدل، ويمكن أن نعتبر أن علم الكلام هو مرحلة من مراحل تطور الجدل في البيئة العربية الإسلامية.

المطلب الثاني: جدال الفرق السياسية (العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام)

تمهيد: ترجع أسباب ظهور علم الكلام إلى عوامل في البيئة الإسلامية نفسها وأبرزها عامل الافتراق بين المسلمين الذي كان منشؤه اختلاف نظرهم حول الإمامة منذ أن توفي الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مقتل عثمان ثم الخلاف الذي وقع بين علي و طلحة والزبير وعائشة وأسفرت عنه وقعة الجمل، والخلاف بين علي ومعاوية الذي أدّى إلى معركة صفين وتولى معاوية الخلافة بعد خدعة التحكيم، وانتقل الحكم من الخلافة إلى الملك ،وتطورت الأحداث إلى أن قتل الحسين بن علي في وقعه كربلاء وظهرت ثلاث فرق من أهم الفرق الإسلامية وهي الشيعة والخوارج والمرجئة.

أولا: جدل الشيعة:

الشيعة هم الذين يقولون أن أهل البيت أولى بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلي هو أولى أهل البيت للخلافة، وكان جمع من الصحابة يرون أن علي أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهما، ومن هؤلاء عمار، وأبو ذر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله وغيرهم(1)وأما المغالون من الشيعة المتطرفون، فقد رفعوا عليا إلى مرتبة النبوة.

وأمّا جدال الشيعة فلهم طريقة معينة وهي " أن يجيئوا إلى المسلم على براءته، وصفاء نفسه من دون المذاهب ويذكروا له بالثناء آل البيت ويعطرّوا ألسنتهم بمدحهم، وأي مسلم لا يهتز قلبه لآل البيت، ولا يتقبل بقبول حسن عبيق ذكرهم وأريج مدحهم ،وهم سلالة النبيء صلى الله عليه وسلم، وعترته وعصبته وأقربائه الأطهار الأبرار، فإذا أسندوا سامعهم بعطر الثناء، ذكروا المظالم الواقعة بهم والمآثم التي ارتكبت في جانبهم، وأي امرئ لا يألم لظلم نازل بالأبرار، فإذا أحسّوا من نفس سامعهم دنو قلبه من قلوبهم وفكره من أفكارهم، هجموا عليه بترهاتهم وأباطيلهم وأهوائهم الفاسدة، فمن عصمه الله نجا واكتفى بمحبة الطاهرين، ومن كتب عليه الشقوة سقط فكان مع الآثمين، ويعتمدون في تأييد ترهاتهم إلى كثرة التحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم في فضائل آل البيت... وإذا عوزهم النص ... اتجهوا إلى التأويل الفاسد لا يعقله عقل... وإذا أمحلت بهم الحجة، وضعف لديهم الدليل وخشوا مجادلهم، زعموا أنّه لم يطق ما يعتقدون، ولم يدرك فكرة ما وصلوا إليه وما تعمقوا فيه".[1]

(1) ينظر أحمد أمين: فجر الإسلام ط10،دت، دار الكتاب العربي.بيروت لبنان، ص266 - 267 .وينظر تاريخ الجدل محمد أبو زهرة، ص 121.

[1] - محمد أبو زهرة : تاريخ الجدل، ص 133 .

وما يمكن ملاحظته أن الذين يتصدون للجدل أغلبهم من الغلاة وأما المعتدلين فقد كانت دعاواهم معتدلة يستشهدون بأحاديث يقرّ بها بعض المحدثين من الجماعة الإسلامية، وعلى تأويلات صحيحة.

ثانيا: جدال الخواج: الخواج هي جماعة لم ترض بالتحكيم حينما طلب معاوية من علي رفع المصاحف وقالوا قولتهم المشهورة " لا حكم إلا لله" وسمّوا بذلك محكمة لأنهّم رأوا أن التحكيم خطأ، ولما أسفرت نتيجة التحكيم على مبايعة معاوية وعزل علي ،ذهبوا إلى حروراء وسمّو بحرورية وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي إمامًا لهم وحاربهم علي في معركة النهروان الشهيرة وانقسم المحكمة إلى متطرفين آثروا الانتقام وتكفير من خالفهم من أهل القبلة واستحلّوا دماءهم وأعراضهم وأموالهم وسموا هؤلاء بالخوارج وانتقسموا إلى فرق كثيرة كالأزارقة والنجدات والصفرية ،ومعتدلين اختاروا كظم الغيظ ومقابلة الاساءة بالإحسان والعنف بالحكمة وحكموا على مخالفيهم بالتوحيد وحرسوا دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم وسمي هؤلاء فيما بعد بالإباضية.

أمّا ما يتعلق بجدلهم فإنهم يمتازون بصفات كثيرة جعلتهم أناسًا يحسنون المجادلة وأبرز هذه الصفات الفصاحة وطلاقة اللسان، ومعرفة طرق التأثير على السامعين بالبيان ومخاطبة الوجدان زادهم ذلك رباطة الجأش وثبات الجنان،"روي أنّ عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم، فبحثه فجعل يبسط له من قولهم ويزين له من مزهيهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعاني قريبة، فقال عبد الملك بعد ذلك لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم، وأني أولى بالجهاد منهم"[1] وكانوا عالمين بالكتاب والسنة وأشعار العرب، وذكاء شديد، وعارضة قوية وحضور البديهة. ومن أشهر المجادلات جدالهم مع علي وجدالهم مع عبد الله بن عباس.

ثالثا: جدال المرجئة:

ظهرت المرجئة بموقفها المحايد وهو إرجاء وتأخير حكم المخالفين الذين يسفكون الدماء إلى يوم القيامة، حينما كفّر الخوارج عليًا وعثمان والقائلين بالتحكيم وكفّر الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان ومن ناصروهم وكلاهما كفّر الأمويين ولعنوهم، فقال المرجئة لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة " فالخوارج والشيعة والأمويون مؤمنون وبعضهم مخطئ وبعضهم مصيب... فبنو أمية يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فليسوا إذن كفارا ولا مشركين بل مسلمين نرجئ أمرهم إلى الله الذي يعرف سرائر الناس ويحاسبهم عليها وينتج عن هذا أن موقفهم أزاء الأمويين موقف تأييد ولكنه تأييد سلبي لا إجابي... وهم على ما يظهر يرون حكومة الأمويين حكومة شرعية"(1)وأول من قال بالإرجاء هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب " ولقد ظهر بين المرجئة طائفتان من الغلاة تقول أنّه يكفي في الإنسان القول باللسان، وإن اعتقد الرجل الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل، والأخرى ترى أن الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن صاحبه الكفر بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان أو تنصر ومات على ذلك، فهو مؤمن من أهل الجنة"(2).

أما ما يتعلق بجدال المرجئة فنجدهم يبتعدون عن الخوض في أي حديث سياسي أو ديني " ونزعة عدم الدخول في الحروب التي بين المسلمين بعضهم لبعض هي الأساس الذي بنى عليه مذهب الإرجاء"(3)ويروي أن ثابتا بن قطنة قد جالس قوما من الشعراء وقوما من

---

[1] ـ المصدر نفسه ، ص161 .

(1) أحمد امين: فجر الإسلام، ص 280.

(2) محمد علي أبوريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام،ص127.

(3) المصدر السابق، المكان نفسه .

المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون بخرسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبه، فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها في الإرجاء منها:

نرجى الأمور إذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار أو عندا
المسلمون على الإسلام كلهمو والمشركون استوءا في دينهم قدرا
كل الخوارج مخط في مقالتــه ولو تعبد فيمن قال واجتهــدا
أما علي وعثمـان فإنـهـما عبـدان لم يشركا بالله مذعبدا
الله أعلم ماذا يحضران به كل عبد سيلقى الله منفردا

المطلب الثالث: جدال الفرق الدينية

تمهيد: لقد ميز الأستاذ الدكتور أحمد محمود صبحي في صدد حديثه على علم الكلام مرحلتين مرّ بها الإسلام وهما مرحلة الإيمان القلبي ومرحلة النظر العقلي فقال " لقد مر الإسلام بمرحلتين مرحلة الإيمان القلبي والتصديق والتسليم والتقديس إذ يضر الدين في شأنه أن تعصف به الأهواء والجدل وتشتت الآراء كما يضر بالنبتة الحديثة الغرس أن تعصف بها الأنواء، فلم يكن سائل على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل عن كيفية الاستواء في قوله تعالى" الرَّحْمَانُ عَلى العَرْشِ اسْتَوَى "[1] وإن سأل فإنه يلقى الجواب الذي رد به مالك بن أنس " الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب" وقد خشي المسلمون الأوائل أن يكونوا من أهل البدع الذين قال الله تعالى فيهم" فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ "[2]، ولكنّهم أراد أن يكونوا حسب تكملة الآية " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ "[3] ولكن الدين – أي دين – لابدّ أن ينتقل المومنون به إلى مرحلة ثانية فيها بحث ونظر وصياغة فلسفية للعقائد الدينية، قد يرجع ذلك إلى أن حب الاستطلاع طبيعي في البشر فالناس جمعيا قد وهبوا الاستعداد للنظر العقلي والتفكير الفلسفي " وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا "[4]،[5].

ومن أسباب نشوء علم الكلام وجود آيات متشابهات غير واضحة المعنى واختلف المسلمون في تفسيرها، منها تلك الآية التي يعطي ظاهرها اختيار الانسان في تصرفاته وأفعاله ويشعر بمسؤوليته الخاصة في هذه التصرفات ،" إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا "[6]، " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ "[7]، " مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ"[8] ،" وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا "[9]،وآيات أخرى يدلّ ظاهرها على أنّ الانسان مجبر وتصرفاته منسوبة إلى إرادة الله " وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى "[10] ، " مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ "[11] ،ولقد وجدت آيات ظاهرها حجة على التشبيه كقوله تعالى: " وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا

---

[1] - سورة طه، الآية 5 .
[2] - سورة آل عمران الآية 7 .
[3] - نفس السورة نفس الآية .
4 - سورة الكهف الآية 54 .
5 - أحمد محمود صبحي: في علم الكلام ج1، (المعتزلة)، ص8 ، 9 .
6 - سورة الإنسان الآية 3 .
7 - سورة الكهف الآية 29 .
8 - سورة النساء الآية 79 .
9 - سورة النساء الآية 111 .
10 - سورة الأنفال الآية 17 .
11 - سورة الأعراف الآية 178 .

بمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ "[1] وقوله تعالى: "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ" [2]وقوله تعالى: " الرَّحْمَانُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى "[3] ،كما وردت آيات دالة على عظمة الله اتخذها المنزهة أساسا لمذهب التنزيه والمخالفة الذي ينزه الله من جميع المخلوقين القابلة للتغير، وإثبات مخالفة ذلك باتصافه بصفات يشترك معه البشر في جواز الاتصاف بها، ونتج عن هذا ظهور الفرق الدينية كالقدرية والجبرية والمعتزلة [4]

أولا: جدال القدرية (غيلان الدمشقي، معبد الجهني):

القدرية مذهب ديني يرى أنّ الانسان حر الإرادة وله قدرة على أعماله ،ويسمون أصحابه بأصحاب الإرادة الحرة ،وتشير المصادر إلى أنّ أول من تكلم في القدر هو معبد الجهني وغيلان الدمشقي، أمّا معبد فقد وصفه الذهبي في ميزان الاعتدال إنّه تابعي صدوق، لكنّه أول من سن سنه سيئة، فكان أول من تكلم في القدر[5] وقد خرج ،وتشير المصادر أن غيلان تعلّم عن معبد الجهني وهو أبو مروان غيلان بن مسلم ،وجعله القاضي عبد الجبار على رأس الطبقة الرابعة من المعتزلة ،ولمّا وليّ هشام بن عبد الملك قبض عليه وقطع يديه ورجليه ثم قطع لسانه وكسر فكيه حتى مات"(3)،ولقد انتشر القول بالقدر في العصر الأموي واشتدّ الجدل بين المتخاصمين ،بين دعاة الجبر ودعاة الاختيار " ولقد أخرج الحجاج معبدا من السجن لقتله فقال له كيف ترى قسم الله لك؟ فقال يا حجاج بينك وبين قسم الله فإن لم يكن لي قسم إلا هذا رضيت به، فقال له الحجاج يا معبد أليس قيدك بقضاء الله فقال يا حجاج ما رأيت أحدا قيدني غيرك فأطلق قيدي فإن أدخله قضاء الله رضيت به"(4).

ولقد ناقش غيلان الدمشقي عمر بن عبد العزيز ينتقد مبدأ الجبر فقال له" هل وجدت يا عمر حكيما يعيب ما يصنع أو يصنع ما يعيب،أو يعذب على ما قضى أو يقضي ما يعذب عليه، أم هل وجدت سيدا يدعو إلى الهدى ثم يصد عنه، أم هل وجدت رحيما يكلّف العباد فوق الطاقة أو يعذبهم على الطاعة؟ ،أم هل وجدت عادلا يحمل الناس على الظلم والتظام بينهم وهل وجدت صادقا يحمل الناس على الكذب والتكاذب بينهم؟ ،كفى بيبان هذا بيانا وبالعمي عنه عمى ، ويروي عنه أنّه لما ناقشه عمر بن عبد العزيز كشف شهبته وأزال غمته، وقطع حجته، فقال هذا والله ياأمير المؤمنين، ولقد جئتكم ضالا فهديتني، وأعمى فبصّرتني، وجاهلا فعلّمتني ،والله لا أكلم في شيئ من هذا الأمر" ولما مات عمر عاد إلى رأيه وأخذ يدعو إليه.

ثانيا: جدل الجبرية:

فمذهب الجبر هو عكس مذهب الاختيار فالجبر هو كون الإنسان مجبورا لا يوصف بالاستطاعة وأن الله قدّر عليه أعمالا لابدّ أن تصدر منه ،وأن الله يخلق فيه الأفعال من الإنسان يصدرها الله فيه وتنسب إلى الإنسان مجازا كما تنسب إلى الجمادات فكما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وطلعت الشمس وأمطرت السماء وأنبتت الأرض ،كذلك يقال: كتب محمد وقضى القاضي وأطاع فلان، وعصى فلان، كلها من نوع واحد عن طريق المجاز والثواب والعقاب جبر"[6] .

---

1 - سورة المائدة الآية 64 .

2 - سورة القمر الآية 14 .

3 - سورة طه الآية 5 .

4 - ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص188 .

5 - أنظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام (المعتزلة)، ج1، ص 178 - 179 .

6 - أحمد أمين: فجر الإسلام،ص 286 - 287.

وأشهر من قال بالجبر جهم بن صفوان ولم يشتهر الجهم بمسألة الجبر بل له رأي آخر وهي نفي الصفات، وأنكر الرؤية يوم القيامة، والإيمان عنده معرفة بالقلب فقط، وقال بفناء الجنة والنار(فناء الخالدين) وتعد الجهمية من أصول المعتزلة لأنها وافقتها في بعض مبادئها[1] ويعد جهم بن صفوان تلميذًا للجعد بن درهم أول من نادى بفكرة التأويل العقلي في الإسلام[2] .

ومن أمثلة جدل الجبرية مع القدرية مايلي: " قال الجبري: القول بالجبر لازم لصحة التوحيد ولا يستقيم التوحيد إلا به، لأنّنا إن لم نقل بالجبر أثبتنا فاعلا للحوادث، مع أنّ الله إن شاء فعل وإن لم يفعل، وهذا شرك ظاهر، لا يخلص منه إلاّ القول بالجبر قال السنيّ: بل القول بالجبر مناف للتوحيد، فهو مناف للشرائع، ودعوة الرسل والثواب والعقاب، فلو صح الجبر لبطلت الشرائع وبطل الأمر والنهي ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب. قال الجبري: ليس من العجب دعواك منافاة الجبر للأمر والنهي والثواب والعقاب، فإنّ هذا لم يزل يقال وإنّما العجب دعواك منافاته للتوحيد، وهو من أقوى أدلة التوحيد..."[3].

ومن أشهر مجادلات جهم بن صفوان جداله مع السمنية، ولقد لقي أحد السمنية الذي قال له: أريد مناظرتك، فإن ظهرت حجتي عليك دخلت في ديني، وإن ظهرت علي دخلت في دينكم ،فكان ممّا كلّمه به الجهم أن قال: ألست تزعم أن لك إلاها؟ قال الجهم: بلى، فقال له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا قال: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قال: فشممت له رائحة؟ قال: لا، قال فوجدت له جسما؟ قال: لا، قال: فوجدت له محسا؟ قال لا قال فما يدريك أنه إله، فأخذ الجهم في محاجة السمني بمثل حجته فقال: ألست تزعم أن فيك روحا قال: بلى، قال فوجدت له حسا؟ قال. لا قال فكذلك الله لايرى ولا يسمع له صوت ولا تشم له رائحة ،وهو غائب عن الأبصار ويكون في مكان دون مكان[4].

ثالثا: جدل المعتزلة:

لاتعدّ المعتزلة أول الفرق الدينية فقد سبقتها كل من الجهمية والقدرية غير أنّ المعتزلة تعد أهم الفرق التي تعرّضت للجدل في العقائد في نسق مذهبي متكامل [5]، وتكونت المعتزلة على أنقاض الجهمية والقدرية[6] ،ويقول عنهم خصومهم " أنهم أرباب الكلام " " وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والإستنباط والحدد على من خالفهم"[7] ويقول عنهم الإسفرابييني وهو من الخصوم :...إنّهم أول فرقة أرسوا قواعد الخلاف"[8]

وتعد المعتزلة من أجرإ الفرق على تحليل أعمال الصحابة ونقدهم وإصدار الحكم عليهم..وكانوا في منتهى الصراحة في إبداء رأيهم"[9] وللمعتزلة أصول ومبادئ خمسة وهي شروط للإنضمام إليها وهذه الأصول هي التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[10].

---

1 ـ المصدر نفسه، المكان نفسه .

2 ـ ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1،ص 329 - 333 .

3 ـ محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 183 .

4 ـ ينظر الدمشقي (جمال الدين): تاريخ الجهمية والمعتزلة،دط، دت ،مطبعة المنار عام 1331هـ، ص16 .

5 ـ ينظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، (المعتزلة)،ص 99.

6 ـ أنظر أحمد أمين: فجر الإسلام، 287.

7 ـ الملطي (أبو الحسن محمد أحمد الشافعي): التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، طبع سنة 1949، تحقيق زاهد الكوثري ص40.

8 ـ الإسفرابييني: التبصير في الدين تحقيق زاهد الكوثري،ص53.

9 ـ أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 294.

10 ـ ينظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام (المعتزلة)،ص 115.

أما ما يتعلق بجدلهم فإن علم الكلام تكون من مناظراتهم مع خصومهم سواءا أكانوا من الأهواء كالرافضة والمجوس والثنوية أم من رجال الفقه والحديث أم من الأشاعرة والماثردية، ومن خصائص جدلهم أنهم يجتنبون تقليد الإتباع، واعتمادهم على العقل في إثبات العقائد والفصاحة البيان[1].

المطلب الرابع: جدال المعتزلة (العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام)

أولا: علاقة المعتزلة بعلم الكلام: أمّا علاقة المعتزلة بعلم الكلام فإنّها لا ترجع إلى دورها البارز فيه فحسب أو أنّها تمثل النزعة العقلية في الفكر الإسلامي فقط ،بل إلى مكانتها في الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها ،ولا يعني بذلك فقط أنّهم كانوا أشد المدافعين عن الإسلام فكرا ضد أصحاب الديانات الأخرى، وإنّما هناك خصائص حضارية اتصفت بها المعتزلة وأبرزها أنّ المسار التاريخي للمعتزلة كان موازيا لمسار الحضارة الإسلامية ازدهارا إنحطاط ،فازدهار الإعتزال جعل الحضارة الإسلامية مزدهرة في القرن الثالث الهجري كما أنّه عند غياب المعتزلة عن مسرح الحياة الإسلامية صاحب تدهور الحضارة وإنحطاطها[2].

ثانيا: منهج جدل المعتزلة: أمّا منهج جدل المعتزلة فقد بدأ بسيطا حول مسائل كانت شائعة لدى المسلمين، كمسألة مرتكب الكبيرة، وصفات الله ،ومنها أفعال العباد، ورأيهم في القرآن وبدأ هذا المنهج على يد واصل بن عطاء في هذا العصر، ثم تكونت آراء المذاهب شيئا فشيئا بسبب العلوم الدخيلة وبسبب اختلاطهم بالأمم الأجنبية في العصر العباسي ،وتطور أكثر فأكثر ووصل الذروة نضجا واكتمالا عند علماء الطبقة الثانية كأبي الهذيل والنظام، وتركّزت أصول المذهب في الطبقة الثالثة وسلكت طريقا فلسفيا يكاد يكون علميا وأكبر دقة وتمحيصا في بحث الآراء الكلامية وانتهت هذه الدقة بمذهب الأحوال عند أبي هاشم [3]،وأما طريقتهم في الاستدلال على عقائدهم فقد كانوا يعتمدون على القضايا العقلية دون الآثار النقلية، وكانوا يثقون في العقل فما وافق العقل أقرّوه، وما رفضه العقل نبذوه [4]

ومن أبرز أقطاب المعتزلة في هذا العصر كما أسلفت واصل بن عطاء.

ثالثا: واصل بن عطاء وجداله:80هـ-131هـ):

ولد بالمدينة سنة 580م كنيته أبو حذيفة ولقب بالغزّال وكان من الموالي، كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء ،وكان غزير العلم حاضر البديهة ،يقضي نهاره في الجدل وليله في تحصيل أدلة مذهبه ،حتى قالت عنه زوجته أنّه إذا كان جن الليل صف قدميه يصلي، ولوح ودواة بجانبه فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم عاد لصلاته،" وكان أديبا فصيحا، لسنا قادرا على أن ينشئ كلامه على بديهة وكان قويّ الحجة مع شهرته للصمت الطويل وعدم الكلام الكثير ،حتى كاد أن يتهم بالخرس ولقد أحاط بمذاهب أهل عصره، وكان زاهدا في الدنيا كثير الخوف من الله [5]فلذلك مثّل خصائص المعتزلة أصدق تمثيل، ويمثّل عمل واصل بن عطاء جوهر عمل المعتزلة الحقيقي ،وهو نفرتهم للمجادلة والدفاع عن الإسلام ضد أعداء الإسلام

---

[1] - ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 209 - 211 .

[2] - ينظر المصدر السابق، ص106 .

3 - ينظر مصطفى الغرابي: تاريخ الفرق ونشأة علم الكلام، ط1، مطبعة السعادة مصر، الناشر المكتبة الحسينية، ص 274 - 275 .

4 - أنظر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 200 - 201.

5 - ينظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، المعتزلة، ص181 وينظر أحمد أمين: فجر الإسلام ص 300، وينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي،ج 1، ص0381.

كالغنوصية[1] والرافضة والدهرية والصائبة والزنادقة ،وشغلت مجادلات هؤلاء كل خواطره حتى أنّه كان يهمل بعض شأنه الخاص ،ولم يكن جدله مع المناقضين للإسلام، وكان يجادل كثيرا من المسلمين المخالفين له في مذهبه في العقائد[2]، ولم يكتف واصل بمجادلته الكتابية والخطابية، بل بعث بتلاميذه إلى أرجاء العالم الإسلامي ليناظروا المخالفين ،فبعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب ،وبعث حفص بن سالم إلى خراسان لمناظرة جهم القائل بالجبر ،وبعث إلى اليمن وإلى الجزيرة وإلى أرمينية.[3] ومن أبرز آرائه صفات الله غير ذاته، القول بالقدر أو الحرية إرادة الإنسان، القول بالمنزلة بين المنزلتين [4].

أمّا جدله فكان " من أقدر أهل عصره على الجدل والخصام، وملاقاةالخصم بقدم أثبت من قدمه، وبرهان أسطع من برهانه... وجامعا لكل الصفات التي تقتضي الغلبة في النقاش، والسبق في ميدان المناظرة، فراسته صادقة، وجنان رابط ،وجأش ثابت، وعقل رزين، لايطيش ،وبديهة حاضرة، وقدرة على التصرف في الأمور، لايعتريه حصر، ولا يأخذه فزع، وعلم غزير وإحاطة كاملة"[5] وبهذا كان واصل بن عطاء أكبر الأثرفي إرساء قواعد الإعتزال[6].

ومن أبرز مناظراته ومجادلاته مناظرته وجداله لعمرو بن عبيد "لمّا فارق واصل مجلس الحسن البصري أرسل إليه عمرو بن عبيد يناظره قال واصل لم قلتم من أتـى كبيرة من أهل القبلة استحق اسم النفاق؟ فقال عمرو لقوله تعالى:" وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[7]فكأنّ كل فاسق منافق إذا كان ألف المعرفة ولامها موجودين في الفاسق قال واصل: أليس وجدت الله يقول :" وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ"[8]،وأجمع أهل العلم أنّ صاحب الكبيرة أهل من أهل القبلة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألاّ كفرت صاحب الكبيرة من أهل القبلة بقوله تعالى" وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ "[9]،فعرّف بالألف ولام التعريف كما قال تعالى في القاذف " وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ "[10]فسميته منافقا لقوله تعالى:" "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ " [11]يا أبا عثمان أيما أولى أن نستعمل في المحدثين من أمتنا ماإتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة، أم ما اختلفوا فيه فقال عمرو: بل ما تفقوا عليه أولى فقال واصل ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه... فالواجب أن يسمىّ بالإسم الذي اتفق المختلفون عليه وهو الفسق...فقال عمرو: مابيني وبين الحق

عداوة، والقول قولك...وإنّي اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب"[12].

---

1 - ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، ج1 ،ص 387.
2 - ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل ص351 - 353.
3 - ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام ج3، ص300 وأنظر نفس المصدر: ص353.
4 - ينظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، المعتزلة، ص 183.
5 - محمد ابو زهرة: تاريخ الجدل، ص350.
6 - ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الإسلامي، ج 1 ص384.
7 - سورة النور الآية 4.
8 - سورة المائدة الآية45 .
9 - سورة البقرة الآية 254 .
10 - سورة النور الآية 4 .
11 - سورة المائدة ،الآية46.
12 - محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل،ص 214 - 217.

المطلب الخامس: جدال الإسلام ضد الديانات (العوامل الخارجية لنشأة علم الكلام)

تمهيد: وجد المسلمون في البلاد التي فتحوها في الشام ومصر والعراق وبلاد فارس والهند خليط من الأديان من مسحية ويهودية وبوذية ووقع جدال بين المسلمين وأرباب هذه الديانات.

أولا: الجدل بين الإسلام والمسحية

ولقد احتك المسلمون بالمسحيين الذين يعيشون بين ظهرانيهم وكان الجدل بين المسلمين والنصارى في بداية الأمر ليّنا رقيقا ومالبث أن اشتد الجدل في عهد الأمويين ووقع جدال عنيف بين يوحنا الدمشقي والمسلمين حول وحدة الله وطبيعة الكون، ولقد اعتبر يوحنا الدمشقي الإسلام عقيدة فسلفية وأعد العدة لمواجهتها، وابتكر أصول الجدل مع هذه العقيدة ،وبين للمسحيين طريقة مناقشة العقائد الإسلامية ،وألف كتابا عارض فيه الإسلام مدافعا عن المسحية حول شخص السيد المسيح: إذا قال لك المسلم ما تقول في المسيح في القرآن؟ وليسكت فلا يتكلم بشيئ حتى يجيبه المسلم قائلا كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه فإن أجاب بذلك فسأله: كلمة الله وروحه مخلوقة أم غير مخلوقة؟ فإن قال مخلوقة فيرد عليه بأن الله إذن ولم تكن له كلمة روح، قال يحي :قلت ذلك فسيفحم المسلم لأنّ من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين" [1]ولقد وجد المسلمون المسحيين مختلفيين ومتفرقين فكانت الكنيسة النصرانية منقسمة إلى ثلاثة أقسام كبرى هي الملكية واليعاقبة والنساطرة[2] وكان بين هذه الفرق جدال ونزارع ويشمل جدلهم قضيتين أولاهما الجدل بين الإسلام والمسحية هي مسألة الوحدة والتعدد الكلمة وانتقال الجوهر الإلهي وتحيزه وقبوله للأعراض، ولقد أنكر المسلم أفكار التعدد والتثليث وقبول الله للأعراض والتحيز.

ثانيا:الجدل بين الإسلام واليهودية

دخل المسلمون الشام واستولوا على اليمن، وكان فيها عددا من اليهود، ولقد نزح عدد كبير منهم إلى الكوفة بعد أن بناها المسلمون، بدأت منذ ذلك العهد مجادلات عنيفة بين المسلمين وأمّا أثر اليهودية على الإسلام فنجد اليهود أول من دعا إلى فكرة القدامة المنسوبة إلى علي من قبل عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا قبل إسلامه ،ويذهب بعض المؤرخين أنّ بعض الصحابة وخاصة أباذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وبعض الصحابة الصغار كمحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة قد وقعوا في أحابيل الرجل، وتعتبر أفكار الرجعة والبداء والمهدي، وغيرها من الآراء الشيعية يهودية الأصل بالإضافة إلى تأثر الكيسانية الشديد بالآراء اليهودية [3]،ومما يدل على اتصال اليهود بالفكر الإسلامي ماحدث بعد ذلك من تأثير الحركة الاعتزالية في إنشاء اتجاه عقلي لدى العبرانيين في المشرق مثله إسحاق الإسرائلي(م 321هـ)وسعديا ابن يوسف(م330هـ)الذي كتب ترجمة قريبة للتوراة والأجزاء الأخيرة من الإنجيل، كما ألف كتابا هاما العقائد.

أما ما يتعلق بالجدل بين المسلمين واليهود فقد " تعرّض إياس بن معاوية(م122هـ) ليهودي كان يناقش المسلمين ويسخر من اعتقادهم بأنّ أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون فأفحمه إياس بجواز أن يجعل الله كل ما يأكله أهل الجنة غذاء قياسا على مايصير غذاء من طعامنا الذي

---

[1] - أحمد محمود صبحي: في علم الكلام المعتزلة، ص 15 - 16.

[2] - ينظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص263 .

[3] - ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1 ،ص68 - 69.

نأكله في الدنيا [1]،وعن الهذيل المولود(135هـ)إذ تعرض وعمره خمسة عشرة سنة لمناقشة يهودي بالبصرة، وقف على الناس يقرر نبوة موسى باتفاق معهم، وناقشه وقطعه حاول اليهودي استشارته ليستعطف الجماهير إذا ما غضب عليه، فلم يمكنه أبو الهذيل من ذلك وفوت عليه فرصة تقدمها له البيئة في حرصها على حرية الجدل والمناقشة، في أخطر الأمور"[2]

ثالثا: الجدل بين الإسلام والهندية

اتصل المسلمون بالعقائد الهندية عن طريق البصرة سواء من فارس أو من الهند، ولقد عرف المسلمون فكرة التناسخ عن الهنود وألفوا مؤلفات لنقضها في وقت مبكر ،ولقد جادل المسلمون وناقشوا المذاهب الهندية، والهنود لا أثر لهم في الفلسفة أو في علم الكلام إنّما أثرهم في التصوف، ولقد عرف المسلمون وحدة الوجود عن طريق الهند وعن طرق أخرى، ولقد رأى بعض المؤرخين أن الهندية أثرت في زهاد المسلمين ،كما ذهب بعض المسلمين إلى وجود ما يشبه الجوهر الفرد عند الهنود، وعرف المسلمون مذهب البوذية وطريقها في الخلاص[3] ولقد أثرت عقائد الهند على المذاهب الإسلامية في إثارة موضوع النبوة والكتابة فيه وفي وسيلة المعرفة، الطريق إلى المعرفة الله[4]، ولقد لعبت عقيدة التناسخ دورا هاما في التأثير على المذاهب الإسلامية " وممن تطرق إليهم القول له أبو العيناء متهكما بعقيدته في الرجعة: أعطني دينارا بمائة درهم إلى الرجعة فيقول له السيد الحميري على أن توصي لي بمن يضمن أنك ترجع إنسانا أخاف أن ترجع قردا أو كلبا فيذهب مالي"[5]ولقد تصدى مفكروا الإسلام لهم ولدينا قصة معمر بن عياد السلمي عالم المعتزلة الكبير وبعثه إلى الهند لمناقشة علمائهم في الأديان[6] " وعن المرتضى يذكر أن السمنية ناظروا جهما في مسألة المعرفة فقطعوه، إذ سألوه: هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟ قال: لا قالوا فدثنا عن معبودة هل عرفته بأيها؟ قال: لا..قالوا هو إذن مجهول... وعن ابن المرتضى أن جهما إستعان بواصل في الرد عليهم، فأرسل إليه يقول: إن هناك وجها سادسا للمعرفة، هو الدليل الذي يميز الإنسان بين الحي والميت" " وإن جهما رد عليهم بأ، قال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحا؟ قال: نعم فقال: هل رأيت روحك؟ قال: لا قال: فسمعت كلامه؟ قال: لا قال كذلك الله لا يرى له وجه ولايسمع له صوت ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان"[7].

رابعا: الجدل بين الإسلام والغنوصية

الغنوص أو الغنوسيس هي كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة وهي ديانة ملحدة وتعتبر الغنوصية لدى الغنوصيين أقدم وحي أوحى به الله وعقائدهم هي أقدم العقائد، في الوجود ويقولون بوجود الإلهين إله الخير وإله الشر إله الخير هو النور وإله الشر هو الظلمة، ومن أبرز فرق الغنوصية الكيومرث، الزروانية، الزرادشية، ولقد سميت هذه الأخيرة بالمجوسية (هم عبدة النار) وقد إعتنق زرادشت النار وآمن بها وقدسها، فأصبحت رمزا للملة المجوسية والديصانية والمانوية والمزدكية والمندائية والطائفتين المانوية والمزدكية بعد غنوصهما أخطر غنوص على العالم الإسلامي ولقد نقدت المانوية إلى العالم الإسلامي لتحاول القضاء على الإسلام وتمزيقه وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية بتفريقتها إلى فرس وعرب وما لبثت عقيدة

---

[1] ـ يحي هاشم حسن فرغل: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، جوانب التفكير في العقيدة الإسلامية، الكتاب الثاني، دط، دت، من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية،1392 هـ -1972م، ص166.

[2] ـ المرجع نفسه .

[3] ـ ينظر على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1،ص 219 - 222.

[4] ـ ينظر يحي هاشم حسن فرغل: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، ص204 .

[5] ـ المرجع نفسه، ص202 .

[6] ـ ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1،ص220 .

[7] ـ المصدر السابق، ص201 .

الغنوص أ، توجه ضربتها إلأى الإسلام والمسلمين فقاومها أبات جعفر المنصور ولكن هذه العقيدة لم تمت بل أثرت على الفرق الإسلامية كغلاة الشيعة فهؤلاء كانوا على صلة وثيقة بالمجوسية ويكفي للتدليل على ذلك الإشارة إلى الخداشية والحباحية والأبو مسلمية والزرامية والمقنعية والمنصورية والخطابية والغيرية والباطنية.

أما ما يخص الجدل ضد هذه الفرقة فقد قاوم المتكلمون الأوائل الطوائف الغنوصية مقاومة عنيفة بل يكاد السبب الحقيقي لقيام المتكلمين هو مناهضة الغنوص، ولقد تتبع أبو جعفر المنصور الزنادقة بالقتل، وأمر المتكلمين في عصره بوضع الكتب يردون على الملاحدة ممن نقلت كتبهم إلى العالم الإسلامي، ويوجد من يرجع سبب قيام المعتزلة هو مرافعة التنوية والزنادقة والرد عليهم، ويرى بعض المستشرفين أن المعتزلة وهي أول مدرسة كلامية إسلامية توصلوا إلى كثير من أصولهم ومسائلهم من كفاحهم المانوية ومن الذي حملوا لواء هذا العمل أي القضاء على العقائد الغنوصية واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والعلاف والنظام..وقام بجدالهم الخياط والجاحظ والقاضي عبد الجبار وتولى الأشاعرة مهاجمتهم وخاصة البافلاني والغزالي[1].

المبحث السابع: الجدل في العصر العباسي

تمهيد:

في هذا العصر تطور المجتمع العربي الإسلامي وزاد حظ الناس من الثقافة والتعليم ،والتقى الفكر الإسلامي بالعلوم والفلسفات الأخرى وأهمها الفلسفة اليونانية، كما استمرت الفرق والمذاهب ونمت وتطورت ومنها المعتزلة وحاول رجال هذه الفرق تحديد مبادئها وفلسفاتها، وبلغت حركة الترجمة والتأليف أوجها في هذا العصر ،وشملت جميع العلوم والفنون ،هذا راجع إلى اهتمام الخلفاء والأمراء بالعلوم والفلسفة والثقافة، ومن أهم عوامل نشأة علم الكلام في هذا العصر – العوامل الخارجية – إلتقاء الفكر الإسلامي بالفكر اليوناني قبل وبعد الترجمة، وأيضا من أهم العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام تطور مذهب الإعتزال عند قطبين من أهم أقطاب المعتزلة في هذا العصر وهما أبو الهذيل العلاف وأبو اسحاق النظام ،فضلا عن أنّ أهم قضية ثار حولها الجدل في هذه الفترة قبل أفول نجم المعتزلة هي قضية خلق القرآن التي أصبحت قضية الدولة في خلافة كل من المنصور والمأمون والواثق وفي خلافة المتوكل بدأ مذهب الإعتزال في التراجع والزوال إلى أن أصبح أثرا بعد عين ،وانقضى الجدل أو بالأحرى علم الكلام بانقضائها.

المطلب الأول: حركة الترجمة (العوامل الخارجية لنشأة علم الكلام)

أولا: التقاء الفكر الإسلامي بالفكر اليوناني قبل الترجمة

ليست الترجمة أول مظهر من مظاهر التقاء الفكر الإسلامي بالفكر اليوناني وإنّما سبقها إلى ذلك الصلة العلمية عن طريق الإختلاط في المجالس أو النقاش ،والأحاديث الشفوية وعن طريق المدارس الفلسفية العلمية(1) " ولقد أثبتت الأبحاث الحديثة بصورة قاطعة أنّ مراكز

---

[1] ـ ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الصفحات من 186 إلى211 وينظر يحي هاشم حسن فرغل: عوامل نشأة علم الكلام في الإسلام، ص 192- 195 .

(1) ـ ينظر محمد البهي: الجانب الإلاهي ج1ص263-265.

البحث الفلسفي كانت منتشرة في العالم القديم الذي فتحه المسلمون ،وأنّ هذه المراكز لم يتوقف عملها العلمي"(2).
ومن أهم المدارس التي اتصل بها المسلمون وتعرفوا على رجالها مدرسة الإسكندرية، وجند نيسابور وحران ،وظلت هذه المدارس قائمة ولم يتوقف عملها العلمي إلى العصر العباسي و" كما وجدت مدارس علمية وفلسفية في الإسنكردية وأنطاكية وحران، وجدت مدارس فلسفية وعلمية في الرها و نصيبين والمدائن وتعرف المسلمون على هذه المدارس ورجالها وكذا مناهجها ومن مظاهر التقاء الفكر اليوناني بالفكر الإسلامي أنّ أول ترجمة تمت في الإسلام كانت بفضل خالد بن يزيد بن معاوية إذ ترجمت له كتب في الكمياء(3)
ثانيا التقاء الفكر الإسلامي بالفكر اليوناني بعد الترجمة
كانت أولى وأكثر دلائل التكيف الجديد في الفكر الإسلامي هو الإنتاج المتزايد في ترجمة الكتب التي تعالج المواضيع الفلسفية والعلمية إلى العربية ،وكانت حصيلة ثمانين عاما من بعد سقوط الأمويين امتلك العالم الناطق بالعربية نسخا عربية لأكثر كتب أرسطو طاليس وكبار شراح الأفلاطونية المحدثة، وبعض آثار أفلاطون ومؤلفات أخرى في الطب وشروحها ،وكذلك بعض الكتب اليونانية العلمية الأخرى وكتبا هندية وفارسية عديدة " وكان من أبرز الخلفاء العباسيين الذين قادوا حركة الترجمة هو أبو جعفر المنصور، وهارون الرشيد وعبد الله المأمون"(1).
ففي عهد أبي جعفر المنصور ترجم المقفع بأمر منه كتاب المقالات والتحاليل، وإيساغوجي لفرفريوس " والمأمون هو أول من أمر بنقل بقية فلاسفة الإغريق من الاهية، ومذاهب أخلاقية ونفسية لأنّ الباقي هو الذي يمثل الجديد في الجماعة الإسلامية إلى وقته، ويضاف إلى ذلك رغبته الشديدة في الاطلاع وماعرف عنه من الجرأة وعدم التردد في تنفيد ما صمم عليه دون اكثراث بما ينشأ عن تصرفه من نتائج"(2)
ثالثا: توظيف المتكلمين للفلسفة والمنطق كمرحلة من مراحل تطور الجدل
إنّ أكبر عامل لترجمة الفلسفة والمنطق اليوناني هو الدفاع عن الإسلام ،ومواجهة أعداء الدين الذين استفادوا من الفلسفة والمنطق اليوناني وجعلوهما وسيلة من وسائل النيل من الإسلام لذلك نجد " أنّ الحركة الكلامية في الإسلام تأثرت بالفسفة تأثرا كبيرًا فالمتكلمون من المعتزلة أخذوا من الفلاسفة آراؤهم ومعظم الأدلة التي كانوا يؤيدون بها مذهبهم، ويحاربون بها مذهب خصومهم، وهم لم يأخذوا إلاّ ما احتاجوا إليه"(3) وحاولوا وهم مؤمنون بالقرآن أن يعبّروا بعبارات تتطابق مع مبادئ الفلسفة(4)" ومن هنا لم يكن تأثر المتكلمين بالفلسفة في الغالب ناشئا عن صحة بها أو جدارة فيها، أو مشروعة لها بقدر ما كان قائما على كونها أداة الدعوة والصراع بين الأديان، في بيئة مزدحمة بأنواع كثيرة منها، وقد ترك لكل منها مجاله الحر للدفاع عن نفسه، ودعوة الآخرين للدخول فيه"(4)
ولقد ساعد على هذا كله تشجيع الخلفاء العباسيين للترجمة لنشر الثقافة والعلم بين الناس، إضافة إلى الدفاع عن الإسلام فأبو جعفر المنصور مثلا" يستهين بإنفاق الكثير من المال في

---

(2) - علي سامي المشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1ص 103.
(3) - ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام ، ط10 ، دت ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ج1، ص 255 إلى 262.
(1) - عمر التومي: مقدمة الفلسفة الإسلامية،ص65.
(2) - محمد البهي: الجانب الإ لاهي من الفكر الإسلامي ج 1 ص 275-276.
(3) - يحي هاتم حسن فرغل: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام، ص272.
(4) - أنظر أوليرى (دي لاسي): الفكر العربي ومركزه في التاريخ ط.1 1972 دار الكتاب اللبناني بيروت، ص97.
(4) - المصدر السابق، ص271.

سبيل الدفاع عن العقيدة الإسلامية، مع شدّة حرصه عليه، حتى لقب" بأبي الدوانيق"، فإذا حرص على المال وبخل به فقد كان كما يروى لمصلحة المسلمين، وإذا أنفق وزاد في الإنفاق فقد كان لمصلحة المسلمين كذلك"(1). وممن شجع حركة الترجمة المأمون الذي من اللاّزم هنا أن نورد اسماء سلسلة المؤلفات الأرسطية[المترجمة] المتوفرة لطلاب الفلسفة العرب ،فقد كان الأرغانون المنطقي بأكمله في متناول اليد بالعربية ويشمل كتابي فن الخطابة والشعر وكتاب إيساغوجي لفرفوريوس" (2).

ومن مظاهر استيعاب المتكلمين للمنطق والفلسفة الإغريقية أنّهم " كانوا يعملون بأدوات إغرايقية، فكانت المصطلحات الإغريقية والمناهج الإغريقية هي الموجهة لمحاولاتهم وجهودهم الكلامية ولكنّهم كانوا يسلّمون بالمقدمات الأساسية الإسلامية التي كان الفلاسفة يرفضونها"(3) ،والدافع الأساسي الذي جعل المتكلمين يتعلمون الفلسفة والمنطق اليوناني هو إيجاد حجة عقلية تعارض عقائد الأديان ،وتدفع شبه أهل البدع عنها والذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية فسبب جدال المتكلمين جدالا عقليا فلسفيا هو كلام أهل الإلحاد أيضا في معارضات العقائد فاحتاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضتهم.

المطلب الثاني: جدل المعتزلة في هذا العصر

أولا: جدال المعتزلة في هذا العصر (العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام

لم يبلغ الجدل في عصر من عصور الإسلام كما بلغ في النصف الثاني من القرن الثالث ،وكذلك مسار الفكر ومنطق التاريخ ،لقد ولى عصر الإيمان والتصديق حيث الصحابة والتابعون وأقبل عصر العقل والجدل حيث المفكرون والمتفلسفون ،فكان الصراع الفكري ليس فحسب بين الإسلام ممثلا في المعتزلة وبين المجوس وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ،بل بين المعتزلة وكل من المجسمة ممثلة في كل من القاتلية والكرامية والشيعة... وكان لكل فرقة أساطين، هذا إلى جانب موجة من الإلحاد يشيعها الزنادقة كوسيلة أنجع في محاربة الإسلام... ولم يكن الخلاف مقصورا بين الفرق بل بين متكلمي الفرقة الواحدة كمخالفة النظام أستاذه العلاف ،وتبادل معتزلة البصرة وبغداد النقل (1).

ومن أبرز رجال المعتزلة المتكلمين في هذا العصر أبو الهذيل العلاّف وإبراهيم بن سيار النظام " ولقد أصبح الجدل على يديهما أقرب إلى الفلسفة منه إلى البلاغة، إذ لم يصبح الجدل أسلوبا إنشائيا إنمّا تدقيق في العبارات وغموض في المعاني...وبما أنّ قيمة معمر ومكانته بين المعتزلة أنه كان أكثر تدقيقا من صاحبيه، وليس التدقيق مجرد تعديل أو تصحيح وإنّما كان من ذلك التدقيق انبثقت آراء جديدة لم يذهب إليها العلاّف والنظام، وإن كان تدقيق النظام قد جر عليه تشنيعات وافتراءات فكذلك الأمر بصدد معمر الذي يقول عنه الشهر ستاني: من أعظم القدرية فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر خيره وشره من الله تعالى"(2).

---

(1) ـ محمد البهي: الجانب الالاهي من الفكر الإسلامي ج1، ص186.
(2) ـ أوليري: الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ص101.
(3) ـ يحي هاشم فرغل: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام، ص272.
(1) ـ أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، المعتزلة، ص106.
(2) ـ المصدر نفسه، ص 276-277.

ثانيا: أبو الهذيل العلاف وجدله(ت 235هـ)

هو رئيس الاعتزال في عصره طعم مبادئ الاعتزال الفلسفية(3)" فهو فيلسوف المعتزلة الأول بل الممثل الأول للفلسفة الإسلامية إطلاقا لأنّه وضع مذهبا فلسفيا متناسقا صدر فيه عن أصالة فكرية ممتازة"(4) به وصل مذهب المعتزلة ذروة الكمال والاكتمال والنضج في موضوعاته بشهادة خصومه(5)حيث يقول عنه الملطي " لم يدرك في أهل الجدل مثله، وهو أبوهم وأستاذهم، وكان الخلفاء الثلاثة المأمون والمعتصم والواثق يقدمونه ويعظمونه، وكان الوزير ابن أبي دؤاد من تلامذته وكان لايقوم له في الكلام خصم يصوغ الكلام صياغته"(6)يقول عنه ابن خلكان:" إنه شيخ البصريين في الإعتزال ومن أكبر علمائهم، وهو صاحب المقالات في مذهبهم ومجالسهم ومناظراتهم وكان حسن الجدل قوي الحجة كثير الاستعمال للأدوات والالزامات"(7).

وهو أبو الهذيل العيدي مولى لعبد القيس ولد سنة 135هـ بعد ثلاث سنوات من قيام الدولة العباسية، ومات سنة 235هـ في أول خلافة المتوكل، وقد كان واسع الإطلاع كثير الحفظ للشعر العربي كثير الإستشهاد به فصيح القول، جيد المناظرة(1)" عاصر الحركة الفلسفية المشهورة بحركة النقل والترجمة وناقش وجادل في حضرة الخلفاء والمأمون منهم بالذات، إنه كان نقطة التحول الكبرى من المذهب المعتزلي الأول الساذج إلىالمذهب المعتزلي الفلسفي القائم على أسس منهجية ثابتة"(2).

أما جدله فإنّ أبا الهذيل يمتاز بقدرة فائقة في الجدل بحيث يغلب خصمه بكلام قليل ،لذلك نجد أنّه استطاع أن يسلم على يده زيادة على ثلاثة آلاف رجل ،ومجادليه وخصومه قد شهدوا له بالتفوق كما أسلفت ،ومما ساعده على ذلك ذاكرته القوية في حفظ الشعر حتى روي عنه أنّه استشهد بثلاثمائة بيت من الشعر في مجلس من المجالس(3)،وكان يكافح وينافح ويذود عن الإسلام أعدائه من المذاهب الملحدة بعد الاطلاع عليها اطلاعا تاما وعميقا(4) ،ولقد ناضر الحنابلة في قضية خلق القرآن ومن أطرف مجادلته مع الشكاك ما حدث بينه وبين صالح بن عبد القدوس الذي مات له ابن فذهب إليه العلاف فرآه حزينا فلمّا واساه العلاف رد صالح: جزعت على إبني لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك قال العلاف وما كتاب الشكوك؟ قال: كتاب وضعته، من قرأه شك فيما كان حي يتوهم أنه لم يكن، وفيما يكن حتى يظن أنه قد كان، فقال العلاف: فشك أنت في موت ابنك حتى كأنه لم يمت وإن كان قد مات شك أنه قد قرأ كتاب الشكوك، وإن لم يقرأه، ولقد روى عن نفسه أنه أدل من تكلم – أي جادل- كانت سنه خمس عشرة سنة وكان ذلك مع يهودي غلب عامة المتكلمين وقطعهم، إذ كان يقول لهم: أنتم متفقون معنا على نبوة موسى لكنا نجحد نبوة نبيكم فأنتم تابعون لنا فيما نحن مختلفون عليه: فلما دخل عليه العلاف أشفق عليه أستاذه عثمان الطويل ولكنه أصر، وسخر منه اليهودي قائلا، أو ترى ما فعلته يابني بمشايخك، فرد عليه العلاف: دع عنك هذا إما أن تسألني أو أسألك، فسأله اليهودي مكررا نفس مقالته: أليس موسى نبيا من أنبياء الله قد صحت نبوته وثبت دليله؟ فرد

---

(3) ـ ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام ج3 ص98.

(4) ـ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1 ص443.

(5) ـ ينظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام المعتزلة، ص178.

(6) ـ الملطي :التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص45.

(7) ـ أبو العباس شمس الدين ابن خلكان: وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، حققه إحسان عباس د ط، د ت ،دار صادر ـ بيروت م4 ، ص 265 .

(1) ـ ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج3، ص98.

(2) ـ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، ج1ص444.

(3) ـ ينظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام المعتزلة ص181-182.

(4) ـ ينظر المصدر السابق،445.

العلاّف: إنّ الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين: أحدهما أني أقر نبوة موسى الذي أخبر بصدق نبوة نبينا وبشر بنبوته، وإن كان عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته، وإن كان موسى الذي تسألني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بإتباعه، ولم يبشر به فلست أعرفه ولا أقر بنبوته، فتحير اليهودي ثم سأله فما تقول في التوراة؟ فرد العلاف: إن كانت أنزلت على الذي تدعيه فهي باطل غير حق، وأنا غير مصدق بها، فما كان من اليهودي إلا أن سبه وأفحش له القول فثار الناس عليه حتى فرس البصرة"(1)

ثالثا النظام وجدله(ت221)

يعد النظام أكبر فيلسوف معتزلي في العالم الإسلامي، يمتاز بفكر مبدع ونظام فلسفي دقيق(2) هو إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام البصري وكان من الموالي، تعلّم الفكر الاعتزالي على يد العلاف وكوّن لنفسه مذهبا خاصا بعد ذلك، ومات وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره سنة(221هـ)وكان أستاذا للجاحظ(3) ولقد اعتبرته المعتزلة أعظم رجال الفكر الإنساني قال عنه الجاحظ" إن الأولون يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فإن كان ذلك صحيحا فهو أبو إسحاق النظام"(4) ،ولقد اعتبره المحدثون من الباحثين أكبر متكلم فيلسوف وفي شبابه كان كثير السياحة والاحتكاك بالثقافات الأجنبية ،فلقد عاشر قوما من الثنوية وقوما من السمينة والكثير من ملاحدة الفلاسفة، وجال العديد من البلدان الشرقية من الدول الإسلامية وزار مراكز ثقافات قديمة وملتقى حضارات هندية وفارسية، ويونانية كما كان ذا ثقافة واسعة حفظ الأشعار والأخبار وقرأ القرآن ثم الثوراة والإنجيل والزبور وكتب أرسطو وكتب الفلسفة طردا وعكسا وتمكن من نقضها(1)

أما الجدل فكان من أكثر وسائل النظام في الدفاع عن الدين والرد على الملحدين، وبالأخص الدهريين الذين لايؤمنون بما هو غيبي ،بل يؤمنون بما هو محسوس.

ومن أبرز ميزات جدله الدقة في التعبير واستخدام المصطلحات، لذلك نجد في عرضه للآراء أقرب إلى الفلاسفة منه إلى البلغاء والخطباء وقد تجلى ذلك في مجادلاته مع المانوية الذين يعتقدون أن النور لا تصدر عنه إلا خصال الخير ،وأن الظلمة لا يصدر عنها إلا خصال الشر ،فقال لهم حدثونا عن إنسان قال قولا كذب فيه، كم الكاذب؟ قالوا الظلمة، قال فإن ندم بعد ذلك على قوله الكذب وقال قد كذبت وأسأت فمن القائل؟ فتحيروا ولم يدروا ما يقولون فقال لهم إبراهيم: إن زعمتم أن النور هو القائل فقد كذبت وأسأت، فقد كذب لأنه لم يكن الكذب منه ولا قاله، والكذب شر فقد كان من النور شر وهو هدم قولكم، وإن قلتم أن الظلمة قالت، فقد كذبت وأسأت، فقد صدقت والصدق خير فقد كان من ظلمة صدق وكذب وهما عندكم مختلفان، فقد كان من الشيئ الواحد شيئان مختلفان خير وشر على حكمكم، وهذا هدم قولكم بقدم الإثنين"(2) ولقد ترك النظام أكبر مدرسة معتزلية في العالم الإسلامي، ولقد تأثر به عدد خصومة كابن حزم، وداود الظاهري ولقد هوجم هجوما شنيعا من قيل مفكري السنة كالأشعري والبقلاني وإمام الحرمين والغزالي وفخر الدين الرازي ،وبقيت أفكاره في كتب الشيعة إلى يوم الناس هذا(3).

---

(1) تاريخ بغداد: إعداد مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ،1417ه - 199م، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ج3 ، ص367 .

(2) ينظر علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1ص484.

(3) ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج3 ص98.

(4) الجاحظ: الحيوان ج3ص146 وأنظر ابن المرتضى: المنية والأصل، ص29.

(1) ينظر أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، المعتزلة، ص223، 224.

(2) - أحمد محمود صبحي: في علم الكلام المعتزلة، ص 223-224.

(3) - أنظر علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،ج1 ص502-503.

رابعا: الجدل حول قضية خلق القرآن

إنّ مسألة كلام الله محدث أم قديم هي من أكبر الموضوعات التي أثارت اختلافا عنيفا وجدلا شديدا بين المعتزلة والحنابلة من ناحية والحنابلة من ناحية أخرى في العصر العباسي وكان الخلاف مركزا حول هذه المسألة في خلافة كل من المأمون والمعتصم والوائق، ومسألة القرآن، قديم أم مخلوق لم تظهر في هذا العصر بل ظهرت في آخر الدولة الأموية على لسان الجعد بن درهم جاء في سرح العيون: " هو أول من تكلم في خلق القرآن من أمة محمد بدمشق، ثم طلب فهرب، ثم نزل الكوفة فتعلّم منه الجهم بن صفوان القول الذي نسب إلى الجهمية، وقيل إنّ الجعد أخذ ذلك من أيان بن سهان، وأخذه أبان من طالوت بن أعصم اليهودي وقد قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى بالكوفة وكان واليا عليها وقال إني أريد اليوم أن أضحي بالجعد، فإنه يقول ماكلك الله موسى تكليما ولا اتخذ إبراهيم خليلا... وقال بذلك الجهم بن صفوان الذي قتله سالم بن أحوز يمرو سنة 128هـ، فقد كان ينفي الصفات، واستتبع ذلك نفي الكلام والقول بخلق القرآن ثم ورثت المعتزلة هذا القول عن الجعد والجهم فكانوا يقولون بذلك(1) .

إذن فمسألة " خلق القرآن ظهرت في آخر الدولة الأموية وظلت تنمو ويدور حولها الجدل وتتسع فيها المناظرة، وتؤلف فيها الكتب إلى عهد المأمون بعد أن نضجت عنده واعتنقها منذ القديم"(2) ومالبثت أن أصبحت قضية خلق القرآن قضية الدولة، وكانت مسألة تخص فئة معينة من المجتمع وهم العلماء، فأجبر الناس على الإعتقاديها وأجبر بعد ذلك العلماء فمن العلماء من إعتقدها تقية وخوفا من بطش الخلفاء والبعض الآخر أمتنع عن القول بأن القرآن مخلوق وقال بأن القرآن قديم وأصر على ذلك، منهم أحمد بن حنبل فضرب هذا الأخير بالسياط ثمانين سوطا حتى سال منه الدم، وكان مصير كل معارض لفكرة خلق القرآن الجلد والحبس، وقطع الأرزاق أو القتل، ومن دون شك أن معتزلة بغداد وعلى رأسهم أحمد بن أبي داود وثمامة بن الأشرس هم الذين أوحوا وأشاروا إلى الخلفاء لجعل قضية خلق القرآن قضية الدولة. وحين جاء عصر المتوكل أبطل القول بخلق القرآن وأمر برفع هذه المحنة ودارت الدائرة على المعتزلة في عهد المتوكل بعد أن كانت الوزارة في أيدي المعتزلة وحمل عليهم التيار المعادي وقضى عليهم وأحرقت كتبهم وكاد يقضى على كل أثر لهم لولا أن أختضنت فكرهم فرق الشيعة وعلى رأسهم الزيدية(3) وبداية من عهدالمتوكل بدأ نجم المعتزلة في أفول ومن إعتزل فسرا وإن جهر احتاج إلى شجاعة كبيرة(1)

ومن أمثلة الجدل حول قضية خلق القرآن بين المعتزلة والحنابلة امتحان بن أبي دوال وزير المأمون أحمد بن حنبل فقال دواد(2): أليس لاشيئ إلا قديم وحديث

ابن حنبل: نعم

ابن أبي دواد: أوليس القرآن شيئا

ابن حنبل: نعم

ابن أبي دواد: أو ليس لا قديم إلا الله

ابن حنبل: نعم

ابن أبي دواد والقرآن إذن حديث

ابن حنبل: ليس أنا بمتكلم

---

(1) - ينظر أحمد محمود صبحي: في علم الكلام ج1 ص126 وأنظر أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج3ص162.

(2) - أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج3، ص163.

(3) ينظر أحمد محمود صبحي، المعتزية ص128-129.

(1) المصدر السابق، ج3،ص201.

(2) المصدر نفسه، ج3،ص173-174.

امتحان آخر من قبل إسحاق بن إبراهيم: ما تقول في القرآن.

بشير ابن الوليد: القرآن كلام الله .

إسحاق: لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو ؟

بشير: الله خالق كل شيء.

إسحاق: هل القرآن شيء ؟

بشير: هو شيء .

إسحاق: فمخلوق هو؟

بشير: ليس بخالق

إسحاق: لا أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟

بشير: ما أحسن غير ما قلت لك .

فإذا استقرأنا هذين المثالين نحس وكأن المجيب لا يملك الحرية المطلقة لكي يجيب عن الأسئلة الموجهة إليه فلذلك حينما يسأل عن لب القضية " هل القرآن مخلوق" نراه يتهرب عن الجواب الصريح الصحيح ويسلم بالمقدمات ولا ينكر النتائج، ومن ثم فالمناظرات كانت ضعيفة وسطحية، فالمتجادلون تجادلوا في كل ما يحيط بالفضية ولكن لم يتعرضوا إلى جوهر القضية، ولم يبرهنوا البراهين العقلية في وجهة نظرهم والسبب هو إنكارهم للقضية من أساسها زيادة على أنّهم أنكروا علم الكلام ولم يتعلموا مصطلحاته وقواعده ومبادئه والسبب الثاني أن أغلب خصوم المعتزلة وعلى رأسهم ابن حنبل في مرحلة المحنة يستعملون التقية يسلمون بالمقدمات والنتائج ويقولون بخلق القرآن، والبعض منهم يقف ولا يتكلم حين يصل إلى جوهر القضية كما رأينا خوفا من بطش الخلفاء والنادر منهم من جاهر بإنكار قضية خلق القرآن .

قلنا فيما سبق أن الحضارة الإسلامية ومسارها سايرت المعتزلة وكذلك علم الكلام الذي يعد مرحلة من مراحل تطور الجدل لم يزدهر ولم يتطور ولم يكتمل نموه إلا في عهد المعتزلة، ولكن بعد أن جاء المتوكل بدأ نجم المعتزلة في الأفول بعد أن أدى خدمة جليلة لحضارة الإسلامية وهي الحفاظ على الدين الإسلامي من أعدائه وركبوا مركبا وعرا لذلك، وتحملو أذى خصومهم وحملوا لواء ومشعل استعمال العقل والإجتهاد، فلما ذهب المعتزلة أخذ الجدل وعلم الكلام في التراجع إلى العصر الحديث، ففي هذا العصر الذي كثرت فيه التيارات الهدامة والغزو الفكري والثقافي والديني لمحاولة النيل منه والقضاء عليه في حاجة إلى علم كلام جديد يرد على الأعداء ويحبط مساعيهم ويدافع عن الإسلام ومبادئه مقتديا بأرباب علم الكلام الذين كوّنوا مذهبا وتيارا قائما بذاتها وترعرع ونما واكتمل .

هذا ما يتعلق بالجدل وتطوره سواء أتعلق الأمر بالبيئة اليونانية أم البيئة الإسلامية ورأينا اجتهادات الإنسان في جداله مجردا عن أي فكرة دينية سماوية مثل الجدل البيئة اليونانية أو الإجتهاد مع وجود فكرة دينية سماوية مسبقة مثل الجدل في البيئة الإسلاميةوبقي أن نتحدث عن الجدل الذي أورده القرآن الكريم فما هي خصائصه ومناهجه ومحاوره ذلك ما نراه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

الجدل القرآني

خصائصه، مناهجه ومحاوره

المبحث الأول: مفهوم الجدل القرآني وخصائصه

تمهيد:

إنّ من أهم أسباب نزول القرآن هو الحفاظ على العقيدة الإسلامية وذلك بنفض غبار الجهل عنها وتنقيتها من شوائب الوثنية والعقائد الفاسدة التي كانت مسيطرة على عقول وقلوب الناس قبل نزوله،وإظهار استقامة شريعة الإسلام وكشف فساد هذه العقائد وبطلانها، ومن ثمّ وجد الجدل القرآني وتنوع بتنوع صور الفساد الذي شمل العقائد والأديان السابقة لنزول القرآن. ولقد وقف القرآن الكريم موقف المجادل أمام العديد من التيارات والنزعات الباطلة التي حاولت إنكار حقائقه وأسسه وأصوله فأفحمها وعارضها"في أسلوب مقنع واستدلال ملزم وجدل محكم"[1].

المطلب الأول: مفهوم الجدل القرآني[2]

يتمثل الجدل القرآن"في براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والأهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها"[3]واستعمل القرآن الكريم في جداله كل الوسائل التي تأخذ بيد الخصم إلى الاقتناع وقبول الحق[4] "وسلك كل ما يمكن أن تتصوره عقولنا من الطرق البرهانية والوسائل البيانية لإثبات الحق لأنّه يعلو ولا يُعلى عليه"[5] ولقد استعمل القرآن إضافة إلى ذلك طرق الإلزام والإفحام فاكتملت بذلك هدايته، وقامت به حجته، واتضحت محجته، والهدف القرآني في جداله ليس هو الغلبة على الخصوم من أجل الغلبة فقط، بل من أجل إحقاق الحق وإقراره و إزهاق الباطل ودحضه ولجعل المناوئين يتحركون معه في الخط الذي يسير عليه ليتحد الموقف والمصير من خلال القناعة الذاتية المرتبطة بالبرهان الواضح والحجة القولية ولذا فإن أساليبه يجب أن تسهم في الوصول إلى الهدف وإن طال بها المجال واختلفت مبادراتها من أنواع الانفعالات النفسية التي تدعوا إلى السرعة والارتجال"[6]، فالجدل القرآني إذن هو ما استعمله القرآن من براهين وأدلة وحجج ومختلف أشكال الاستدلال وطرق الإلزام والإفحام لجعل الخصم يسير وفق المنهج الذي سطره القرآن لذلك بغية إيصاله في الأخير إلى الاقتناع. وأمّا المواضيع التي يدور فيها الجدل القرآني فإنها لا تخرج عن محورين أساسيين هما العقائد وأصول الشريعة، ولكن جل الجدل القرآني يدور حول العقائد .

---

1 - مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط8، 1401 ه - 1981 م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ص 298 .

2 - ويسميه أبو زهرة الجدل في القرآن، ويسميه زاهر عوض الألمعي جدل القرآن في كتابه مناهج الجدل في القرآن الكريم، وكثير من المؤلفين،وأطلق عليه السيد قطب اسم المنطق البديهي، وأطلق عليه أيضًا اسم المنطق القرآني، كما أطلق عليه أيضًا المنطق الوجداني في كتابه التصوير الفني في القرآن الكريم ط 7، 1404ه - 1982 م، دار الشروق - بيروت القاهرة وسماه محمود يعقوبي المنطق الفطري في كتابه المنطق الفطري في القرآن الكريم، دط، دت، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ابن عكنون - الجزائر.

3 - زاهر عوض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص 1، 2 .

4 - ينظر أحمد التومي الجدل في القرآن الكريم ص 256 .

5 - المصدر نفسه، ص 257 .

6- حسين فضل الله: الحوار في القرآن الكريم، ج1، ص71.

المطلب الثاني: خصائص الجدل القرآني

1 ـ مخاطبته لكل الناس حسب مداركهم

بما أنّ القرآن الكريم جاء للناس جميعًا، للأحمر وللأسود وللأبيض، دون أن تقتصر دعوته على جيل معين أو زمان معين وجب أن يقع الناس جميعًا باختلاف مداركهم ومستوياتهم وأشكالهم وألوانهم وتعدد نزعاتهم، ووجب أن يكون أسلوبه لايعلو على مدارك طائفة ولا ينزل عن مدارك طائفة أخرى، ولا يرضي طائفة دون أخرى بل يجد فيه بغيته الجميع دون استثناء[1]ومن ثم فالمتدبر لآياته المتفكر في مناهجه يجد فيه ما يعلّم الجاهل وينبه الغافل ويرضي نهمة العالم [2] فالقرآن الكريم وما يشتمل من أدلة هو واضح للعامي يدرك ما يناسب خياله ويسمو إليه إدراكه وما يدركه منه صدق ولا شبهة فيه ويرى فيه العالم الباحث حقائق صادقة لما وصل إليها العلم الحديث بعد تجارب ومجهودات عقلية [3]لنقرأ قوله تعالى مثلاً"أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا"[4]فالعامي من الناس يرى فيها علمًا لم يكن يعلم قد أدركه بأسهل بيان وأبلغه كما يرى فيه العالم والفيلسوف الباحث عن نشأة الكون، دقة العلم وإحكامه وموافقته ما وصل إليه العقل البشري مع سمو البيان وعلو الدليل ..

2 ـ متانته وإحكامه

فإذا تأمّلنا القرآن وما يسوقه من جدل نجد أنّ حججه وبراهينه "قامت على أسس متينة من الجودة والإحكام سواء أكان ذلك في نظمها وتراكيبها أم في صحة مقدماتها ونتائجها وبعد مراميها في معالجة أدواء القلوب إصلاح المجتمعات الإنسانية"[5].

3 ـ الإرشاد والتوجيه والدعوة بالتي هي أحسن

كان جدل القرآن يدعو كل من يتصدى للتوجيه والدعوة و الإصلاح إلى استعمال الرفق واللين والجدال بالتي هي أحسن، فلقد أمر الله سيدنا موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يدعوا فرعون بالتي هي أحسن.

4 ـ دعوته إلى الجدل بعلم

دعا القرآن الكريم في معرض الجدل أن يتسلّح الذي يريد الجدل بالعلم، لأنّه في جداله يريد إحقاق الحق ويدعو إليه فلا يمكن أن تكون الدعوة إلى الحق إلاّ بالعلم قال تعالى :" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"[6] وقال أيضًا: "وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ "[7]وقال أيضًا في شأن جدال أهل الكتاب "هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ "[8].

---

1 ـ ينظر أبو زهرة : تاريخ الجدل، ص 61.
2 ـ ينظر المصدرنفسه.
3 ـ ينظر المصدر نفسه، ص 62 .
4 ـ سورة الأنبياء الآية 30 .
5 ـ زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص 89 .
6 ـ سورة الإسراء الآية 36 .
7 ـ سورة الحج الآية 3 .
8 ـ سورة آل عمران الآية 66 .

- مخاطبته للعقل والعاطفة والحس

قد يتجه الأسلوب القرآني إلى تقريب الفكرة بالمثل تارة أو بالصورة الحسية التي تواجه الإنسان لإيقاظ الإحساس الفطري بواسطة إثارة المعرفة الحسية بأمثالها "لأنّ لفطرة قد تغفو في كثير من الحالات أمام كثير من الأجواء الضبابية التي تحيط بالنفس فلا تستيقظ إلاّ إذا ارتبطت بالواقع المتحرك لديها، الذي يجسد لها الفكرة في نطاق الصورة المحسوسة في أكثر من مجال، ولعل هذا كله الذي أنطق القرآن الكريم فيه ليغير الفكرة من خلال تغيير المنهج في الوصول إليها، وليواجه الإنسان العقيدة من حركة القاعدة الفكرية في كيانه، لا من حركة التيار في حياة الآخرين، إنّ الأسلوب المرن المتحرك في أكثر من اتجاه، المرتكز على العقل تارة وعلى العاطفة أخرى، والحس من جهة ثالثة ليفتح لك المجال في فكرك وفي قلبك وفي وجدانك، لتفكر وتناقش، ولتشعر في كل باب تريد أن تلجه وفي أي هدف تعمل على الوصول إليه كل ذلك بمحبة موضوعية "[1] فلذلك نجد الجدل القرآني يختلف عن أشكال المنطق اليوناني لكونها تخاطب جانبًا معينًا وهو العقل دون ما سواه.

6 - مجادلة الخصوم بما يناسب أحوالهم أوضاعهم

من خصائص الجدل القرآني أنّه يجادل الخصوم على حسب أوضاعهم وأحوالهم، مثل ذلك ما حكاه القرآن على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما أراد أن يبين لأصحاب عبادة الكواكب أنّ هذه العبادة باطلة وبين لهم كيف تتغير ممّا يدل دلالة واضحة على أنّها لا تصلح لأن تعبد من دون الله وسلك في جدله على ما يناسب خصومه وعبادتهم للكوكب وساق أدلته وكأنّه أحدهم يعتقد مثلما يعتقدون لكي يجعلهم يميلون إلى الحق وقبوله،وبعد ذلك ألزمهم الحجة بعد سماعها[2]قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "[3] وغرضه إفحام خصومه وإبطال مزاعمهم.

7 - إتاحة الفرصة للتفكير والمناقشة

ولقد أتاح القرآن الكريم للإنسان في معرض جدله أن يناقش في كل ما يطرأ عليه من مشكلات في العقيدة أو في الفقه، وفتح باب الحوار و المناقشة سواء أكان المحاور أو المجادل يناقش مكابرة أم عنادًا أم تفقهًا أم اطمئنانًا .وجادل كلا الأصناف كلٌّ على حسب نيته؛ فحينما طلب سيدنا إبراهيم علي السلام من الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى بنية الاطمئنان واليقين أجابه إلى ذلك قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[4]ومثل هذا أيضًا طلب سيدنا موسى رؤية الله عيانًا فأجابه إلى ذلك بأنّه لن يراه قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ

---

1 - حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ج 1،ص 67،68.

2 - استشهدت بهذا المثال اعتمادًا على الرواية التي تقول بأنّ إبراهيم عندما خاطب الأفلاك العليا من كوكب وقمر وشمس كان ذلك في كبره

3 - سورة الأنعام الآية 78، 79 .

4 - سورة البقرة الآية 260.

سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ "[1] وأجاب الصنف المعاند المكابر الجاحد، ولنضرب مثلاً على ذلك فرعون ـ الطاغية الذي ادّعى الربوبيةقائلاً: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى"[2] ـ حينما سأل موسى وهارون قائلاً: "فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى"[3] أجابه على لسان سيدنا موسى"قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"[4]. هذا ما يتعلق بالعقيدة أمّا ما يتعلق بالأحكام الفقهية فلقد سمع الله قول المرأة التي جادلت الرسول صلى الله عليه وسلّم في زوجها واشتكت إلى الله من معاملة زوجها لها إذ قال لها أنت كظهر أمّي فأجاب الله عن سؤالها وما أهمها من أمر زوجها ومصير أبنائها[5] فقال عز و جل "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ)وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"[6]إلى غير ذلك من الآيات فهذه الآيات بينت وفصّلت قضية الظهار ووضحت حدوده وأحكامه من خلال إجابة عن سؤال وشكوى تقدمت بها هذه المرأة للرسول صلى الله عليه وسلّم.

يقول حسين فضل الله في هذا الصدد " القرآن وثيقة رائعة من وثائق الحوار الديني الذي يتعلق بكل قضايا العقيدة ابتداءً من فكرة وجود الله و وحدانيته إلى الأحكام الشرعية"[7].

8 - إعجازه

إنّ القرآن الكريم إضافة إلى كونه معجزة النبي صلى الله عليه وسلّم الخالدة وإضافة إلى كونه أيضًا أجاب على العديد من الأسئلة التي اعترض بها المشركون وغيرهم على الإسلام، إضافة إلى كلّ هذا هو المثل الأعلى الذي لا يتسامى إلى بيانه متكلّم أو محتج،ولا يناصي أساليب احتجاجه مستدل أو مجادل [8] وهذا راجع إلى كونه معجزًا " كلّ مافية معجز ؛فإيجازه معجز، وإطنابه معجز، وألفاظه معجزة، وأساليبه معجزة، ونغماته ونظمه وفواصله كل هذا معجز،واستدلاله وبيانه لا يصل إلى درجته نوع من الكلام ...والفرق بين القرآن وكلام أعلى أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة والفرق بينها وبين القرآن هو الفرق بين الخالق و المخلوق لأنّه فرق بين كلام الخالق و المخلوق"[9]وإعجازه أيضًا يكمن في كونه محيطًا بأدق

---

1 - سورة الأعراف الآية 142 .

2 - سورة النازعات الآية24.

3 - سورة طه الآية 42 .

4 - سورة طه الآية 50 .

5 - هذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة وهي من الأنصار وزوجها أوس بن الصامت الخزرجي أخو عبادة بن الصامت وسبب حدوث هذه المشكلة أنّ زوجها رآها تصلي وكانت حسنة الجسم، فلمّا أتمت صلاتها أرادها فأبت فغضب فقال لها أنت كظهري أمي " قال ابن عباس وكان هذا تحريمًا للمرأة في الجاهلية وعمل به المسلمون في المدينة بعلم من النبي صلى الله عليه وسلّم وإقراره الناس عليه فاستر مشروعًا، فجاءت خولة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وذكرت له ذلك فقال لها حرّمت عليه، فقالت للرسول صلى الله عليه وسلم: إنّ لي صبية صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فقال ما عندي في أمرك شيء، فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا أبدا، وإنّما هو أبو ولدي وأحبّ النّاس إلي، فقال حرّمت عليه، فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووجدي، وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله، فأنزل الله هذه الآيات " الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار مصر للطباعة، دط، 1997،الناشر دار سحنون للنشر و التوزيع - تونس،م 13، ج 28، ص 7 .

6 - سورة المجادلة الآيات 1، 3،2.

7 - محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ج 1، ص 10 .

8 - ينظر محمد أبو زهرة :تاريخ الجدل، ص 59 .

9 - محمد أبو زهرة :المعجزة الكبرى،دط،دت،، دار الفكر العربي،ص 315.

الطبائع النفسية و الفكرية الإنسانية ففي جدله الطب لأمراضها والعلاج المفيد لأدوائها وهو البلسم الشافي لعللها وأسقامها وفي طرقه البيانية المثل الأعلى للخطاب النافد للقلوب [1] وكيف لا وهو القائل في محكم تنزيله "يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ "[2]والقائل أيضًا:"وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ "[3].

المبحث الثاني: مناهج منطقية للجدل القرآني

المطلب الأول: أشكال منطقية للجدل القرآني

قد استعمل القرآن في جداله مع الخصوم و المعاندين والمنكرين أشكالا كثيرة استنبطها بعض العلماء بعد ما استوعبوا الفكر اليوناني ،وخصوصًا الجانب الفلسفي وبالأخص المنطق الذي يعد أداتًا للتفكير السليم ووسيلة لعصمته من الخطأ والزلل ،ومن أشهر هذه الأشكال ما يلي:

أولاً: القياس الإضماري

وهو قياس حذفت منه إحدى المقدمات [4]طبقًا لمقتضى الحال والمقام للعلم بها فهي موجودة في دهن المخاطب محذوفة في كلامه، وحذف إحدى المقدمات كثير في القرآن، ولقد عبّر عن ذلك ابن سينا فقال :"إنّ الناظر في القرآن الكريم يرى أكثرها قد حذفت فيه إحدى المقدمات. وقال الغزالي: إنّ القرآن الكريم مبناه الحذف والإيجاز"[5]ومن أمثلة القياس الإضماري في القرآن الكريم قوله تعالى: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[6]فهذا لون من ألوان الجدل حذفت فيه إحدى المقدمات وذكرت مقدمة واحدة وهي أنّ خلق آدم من تراب والمقدمة المضمرة هي أنّ آدم خلق من تراب بدون أب ولا أم ولم يكن ابنًا لله، وواضح من القياس بين خلق آدم وخلق عيسى عليهما السلام، فإذا كان الخلق من غير أب مبرّرًا لجعل عيسى ابن مريم إلهًا لكان آدم الذي خلقه من تراب بدون أب ولا أم إلهًا من باب أولى وأحرى ولكن آدم لم يكن إلهًا، إذن إنّ عيسى ابن مريم ليس إلهًا.

ثانيًا :قياس التمثيل

إنّ من بين أشكال الاستدلال التي استعملها القرآن الكريم هو القياس الذي يستعمل لتقريب الحقائق وإلباس المعاني لبوسًا حسية، وتوضيح الحقائق و المعاني الكلية بالمشاهد والصور الجزئية يقول زاهر عوض الألمعي في تعريفه لقياس التمثيل: " هو إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لاتنكره العقول ويبين الجهة الجامعة بينهما "[7] ويعرّفه الشيخ محمد أبو زهرة بأنّه "قياس المستدل الأمر الذي يدّعيه على أمر معروف بديهي عند الخصم لا تنكره العقول وتقرّ به

---

1 ـ المرجع نفسه ص 354.
2 ـ سورة يونس الآية 57 .
3ـ سورة النحل الآية89 .
4 ـ ينظر محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، ص 24 .
5 ـ محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل ص 64 .
6 ـ سورة آل عمران الآية 59 .
7 ـ زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل، ص 72 .

الأفهام "[1]ولقد استعان القرآن في جداله بهذا النوع من القياس بدقة متناهية وصياغة محكمة في التقريب بين الحقائق القرآنية و البداهة العقلية والوقائع المحسوسة، ويرد قياس التمثيل كثيرًا عند الاستدلال حول قضية البعث قال تعالى: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ "[2] فالذي فتّ العظم البالية أمام النبي مستدلاً على عدم البعث لكون العظم سار ترابًا بعد فتّه فلا يمكن أن يحيا بعد ذلك في زعمه ناسيًا أن مبدأ خلقه كان ترابًا فهذا قياس خاطئ ينبئ عن عقل قاصر فأجيب عنه بقياس صحيح يثبت عكس ما جاء في القياس الأول وهو إمكانية بعث الناس من قبورهم كما خلقوا في أول مرة،و أيضًا كإمكانية التقاء الحرارة بالرطوبة لينتجا نارًا، والذي قدر على خلق السماوات والأرض هو قادر على أن يخلق مثلهم بإحياء الخلق بعد إماتتهم مثلاً قال تعالى: "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[3].

ثالثًا: قياس الخلف[4]

وهو أن يثبت المستدل أمرًا بإبطال نقيضه كإثبات الصدق بإبطال الكذب وإثبات الحق بإبطال الباطل أو إثبات الوحدانية بإبطال التعدد، ويسمى بقياس الخلف لأنّ المستدل أو المجادل ينطلق من دعوى خصمه ومقدمته الكاذبة وغير الصحيحة ويمرّ بالنتيجة التي تؤدّي إليها دعواه للوصول إلى المقدمة الصحيحة ومن أمثلة هذا القياس في القرآن قوله تعالى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ "[5]فإذا حللنا هذه الآية مثلاً نجد أنّ القرآن في جداله قد انطلق من مقدمة الخصم غير الصحيحة وهي وجود إلهين ومرّ بالنتيجة من وجود إلهين وهي فساد الكون ووصل إلى المقدمة الصحيحة وهي وجود إلهٍ واحدٍ، ويسمّى هذا النوع من القياس عند المتكلمين بدليل التمانع.

رابعًا: السبر والتقسيم[6]

يعد السبر والتقسيم بابًا من أبواب الجدل القرآني وشكلاً من أشكال استدلالاته في دحض دعوى الخصم وردّها وهو يختلف عن الأشكال الأخرى في كونه يقوم بحصر أوصاف الموضوع والإحاطة بتفاصيله وإعادة النظر في أجزائه جزءًا جزءًا ومعرفة مدى تطابق الأحكام التي ادعى بها الخصم على تلك الأجزاء سلبًا أو إيجابًا حتى يتسنى إدراك الحقيقة بوضوح تام، فإذا استوفى الموضوع كل جزئيا ته وتفاصيله تمحيصًا وتحليلا ولم يجد مسوغًا لقبول الأحكام التي ألصقها المدّعي عليها خطأً وكذبًا أبطل تلك الأحكام والدعاوى من الأساس، ولقد أورد السيوطي مثالا لهذا الشكل من أشكال استدلالاته قال تعالى: "ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ

---

1 - محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 347 .

2 - سورة يس الآيات 78 - 81 .

3 - سورة غافر الآية 57 .

4- ينظر أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 66، وينظر أيضًا محمد التومي الجدل في القرآن الكريم، ص 256 .

5 - سورة الأنبياء الآية 22 .

6 - ينظر جلال الدين السيوطي :الإتقان في علوم القرآن،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، 1418 _ 1997م، شركة أبناء شريف لأنصاري للطباعة و النشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الدار النموذجية، المطبعة العصرية، بيروت- 4صيدا، ج 4، ص55، وينظر محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 67، وينظر أيضًا محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 345، وينظر زاهر عوض الألمعي: مناهج، ص 68، 69.

إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "[1]هذه الآية رد على مزاعم الكفار الذين" "قَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ "[2]فلمّا حرّم هؤلاء ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى من غير دليل شرعي ردّ عليهم القرآن عن طريق السبر والتقسيم ؛ فمادام الله خلق كل شيء ذكرًا وأنثى، فما السبب الذي جعلكم تحرّمون ذكور الأنعام تارة وتحرّمون إناثها تارة أخرى، وتحرّمون ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وبين لهم أنّ التحريم يكون للذكور كلهم أو للإناث كلهن أو تحريم الصنفين معًا، ولم يثبت دليل من قبل الله عز وجلّ على إحدى الاحتمالات الثلاثة فإذا جاء التحريم يكون لوصف ذاتي في هذه المحرمات أو لوحي من الله عز وجل أو أمر من رسول فإذا لم يكن التحريم واردًا من هذه الثلاثة فمزاعمهم باطلة وهي من قبيل الافتراء على الله.

رابعًا: الاستدلال بالقصص القرآني

لقد اتخذ القرآن الكريم القصص وسيلة من وسائل الاقتناع و التأثير،وضمّن فيها أدلته وحججه في الرد على الجاحدين، وكان ذلك على لسان رسله الذين يقر بفضلهم قومهم الذي يقر بفضله المخالفون من العرب وموسى الذي يعترف به بنو إسرائيل، ومحمد عند قومه القرشيين[3] " ومجيء الدليل على لسان رسول يقرّ بفضله المخالفون ...يعطي قوة فوق قوته الذاتية، إذ تكون الحجّة قد أقيمت عليهم من جهتين ؛من جهة قوة الدليل الذاتية، ومن جهة أنّ الذي قاله رسول أمين يعرفونه، فهذا يكون قوةً إضافيةً،وفوق ذلك فيه إلزام وإفحام إذ يزعمون أنّهم أتباعه"[4] وقد يجيء الدليل في بعض الأحيان على لسان حيوان في إحدى القصص، فيكون في ذلك غرابة تسترعي الدهن،وتثير الانتباه، وتملأ النفس بالحقيقة إيمانا قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: "وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"[5]نستنتج من هذه الآيات أنّ دليل وحدانية الله تعالى جاء على لسان الهدهد في عبارة موجزة،وإشارة واضحة؛ فلقد نعى على الملكة بلقيس وقومها أنّهم يعبدون الشمس من دون الله، وواضح ذلك من فساد الاعتقاد وضلال الفطرة، ووسوسة الشيطان [6].

ومن أمثلة الجدل القرآني الذي اتخذ القصة وسيلة للإ قناع قصة إبراهيم عليه السلام وما خاضه من جدال مع أبيه وقومه، لإبطال عبادة الأصنام و الكواكب وجداله مع النمرود، وجدال نوح عليه السلام مع قومه، وموسى وهارون مع فرعون وقومه، ويوسف مع صاحبي السجن، وغير ذلك من القصص المعبّر الذي سلك فيه الأنبياء عليهم السلام طرقًا مستقيمة وأدلة مقنعة لإقامة الحجة على أقوامهم.

---

1 - سورة الأنعام الآية 143، 144 .
2 - سورة الأنعام الآية 139 .
3 - ينظر محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 343.
4 - زاهر عوض الألمعي: مناهج الجدل، ص 37.
5 - سورة النمل الآيات 20 - 26 .
6 - ينظر محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 344 .

المطلب الثاني: طرق منطقية للجدل القرآني

إضافة إلى ما سبق فلقد سلك القرآن في جداله مع المنكرين والمعاندين طرقًا أخرى استنتجها الفلاسفة من القرآن الكريم بعد استيعابهم للمنطق اليوناني من هذه الطرق مايلي :

أولاً: القول الموجب

وهو ردّ دعوى الخصم من خلال كلامه [1] يقول الإمام الجويني " وأمّا القول بموجب العلة،فهو موافقة للخصم في حكمها مع خروج موضوع النزاع عنه "[2]وقال عنه المحدثون: "التزام السائل ما يلزم المعلّل بتعليله مع بقاء النزاع في الحكم المقصود "[3] بمعنى أنّ المجادل يلتزم في ردّه بما يقول الخصم ويتمسك ببعض العبارات الواردة في كلامه ويوافقه في كلامه إلاّ أنّه يختلف معه في مضمون العبارات ويثبت له عكس ما يدّعي، وبمعنى آخر يقول المجادل للخصم إنّ ما قلته صحيح لا غبار عليه لكن لا يلتزم منه بطلان دعواي فبالرغم من أنّني أوافقك في العبارات التي صغتها كدليل على صدق دعواك، إلاّ أ نّ مضمون تلك العبارات في نظري تعزّز ما يثبت صدق دعواي وصحتها،ويعارض ويخالف ما ذهبت إليه، قال تعالى: " يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " [4]ومن أسباب نزول هذه الآية نزاع بين مسلم ومنافق في إحدى الغزوات فقال المنافق للمؤمن ليخرجن الأعز منها الأذل فالأعز في نظره هم المنافقون و الأذل هم المؤمنون فردّ عليهم القرآن أنّ ذلك سيحصل لا محالة وأنّ ماتقولون صحيح من أن يخرج الأعز منها الأذل ولكن ليس بالكيفية التي اعتقدتموها فالأعز هو الرسول صلى الله عليه وسلّم والمؤمنون والأذل هم أنتم أيّها المنافقون.

ثانيًا: الترجيح

الترجيح هو من الاستعمالات الشائعة في التعامل بين الناس، وهو أن نختار من بين الاحتمالين أفضلهما بالنسبة إلينا سواءً أتعلّق الأمر بنا أو بغيرنا، وذلك بعد مناقشة بيننا و بين أنفسا أو بين غيرنا وبعد إجراء الموازنة التي أساسها القيم التي تتفاضل بها الأشياء بحسب الغاية والنتيجة المتوخاة منها فيكون بعضها أكبر قيمة وأعظم من غيرها وأرجح منه فنأخذه وعدم الأخذ بالأرجح دليل على عدم رجاحة العقل [5] يقول الجرجاني: "الترجيح هو إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر "[6] فإذا كانت مرتبة أحدهما أقوى من الآخر بما يحمل من مزايا وقيم ذاتية وأدلة تعزز مكانته فإنّنا نرجحه على الآخر ونختاره، ومن صور هذا النوع من الجدل الآيات الست الواردة في سورة النمل من الآية 56 إلى الآية 64 قال تعالى: "قُلْ الحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ "[7] وهذا الخطاب موجّه إلى المشركين الذين آثروا عبادة الأوثان عن عبادة الله فخاطبهم الله بسؤال إنكاري "أَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ "فأريد به التهكم لغفلتهم وعدم تمييزهم المعبود النافع الضار من المعبود الذي لا ينفع ولا يضر وبين لهم المعبود الذي يستحق العبادة وذلك بلفت نظرهم إلى هذا الكون الفسيح مما يتكون وماذا

---

1 - ينظر محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، 256، 257، وينظر أيضًا زاهر عوض الألمعي: مناهج، ص74 .

2 - الكافية في الجدل، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1979، ص 69 .

3 - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون،ط1، 1418ه-1998م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، م1 ص550.

4 - سورة المنافقون الآية 8.

5 - ينظر محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص، 107 .

6 - التعريفات: تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، 1405 ه، دار الكتاب العربي - بيروت، ص 78 .

7 - سورة النمل الآية 59.

يجري فيه ولنأخذ إحدى الآيات الدالة على ذلك قال تعالى: " أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ"[1]ومعناه الأصنام التي تعبدونها أفضل أم الذي خلق السماوات والأرض وهذا سؤال توبيخي وتهكمي، ثم أشار إلى الغذاء الذي يتناولونه وكيفية إيجاده وحصوله، فبين لهم أنّ هذا الغذاء قبل أن يكون كذلك كان في سماء يجري فيها السحاب الذي يحمل الماء، وهذا الماء عندما يتصل بالأرض تزدهر فتنتعش وتنبت من كل لون وزوج من النبات والذي يصير بعد ذلك غذاءً فهل بإمكان هذه الأصنام التي تقربكم إلى الله زلفى أن تقوم بذلك، أم وراء ذلك قدرة السميع البصير الضار النافع بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير .

ثالثًا: التعليل [2]

لقد استعمل القرآن الكريم طريقة أخرى للجدل وهي طريقة التعليل في إثبات حكم أو نفيه أو وجوده أو عدمه، والإنسان جبل على الحرص في معرفة الوسائط والأسباب فجاء لقرآن يخاطب الفطرة البشرية واستعان بما جبل عليه هذا الإنسان لتوضيح أحكامه وبيان مبادئه وحلاله وحرامه في مجال العقيدة أوفقه الحكام أو فقه المعاملات قال تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "[3]معناه إذ التزمتم بتطبيق القصاص تكونون قد أحييتم سائر الناس، كيف ذلك ؟فإذا طبّق القصاص فالذي تسول له نفسه قتل إنسان ما ويعلم مسبقًا تبعات فعلته وهي تطبيق القصاص عليه فلا يقتل ومن ثمّ يبقى حيًا والذي يريد قتله يبقى حيًا، ووجه الجدل في هذه الآية هو عبارة عن جواب لمن يرى أنّ القصاص انتقام وإهلاك للنّاس فهو جدل ضمني بين سائل يتساءل عن حكمة القصاص ومجيب يجيب عنها، وذلك بإظهار العلة التي تبرر مشروعية القصاص والعلّة تتمثل في إحياء النّاس.

رابعًا: التعريف[4]

الجدل باستعمال وسيلة التعريف نوع آخر من الجدل يجعل من حقيقة الشي ء وماهيته دليلاً على الحكم الذي يريد إثباته لذلك الشيء، وذلك بأن يتخذ من حقيقة الأصنام مثلاً دليلاً على كونها لا يمكن أن تعبد، أو أن يجعل من صفات الله عز وجل دليلاً على أنّه المعبود بحق دون سواه، أو أن يعدّد مراحل تكون الإنسان منذ أن كان نطفة في رحم أمّه إلى أن يكبر ثمّ يهرم فيموت دليلاً على أنّه سوف يبعد بعد موته، ومن صور هذا النوع من الجدل ما يكون دليلاً على وجود الله بذكر صفاته قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنْ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يفقهون وهو الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا

---

1 - سورة النمل الآية 60 .

2 - ينظر محمود يعقوبي: المنطق الفطري، ص 95، وينظر أيضًا محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، 323، 324 .وينظر محمد التومي:الجدل في القرآن الكريم، ص 216 .

3 - سورة البقرة الآية 179.

4- ينظر محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 319، وينظر محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، ص 169 وما بعدها.

وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "[1]من خلال الآيات السابقة نستنتج أنّ دلائل وجود الله أجل وأكبر من أن تحصى، سواء أتعلّق الأمر بالكائنات العليا من نجوم و كواكب وأفلاك، أو الكائنات السفلية من بحار وأنهار ونبات، وما تعلّق بالإنسان وخلقه ونشأته وهو استدلال بوجود الله من خلال ذكر صفاته وآثاره في خلقه.

خامسًا: التجزئة [2]

قد يلجأ الجدل القرآني لإثبات صفة معينة أو نفيها أو إصدار حكم ما أو إلغائه إلى طريقة التجزئة وذلك بذكر حكم عام إثباتًا أو نفيًا أو عرض إشكالية معينة لموضوع ما، ثمّ محاولة ذكر أجزاء الموضوع وما يحمل من دلائل جزءًا جزءًا بحيث لو أخذنا جزءًا واحدًا من هذه الأجزاء ودرسناه وحللناه نجده كافيًا لأن يكون دليلاً على الحكم الذي أطلقناه ومن صور هذا الجدل إثبات وحدانية الله وإفراده بالعبادة دون سواه ولنأخذ المثال الذي أوردناه في صدد الحديث عن الجدل بالترجيح قال تعالى: "قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ "[3]فهذه إشكالية في صيغة تهكم وتوبيخ مفادها من هو خير وأحسن وأجدر بالعبادة هل الله أم ما تعبدون من أوثان والموضوع هو إثبات عبادة الله وإنكار ما يعبد سواه ثمّ جزئ الموضوع إلى أجزاء كلّ جزء يصبح دليلاً على أنّ المعبود بحق هو الله وهي الآيات التالية:

1 ـ " أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ " [4].

2 ـ " أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " [5].

3 ـ " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ " [6].

4 ـ " أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[7].

5 ـ " أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ " [8].

ـ " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ " [9].

وإذا أردنا تلخيص أجزاء الموضوع من خلال الآيات السابقة نجد أنّ أدلة وحدانية الله وإفراده بالعبادة هي :

1 ـ خلق السماوات والأرض وإنزال الماء وإنشاء الحدائق والبساتين .

2 ـ جعل الأرض مستقرًا وجعل الأنهار والجبال .

---

1 ـ سورة الأنعام الآيات 95 ـ 99 .

2 ـ ينظر محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 321، وينظر محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم ص 181 وما بعدها وص 188 .

3 ـ سورة النمل الآية 59 .

4 ـ سورة النمل الآية 60.

5 ـ سورة النمل الآية 61 .

6 ـ سورة النمل الآية 62 .

7 ـ سورة النمل الآية 63 .

8 ـ سورة النمل الآية 64.

9 ـ سورة النمل الآية 65 .

3 ـ إجابة دعوة المضطر وجعل الإنسان خليفة الله في أرضه .
4 ـ هداية الناس وإنارة سبلهم في البر والبحر.
5 ـ بدء الخلق وإعادته .
6 ـ علم الغيب .
وكلّ جزء من هذه الأجزاء هو دليل على وحدانية الله .

سادسًا: المقابلة [1]

إنّ من طرق الجدل القرآني ما يعرف بالمقابلة، فإذا قابلنا بين شيئين بغية معرفة أيهما أقدر على التأثير في الآخر إذا تعلّق الأمر باحتياج أحدهما للآخر أو النفع والضر، فالمشركين مثلاً كانوا يعبدون أحجارًا يصنعونها بأيديهم ويعتقدون أنّ هذه الأصنام لها أثر في الكون في الأخذ والمنع وجلب المنفعة وأنّها أحق أن تعبد من دون الله فجاء القرآن ليثبت خلاف ما يعتقدون، ففي معرض إظهار نعم الله التي أسبغها على عباده من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وجعل البحر لتجري الفلك فيه قال معقبًا على ذلك: "أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ " [2] فالآيات المذكورة أقامت مقابلة الله الذي خلق كلّ شيء بقدرته وحكمته وأحكم صنعه وخلقه وأثر في الإنسان وسخّر له كلّ ما يساعده على الحياة الطبيعية في هذا الكون وفنّد دعا ويهم الباطلة بإثبات أثر الله في هذا الكون وأحقيته بالعبادة عن غيره .

ممّا سبق نستنتج أنّ هذه الأشكال الجدلية المستنبطة من القرآن الكريم من قبل بعض الفلاسفة والفقهاء خصت بعض الآيات دون سائر القرآن كما رأينا آنفًا.كما انفرد كل شكل من هذه الأشكال بأمثلة خاصة به بحيث لو ذكرنا بعض الآيات تذكرنا الطريقة المنطقية التي انضوت تحتها هذه الآيات فمثلاً لو استعرضنا الآيات من سورة الأنعام" ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنْ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنْ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ "إلى آخرها من الآيات تذكرنا بطريقة السبر والتقسيم فهذه الطريقة لا تملك إلاّ دليلاً واحدًا وهي الآيات الآنفة الذكر وكل من يذكر هذا المنهج من العلماء لا يذكر إلاّ الدليل من سورة الأنعام. والسبب يكمن في احتمالين أساسيين هما إمّا أنّ القرآن ليس فيه إلاّ دليلاً واحدًا للسبر والتقسيم، أم أنّ الذين جاءوا بهذا المنهج وحاولوا إيجاد دليل له في القرآن وطوّعوا آيات القرآن فأبت إلاّ الآيات الموجودة في سورة الأنعام فالعيب لا يكمن في القرآن لأنّ القرآن هو كلام الله الذي يعلم حقيقة الإنسان ولكن العيب يكمن في المنهج المنطقي الذي أراد أصحابه تطبيقه على القرآن فالمنطق من صنع الإنسان والقرآن من صنع الله فكيف نخضع صنع الإنسان لصنع الله ونقول إنّ الله أراد كذا بدليل قوله تعالى ثم نستشهد بآيات من كتابه تعزز ما علق في فكر الإنسان من أفكار ومناهج تعلّمها واستوعبها من مصادر ذات فكر متحرر لا يستند إلى مصدر روحي وللمزيد من التوضيح أفردت لهذه الإشكالية مطلبا تحت عنوان علاقة الجدل بالمنطق اليوناني.

المطلب الثالث: علاقة المنطق اليوناني بالجدل القرآني

لقد نشأ الجدل قبل نشأة المنطق اليوناني، وكان الجدل مرحلة حاسمة من مراحل نشأة المنطق وكما كان المنطق يسمى جدلاً نظرًا لكون الجدل يشبه المنطق من حيث طبيعته إذ أنّ

---

1 ـ ينظر محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، 324، 325، وينظر أيضًا محمد التومي الجدل في القرآن الكريم، ص 204، 205 .
2 ـ سورة النحل الآية 17 .

كلاً من الجدل والمنطق يتعلّقان بفكر الإنسان فضلاً عن أنهما يبحثان لإيجاد طريقة في التفكير الإنساني السليم بغية الوصول إلى نتيجة معينة تعصم الإنسان من الزلل والشطط. وتتطور كل من المنطق والجدل عبر الزمن واختلفا فيما بعد وأصبح المنطق علمًا يدرس ويتعلّم يدعى علم المنطق، كما أصبح الجدل هو الآخر علمًا يدرس ويتعلّم ويسمى علم الجدل والبحث والمناظرة، فأصبح علم الجدل يبحث لإيجاد طريقة قويمة لغلبة المجادل على خصمه في خضم الصراع بينهما، والتزام بعض المبادئ والشروط لكي يكون الجدل مفيدًا ونافعًا، أمّا علم المنطق هو الآخر يبحث لإيجاد طريقة سليمة وقويمة للتفكير لا تتعلق بالمتجادلين فقط، بل بكل إنسان يمارس الفكر ويتعاطاه، ويخوض في مجالاته المختلفة لكي يعطي ثمارًا نافعة.

أمّا إذا أتيت إلى القرآن الكريم الذي جاء لهداية الإنسان والأخذ بيده الطريق القويم وإسعاده دنيًا وأخرى وما يحتوي من جدل وقارنته بالمنطق الذي تمخض به فكر الإنسان عبر الزمان الطويل وبعد تجارب عديدة ومخاض عسير فما عساي أن أجد:

أولاً: إنّ المنطق اليوناني يتسم بالجفاف عند المتكلّمين والفلاسفة، ومنطق القرآن وجدله "يمتزج بالأسلوب العاطفي المثير لأنّه يخاطب الإنسان، ويثيره عن طريق قضاياه ومشكلاته ليحرك تطلعه إلى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة ومصيره البعيد، وهو يدعو إلى النظر في الكون لاستنباط سننه والاهتداء بالإيمان بخالقه، وكلّ الدعوات موجهة إلى قواه العقلية ليكون إيمانه عن تأمل وتدبر لاعن تقليد لما وجد عليه الآباء من غير نظر ولا تمحيص "[1].

ثانيًا: إنّ القرآن الكريم لم يسلك في جداله طريقة المتكلّمين الاصطلاحية المعقدة في ترتيب المقدمات والنتائج بأشكال منطقية مطولة " وهذا لا يمنع ورود الاستدلال القرآني بالكلي على الجزئي في قياس الشمول أو الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في قياس التمثيل أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء وفرضًا لو اتفقت[2]بعض مناهج الاستدلال في القرآن مع بعض القواعد المنطقية في نتائج صحيحة لا يعدّ دليلاً على أنّ القرآن سلك في جدله منهج المنطق اليوناني أو أنّه صورة مقتبسة منه، إلاّ أنّه يدل على توافق القرآن مع استدلال صحيح، والمنطق اليوناني ليس معصومًا من الخطأ منه ما يكون صحيحًا يوافقه القرآن في جدله، ومنه ما يكون غير صحيح فلا يمنع من اتفاق الحق في نتيجة صحيحة [3]، ويقول الدكتور التهامي نقرة في هذا الصدد أيضًا " أمّا ما جاء فيه موافقًا لبعض أقيسة المنطق في المحاجة كالذي استخلصه الغزالي في (القسطاس المستقيم) فلا يعدّ دليلاً على أنّ القرآن يخضع في حججه إلى القواعد التي اصطلح على وضعها علماء المنطق، لأنّه غير مطّرد،فهو شبيه بما يقال إنّ في القرآن شعرًا لوجود ما يصلح أن يكون بيتًا من الشعر ونصف بيت في أوزانه وتفعيلاته" [4]، إذن إنّ جدل القرآن حججه واستدلالاته لا تستند لمنطق اليونان [5]، ولا يخضع لقواعد استدلالية وضعها البشر لأنّ هذه القواعد لا تتسم بالكمال ومن ثمّ لا تسلم من الخطأ والسقم والركاكة، [6]ولم يسلك القرآن في جدله طريق المتكلّمين لأنّه جاء بلسان عربي مبين بعيدًا عن المصطلحات المنطقية المعقدة الجافة ولأنّه " جاء على ما هو مألوف من أساليب اللغة العربية الفصحى التي تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير ووضوح التعبير وسلامة التركيب دون

---

1 - تهامي نقرة: سيكولوجية القصة القرآنية، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر 1971،الشركة التونسية للتوزيع والنشر، ص 470.

2 - منا ع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 299، وينظر زاهر عواض الألمعي: مناهج، ص 416.

3 - ينظر زاهر عواض الألمعي: مناهج، ص 97 .

4 - سيكولوجية القصة القرآنية، ص 471.

5 - ينظر المصدر السابق، ص 89 .

6 - ينظر المصدر نفسه، ص 98.

إخلال بالصور البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية وتدفع بالعقول إلى النظر دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية المعقدة "[1] .

ثالثًا: الجدل القرآني استعمل جميع أنواع البراهين والأدلة والعلوم "وما من برهان ودلالة تقسيم وتحديد شيء من كليات العلوم العقلية إلاّ وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق المتكلمين وأحكامهم قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "[2]وليس المقصود باللسان لغة القوم فقط ولكن معناه يشمل لغة القوم وتقاليدهم وعاداتهم في الكلام والمحاورة والجدال وكذا مستواهم الفكري الذي به يستطيعون فهم الرسالة التي جاء بها رسولهم.

رابعًا: إنّ الجدل القرآني إذا قارناه بالمنطق والخطابة نجد أنّ أسلوبه يسمو عن كليهما إلاّ أنّه لا يمنع أن نجد فيه أوصاف المنطق والخطابة، غير أنّ سمات الأسلوب الخطابي واضحة في الجدل القرآني أكثر من الأشكال المنطقية قال ابن رشد: "إن أدلة القرآن من قبيل الأدلة الجدلية والخطابية، وقال إنّ أكثرها خطابي وبعضها جدلي فيه الإلزام والإفحام "[3] يقول أبو زهرة في هذا الصدد " وإنّك لترى بعض أوصاف الأسلوب قد أتى فيها بالمثل الكامل فيه وهو أعلى أن يوصف بأنّه جاء على منهاج الخطابة، وفيه تصريف القول الذي يلقى بجدة في نفس القارئ والسامع، فتصريف فنون القول من إيجاز غير مخل وغزارة في المعاني مع قلة الألفاظ وإطناب مبين بحيث لو حذفت كلمة لاختل بنيان القول إذ أنّ الكلام القرآني بعضه مع بعض كالبنيان النوراني المرصوص ولكل كلمة إشعاع مشرق فيه بحيث لو لم تكن يكون جزءًا ناقصًا من الأطياف القرآنية ... ومهما يكن من قول في استدلالات القرآن الكريم، فإنّ له مناهج في الاستدلال تعلو على براهين المناطقة والأخيلة المثيرة للإقناع "[4].

خامسًا: جدل القرآن في استدلالاته يسير يسهل الأخذ به وفهمه وهو شامل في طرقه وأشكاله وهو الطريق الشافي الكافي في أدلته وحججه وهو أقرب السبل المؤدية إلى الإقناع يقول أبو عبد الله الرازي في آخر عمره في كتابه (أقسام اللذات): "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولاتروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ... و من جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. وهكذا نجد أنّ الجدل القرآني يختلف عن المنطق اليوناني في جوانب عديدة تتعلّق بطبيعته وشكله ومحتواه ؛ فمن حيث الطبيعة نجد أن المنطق أن المنطق اليوناني يمتاز بالجفاف، وأنّه يخاطب العقل فقط أمّا الجدل القرآني فهو يمتاز بالحيوية والمرونة، وأنّه لا يخاطب العقل فقط بل يتعدى إلى مخاطبة الوجدان والحس، أمّا من حيث الشكل فإنّ المنطق اليوناني له أشكال معينة في الاستدلال ومناهج محددة وأمّا الجدل القرآني فإنّ أشكاله وطرقه في الاستدلال هي أكثر من أن تحصى فهي مثلاً في موضوع واحد كموضوع الاستدلال حول البعث كثيرة ومتعددة وتعدد أشكال استدلالاته خاضع لطبيعة كل موضوع، فمناهج الأستدلال على وحدانية الله تختلف عن مناهج الاستدلال على وجوده، وهذه الأخيرة تختلف عن مناهج الاستدلال على البعث وأحيانًا أخرى تتداخل هذه المناهج للاستدلال أحد المواضيع الثلاثة الآنفة الذكر، ويمكن أن تلتقي بعض الأشكال والمناهج الخاصة بالمنطق اليوناني لوجود توافق بينهما لأنّ هدفهما واحد هو مخاطبة الإنسان في بعض

---

1 - المصدر نفسه، ص 416، 417 .

2 - سورة إبراهيم الآية 4 .

3 - ابن رشد :فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة ط2، 1981، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 56.

4 - محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى، ص 341 .

القضايا وهذا لايعني أن القرآن تأثر بالمنطق اليوناني أو اعتمد عليه فهو يشبه بما نقول أنّ في القرآن شعرًا لوجود ما يصلح أن يكون بيتًا من الشعر وهذا لا يعني أن القرآن هو شعر وكما ينطبق هذا الحكم على الشعر ينطبق على المنطق أيضًا .أمّا من حيث المحتوى فإنّ المنطق اليوناني يتناول كل ماله علاقة بالفكر والتفكير الإنساني أمّا الجدل القرآني هو الآخر يخاطب الفكر والعقل الإنساني في مجال العقيدة والأحكام الشرعية ووروده في المجال الأول وارتباطه به أكثر.

المبحث الثالث: مناهج قرآنية للجدل القرآني

تمهيد: لقد سلك القرآن في مجادلاته للكافرين والجاحدين مناهج أخرى مستوحاة من طبيعة القرآن ومستنبطة من أهم خصائصه وهي أساليبه البلاغية التي تحدّى بها العرب الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة .

المطلب الأول: أهمية البلاغة وعلاقتها بالجدل القرآني والمنطق اليوناني

لقد رأينا فيما سبق أنّ من خصائص القرآن الكريم في جداله أنّه يخاطب العقل والقلب معًا[1]وأدلته قد سيقت مساقا أدبيًا واضحًا تتفتح لها القلوب والعقول ولم تعرض في تلك القوالب الجافة التي عرفت عند الفلاسفة و المتكلّمين ولم يتقيد بقيود المنطق المعروفة لدى البشر لأنّ الهدف من القرآن هو دعوة وهداية وإقناع ورسالة وبيان وإمتاع، وبما أنّ الجدل يخاطب العقل والبلاغة تخاطب وجدان السامع، فلقد استعملها القرآن ووظفها بحيث لا يمكن البتة أن نفصل أحدهما عن الآخر فالجدل يخدم البلاغة في مخاطبته للعقول كما أنّ البلاغة تخدم الجدل في مخاطبته للقلوب " فالغاية السامية للبلاغة هي التأثير في النفس، والحجة العقلية المسوقة عن طريق الجدل هي إحدى الوسائل الضرورية والهامة لحضور الجانب العقلي من النفس لهذا السبب استخدمت البلاغة القرآنية الجدل وسيلة من وسائل الإقناع بالحجة والبرهان لتقرير الحق ودفع الباطل "[2]ومن هنا فلا يمكن أن نستغني عن البلاغة في الجدل كما أنّنا لا يمكن أن نستغني عن الجدل في مخاطبة القلوب، فالتأثير في الوجدان دون مضمون عقلي لا يكفي في إقناع المجادل، يقول أحمد حسن الزيات في دفاعه عن البلاغة: "فقد يخاطب البليغ نفوسًا لازمها الجهل مع زيف العقل واعتساف الحكم مع خطل في الرأي، وغلبة الهوى مع فساد الوهم وحينئذٍ لابدّ أن تتناصر قوى العقل جميعًا على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان وذلك عمل المجادل والجدل عصب البلاغة "[3]فالبلاغة إذن هي من أهم الوسائل التي استعملها القرآن في جداله مع المنكرين و المعاندين والباحثين عن الحقيقة .

ولقد رأينا فيما سبق المناهج المنطقية التي استنبطها العلماء بعد أن استفادوا واستثمروا المنطق اليوناني، وهي عبارة عن اجتهادات واستنتاجات تستفيد منها فئة معينة من المجتمع وهم الباحثون في مجال العقيدة والمنطق ولا يستفيد منها عامة الناس، ولا تصلح أن تكون منهجًا للدعوة والجدال، لأنّ هذه الأشكال المنطقية لاتخاطب الوجدان بل تخاطب العقل فقط وهذا لا يكفي ولا يشبع نهم المجادل، فلا بدّ من استثارة وجدانه لكون هذا لأنّ الوجدان هو الذي يؤثر

---

1 - ينظر ص 74 من هذا الفصل

2 - زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص 429 .

3 - أحمد حسن الزيات : دفاع عن البلاغة، ط 2، 1967، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، الناشر عالم الكتب، ص 37 .

على سلطان العقل فأيّ دليل أو حجة لا تلمس الوجدان فلا يمكن أن تجد سبيلاً إلى العقل " ولأنّ الإقناع لا يكون بغير السيطرة على النفس والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة التي تعتدّ بالعقل في إدراك الحق والشعور وإدراك الخير ... وهي وحدها تنفد إلى القلب بسلطان غير ملحوظ وتؤثر في الدهن ببرهان غير ملفوظ، وتذهب في تصوير الواقع وتقرير الحق الإلهي الخالد والوظيفة الأولى للبلاغة هي الإقناع عن طريق التأثير "[1]كما أنّ مفتاح الحجة إلى العقل هو الوجدان فإنّ البلاغة هي مفتاح الوجدان فلا يمكن أن يقتنع العامي من الناس بحجة إلاّ بمخاطبته واستثارة وجدانه ولا يمكن أن نثير وجدانه إلاّ بالبلاغة، ويوضح هذه الميزة التي ينفرد بها القرآن الإمام الزرقاني بجلاء إذ يقول: "وهكذا نجد القرآن كلّه مزيجًا حلوًا سائغًا يخفف عن النفوس أن تجرع الأدلة العقلية ورقّه عن العقول باللفتات العاطفية ويوجّه العقول و العواطف معًا جنبًا إلى جنب لهداية الإنسان وخير الإنسان وهل تسعد بمثل هذا في كلام البشر، لا ثمّ لا، بل كلامهم إن وفّ بحق العقل بخس العاطفة حقها وإن وفىّ بحق العاطفة بخس العقل حقه وبمقدار ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر، ... فكلام الشخص إمّا وليد فكرة وإمّا وليد عاطفة وإمّا ثوب مرقع يتألف من نظرية تكون ثمرة للتفكير، ومن جمل عاطفية تكون ثمرة للشعور، أمّا أن تأتي كل جملة من جمله جامعة للغايتين معًا فدون ذلك صعود السماء، وكيف يتسنى ذلك لإنسان وهو لم يوهب القوتين متكافئتين، ولو تكافأتا لديه فإنّه لا يستطيع أن يوجههما اتجاهًا واحدًا في آن واحد متقارنتين، ...أمّا القرآن فإنّه انفرد بهذه الميزة بين أنواع الكلام لأنّه تنزيل من القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن والذي جمع بين الروح والجسد في قرآن فتبارك الله ربّ العالمين "[2] فإذا أردنا أن نحاور أو نجادل الإنسان فينبغي أن نطّلع على خصائصه التي فطر به وأن نحاوره ونجادله وفق ما يملك من خصائص واحتياجات فطرية ولكل خاصية من هذه الخصائص مفاتيح لابدّ أن نملكها ونحسن استخدامها فإذا أهملنا قدرات الإنسان الفطرية وأهملنا تبعًا لذلك مفاتيحها أو أسأنا استعمالها فمخاطبتنا له صيحات في واد ونفخات في رماد، فالإنسان يملك عقلاً ويملك وجدانًا ومفتاح العقل هو الجدل المنطقي ومفتاح القلب الأساليب البلاغية وأسلوب القرآن هو مزيج بين هذا وذاك .

وفي بحثنا عن المناهج الأسلوبية للجدل القرآني سوف نتحدّث عن بعض الأساليب البلاغية التي خدمت الجدل القرآني .

المطلب الثاني: أساليب بلاغية للجدل القرآني

يقسّم علماء البلاغة علم المعاني عادة إلى الخبر والإنشاء، إلاّ أنّ البحث عن الأساليب البلاغية في الجدل القرآني سوف ينصبّ على الإنشاء دون الخبر لأنّ الأساليب الإنشائية أكثر تأثيرًا على الوجدان هذا من جهة ومن جهة أخرى كونها أكثر ورودًا في القرآن و الأدب العربي نثره وشعره " واللغة إنّما تكون آدب من غيرها إذا اشتملت على الإنشاء أكثر من غيرها، واللغة العربية مجالها واسع في هذه الأبواب وقلّ أن تجد شعرًا لا يشتمل على الإنشاء أو ما هو في معناه "[3]وإذا أنّ الإنشاء يثير الانفعال فهذا لايعني أن الخبر لا يثير الانفعال بل هو أيضًا يؤثر في الوجدان لكن الأسلوب الإنشائي أكثر تأثيرًا على الوجدان منه .

---

1 - المصدر السابق، ص 38، 39 .

2 - الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ط 1، 1996، دار الفكر- بيروت، ج 2، ص 227 .

3 - عبد الفتاح لاشين: المعاني في أساليب القرآن، 1419 ه - 1999 م، دار الفكر العربي - القاهرة .

أولاً: الاستفهام

يعدّ الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية ورودًا في الجدل القرآني، لأنّ الجدل القرآني يقتضي أن يكون هنالك سائل ومجيب " ولعلّ الحوار الذي كان يدور بين المرسلين وأقوامهم تطلب وجود الصيغة الاستفهامية والتي قد اتخذت من جانب أنبياء الله وسيلة لإقامة الحجة والإقناع،وامتزجت بالنصيحة في كثير من الأحيان وذلك على عكس ما تلقوه من جانب أقوامهم"[1].

والاستفهام هو طلب حصول أمر أو شيء في ذهن المتكلم عن طريق أدوات الاستفهام وهي الهمزة وهل وما ومن و أيّ وكم وكيف وأين وأنّى ومتى وأيّان، وتعدّ همزة الاستفهام أكثر وأشهر الأدوات استعمالاً في القرآن وخصوصًا ما يتعلّق بالجدل، كما أنّ " الغالب في أسلوب القرآن أنّه يخرج إلى أغراض أخرى غير الاستفهام، كالتعجب، والإنكار، والتوبيخ، والتحقير، إلى ذلك مما لوحظ عند الحوار القصصي بين رسل الله "[2]وهذه المعاني والأغراض المجازية تستنبط من السياق الذي ترد فيه وتدعى بالقرائن وهي كثيرة أحصاها السيوطي واحدًا وثلاثين غرضًا [3]ومن أهمها الإنكار والتعجب، والتقرير، والتحذير، والتحقير.

1) الإنكار: وهو إبداء النفور والرغبة عن أمر ما لسبب من الأسباب وغرضه " لينتبه السامع حتّى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعني بالجواب، إمّا لأنّه قد ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له "فافعل"فيفضحه ذلك، وإمّا لأنّه همّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ لأنّه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله فإذا ثبت على تجويزه وبّخ على تعنّته وقيل له: فأرناه في موضع وفي حال أقم شاهدًا على أنّه كان في وقت "[4]فالمقصود بالإنكار وغرضه من خلال كلام الإمام عبد القاهر الجرجاني هو الردع والزجر و التنبيه، وغرضه لا يكون إلاّ تكذيبًا أو توبيخًا .

أ) التكذيب: وهو نفي ادّعاء باطل مثل أن يدعي الإنسان القدرة على فعل لا يقدر عليه مثل ادّعاء النمرود أنّه يحيي ويميت فكُذب في ادّعائه بأمر من سيدنا إبراهيم عليه السلام بالإتيان بالشمس من المغرب، وهنا افتضح أمر النمرود ونكص على عقبيه، فخجل وارتدع، أو ردّ ادّعاء باطل في حقّ الله عز وجل أو في حقّ أحد رسله كقوله تعالى: "أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ "[5] وقوله أيضًا: "أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا"[6] وقوله أيضًا على لسان المشركين: " قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا "[7]فالإنكار في الآية الأولى غرضه نفي إشراكهم الأصنام التي لا تخلق، ولا تملك النفع والضر، بمعنى ما يكون أن تتخذوا هذه الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله، كما نفى الله في الآية الثانية أنّه فضّل هؤلاء وخصهم بأفضل الأولاد واختار لنفسه أخسّها وأدناها " وقد قصد هاهنا بالتعرض لعنوان

---

1 - محمود السيد حسن: روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز، الناشر المكتب الجامعي الحديث، محطة الرحل، الإسكندرية، ص 259.

2 - المرجع نفسه، ص 266 .

3 - ينظر الإتقان في علوم القرآن: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1418ه - 1997/، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة و النشر و التوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الدار النموذجية، المطبعة العصرية، بيروت - صيدا، ج 3، الصفحات 234 - 266 .

4 - الإمام الجرجاني :في علم المعاني، صححه الإمام محمد عبده والأستاذ محمد محود التركيزي الشنقيطي، نشره السيد محمد رشيد رضا وعلق حواشي - 1960م، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر، ص 88 .

5 - سورة الأعراف الآية 191 .

6 - سورة الإسراء الآية 140 .

7 - سورة الإسراء الآية 94 .

الربوبية تشديد النكير وتأكيده وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيراد الإناث مكان البنات إلى كفرة لهم أخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالأنوثة التي هي أخس صفات الحيوان "[1]وأمّا سؤال المنكرين لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم فهو يحمل معنى النفي ممزوجًا بالتعجب أيضًا، وهو كيف يبعث الله رسالته بيد بشر مثلهم .

ب) التوبيخ: وهو نفور واستنكار فعل مستهجن أو سلوك خارج عن العرف ممّا لا يستساغ فإذا رجع عن خطئه المرتكب وعرف قبحه واستنكار الناس له، وأمّا إذا تمادى في غيه وُبّخ على هذا الإصرار ويؤمر بأن يستدل على جواز فعله بأنّه كان يمارس فيما مضى من الزمن وهذا ينطبق تمامًا على قوم لوط عليه السلام وما كان بينه وبين قومه من جدال قال تعالى على لسان سيدنا لوط عليه السلام: " وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ"[2]وغرض الإنكار هو التوبيخ لأنّهم لم ينتهوا عن فعلتهم الشنيعة وذكّرهم بأن هذا السلوك لم يسبقهم إليه أحد. قال تعالى: " وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ "[3]فقوله تعالى " أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ "استفهام توبيخي أنكر عليهم تماديهم في إنكار نبوة النبيء صلى الله عليه وسلّم[4] وجحد رسالته التي جاء بها.

ويعدّ الاستفهام الإنكاري من أكثر أساليب البلاغة ورودًا في القرآن الكريم ونسبة وروده مقارنة بالأساليب الأخرى 64 بالمائة ويصحبه أحيانًا التعجب و التوبيخ[5].

2) التعجب: قال تعالى على لسان امرأة إبراهيم: " قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ "[6]فقوله تعالى على لسان الزوجة " أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ"هو استفهام أريد به التعجب وغرضه استعظام لنعمة الولد ؛ إذ كيف يرزق شيخين هرمين بولد، وليس الغرض من هذا التعجب استبعاد قدرة الله تعالى[7].قال تعالى على لسان المشركين: " وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ "[8]فالاستفهام التعجبي الذي استعمله المنكرون لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم غرضه الإنكار لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الأسواق ويأكل الطعام كسائر الناس وتعجبهم من هذه الحالة يعني أن تكون نبوته مستحيلة [9]" وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم "[10]فالغرض من هذا الاستفهام تعجب وإنكار في نفس الوقت فأحيانًا الإنكار يفيد تعجبًا كما يفيد التعجب إنكارًا في أحيانٍ أخرى

---

1 - أبو السعود محمد بن مجمد العماري: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط 4، 1414 ه - 1994 م، طبع على مطابع دار إحياء التراث العربي، النشر دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ج 5، ص 173.

2 - سورة الأعراف الآية 80 .

3 - سورة الأنبياء الآية 50 .

4 - ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 1997، دار مصر للطباعة، الناشر دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس م8 ج17، 91 .

5 - ينظر عبد العليم السيد فودة: أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دط ، دت نشر الرسائل الجامعية، مؤسسة دار الشعب، القاهرة،ص 64 .

6 - سورة هود الآية 72 .

7 - بنظر أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج 4، ص 226 .

8 - سورة الفرقان الآية 7 .

9 - ينظر طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، م 9، ج 18، ص 327 .

10 - الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، ط 1، 1415ه - 1991م ،دار الكتب العلمية 1415ه - 1991م، توزيع مكتبة عباس بن أحمد الباز، مكة المكرمة ج 3 ص 258.

فالأساليب الإنشائية يخدم بعضها البعض وتتكامل فيما بينها شأن هذا التكامل والتجانس شأن تكامل وتجانس أعضاء الجسم في أداء الوظائف[1].

3) التقرير: وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر يعرفه [2]ويشترط أن تسبق همزة الاستفهام ما قرّر به، قال تعالى على لسان قوم إبراهيم: " قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ"[3]فالمراد من هذا الاستفهام الذي يفيد التقرير ليس حمل الكفار سيدنا إبراهيم بأن كسر الأصنام قد كان منه لا من غيره بدليل إشارتهم إلى الفعل في قولهم "أأنت فعلت هذا"فإنّ ذلك يقتضي أنّ المطلوب الإقرار بالفاعل لا بالفعل وبدليل قول إبراهيم لهم " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا"[4]ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل [5]والمراد بإنكار إبراهيم أن يكون مرتكبًا لهذه العملية إلزام الحجة بأن الصنم لا يمكن أن يكون إلهًا " وانتفائه ألوهية الأصنام المحطمة بطريق الأولى على نية أن يكر على ذلك كله بالإبطال ويوقنهم بأنّه حطّم الأصنام وإنّها لو كانت آلهة لدافع عن حاشيته فلذلك قال فاسألوهم إن كانوا ينطقون تهكمًا وتعريضًا"[6]والاستفهام التقريري ورد في القرآن الكريم كثيرًا غرضه حمل المخاطب الإقرار بالحقيقة بعد أن أنكرها من قبل واستدراجه لنفي مانفى من قبل كقوله تعالى: " وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"[7]وقوله تعالى أيضًا: " يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا"[8]فالمنكرون للبعث حينما يرون النار ويعرضون عليها ومن قبل كانوا ينكرون البعث يحملون على لإقرار بحقيقة البعث فيقرون بذلك وفي يوم الحشر يسأل كل من الإنس والجن بسؤال دخل فيه النفي وهذا لأنّه يُعتقد أنّهم يجيبون بالنفي لكونهم أنكروا مجيء الرسل إليهم وجحدوا رسا لاتهم ولم يستجيبوا لهم وأعرضوا عنهم كل ذلك في الدنيا فإذا سئلوا عن مجيء الرسل قالوا لم يأت الرسل فالاستفهام في قوله تعالى" ألم ياتكم رسل منكم " غرضه حملهم على الإقرار بالحقيقة التي لامناص لهم منها وهي قوله "شهدنا على أنفسنا".

4) التحذير: كقوله تعالى: " أَلَمْ نُهْلِكْ الْأَوَّلِينَ "[9]خطاب موجّه إلى المشركين الذين أنكروا البعث، وذلك بإيراد مصير الأمم السابقة الذين أنكروا البعث ليحذروا أن يحلّ عليهم ما حلّ على هؤلاء[10]فالمراد من هذا الاستفهام هو التحذير من مغبة الإصرار على إنكار البعث لهم ما وقع للأمم السابقة .

---

1 - ينظر بن عيسى عبد القادر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان، رسالة جامعية تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الماجستير (مخطوط)، ص 24.

2 - ينظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،دط، 1408ه - 1988م،دار الجيل - بيروت، ج 2، ص 331 .

3 - سورة الأنبياء الآية 62 .

4 - سورة الأنبياء الآية 63.

5 - ينظر أبو الضل شهاب الدين الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، قرأه وصححه محمد حسين العرب، بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر، 1414ه - 1994م،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان م 10، ج 17، ص 96 .

6 - الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير م 8 ، ج 16، ص 101.

7 - سورة الأحقاف الآية 34.

8 - سورة الأنعام الآية 130.

9 - سورة المرسلات الآية 16 .

10 - الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، م 14، ج 29، ص 428 .

التحقير: قال تعالى: " وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا "[1]يروى أنّ هذه الآية نزلت في أبي جهل ومن معه، وقولهم "أهذا الذي بعث الله رسولاً" استفهام غرضه الاستحقار وإنكار أن يكون مبعوثًا من قبل الله عز وجل واسم الإشارة "هذا"يدل على المبالغة في استصغار شأن الرسول صلى الله عليه وسلّم [2].

ثانيًا: الأمر

يعدّ أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كثيرًا ويعدّ من الخصائص اللغوية في الجدال بين الأنبياء وأقوامهم[3]، وهو ما يطلب حصول شيء على وجه الاستعلاء والإلزام [4]ويسمى أمر حقيقي وله صيغ أربع وهي:

أ ـ فعل الأمر: مثل قوله تعالى على ألسنة أنبيائه نوح، وهود، وثمود، وشعيب،: " يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ "[5]فالأمر هنا لعبادة الله دون غيره لأنّ هذا الغير من المعبودات ليست آلهة لكم .

ب ـ المضارع المقرون بلام الأمر: كقوله تعالى: " فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ "[6]،وقوله أيضًا: " فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ "[7]والمقصود بالنظر في الآية الأولى نظر العقل والتفكير والتأمل ومعنىالأمر بالعبادة في الآية الثانية هو إفراد الله بالعبادة ونفي الشرك عنه .

ج ـ اسم فعل الأمر :كقوله تعالى: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ "[8]فكلمة عليكم اسم فعل بمعنى ألزموا و"على" تدل على الاستعلاء وكثر هذا الاستعمال فعومل معاملة فعل الأمر وجعلت بمعنى أمر المخاطب بالملازمة بالشيء ونصب الاسم الذي بعده مفعولاً به ومعنى عليكم أنفسكم ألزموا أنفسكم[9]، احرصوا عليها من الضلال .

د ـ المصدر النائب عن فعل الأمر :كقوله تعالى: " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " أي وأحسنوا إلى والديكم .

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي ليؤدّي معانٍ أخرى تعرف من سياق الكلام وقرائن الحال وهي كثيرة منها :

1) التعجيز: وهو أمر المخاطب بالقيام بعمل لا يقدر عليه قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم مخاطبًا النمرود بن كنعان: " فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ"[10]وهذا عندما جادل النمرود سيدنا إبراهيم في ربّه فقال له إبراهيم: " رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" [11]فقال النمرود :" قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ" [12]فأراد إبراهيم بالحياة والموت أن الله يخلق الحياة والموت في الأجساد لكنّ النمرود لم يفهم مراد إبراهيم ولذلك انتقل به إبراهيم إلى حجّة أعظم من الحجة الأولى "والأمر للتعجيز والفاء الأولى للإيذان بتعلق ما بعدها بما قبلها،

---

1 ـ سورة الفرقان الآية 41 .
2 ـ ينظر الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، م9، ج 18، ص32 .
3 ـ ينظر محمود السيد حسن: روائع الإعجاز في القصص القرآني، ص 230.
4 ـ عبد العزيز عتيق :علم المعاني، ص81.
5 ـ الآيات 59، 65، 73، 85، من سورة الأعراف والآيات50, 61، 84 من سورة هود.
6 ـ سورة الطارق الآية 5.
7 ـ سورة قرش الآية 3 .
8 ـ سورة المائدة الآية 105.
9 ـ ينظر الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، م 4، ج 7، ص 76، 77 .
10 ـ سورة البقرة الآية 258 .
11 ـ سورة البقرة الآية 285 .
3 ـ سورة البقرة الآية 285.

والمعنى إذا ادعيت الإحياء والإماتة لله تعالى وغالطت فمريح البال ومزيح الإلتباس"[1]فالنمرود حينما ادّعى القيام بشيء ليس من اختصاصه بل هو من اختصاص الله عز وجل أمره سيدنا إبراهيم على سبيل التعجيز على لأمر أعظم من الأمر الأول فبهت الذي كفر.

2) التهديد:هو غرض يراد به إشعار المخاطب بمصير سيئ سوف يؤول إليه إن لم ينته عن سلوكه قال تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ"[2]فالله أمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم أن ينوب عنه في الرد عن ضلالات المشركين بفعل الأمر" قل" وقوله: "تمتّعوا"ليس أمرًا حقيقيًا بل يعدّ " تهديدًا لأولئك الضالين المضلين ونعيًا عليهم وإيذانًا بأنّهم لشدة إبائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل ...وتمتعوا بما أنتم عليه من الشهوات التي التي من جملتهاكفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الأصنام فإنّ مصيركم إلى النار"[3].

3) التهكّم: أحيانًا يستعمل الأمر لإهانة المخاطب كقوله تعالى: "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الكَرِيمُ"[4]في معرض تعذيب العاصي، وقوله "إنّك أنت العزيز الكريم" المؤكد بتأكيدين هما إنّ والضمير المنفصل ليس حقيقية بل عكس ذلك أي أنت الذليل المهان [5]وقيل إنّهذه الآية نزلت على أبي جهل لأنّه ادّعى أنّه هو العزيز الكريم فقتل يوم بدر فعيره الله بما قال[6]وهكذا يكون مآل المتهكمين الساخرين والمستهزئين برسل الله ورسالاته.

ثالثًا: التوكيد

يعد التوكيد من الأساليب البلاغية التي استعملها القرآن الكريم في مجادلاته مع الخصوم لأنّه " وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم"[7] ويقول ابن العلوي في هذا الصدد: "واعلم أنّ التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عمّا أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد"[8]ومن ثمّ فالتوكيد يعدّ من أهم أساليب القرآن في مجادلة الخصوم لأنّه وسيلة للتأثير عليهم وهذا يجعلهم يتيقنون بعد الشك، ويتحققون بعد التيه في بيداء الخيال ويؤمنون بعد الجحود والإنكار.ومن أساليب التوكيد مايلي:

1) دخول أدوات التوكيد على الجمل: يقول ابن جني: ومن أبرز أدوات التوكيد التي تدخل على الجملة الاسمية " إنّ"و " اللام "، قال تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"[9] فأهل القرية التي جاءها المرسلون لمّا كذّبوا اثنين من

---

4 - الألوسي: روح المعاني م 3، ج3، ص 30 .
5 - سورة إبراهيم الآية 30 .

6 - سورة الدخان الآية .49
2- الألوسي: روح المعاني م 14، ج 25، ص 205
3- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، م 12، ج 25 .
4- أ حمد بدوي : من بلاغة القرآن الكريم ،ط2 ، 1405ه - 1998م ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة عالم الكتب ص 134.
8 - ابن العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، 1402ه - 1982م، دار الكتب العلمية - بيروت ج2 ص 176.
9 - سورة يس الآيات 13- 17 .

رسل عيسى عليه السلام قواهما الله بثالث فقالوا جميعًا بالتوكيد " إنّ إليكم مرسلون " فكان التوكيد ب"إنّ"و"الجملة الإسمية" "إنّا إليكم مرسلون" فحينما كذّبوهم أكّدوا دعوتهم بأربع توكيدات وهي القسم في قولهم " ربّنا يعلم "و" إنّ " المؤكدة ودخول "اللام"على كلمة "مرسلون"وإسمية الجملة، وكلمة مرسلون كانت في الأول بغير لام لأنّه ابتداء إخبارهم ن وأكدت بعد المحاورة بلام التوكيد لأنّه جواب علىإنكار [1].ومن الأدوات التي التي تدخل على الجملة الفعلية "قد" التي تفيد التحقيق، وهو معنى يفيد التوكيد [2]، قال تعالى: " وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ"[3]وجملة " وقد هداني" حالية مؤكدة، فالمقصود فلا معنى أن تجادلونني في الله وقد هداني إلى الحق، وتدل هذه الجملة الحالية أن صاحبها متصف بهذه الحال ومعروف عند الذي يخاطبه [4]ومن الأدوات التي تدخل على الجملة الفعلية "السين " المفيدة للتنفيس، قال تعالى: "لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ"[5] ومعناه سنكتب ما قالوه في حقّ الله عز وجل في صحائف الحفظة ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يكتب المكتوب و السين تفيد تأكيد المكتوب ولا يمكن أن ننسى تدوين ما قالوه لأنّه من العظائم الشنعاء [6].ومن مؤكدات الجملة الفعلية "لن" المفيد للتأبيد قال تعالى على لسان سيدنا موسى: "رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي "[7]والأداة "لن" تفيد تأكيد النفي الذي تعطيه "لا" لأنّ هذه الأخيرة تنفي فإذا قلت مثلاً لا أفعل هذا الشيء غدًا وإذا أكدت نفي الفعل قلت لن لن أفعل هذا الشيء غدًا في المستقبل[8] .

2) التوكيد بأحرف الزيادة: يقول إبن جني " كل حرف زيد في كلم العرب، فهو قائم مقام الجملة مرة أخرى "[9] لأنّ من خصائص اللغة العربية الإيجاز لا الإطناب الممل، فبدلاً من تكرار جملة بعينها دون ما فائدة فإنّها تلجأ إلى استعمال أدوات تغني عن تكرارها، وهذا لا ينطبق على حروف الزيادة فقط، بل ينطبق حتّى على الأدوات التي رأيناها سابقًا فمثلاً " إذا اجتمعت إنّ واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات، لأنّ"إنّ" أفادت التكرير مرّتين فإذا دخلت اللام صارت ثلاثًا"[10]ومن حروف الزيادة المفيدة للتأكيد "الباء" قال تعالى على لسان المنكرين للبعث: "وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ"[11]فلمّا أنكر هؤلاء البعث صرّحوا بالنفي المحض الدال على عدم البعث بالألفاظ وهي دخول الباء على الخبر في قوله " وما نحن بمبعوثين" على سبيل المبالغة في الإنكار[12]. ومن حروف الزيادة المفيدة للتوكيد أيضًا

1 ـ ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير م 10 ج22، ص 360، وينظر أيضًا تفسير أبي السعود ج 7، ص 161، 162، وينظر أيضًا أبوحيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، 1413ه ـ 1993 م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ص 233 .

2 ـ ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 418 .

3 ـ سورة الأنعام الآية 80 .

4 ـ الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م 4، ج 7، ص 327 .

5 ـ سورة آل عمران الآية 181 .

6 ـ ينظر تفسير أبي السعود، ج 2، ص 121 .

7 ـ سورة القصص الآية 75.

8 ـ ينظر الزمخشري: تفسير الكشاف م 2، ج 2، ص 148، 149 .

9 ـ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 196 .

10 ـ المصدر نفسه، ج 3، ص 195 .

11 ـسورة الأنعام الآية 29 .

12 ـ ينظر أبو حيان التوحيدي: تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 149 .

"الكاف"التي تفيد التشبيه، يقول تعالى: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ"[1]أكد لهؤلاء قصر مكوثهم في الدنيا وشبهه بالساعة بقوله "كأن". وتعد "لا" النافية التي تدخل على القسم من حروف الزيادة الدالة على التوكيد قال تعالى: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ" ومعناه أقسم ولا النافية زائدة تفيد التوكيد[2]ومثل هذا أيضًا قوله تعالى "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ"[3]وقوله أيضًا: "لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ"[4]ودخول هذه اللام يقصد بها المبالغة وتأكيد القسم .

3) التوكيد بالجملة الاسمية: قال تعالى على لسان المنافقين محدّثًا عن المنافقين: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ"[5]فالمنافقون حينما خاطبوا المومنين خاطبوهم بالجملة الفعلية "آمنا" وبعد أن خلوا إلى شياطينهم خاطبوهم بالجملة الاسمية المحققة وإنّ المؤكدة وهذا التأكيد بإنّ والجملة الاسمية يفيد ثباتهم في الكفر والغي والضلال لئلاّ يشك شياطينهم في أنّهم آمنوا عندما يلتقون بالمومنين ويجالسونهم، والإقرار بإيمانهم للمومنين يعدّ نفاقًا وتكلفًا فقط[6].

4) التوكيد الصناعي: وينقسم إلى أربعة أقسام، وهي التوكيد المعنوي، والتوكيد اللفظي، وتوكيد الفعل بمصدره، والحال المؤكدة.

ـ فأمّا التوكيد المعنوي فكقوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ"[7]وقولهم "كلهم"يفيد الشمول والإحاطة و"أجمعون"قدر زائد على ذلك وهو اجتماعهم في السجود، وهو تأكيد على تأكيد بحيث لم يتخلّف منهم أحد [8].

ـ وأمّا التوكيد اللفظي فكقوله تعالى: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ"[9].والتكرار لعبارة " أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ " المفيد للتوكيد يدل على أنّ وصف الدين والتعبير عنه مما لا يوصف للهول الذي فيه ومثل هذا كثير في القرآن الكريم كقوله تعالى "الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ"[10]"الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ"[11].

ـ أمّا توكيد الفعل بمصدره:فكقوله تعالى على لسان سيدنا نوح عند مجادلته لقومه وتذكيرهم بنعم الله التي أسبغها عليهم: "وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا "[12]ف"نباتًا"إسم مأخود من فعل أنبت عومل معاملة المصدر فوقع مفعولاً مطلقًا دالاً على توكيد فعل "أنبتكم"[13]، وكذلك الشأن في مصدر "إخراجًا".

ـ وأمّا الحال المؤكدة: كقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام في مجادلته لقومه ناهيًا إياهم عن عدم الإفساد في الأرض: "وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"[14]فكلمة "مفسدين" هي حال مؤكدة للفعل تعثوا ومعناه لاتعثوا حال إفسادكم[1] .

---

1 - سورة يونس الآية 45 .
2 - ينظر التحرير والتنوير م 13، ج 27، ص 330 .
3 - سورة القيامة الآية 1 .
4 - سورة البلد الآية 1 .
5 - سورة البقرة الآية 14 .
6 - ينظر التحرير والتنوير، م 1، ص 291 .
7 - سورة الحجر الآية 30.
8 - ينظر الزركشي، البرهان ج 2، ص 388 .
9 - سورة الانفطار الآية 17، 18 .
10 - سورة الحاقة الآيات 1، 2، 3 .
11 - سورة القارعة الآيات 1، 2، 3.
12 - سورة نوح الآية 17، 18 .
13 - ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م 14، ج 29، ص 204 .
14 - سورة العنكبوت الآية 36 .

5) ضمير الشأن: يعدّ ضمير الشأن من المؤكدات التي حفل بها القرآن، ويشترط أن يتقدم جملة تكون خبرًا عنه ومفسرة له، و يتقدم عادة على الجملة في مواضع التفخيم و التهويل وغرضه التطلع إلى الكشف عنه وتفسيره[2]، قال تعالى إجابة للمشركين حينما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلّم أن ينسب لهم ربّه: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"[3]والضمير"هو" ضمير الشأن يفيد لفت نظر السامع للاهتمام بالجملة التي بعده " والسبب في تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالة خبرها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإنّ الضمير "هو" لا يفهم منه أول الأمر إلاّ بشأن مهم له خطر جليل فيبقى الدهن مترقبًا لما أمامه بما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن"[4]، فالضمير "هو" أكدّ وحدانية الله قبل التلفظ بها، وذلك حينما جعل المستمع يهتم مصغيًا لما سوف يلقى على سمعه من جواب، وهو " هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ".

6) التوكيد بالاعتراض: الاعتراض " هو أن يدخل خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكنًا وتفيد معنًى آخر مع أنّ اللفظ يستقيل بدونها ويلتزم بغيرها ويأتي في الكلام لفائدة "[5] والمقصود بالتمكن التوكيد، قال تعالى: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ"[6]ففي هذه الآية اعتراضان أحدهما قوله تعالى"وإنّه لقسم"وهي جملة معترضة بين القسم " لاأقسم" والمقسم عليه "إنّه لقرآن كريم"، وجملة "لو تعلمون"بين الموصوف "لقسم"وصفته"عظيم" فالجملة المعترضة الأولى اعترضت بين القسم والمقسم عليه والجملة الثانية اعترضت بين القسم وصفته المتمثلة في العظمة فهما جملتان معترضتان إحداهما إضافة إلى كلّ هذا أنّ القسم هو الآخر توكيد و"لا"السابقة للقسم هي من المؤكدات أيضًا فلإثبات عظمة القرآن الكريم اجتمعت جملة من المؤكدات لإثبات هذه العظمة.

7) التوكيد بالقسم: الغرض من القسم هو تحقيق الخبر وتوكيده لإثبات حجة يستبعدها المخاطب وتحقيق حقيقة من الحقائق وتوكيدها حتى تجد قبولاً لديه " ولا يكون القسم إلاّ باسم معظم وقد أقسم الله بنفسه في سبعة مواضع في القرآن الكريم أمّا الباقي قسم بمخلوقاته"[7]وأقسام الله تدور حول أصول الدين التي يجب على الناس اعتقادها كتوحيد الألوهية وأحقية القرآن وأحقية نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى الجزاء والوعد والوعيد، وتارة تدور حول أحوال الإنسان، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ"[8]والقرآن مقسم به، والقسم بالقرآن يدل على شرف قدره وعظم منزلته، والمقصود بهذا القسم تأكيد الخبر مع التنويه به، وجملة "إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ"جواب القسم والتأكيد بالقسم وحرف التأكيد ولام الابتداء لردّ إنكار الكفرة الذين أنكروا نبوته ورسالته بقولهم له" لَسْتُ مُرْسَلاً"، وهذا القسم غرضه تأنيس الرسول صلى الله عليه وسلّم وتعريض المشركين، فالتأكيد المنسوب إليه زيادة للتقرير، وأمّا بالنسبة للمعنى الكنائي المستفاد منه لرد إنكار المشركين لنبوته [9]، ولقد رأينا التأكيد بالقسم

---

1 ـ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير م 5، ج 8، ص 221 .
2 ـ ينظر الزركشي: البرهان ج 2، ص 410 .
3 ـ سورة الإخلاص الآية 1 .
4 ـ أبو السعود: تفسير أبي السعود ج 9، ص 212 .
5 ـ ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط 2، 1408ه ـ 1988م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 94، 95 .
6 ـ سورة الواقعة الآيات 75، 76، 77 .
7 ـ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ج 4، ص 46، 47 .
8 ـ سورة يس الآيات 1، 2، 3 .
9 ـ ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م 11، ج 22، ص 345، 346 .

في معرض الحديث عن التوكيد بالاعتراض في قوله تعالى :" فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ "، فلقد أكّد الله عز وجل مكانة القرآن بالقسم به وهذا القسم مسبوق بلام التوكيد التي سبق وأن أشرنا إليها التي تعدّ هي الأخرى من أدوات التوكيد .

وهكذا يتبين لنا جليًا أنّ التوكيد بأساليبه الكثيرة ـ ومنها الأساليب الآنفة الذكر ـ وقد خدم الجدل القرآني خدمة جليلة في العديد من المواضيع وخصوصًا ما تعلّق بأمر العقيدة لأنّ أغلبية الجدل القرآني يصبّ في مجال العقيدة الإسلامية في العهد المكي مرحلة غرس العقيدة في النفوس ومجادلة المعاندين والمستكبرين ودحض حججهم وأباطيلهم، ومن خلال ما سبق أيضًا نجد هذه الأساليب تقف أحيانًا جنبًا إلى جنب إذ نجد أحيانًا أكثر من أسلوبين كلّها تقرع أذن السامع وتملأ سمعه بالأدلة الناصعة حتى يفيق من جهله وغفلته ويفرك عينه ليرى الحقيقة الناصعة.

رابعًا: التكرار

يعد التكرار هو الآخر من الأساليب البلاغية المشهورة في القرآن الكريم وهو "أن يأتي المتكلم بلفظ ثمّ يعيده بعينه سواءً أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثمّ يعيده"[1]ويعدّ التكرار من محاسن الفصاحة لأنّ من عادة العرب في خطاباتهم إذا أرادوا أن يفصحوا ويوضحوا مبهمًا كرّروه، وأسلوب التكرار وظّف بحسب طبيعة الإنسان الميالة إلى حبّ الشهوات ولا يردّ الإنسان عن ذلك إلاّ بتكرار المواعظ و القوا رع [2]، ومن أغراض التكرار:

1) التقرير: ويعدّ التقرير من أهمّ أغراض التكرار وقد قيل " الكلام إذا تكرّر تقرّر "[3]، ومن أمثلته قوله تعالى: " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي"[4]فجملة "قل اني أمرت أن اعبد الله مخلصًا له الدين"وجملة " قل الله أعبد مخلصًا له ديني " هو تكرار يفيد أن لامعبود بحق إلاّ الله،إلاّ أنّ عبادة الله قيدت بالإخلاص في الدين في الجملة الأولى وقدّم المفعول به في الجملة الثانية للمزيد من الاهتمام بالمعبود وليقرّ معنى التوحيد ثلاث مرات [5] إلاّ أنّ الزمخشري لايرى تكرارًا في الجملتين لأنّ الجملة الأولى في نظره تفيد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم مأمور من جهة الله بإفراد ه بالعبادة والإخلاص والثانية أفادت أنّ الله مختص بالعبادة وحده دون غيره [6]، وسواء أمر الرسول صلى الله عليه وسلّم بالعبادة لله أم خص الله بالعبادة فإنّ المعنيين يفيدان إفراد العبادة لله ولذلك عدّ تكريرًا مفيدًا للتقرير.

2) التوكيد: ومن أمثلته قوله تعالى: " كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" [7]فالآية الثانية " ثمّ كلاّ سوف تعلمون "تكرير للتأكيد والدلالة على الزجر والوعيد، والجملة الثانية أبلغ وأقوى من الجملة الأولى لأنّها أفادت تحقيق الزجر والوعيد ولأنّ الأولى أفادت هول القبر بعد

---

1 ـ ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، قدّمه وحقّقه وعلّق عليه أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ج 3، ص 9 ، ط2 ، 1403ه ـ 193م، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ج3 ، ص 9.

2 ـ ينظر الزركشي : البرهان في علوم القرآن: ج 3، ص 9 .

3 ـ المصدر نفسه ج 3، ص 10 .3

4 ـ سورة الزمر، الآيات 11، 12، 13 .

5 ـ ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م 11 ج 23، ص 359 .

6 ـ الزمخشري: تفسير الكشاف ج 4، ص 115 .

7 ـ سورة التكاثر ، الآية 3، 4 .

الموت والثانية أفادت هول البعث والحشر[1]، ونلاحظ أنّ الجملة المكررة أفادت التوكيد وقريبًا من هذا قوله تعالى " وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ"[2]فالجملة " ثم أدراك ما يوم الدين" تكرير للتهويل يؤذن بزيادته، أي تجاوزه حدّ الوصف والتعبير فهو من التأكيد اللفظي، وقرن "هذا" بحرف "ثمّ" الذي شأنه إذا عطف جملة على أخرى يفيد التراخي الرتبي أي تباعد الرتبة في الغرض المسوق له الكلام، وهي في هذا المقام رتبة العظمة و التهويل فالتراخي فيها هو الزيادة [3] وقد يفيد التكرير المؤكد التعجب و المبالغة في قوله تعالى: "فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ"[4] فالجملة الثانية تكرير للمبالغة و التعجب غاية الإعجاب[5] من هذا الإنسان الذي أوتي مالاً وولدًا وفصاحة في الكلام، والذي اتهم القرآن بأنّه سحر "فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَر إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ"[6]و"ثم"تشير إلى تفاوت بين الجملة الأولى و الثانية في الرتبة والجملة الثانية أبلغ ولأنّه إذا كانت الجملة المعطوف بها هي نفسها المعطوف عليه أفادت أنّ المعطوف عليه ذو درجات متفاوتة، إضافة إلى كلّ هذا أنّ كلا الآيتين بدئتا بدعاء عليه أن يقتل ويعجّل لموته إمعانًا في تهديده ووعيده .

إذا قارنا بين التوكيد والتكرار نجد أنّه قد يكون التوكيد تكرارًا مثل التوكيد اللفظي كما قد يكون التكرار توكيدًا مثلما رأينا آنفًا إلاّ أنّه ليس كلّ توكيد تكرارًا إلاّ أن يكون مقدّرًا مثل إفادة أداة التوكيد "إنّ" التكرار مرّتين كما أنّه ليس كل تكرار توكيدًا قال تعالى: " وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ"[7]فكلمة "اصطفاك" كرّرت مرّتين والمراد بالأولى الاصطفاء الذاتي في الزكاة والطهارة وتقبل الله لها بقبول حسن وكفالة زكرياء لها ورزقًا حسنًا، أمّا المراد بالثانية التفضيل على الغير أي على نساء العالمين بأن وهب لها عيسى عليه السلام من غير أب وتكليم الملائكة لها الدال على النبوة[8]فالتكرار هنا ليس توكيدًا لكون التوكيد يكون في أمر واحد لا أمور متعددة فإذا سمي توكيدًا فهو من باب التجوز.

فكما لاحظنا أنّ أسلوب التوكيد وأدواته ساهم مساهمة فعالة في الجدل القرآني نلاحظ أنّ التكرار أيضًا ساهم هو الآخر في بناء صرح الجدل القرآني الذي خاطب الإنسان ذو الطبائع المختلفة وميل إلى شهوات النفس فكان التكرار مناسبًا لنزعات هذا الإنسان لكي يوقظه من غفلته وسدوره بترديد جمل وعبارات على سمعه لتجد مكانها في القلب ويستنير بنوره ويحيا بعد موت وينير به من حوله "أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا"[9]فشتان بين هذا وذلك.

---

1 - ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير م 15، ج 30، ص 521، وينظر أيضًا تفسير أبي السعود ج9، ص 195 .

2 - سورة الانفطار، الآية 17، 18 .

3 - ينظرالطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ج 30، ص 184، وينظر أيضًا تفسير الألوسي م 16، ج 24، ص 403 .

4 - سورة المدثر الآية 19، 20 .

5 - ينظر الألوسي : روح المعاني ، م 16، ج 29، ص 212 .

6 - سورة المدثر، الآية 24، 25 .

7 - سورة آل عمران الآية 42 .

8 - ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م 3، ج 3، ص 244 .وينظر أيضًا ابو السعود :إرشاد العقل السليم ،ج 2، ص 35 .

9 - سورة الأنعام ، الآية 122 .

خامسًا: التمثيل

يعدّ التمثيل من الأساليب البيانية التي استعملها القرآن لتقريب المعاني المجردة إلى ذهن السامع وتوضيحها، وإزاحة ستار الإبهام عنها في ردّه للخصوم وتفنيد حججهم وأباطيلهم، وهي طريقة امتاز بها العرب الفصحاء في كلامهم يقول الزمخشري: " لضرب العرب المثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق و المتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنّه شاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين أمثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم وكلام الأنبياء والحكماء "[1]وكان أكثر جدل القرآن في العقيدة وتثبيت أركان الإيمان " لأنّ الترغيب في الإيمان مجرّدًا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور، وإذا زهد في أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مجرّدًا "[2] وغرض التمثيل هو إفادة الحقيقة والصحة ونفي الشك والريب عند الخصوم. والتمثيل إذا جاء بعد توضيح فكرة أو حجة أو رأي معين " كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثارها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا، فإذا كان مدحًا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف وأجلب للفرج ... وإن كان ذمًّا كان مسّه أوجع وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحدّه أحد ... وإن كان وعظًا كان أشفى للصدور وأدعى للفكر وأبلغ في التنبيه و الزجر ... وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"[3]والسبب في تأثير التمثيل على النفوس لأنّ هذه الأخيرة تتأثر وتأنس بما هو واضح و جلي وما هو محسوس وخصوصًا إذا ربطت فكرة مبهمة بشيء واضح ومعروف لديها يقول عبد القاهر الجر جاني في هذا الصدد أيضًا: " إنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني وأن تردّها في الشيء تعلّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما لا يعلم بالإضرار والطبع، لأنّ العلم المستفاد من جهة النظر و الفكر و القوة و الاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا " ليس الخبر كالمعاينة " "ولا الظن كاليقين" فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس من جهة الاستحكام والقوة"[4]، فالقرآن الكريم الذي أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير بشؤون الإنسان وطبائعه وميولا ته ورغباته و أحاسيسه ومشاعره تجاه ما يرى ويسمع جاء بما يناسبه ويلائمه فلذلك كان التمثيل من الخصائص البارزة فيه قال تعالى في معرض الحديث عن المشركين الذين اتخذوا شركاء من دون الله: " مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[5] إذ مثل اتخاذ المشركين آلهة من دون الله من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر بالعنكبوت اتخذت بيتًا واهيًا وضعيفًا لا يستطيع أن يحميها أو يردّ عنها الأذى، وضرب هذا المثل للمشركين لأنّهم يعلمون سلفًا حقيقة بيت العنكبوت المتمثلة في الوهن والضعف ولذلك مثّل

---

1 - الزمخشري: الكشاف، ج 1 ص 79 .

2 - الفخر الرازي: التفسير الكبير م 1، ج 2، ص 66 .

3 - عبد القاهر الجر جاني: كتاب أسرار البلاغة، تحقيق ه - ريتر، دار المسيرة للصحافة والطباعة و النشر، بيروت ط 3، 1403ه - 1983م، ص 102 .

4 - المصر السابق ،ص 108 .

5 - سورة العنكبوت ، الآية 41 .

إيمانهم وولاهم واعتمادهم على أشياء لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا باتخاذ العنكبوت بيتًا واهنًا وضعيفا لا ينفعها ولا تجد منه حصانة و حماية لعلهم يدركون حقيقة ما هم عليه من ضلال و زيغ قال تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[1]

سادسًا: التصوير

يعدّ التصوير الفني إحدى الطرق التي سلكها القرآن في جدله مع الخصوم والمعاندين والمكابرين واستعمل كل الأدوات التي توضّح فكرة وتقوي دليلاً وتميط اللثام عن شبهة وتتمثل هذه الأدوات في الألفاظ المعبرة و التعبيرات المصورة، والمشاهد المحسوسة والحوادث المنظورة واستعان بما هو بديهي تدركه الفطر السليمة والقلوب الصافية المستنيرة بغية لإيقاظ الإحساس و الوجدان وتهيئة النفس للاقتناع و الإذعان [2]يقول السيد قطب: " أمّا طريقته فكانت هي الطريقة العامة طريقة التصوير والتشخيص والتجسيم ... كان هذا هو المنطق الوجداني الذي جاء به القرآن وناضل وكسب المعركة في النهاية ... فبلغ الغاية بمادته وطريقته، وجمع الغرض الفني والديني من أقرب طريق ومن أرفع طريق ثم سلك القرآن غير الصور النفسية و المعنوية وغير القصص الكثيرة، وغيرها من مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب ... سلك غير هذا كلّه الجدل التصويري في المنطق الوجداني "[3]قال تعالى: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"[4]فهذه الآية دليل على وجود الله وعظمته ومقدار علمه في هذا الكون الفسيح بما فيه من أشياء متناهبة في الكبر وأشياء أخرى متناهية في الصغر كل ذلك فعلم الله محيط به "وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"[5]، فلقد عبّر القرآن عن انفراد علم الله واختصاصه بمعرفة الغيب لكونه يملك مفاتح هذا الغيب كما عبّر عن إحاطة علمه بكل شيء بكلمات قليلة لكنها ذات إيحاء قوي وتصوير دقيق شامل لسعة علم الله عز وجل الذي يعلم دبيب النملة السوداء على الحجرة الصماء في الليلة الظلماء.

سابعًا: الاستدراج

يعدّ هذا اللون البلاغي من الأساليب البديعية التي حفل بها القرآن الكريم في مخاطبته للمنكرين و المعاندين لعلّهم يثوبون إلى رشدهم ويتعظون بما ينزل عليهم من الآيات، وهو أسلوب يلتجئ إليه المجادل كأن يكون نبيًا من الأنبياء ليحمي نفسه أولاً من سطوة من يجادله ومن جهة ثانية يحاول التأثير فيه واستمالته إليه بما يؤثر فيه ويأنس إليه أو ما يخوّفه أو ما يخوّفه ويرغبه قبل أن يفاجئه بما يود عرضه عليه[6]ومن أمثلة هذا الأسلوب في القرآن الكريم الجدال الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه قال تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ

---

1 - سورة الحشر ، الآية 21 .

2 - ينظر سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط6 ،1400هـ - 1980 م،دار الشروق ، بيروت - القاهرة ،ص 229، 230 .

3 - المصدر نفسه، ص 229، 230، 238 .

4 - سورة الأنعام ،الآية 59 .

5 - سورة يونس ،الآية 61 .

6 - ينظر عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن،دط ، 1419ه - 1999م ، دار الفكر العربي القاهرة ،ص 124 .

جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا"[1]فإبراهيم عليه السلام لم يطلب من أبيه أن يعبد الله مباشرة ولم يفاجئه بذلك بل حاول أن يكسب ودّ أبيه ويستميله إليه بسؤاله له عن الأوثان التي كان يصنعها بنفسه ويعبدها من دون الله وهي لا تسمع ولا تبصر فضلاً عن أنّها لا تنفع و لا تضر ثم بين له أنّ له علم لا قبل لأبيه به وإنّ كلامه له ونصحه إياه نابع عن علم يعلمه وبعد ذلك يحاول أن يوضح له أنّ ما يقوم به من عمل الشيطان ووساوسه وينهاه عن عدم اتباعه لأنّه عاصي للرحمن، وفي الأخير يظهر له عاطفة البنوة المتمثلة في خوفه من أبيه أن يعّبه الله، وبالرغم من هذه المراحل التي خاضها إبراهيم في كسب ودّ أبيه إلاّ أنّه قوبل بالتعنيف والزجر و التهديد من قبل أبيه، ومن نماذج الاستدراج أيضًا دعوة الله لموسى وهارون أن يخاطبا فرعون بالقول اللين مراعاة لجبروت وتكبر فرعون قال تعالى مخاطبًا موسى وأخاه هارون: " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى "[2]ومن قبيل الاستدراج دعوة المومنين إلى جدال أهل الكتاب من اليهود و النصارى بالتي هي أحسن لعلّ ذلك يكون سببًا في إيمانهم قال تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ"[3]، ومجادلة كل معاند أو مكابر بالتي هي أحسن أيضًا قال تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[4]لأنّ الله يعلم ما تكنه نفوس هؤلاء ويعلم السبل الرشيدة إلى مخاطبة هذه النفوس والطرق التي تتأثر بها فكيف لا وهو خالقها "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"[5].

ولقد سلك القرآن الكريم أساليب أخرى في مخاطبة الإنسان للإيمان بالله وإفراده بالعبودية منها:

ثامنًا: الدعوة إلى النظر والتأمل

لقد دعا القرآن الإنسان إلى النظر والتأمل في الكون والنظر إلى نفسه وذاته لمعرفة الخالق عز وجل مدبر هذا الكون ومسيره قال تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا "[6]و التفكر هنا يعني التفكر في الأنفس والآفاق، قال تعالى: "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"[7] وقوله أيضًا: "فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ"[8]النظر هنا هو نظر تفكر وتدبر وتأمل بعين البصر والبصيرة وإرهاف السمع لما يجري حول الإنسان والإنسان مسؤول عن حاستي السمع والبصر اللتان تعدّان من وسائل العلم والمعرفة، والقلب عليه أن يتأثر بما تدركه كل من حاستي السمع والبصر قال تعالى ": وَجَعَلَ

---

1 - سورة مريم،الآيات 41 - 46 .
2 - سورة طه ، الآية 43، 44 .
3 - سورة العنكبوت ، الآية 46 .
4 - سورة سبأ ، الآية 46 .
5 - سورة الملك ، الآية 14 .
6 - سورة سبأ ، الآية 46 .
7 - سورة الغاشية ، الآيات 17 - 20.
8 - سورة عبس ، الآيات 24 - 32 .

لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ"[1]والإنسان محاسب على سمعه وبصره وفؤاده قال تعالى: "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"[2]ولقد حذّرنا الله من مغبة عدم استعمال هذه النعم في النظر والتدبر و التأمل وأعدّ جهنّم لذلك " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ"[3].

تاسعًا: التذكير بنعم الله

إنّ التذكير بنعم الله الجليلة وآلائه العظيمة وسيلة من وسائل الجدل القرآني لكي ينتبه الإنسان عن غيه ويكف عن جبروته وعناده وينهض من غفلته، ومن أبرز من جادله الله واتخذ أسلوب التذكير بنعمه آلائه أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أغدق الله عليهم من النعم الكثيرة التي لا تحصى ولا تقدر حينما جحدوا آياته وعاندوا رسله وقتلوهم، ولقد ورد هذا النوع من الجدال مع هذا الصنف من البشر في أكبر سورة في القرآن وهي سورة البقرة، قال تعالى: "يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِي وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ " وقوله: " وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ" وقوله: " وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" وقوله أيضًا :"وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ".إلى غيرها من الآيات، ولكن رغم كل هذه النعم وغيرها من النعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل إلاّ أنّهم ما زادهم ذلك إلاّ طغيانًا وعلوًّا في الأرض وفسادًا.

المبحث الرابع: محاور الجدل القرآني

بعد إلقاء نظرة حول ما يتعلّق بمناهج الجدل القرآن ماهي المحاور التي اشتمل عليها جدل القرآن؟ و ماهي العناصر التي دار الحوار بينها في مقامات مختلفة ومواقف متعددة؟ ولغزارة هذه المادة أكتفي بذكر أهم هذه المحاور وأكثرها ورودًا في القرآن الكريم، ومن أبرز هذه المحاور جدال الملائكة، الجدال حول وجود الله، الجدال حول وحدانية الله، جدال الأنبياء مع أقوامهم، الجدال حول البعث .

المطلب الأول: جدال الملائكة

إنّ أول من بدأ الجدال في إطار القرآن الكريم الملائكة عليهم السلام، وكان موضوع الجدال هو الحكمة من خلق الإنسان، قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

1 - سورة السجدة، الآية 9 .

2 - سورة الإسراء ،الآية 36.

3 - سورة الأعراف ،الآية 176 .

مَا لَا تَعْلَمُونَ"[1]فبعد أن خلق الله السماوات و الأرض أتبع هذا الخلق بخلق سلطان على الأرض يتصرّف فيها وفق ما تمليه إرادة الله وهو الإنسان [2]والخليفة في الأصل هو من يكون خليفة لأحد أو بدلاً منه ويعمل بعمله مثل الوكيل أو الوصي على أمر من الأمور، وسؤال الملائكة " أتجعل فيها " هو تعجبهم من أن يكون خليفة الله في أرضه عاص ومفسد و مسفك للدماء،واستبعادهم من أنّ حكمة الله تقتضي ذلك [3]ولا تعد همزة الإستفهام للإنكار بل يراد بها استكشاف عن الحكمة الخفية وعما يزيل الشبهة [4]و الدليل على ذلك "كونهم يعلمون أنّ الله لما أخبرهم أراد إظهار علمهم تجاه هذا الخبر لأنّهم مفطورون على الصدق و النزاهة من كلّ مؤاربة"[5]، والملائكة معصومون على أن يعترضوا على الله على خلق آدم أو أن يطعنوا فيه، و"نحن" تفيد الحال أي حالة كوننا نسبّح وننزه الله عن أي نقص ونقدّسك ونحمدك[6]وقوله تعالى " إنّي أعلم ما لا تعلمون "هو جواب لسؤالهم، "[7]أي أعلم ما في البشر من صفات الصلاح ومن صفات الفساد، وأعلم أنّ صلاحه يحصل منه المقصد من تعمير الأرض وأنّ فساده لا يأتي على المقصد بالإبطال، وأنّ في ذلك مصالح عظيمة ومظاهر لتفاوت البشر في المراتب ... وكان قول الله تعالى هذا إنهاءً للمحاورة وإجمالاً للحجّة على الملائكة بأن سعة علم الله تحيط بما لم يحط به علمهم وأنّه حين أراد أن يجعل آدم خليفة كانت إرادته عن علم بأنّه أهل للخلافة وتأكيد الجملة بأن لتنزيل الملائكة في مراجعتهم وغفلتهم عن الحكمة منزلة المتردّدين " [8]فهذا النوع من الجدال من قبيل الجدال المحمود الذي يهدف إلى معرفة الحقيقة و الحكمة و السر، لأن خلق خليفة من طبيعته الفساد يحتاج إلى توضيح وطرح السؤال لأجل هذا هو محمود وجائز، و سؤالهم ليس اعتراضًا على الله وإنكارًا لجعل آدم خليفة في الأرض لأنّ الله لا يسأل عمّا يفعل، فلا يسأل عن الفعل كفعل بل يسأل عن سرّ الفعل أو الجعل أو الخلق وطلب الحكمة من ذلك، لذلك كان جواب الله لهم أنّه يعلم ما لا يعلمون من أسرار وحكم في خلق مخلوقاته وأجلّها الإنسان.

المطلب الثاني: الجدال حول إثبات وجود الله

هذا المحور من الجدل قام بين الله عز وجل و بين الدهريين و الملاحدة الذين اعتقدوا بعدم وجود إله يسير هذا الكون وما فيه ،وأرجعوا ما في الكون من تغيير وأحوال إلى طبيعة النشوء والتوالد الماديين، والدهر سوف يقوم بإفنائهم وإنهاء حياتهم ،فلا يؤمنون بوجود خالق خلقهم وصورهم في أحسن صورة ورزقهم، ثم يميتهم ببعثهم مرة أخرى للحساب و الجزاء، يقول القرآن مظهرًا عقيدة هؤلاء: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"[9] ولقد استعمل القرآن حجتين فطريتين هما دليل العناية ودليل الاختراع وحجة جامعة بين الحجتين :

---

1 - سورة البقرة ،الآية 30 .
2 - ينظر الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير م 1، ج 2، ص 397 .
3 - ينظر الزمخشري :الكشاف، ج 1، ص 129.
4 - الألوسي : روح المعاني، م 1، ج 1، ص 352.
5 - الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير م 1، ج 2، ص 402.
6 - ينظر الزمخشري : الكشاف، ج 1، ص 129 .

8 - الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م1، ج 2، ص 407 .
9 - سورة الجاثية ،الآية 24، 25 .

ـ أمّا الآيات المتضمنة لدلالة العناية كقوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا[1]

ـ وأمّا الآيات المتضمنة دلالة الإختراع كقوله تعالى: "فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ "[2]

ـ وأمّا الآيات الدالة على الاختراع والعناية فهي كثيرة، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ"[3]،ولقد وجّه الله سبحانه وتعالى أنظار المكابرين و المعاندين إلى أجزاء هذا الكون الفسيح لكي يدركوا عظمة خالق الكون من خلال أجزائه[4] ؛فلقد وجّه أنظارهم مثلاً إلى الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال ووديان ومن معادن وصخور وماء فال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"[5]كما وجّه نظرهم إلى ما في عالم الحيوانات من عجائب للاستدلال بوجود الله، قال تعالى :" وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[6]واستخدم القرآن في جدله ما في عالم النبات من عجائب وسنن ونواميس للاستدلال بوجود الله قال تعالى:" وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[7]وتحدّث القرآن عن بعض الظواهر الطبيعية مثل الرياح وأنواعها واتجاهاتها و الرياح التي تحمل السحاب والرياح التي لا تحمله والرياح التي تحمل السحاب والماء وتكون سببًا في نزول المطر وحمل مادة التلقيح من ذكور النبات إلى إناثه وجريان الفلك في البحر بواسطتها قال تعالى: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِين".

المطلب الثالث: الجدال حول وحدانية الله

تحدّث القرآن الكريم في هذا المحور عن أدلة وحدانية الله، واستعمل مسلكين للاستدلال على وحدانية الله:

أولاهما: الاستدلال بانتظام الكون وسلامته من الاختلال ،وهو ما يسمى بقياس الخلف أو دليل التمانع عند علماء الكلام، قال تعالى: " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"[8]، وقوله أيضًا: "قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي

1 ـ سورة النبأ ، الآيات 6 ـ 16 .
2 ـ سورة الطارق ، الآيات 5 ـ 7 .
3 ـ سورة البقرة ،لآية 21، 22 .
4 ـ ينظر زاهر عوا ض الألمعي: مناهج الجدل، الصفحات 140 ـ 144.
5 ـ سورة الرعد ، الآية 3 .
6 ـ سورة النور، الآية 45 .
7 ـ سورة الرعد ، الآية 4.
8 ـ سور ة الأنبياء ، الآية 22.

الْعَرْشِ سَبِيلًا"[1]وقوله أيضًا: "مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ"[2] .

أمّا **ثانيهما** هو الاستدلال على وحدانية الله بإبطال معبودات المشركين وبيان تفاهتها،لأنّ هذه المعبودات لا تجلب لنفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرًّا فكيف تنفع غيرها أو تضرهم ،فلو اجتمعت هذه الأصنام لتخلق ذبابًا فلا يستطيعون، ولو أخذ هذا الذباب شيئًا منهم لا يستطيعون ردّه منه قال تعالى: "يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ"[3]).

المطلب الرابع: جدال الأنبياء مع أقوامهم

إن من أبرز محاور الجدل التي تحدث عنها القرآن الكريم و فصل في ذكرها ،إيجازا و إطنابا إجمالا و تفصيلا في العديد من سوره، هو ما وقع بين الأنبياء و أقوامهم من جدل و مناقشات في مواضيع تتعلق بالعقيدة تصحيحا و ترسيخا ،و نشرا لها بعد ذلك ،لأن العقيدة الصحيحة المتمثلة في أفراد الله بالعبودية إذا مرت عليها فترة طويلة و لم تجد من يجدد تعاليمها و مبادئها فإنها تؤول إلى الانحراف، فيصبح الناس يعبدون آلهة دون الله كأن تكون حجرا أو شجرا أو نارا أو كوكبا إلى غير ذلك من المعبودات، ظنا منهم أنها تتصرف في الكون و تؤثر فيه.

والإنسان خلق كي يعبد الله و يسلم إليه قياده قال تعالى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِي إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ "[4] ،فإذا انحرفت عقيدته أرسل الله إليه من يجدد له دينه و إيمانه و ذلك هو هدف إرسال الأنبياء و الرسل قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي "[5] ،و لا يتم إرجاع الناس الى جادة الصواب و عبادة الله و نبذ الشرك عنه إلا بالتنبيه و الإقناع الذين يقتضيان الحوار و الجدل " و لا يمكن للأنبياء في هذا المجال أن يلجؤو إلى التنبيه و الاقناع "[6] و سوف اقتصر في هذا المحور على بعض النماذج من جدل الأنبياء مع أقوالهم .

أولا: جدال نوح عليه السلام مع قومه.

يعد سيدنا نوح ثاني نبي بعد آدم عليهما السلام أرسله الله عز وجل ليدعو قومه لإفراد العبادة لله بعد أن فسدت عقيدة بني آدم و ابتعدوا عن عبادة الله إلى عبادة أوثان سموها هم و آبائهم و هي ودا و سواعا و يغوث و يعوق و نسرا و خاطبهم قائلا: "إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ "[7]و " يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي"[8]، "يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ "[9]

---

1 - سورة الإسراء ، الآية 42.
2 - سورة المؤمنون ، الآية 91.
3 - سورة الحج ، الآية 73 .
4 - سورة الذاريات ،الآية 56 - 58 .
5 - سورة الأنبياء ،الآية 25 .
6 - محمود يعقوبي: المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 50 .
7 - سورة هود ، الآية 25، 26 .
8 - سورة نوح ، الآية 2، 3 .
9 - سورة الأعراف ، الآية 59 .

من خلال هذه الآيات نجد ان نوحا عليه السلام عرض دعوته بعبارات واضحة و دقيقة محددة و خلاصة قوله :

1 - أنه مبعوث من قبل الله عز وجل وظيفته الإنذار و الدعوة و التبليغ .

2 - أنه يدعو إلى عبادة الله وحده و نبذ الشرك عنه و هذا هو مضمون الدعوة .

3 - العذاب الأليم و العظيم لمن لم يستجب للدعوة و هذه نتيجة عدم الطاعة .

و يمكن أن نستنتج أن الجدل لكي يؤتي ثماره المرجوة منه عليه أن يصاغ صياغة واضحة بألفاظ دقيقة و محددة الدلالات، " لأن الكلمات الفضفاضة و التعابير المطاطة فضلا عن كونها تنم عن فوضى فكرية فإنما كثيرا ما تلقى بالناس في متاهات لا صلة لها بالواقع، و لا علاقة لها بالحقيقة ،و بالتالي فإنها لا تعين على فهم المقاصد و لا تساعد على التقريب بين وجهات النظر، و لا على تكوين عقلية تحليلية قادرة على الاستيعاب ،بارعة في النقد حاذقة في الاستنتاج، فكم من معارك كلامية استنفذت الطاقات و استغرقت الأوقات، و كانت نتيجتها التباعد بدل التقارب ، و ضياع الحقيقة بدل الكشف عنها و العثور عليها كل ذلك بسبب عدم الدقة في التعبير و عدم تحديد مدلولات الكلمات و عدم الاتفاق على مضامين محددة "[1] .

فلما دعا سيدنا نوح عليه السلام قومه الى عبادة الله كان ردهم: " مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ "[2]

وإذا تأملنا هذا الرد المتضمن معارضة الدعوة و تشمل على ثلاث شبهات:

1 - أن نوحا لم يكن إلا بشرا مثلهم و لم يكن ملكا فلو كان رسولا لكان في نظرهم و لكنه ليس بملك إذن فليس برسول .

2 - لو كانت دعوة سيدنا نوح حقا لاتبعه سارة القوم ووجهاءهم، و لكن اتبعوه أرذال الناس و ضعفاؤهم إذن فدعوة سيدنا نوح مردودة في نظرهم.

3 - إنّ قوم نوم نوح لم يجدوا في نوح و من معه ما يجعلونهم أفضل الناس و أعلاهم قدرا وأكبرهم منزلة كالغنى والقوة والجاه العريض و الحسب الكريم و الهيبة و النفوذ بحيث يكونون سببا في إقبال الناس على دعوتهم و استجابتهم لها .

بعد أن سمع سيدنا نوحا إليهم و تأمل في أدلتهم و ما اشتملت عليه من شبهات ،رد عليهم هو الآخر بأسلوب رقيق و جذاب بأدلة تفند مزاعم و تدحض دعا ويهم الباطلة قال تعالى على لسان سيدنا نوح: " قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ "[3] وتتخلص أدلة سيدنا نوح فيما يلي:

1. إن شبهتهم أن البشرية تتنافى مع الرسالة غير صحيحة لأنه رسول من عند الله اصطفاه دون سائر الناس و الاصطفاء هي منـة امتن بها عليه و رحمة من الله قال تعالى: " اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ "[4] فإذا أصبحت الأمور واضحة

---

1 - محمد التومي: الجدل في القرآن، ص 54، 55 .

2 - سورة هود ، الآية 27 .

3 - سورة هود ، الآيات 28 - 30 .

4 - سورة الحج ، الآية 75 .

و عميت قلوبكم عليها فليس لنا أن نكرهكم على قبولها و من هنا فإن موضوعية الجدل لا تقتضي منا الإكراه إذا كانت الدعوة قوية واضحة[1].

2. إنّ نوحا عليه السلام لا ينتظر جزاء منهم من مال أو زعامة أو رئاسة أو نفوذا ،و إنما يحتسب أجره عند الله،لأن الجدل لا يمكن أن يكون مفيدا إلا إذا تجرد المجادل " عن المطامع الذاتية و الرغبات الآ نية ،و هذا الاحتراس من نوح ينبه إلى أنّه لا يبغي منفعة و مصلحة يريدها من خلال الدفاع عن هذه الفكرة فالفكرة و المبدأ الصحيح يعرض نفسه و يرفض أن يكون وسيلة لجلب المصالح و المآرب و الأطماع الشخصية " [2].

3. ليس من اللائق أن يطرد أناسا قبلوا دعوته و استجابوا لها لكونهم ضعفاء و فقراء وأراذل الناس و فرضا لو طردهم فسوف يحاسب من قبل الله عز وجل و يؤاخذه بمعاقبته، و لا يجد نصيرا ينصره من الله و كأنّ القوم اشترطوا عليه أن يطرد هؤلاء لكي يستجيبوا له ،و الجدل المفيد يأبى أن تدخل فيه المساومات و الشروط المسبقة و الجدل الهادف و الجدي و المفيد يكون كذلك إذا تجرد من الشروط المسبقة و الالتزامات القبلية [3].

4. إن نوحا لا يريد أن يغري و يخدع قومه بأنه يملك خزائن الله و لا يفيدهم باطلاعهم على الغيب عن المستقبل و لا ينفعهم و لا يضرهم ،و لا يزعم أنه ملك بل هو بشر مثلهم يأكل الطعام و يمشي في الأسواق ،لأن موضوعية الجدل تقتضي الابتعاد عن الإغراءات والمخادعات التي تتخذ كطريق لاستقطاب الناس فالحق يدعو الناس إليه بنفسه دون الحاجة إلى الإغراء [4].

مما سبق يتبين أن سيدنا نوح في جداله مع قومه التزم بالموضوع في رده لشبه القوم كلها واحدة، واحدة بالترتيب ورد على كل شبهة على حدة، بل حاول في دحضه لحججهم أن يرجعهم إلى الموضوع الرئيسي و هو عبادة الله ،وإرجاعه لكل أمر إلى الله عزوجل، فنبههم بوجود إلــه يصطفي من الناس رسلا ،و أنه هو المحاسب و المجازي يوم القيامة، فلا ناصر إلا الله في ذلك اليوم ولا تنفع شفاعة الشافعين و الله هو الرزاق و هو يعلم الغيب.

أما قومه لم يتأمّلوا مضمون الرسالة و مضامينها، بل التجؤوا إلى صاحب الرسالة فنفوا أن يكون صاحب الرسالة بشرا ،وعارضوا الرسالة لأنّ الذين استجابوا لها أراذل الناس و ضعفاؤهم ،كما عارضوها لأن معتنقيها ليس لهم نفوذ من قوة أو غنى أو حسب أو نسب ،و غاب عنهم لجهلهم أن يسألوا عن هذا الإلــه عن صفاته و كيف يعبدوه ،و أن يطلبوا من صاحب الرسالة أن يصف لهم اليوم الآخر الذي لو لم يؤمنوا بدعوة سيدنا نوح فسوف يعذبون بعذاب أليم ،و إذا آمنوا به و أطاعوه سوف يدخلون جنة نعيم ،وأن يطلبوا منه أدلة وجود ووحدانيته إلى غيرها من الأسئلة التي يمكن أن توجه الى صاحب الدعوة الجديدة.

و لقد استعمل سيدنا نوح في جدله طريقة الأخذ بالخصم من خلال كلامه أو بموجب كلامه ؛ فقوم نوح اعترضوا عليه لأنّه بشر قال لهم نعم إني بشر و حينما قالوا له اتبعك الذين هم أراذلنا فرد أن نعم اتبعني أراذل القوم و قالوا له ليس لكم من فضل فأجابهم بالإيجاب، و لكن في نفس الوقت وضح لهم بطلان مزاعمهم بأن البشرية لا تنفي أحقية الدعوة، و كون هذه

---

1 - ينظر محمد التومي :الجدل في القرآن الكريم، ص 68 .
2 - المصدر السابق، ص 71، 72 .
3 - ينظر المصدر نفسه، ص 73 .
4 - ينظر المصدر نفسه، ص 74 .

الدعوة استجاب لها أراذل القوم لا يطعن في الدعوة و لا يحط من قيمتها ،و أن صاحب الدعوة و من رافقه ليس لهم نفوذ أو سلطان من قوة أو غنى أو جاه سببا في كون الدعوة الجديدة غير صحيحة، ويمكن أن نخلص في الأخير و نبين خصائص الجدل المفيد من خلال جدال سيدنا نوح مع قومه وهي:

- البعد عن الإكراه و استعمال وسائل الضغط.
- التجرد عن المطامع الذاتية.
- عدم الرضوخ للشروط المسبقة.
- التخلص من الإغراءات والمخادعات.
- ضرورة توضيح المضمون.

ثانيا: جدال إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه

يعد سيدنا إبراهيم أبا الأنبياء أرسل الى قوم بعدت فطرتهم عن المنهج السوي فطرة الله التي فطر الناس عليها ،آمنوا بوجود الله و لم يخلصوا له العبادة ،بل استعانوا بوسائط تقربهم إلى الله بمظهر يعتقدون أن الكواكب هي هياكل ،و سموا هذه الهياكل أربابا يطلق على هذا الصنف أصحاب الهياكل ،أمّا بعضهم الآخر يعبدون لأصنام اعتقادا أنّها تقربهم إلى الله ،و يسمون هؤلاء بأصحاب الأشخاص، فجادل سيدنا إبراهيم كلا من أصحاب الهياكل و أصحاب الأشخاص ،و أبطل مزاعمهم و هدم هياكلهم و أشخاصهم ؛فهدم أشخاصهم بالفأس و علق الفأس على كبيرهم ليفضح ترهاتهم بعد أن يئس من جدالهم بالمنطق الفكري فجادلهم بالمنطق العملي الواقعي ؛و هدم هياكلهم و أزاحها من نفوسهم لأنّها تتغير وتحجب عن الأنظار وثبّت في قلوبهم عبادة الله الواحد القهار "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "[1] و كان جدال إبراهيم لقومه في أربعة جبهات وهي:

1. جداله مع أبيه
2. جداله مع قومه عبدة الأصنام
3. جداله مع أصحاب الهياكل عبدة الكواكب
4. جداله مع النمرود

وسوف أقتصر على جبهتين أساسيتين فقط بغية الاختصار وهما الجبهة الأولى والثانية.

1 - جداله مع أبيه:

لقد بدأ سيدنا إبراهيم دعوته و جداله بصانع هذه الأصنام و هو أبوه ،قال تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَ رَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا "[2].

يعد جدال إبراهيم لأبيه من النماذج المثلى السامية في الجدل ،لأنه راعى في جداله مع أبيه مقام الأبوة، فكان مقاله مناسبا للمقام؛فهو أسلوب يفيض عطفا ،و يسيل رقة و حنانا يحذر

---

1 - سورة الأنعام ،الآية 79 .

2 - سورة مريم ، الآيات 41 - 48 .

في لطف وينذر في لين ،و يعرف مكان الأبوة فيعطيها حقها في اللين و الاحترام [1]، و لقد استعمل سيدنا إبراهيم طريقة التدرج و المرحلية ؛ فواجه أباه في أول الأمر بسؤال إنكاري صاغه صياغة لطيفة، فسأله عن الأصنام التي يصنعها بيده لم يعبدها و هي لا تسمع و لا تبصر و لا تملك لنفسها ضرا و لا نفعا،و هنا يخاطب عقله الفطري و يستعين بما هو مشاهد و محسوس و بديهي تدرك كل الفطر السليمة ،و كان لسان حاله و هو يجادل أباه كيف تعبد هذه الأصنام و تقدّسها و تعظمها و ترفع من شأنها ،و أنت الذي قد صنعتها بيدك ،و كان من المفروض أن تعبدك لأنّك أنت الصانع لها، فأنت أشرف منها منزلة لأنك تسمع و تبصر و تتحرك،لأن الذي يستحق أن يعبد لابد أن يتصف بصفات الكمال المطلق. و أدنى مظاهر الكمال هي السمع و البصر ثم يأتي النفع و الضر ومن لا يملك أدنى صفة للكمال فلا يستحق أن يعبد.

ثم انتقل إبراهيم في جداله مع أبيه إلى مرحلة ثانية أراد من خلالها أن يقوي بها حجته الأولى و والحجج التي سوف تتلوها، و هي أنّه علم من العلم ما لم يعلمه أبوه أي ما قاله آنفا و ما سيقوله يقوله عن علم و دراية، و المقصود من العلم هي الرسالة التي كلفه الله بها ،و الحنفية السمحة و الملة المستقيمة التي أراد أن يردّ قومه إليها،و بعد أن بين إبراهيم لأبيه أنّه يعلم ما لم يعلم طلب منه أن يتبعه، و هذا أمر منطقي فلا يمكن لإنسان أن يقود إنسانا إلى طريق أو مسلك إلا إذا كان هذا الإنسان الهادي و الموجه يعلم علم اليقين الوجهة التي هو سائر إليها، فلما أخبر سيدنا إبراهيم أباه بأنه أعلم منه طلب منه مستعطفا أن يتبعه، و ضمن له الهداية إن اتبعه، وممّا تجدر ملاحظته أنّ سيدنا إبراهيم لم يطلب من أبيه أن يعبد الله في المراحل السابقة، و في المراحل اللاحقة بدأ إبراهيم يقترب إلى صلب الموضوع و هو ترك عبادة الأوثان و إفراد العبودية لله، فقال لا تعبد الشيطان لأنّ طاعة الشيطان تتمثل في عبادة الأوثان ،وعلل ذلك بأن هذا الشيطان هو عاصي للرحمــن ،وذكر لفظ الرحمن و لم يذكر لفظ " اللــه " و كأنني به يقول له: إن الشيطان كان عصيا للــه المتصف بالرحمة التي وسعت كل شيء، فدعا إبراهيم أباه إلى اللـه بأبرز صفاته و هي الرحمة و كأنّه يضع موازنة بين عبادة الشيطان الذي يمثل الشقاء و عبادة الله الذي يمثل سعة الرحمة ،و كأنّ إبراهيم في جداله مع أبيه يستجديه ويطلب منه ويتوسل إليه أن يرجع عن عبادة الأوثان و يتوب إلى اللـه باسم الرحمة.

و في مرحلة تالية أظهر سيدنا إبراهيم سبب هذا الجدل مع أبيه صراحة ،و هو شعوره بالخوف من أبيه إن هو تمادى في العصيان وطاعة الشيطان أن يصبح وليًّا للشيطان ،فينال عقاب الله عز وجل.

و نلاحظ أن سيدنا إبراهيم في حديثه عن العذاب الذي سوف يلحق بأبيه لم يذكر لفظ الجلالة و هو الله بل أبقى لفظ الرحمة إمعانا و إيغالا في حبّه لأبيه و العطف عليه و حبّ الخير له و رحمته والشفقة به بأن الذي يدعوه إلى عبادته رحمن رحيم لطيف .ودود رؤوف رحيم.

فما ذا كان جواب أبيه بعد هذه العواطف و المشاعر النبيلة من ابن بار لأبيه ويحب الخير له؟ كان تهديدا ووعيدا بالرجم إن لم يكف إبراهيم عن هذه المجادلة الحميمة المبنية على الرحمة والعطف و الشفقة من قبل ابنه، و طلب منه أن يبتعد عنه و يهجره بعيدا ،فما كان من إبراهيم إلاّ أن يستجيب لطلب أبيه و ينسحب عن المجادلة بقوله سلام عليك ،وطلب المغفرة له و اعتزاله هو و قومه و تضرعه إلى الله بالدعاء عسى أن لا يكون شقيا ،يقول الدكتور زاهر

---

1 ـ ينظر زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن، ص 164 .

عواض الأ لمعي تعليقا على هذا المشهد من جدال إبراهيم لأبيه " هذا مشهد من مشاهد جدال ابراهيم لأبيه وقد تمثل فيه الأدب الكريم و الحجة البالغة فكان الأدب والبرهان يجديان في مجادلة إبراهيم كفرسي رهان، وهذا المشهد يمثل الحجة القولية و البرهان القاطع على بطلان عبادة هذه الأصنام، فلما لم تجد تلك الحجة القولية وحدها مع أبيه رجع للحجة العملية مقرنة بالحاجة القولية"[1].

2 ـ جداله مع قومه:

سلك سيدنا إبراهيم في جداله مع قومه مسلكا عجيبا فحينما رأى أنّ الموعظة القولية لم تنفع قومه وأباه في المرحلة الأولى ،وعظعهم وجادلهم بطريقة عملية ،و يتجلى هذا الجدال العملي في تكسير الأصنام فبالرغم من أنّهم كانوا يحيطونها و يحمونها و يدافعون عنها، إلّا أنّ إبراهيم استطاع أن يصل إلى تلك الأصنام بخطة أحكم صنعها وأحسن تنفيذها وأخيرا خلا بهذه الأصنام وخاطبها أولا وسألها سؤال إنكار وتهكم "ألا تأكلون " فلما لم تبد حركة، ولم تنبس ببنت شفة أهوى عليها بالفأس واحدًا واحدًا "فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم " و أبقى هذا الأخير ليقيم به إبراهيم الحجة فيما بعد،وحكى لله في سورة الأنبياء قال تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ"[2].

إنّ إبراهيم قبل أن يحطّم الأصنام جادل قومه بالقول ووعظهم وأنكر عليهم عكوفهم وإخلاصهم لعبادة الأصنام التي لو ينادونها لا تسمعهم أو يطلب منها منفعة ودفع ضرر عنهم فإنها لا تستجيب لطلبهم ،فهي حجارة صماء جامدة لا تتحرك و لا تردّ الأذى عن نفسها، فكيف بغيرها فكانت حجتهم في ذلك أنّها عادة من عادات الأباء و الأجداد لا يريدون العدول عنها واستبدالها بعادة جديدة ،فهم يتشبثون بها ويدافعون عنها بالنفس والنفيس ويحمونها أشد الحماية من أن تمتد إليها يدا بالبطش والأذى فتصيبها بسوء، فرد عليهم إبراهيم أنّ الذي تقومون به أنتم وآباؤكم هو الضلال والبعد عن الحق والطريق القويم ،فقالوا له هل أنت جاد في ما تقول أم هذا مجرد لعب وعبث منك ،وكأنّ القوم يحسبون أنّه يمازحهم وهذا دليل على قوة استمساكهم بعبادة الأصنام ورد عليهم بأنه يريد أن يدلهم على الذي يستحق العبادة و هو ربهم ورب السماوات والأرض، الذي خلق هذه الحجارة التي تتخذون منها أصناما تعبدونها من دونه، فأقسم بالله أن يحطم أصنامها عندما تتاح له الفرصة ،و سنحت له فرصة إلحاق الضرر بالأصنام يوم عيدهم فدخل إلى معبدهم و حطّم الأصنام وأبقى كبيرهم وهنا تنتهي مرحلة الموعظة القلبية، فلمّا جاء القوم بعد انتهاء عيدهم السنوي فوجئوا بمصرع آلهتهم، فدار جدال بين إبراهيم وقومه فلمّا جيئ بإبراهيم على أعين الناس فقالوا له: "آنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا

---

1 ـ المصدر السابق، ص 165

2 ـ سورة الأنبياء ، الآيات 51 ـ 70.

فسألوهم إن كانوا ينطقون " و كبيرهم هو الصنم الكبير الذي علق الفأس على رقبته ليقيم به الحجة على قومه فهذا منهج آخر سلكه سيدنا إبراهيم في جداله مع قومه ،فهو جدال يحاول إبراهيم من خلاله أن يتوغل إلى داخل النفس و سويداء الضمير ليستنطق ما تكنه النفس و ما يطويه الضمير من حقائق فكان جواب إبراهيم ،لهم برهان قاطع و دليل مفحم و حجة ملزمة ،فأرغمهم بالرجوع إلى أنفسهم و مراجعتها ،فرجعوا إلى أنفسهم تفكيرا و تدبيرا لما يقومون به فاعترفوا بذنبهم، فقال إنّكم أنتم الظالمون في عبادتكم ما لا ينطق، و هذا حينما سُقط في أيديهم فلمّا لم يدروا جوابا لأنّ إبراهيم كما حطّم كل الأصنام حطم كل الأدلة و هدم كل الحجج التي يمكن أن يستند وا إليها ،فأظهر حقيقة نفوسهم عارية و كشف ،عن سؤآتهم فطفقوا يبحثون عما يسترهم ،فوجدوا لباسا يسترون به أنفسهم فانقلبوا من الاعتراف والإذعان إلى المكابرة و الطغيان،و قالوا له لقد علمت يا إبراهيم أنّ هذه الأصنام لا تنطق ،فلم تأمرنا باستنطاقها وهذا إقرار منهم على عجز هذه الأوثان، فبدأ إبراهيم يوبخهم وينكر عليهم عبادة ما لا ينفع و لا يضر ويقبحهم ،و يظهر لهم التأفف من أنهم يعبدونها من دون الله فلمّا أقام عليهم الدليل و ألزمهم الحجة استعملوا البطش و الكيد ،" وأمام هذا التحدي من إبراهيم الخليل لمعبود اتهم و قطع رجاءهم في أن يكون على ملته ،ما كان منهم إلا أن جمعوا له أكواما من الحطب ليحرقوه نصرة لألهتهم و انتقاما لمعبود اتهم، و قد فعلوا ما في استطاعتهم أن يفعلوا من الإتيان بالحطب و أيقاذ النار و إلقاء إبراهيم في تلك النار المتأججة ،و لكنهم لا يقدرون على محو دعوته الحقيقية، و إزهاق نفسه الطاهرة الكريمة لأن الله معه لقد قال لتلك النار: "يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم" فكانت بردا وسلاما على إبراهيم "[1]، هذا ما لاقاه إبراهيم من قومه و ما يلاقيه كل نبي يدعوا قومه إلى الحق حينما يكشف لهم ما يضمرون و يضهر حقائق أنفسهم و يعريهم من كل دليل أو حجة كانوا يستندون إليها،فلا مفر لهم من الفضيحة إلا بالنيل منهم و الكيد له، أو تصفية جسده الشريف وإطفاء سراجه "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"[2].

ثالثا: جدال موسى عليه السلام مع فرعون وقومه

يعد جدال موسى مع فرعون وقومه من أكبر صور الصراع بين الحق و الباطل ،ومن الصور المثلى للجدل، ولقد أدرك القرآن هذا الجدل الذي دار بين موسى وفرعون في العديد من سور القرآن الكريم ،و أول ما بدأ به موسى هو عرض دعوته أمام فرعون الطاغية " وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [3] تضمن هذا العرض الأولي ثلاث أشياء:

- أولها وظيفة موسى وهي أنه رسول من قبل الله عز وجل
- ثانيها مضمون الدعوة وهي عبادة رب العالمين الأحد الفرد الصمد الذي لا يشاركه في ألوهيته ربوبيته أحد
- ثالثها أن موسى هو مجرد مبلغ رسالة كلف بها و أنها ليست من عنده

و إضافة إلى ما سبق ذكره " أنه أفاد بدلالة اللزوم أن فرعون لم يكن ربا ولا إلها لأن الاله الحق ما كان للعالمين .... بالخلق و التدبير والعناية "[4] ،و كان جواب فرعون "وَمَا رَبُّ

---

1 - المصدر السابق، ص 169 .

2 - سورة التوبة ، الآية 32 .

3 - سورة الأعراف ، الآية 104 .

4 - محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، ص 86 .

العَالَمِينَ "[1] " قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى"[2] ،و إذا رجعنا إلى جدال نوح وقومه نجد أن قومه لم يسألوه عن حقيقة الإله أو مضمون الرسالة أو جزء منها، إلاّ فرعون فقد وجه إلى موسى سؤالا هو من صميم الرسالة وهو حقيقة الرب الذي تعتقده وتدعوني إلى عبادته ،غير أن سؤاله ليس من قبيل الاسترشاد والعلم والبحث عن الحقيقة ،ولكن كان سؤالا لأجل المكابرة والمعاندة، ونستنتج هذا من خلال رده للجواب الذي أجابه موسى عليه السلام عن حقيقة الله عز وجل فكان جواب موسى "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ "[3]،"رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ "[4]،"قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ "[5]،"رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"[6] .

لقد تضمن ردّ موسى أن الله رب الكون و مدبره المتصرف فيه بالخلق و العناية والرعاية فهو رب هذا الكون منذ أن خلقه ،و هو ليس ربكم فقط بل هو رب آبائكم الأولين، و هو علام الغيب عالم لما حدث في القرون الأولى وما يحدث في القرون الموالية ،فكان جواب فرعون "قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ "[7]، "أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى"[8].

من خلال هذا الرد من فرعون نستنتج أنّه لم يكن جديا في الاستماع إلى جواب موسى لسؤاله "وما رب العالمين " ،وكان من المفروض على فرعون أن يتأمل في حجج خصمه ويحاول الاعتراض عليها أو إظهار نقضها، وإلاّ فقبول ما ينجم عنها من نتائج ألزم بها، لكنّه كان يعمد دائما إلى الانصراف والهروب من سياق الحجاج ،والالتجاء إلى وسائل لا تنسجم و أسلوب المناظرة والجدال الرصين ،فعوض أن يتحسس الدليل وينقضّ عليه عمد إلى صاحبه يرميه بالجنون تارة و بالسحر تارة أخرى "[9] ،ولقد هدّده وتوعده في الآية الأخرى عندما بين له موسى حقيقة الله عز وجل،قال تعالى على لسان فرعون: "قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ"[10] ،فما كان لموسى أن لجأ إلى طريق أخرى يثبت من خلاله صدق نبوته ،ومن ثم صدق ما جاء به فقال له موسى "قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ "[11] أي شيء يوضح نبوتي ومضمون رسالتي أكثر"قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ"[12] ،فهذه معجزة دلل بها موسى على صدقه وصدق رسالته ،فتعجب الناس من هذه المعجزة و كان من المفروض أن يصدّقوه لمجرد ظهور هذه المعجزة إلاّ أنهم أرادوا التضليل والمكابرة والتمويه ،و جرّو ا موسى إلى المنافسة لأنّ قومه اشتهروا بالسحر فجاءت معجزة موسى طبقا لما هو معروف عندهم وهو السحر ،و الهدف من جرهم موسى إلى المنافسة هو الإطاحة لما جاء به من السحر [13]"فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا

---

1 - سورة الشعراء ،الآية 23 .
2 - سورة طه ، الآية 49 .
3 - سورة الشعراء ، الآية 24 .
4 - سورة الشعراء ،الآية 26 .
5 - سورة الشعراء ، الآية 28 .
6 - سورة طه، الآية 50 .
7 - سورة الشعراء، الآية 27 .
8 - سورة طه، الآية 57 .
9 - محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، ص 80 .
10 - سورة الشعراء، الآية 29 .
11 - سورة الشعراء، الآية 30 .
12 - سورة الشعراء ،الآية 31-33
13 - ينظر زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل، ص 279 .

مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى"[1] فاستجاب موسى لطلبهم بأن يكونوا ذلك الموعد يوم عيدهم [2] "قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى"[3]فكان ذلك اليوم المشهود، قال تعالى تعالى حكاية عن هذا اليوم وما وقع فيه قال تعالى "فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى"[4]،فهذه نتيجة جرهم لموسى ليباري سحرهم ظنا منهم أنهم يغلبونه فيثبت زيف رسالته ولكن وقع خلاف ما يتصورون وما يظنون فغلبوا على أمرهم " فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ"[5].

حينما لم تجد المعارك الفكرية التي خاضها فرعون مع موسى أصبح لا مناص من معارك دموية، ولقد توعد فرعون موسى ومن آمن معه بقوله: " سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ " فما كان لموسى إلا أن قال لقومه "اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"[6] ،استعد فرعون لتوجيه ضربة قاضية لتقضي على على موسى و قومه و على دعوته ،ظنا منه أنّ كثرة جيشه وعدته تنهي هذا الصراع،وغاب عن ذهنه أنّ الذي نصر سيدنا موسى الساحر في اعتقادهم على الجيوش المصطفة من السحرة ،قادر على أن ينصره على فرعون وجيوشه الجرارة فأهلك فرعون وقومه بالغرق فأورث الله هذه الأرض التي دنسها فرعون الطاغية وقومه أصحاب موسى "فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"[7]، وهكذا ينتهي مشهد جدال موسى وفرعون.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نستنتج شروط الجدل المفيدة وهي[8]:

1) – موضوعية الجدل تقتضي الإتيان بالأدلة الدالة على ثبوت الدعوة.

2) - موضوعية الجدل تقتضي مراعاة طبيعة الموضوع في الاستدلال على وحدانية الله يكون بالاعتماد على أثر فعله في الأنفس و الأفاق .

3) - مراعاة الخطوات المنهجية في الجدل وهي

أ – تقديم الموضوع وعرضه يوضح .

ب - الإصغاء إلى المدعي والتأمل في أدلته والتمعن فيها .

---

1 - سورة طه الآية 58 .

2 - سوف يكون هذا الموعد يوم عيدهم وهو اليوم الذي أقام موسى عليهم الحجة مثل ما رأينا في جدال إبراهيم مع قومه، فهو الاخر أقام على قومه الحجة في يوم عيدهم إلا أنّ الفرق بينهما هو أنّ موسى حدّد هذا الموعد مع قومه وإبراهيم حدّده بينه وبين نفسه .

3 - سورة الشعراء، الآية 59 .

4 - سورة طه ،الآية الآيات 60 - 71 .

5 - سورة الأعراف، الآية 118، 119 .

6 - سورة الأعراف، الآية 128.

7 - سورة الشعراء ،الآيات 57 - 59.

8 - ينظر محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، ص 88، (بتصرف)

ج – الرد يكون تبعا لرد المستدل كأن يكون تفسيرا أو تقديم أدلة أو نقض بحجج عقلية
د – قبول النتائج الصحيحة المتأتية من مقدمات صحيحة .

4) – المعارضة تكون في صلب الموضوع و محاولة إخراج التناقض أو الخلل في الأدلة لا أن تكون موجهة إلى صاحب الموضوع.

5) السب والشتم وما شابههما و الإكراه بالوسائل المادية من الطرق البدائية لا يقرها عقل ولايقبلها منطق سليم .

و أخيرا يمكن تعميم هذه الخلاصة للجدل المفيد على ما رأيناه سابقا في الجدل بين نوح وقومه وإبراهيم وقومه والأنبياء الآخرين كما يمكن جعلها أساسا لكل جدل نريد إقامته بيننا وبين خصومنا.

رابعا: جدال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه

بعد الحديث في ما سبق عن جدال نوح و إبراهيم وموسى مع أقوامهم يمكن التعرض إلى جدال آخر هؤلاء إلى آخر هؤلاء الأنبياء وخاتمهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لقي هو الآخر ما لقيه الأولون في سبيل إثبات نبوته وإقناع الناس برسالته، لقد أعلن أنه رسول من عند الله و دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، وعارضه قومه بشراسة وشدة وعنف ولم يقف العرب وحدهم ضد رسالة الإسلام بل حتى اليهود والنصارى ومن أبرز الشبهات التي اعترض بها المشركون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ما حكاه الله تعالى في القرآن الكريم قال تعالى: "وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا"[1]، لقد اشتملت هاتان الآيتان على أربع شبه ضد رسالة محمد صلى الله عليه وسلّم وهي:

1 - أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق و لا يفعل مثلما يفعل الملوك .
2 - أنّه لم يتلق من الله كنز يستعين به ويغنيه عن السؤال أو أن يملك بستانًا على الأقل .
3 - أنّه لم ينزل معه ملك يشهد بصدق نبوته ويشد أزره .
4 – أنّه رجل مسحور .

ولقد رد القرآن عن هذه الشبه الأربع و جادل أصحابها في مواضع متفرقة من القرآن الكريم تارة يتكفل الله بالرد عنها و تارة أخرى يكون الرد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر من الله عز وجل .

1- أما ما يتعلق بالرد عن الشبهة الأولى قال تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً"[2] ،فالأكل والمشي في الأسواق هي سنة الله في خلقه"فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا"[3]، إلا أنّ بعض البشر يخرجون من هذه السنة لعارض من العوارض ،كأن يكون غنيا أو ذا جاه أو سلطان ،أو أن يكون ملك من الملوك غير أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف عن هؤلاء جميعا لأنّه كلّف بتبليغ رسالة وأن يكون مثالا يتحدى به وقدوة حسنة ،هذه المهمة تفرض عليه أن لا يبتعد

---

1 - سورة الفرقان، الآية 7، 8 .
2 - سورة الفرقان، الآية 20 .
3 - سورة فاطرن الآية 43.

عن الخلق و ينزوي عنهم في مكان ويحبس نفسه في برج من الأبراج العاجية ،يطل من فوقه على الناس ،و يراقب تصرفاتهم وحركاتهم وتجبره على مخالطة الخلق و الاتصال بهم أينما حلوا وأينما ارتحلوا، لا يرده و لا يثنيه عن هذه المهمة زمان ما أو مكان معين، و الأسواق هي من الأماكن التي يرتادها الناس كثيرا غنيهم وفقيرهم قويهم وضعيفهم .....الخ .

و الرسول لا يختلف عن الرسل السابقين فهو بشر مثلهم و لذلك أوحى الله إليه أن يردّ على هذه الشبهة بنفسه قال تعالى :" قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ"[1]،و كون الرسول صلى الله عليه وسلم يتصرف في حياته اليومية مثل الناس يأكل و يشرب و يمشي في الأسواق ،كذلك يتزوج و يلد أولادا ويربيهم ،كل ذلك لا يطعن في مصداقية القرآن الذي جاء به، و لقد أنكر على بعض الصحابة أنّهم يصومون الدهر و يقومون الليل ولا يتزوجون النساء و ردّ عنهم أنه يقوم الليل و ينام ويصوم ويفطر ويتزوج النساء و هو أخشاهم لله، أراد من خلال ذلك كله أن يجعل رسالته تتفاعل مع واقع الناس و فطرهم وطباعهم

2 - أمّا رده على الشبهة الثانية هو قوله تعالى "قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا"[2]،لماذا يجعلون من نزول الملك حجة و دليل على صدق نبوة النبي وقد جاءهم هذا النبي من أنفسهم ومن بني جلدتهم ،و هذا رحمة بهم ،و لكي تكون الرسالة السماوية أكثر صحة وأبلغ صدقا وأصدق وقعا ،و لو كانوا ملائكة لأنزل الله أو لبعث إليهم رسولا من جنسهم يكون ملكا مثلهم، ولو أراد أن ينزل ملكا ليبلغ رسالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنزله في صورة رجل منهم قال تعالى :" وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ"[3] و من ثم فمجيء الملك على وضعه الطبيعي غير مناسب لحالهم فتعين أن يكون الرسول إلى البشر من جنس البشر .

3 - أما ما يتعلق بالشبهة الثالثة فقد زعم المشركون أنّ من مستلزمات صدق النبوة أن يكون صاحب الرسالة غنيا يكون له كنز يتمتع به أو يملك حدائق و بساتين ،و أن يتميز بمكانة مادية معتبرة ويظنون أنّ ذلك يرفع من شأن الرسول ،و يعلي من قيمته و يكون ذلك المركز المادي المعتبر أدعى إلى صدق وصحة استقامة رسالته ،و بالتالي يستجيب الناس لدعوته و يؤمنوا بها و لو شاء الله لوهب هذا المركز المادي لرسوله إلاّ أنه لم يفعل ذلك لحكمة أراد قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا"[4]، ومن ثم هذه الشبهة باطلة من أساسها .

4 - يقول تعالى في رده عن شبهة الرابعة: "وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ"[5]، فأقسم بالقلم بأنّه لا يمكن أن يتصف نبيه بالجنون، لأن الرسالة السماوية أجل وأرفع وأصح وأصدق وأبين وأقوم من أن يوصف صاحبها بالجنون .

- أما ما يتعلق بشبهات اليهود حول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلقد أورد القرآن هذه الشبهات و رد عنها من هذه الشبهات قالوا له تعالى :" الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ"[6]وملخص هذه الشبهة أن الله عهد إليهم في كتبهم ألا

---

1 - سورة الأحقاف ،الآية 9.
2 - سورة الإسراء، الآية 95 .
3 - سورة الأنعام ،الآية 9 .
4 - سورة الفرقان ،الآية 10 .
5 - سورة القلم ،الآية 1، 2 .
6 - سورة آل عمران، الآية 183 .

يؤمنوا برسول حتى يكون من معجزاته أنه من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء فتأكلها و أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد عنهم قال تعالى :" قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "[1] أي الحجج والبراهين " و بالذي قلتم "أي بنار تأكل القرابين المتقبلة " فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين " في زعمكم أنكم تتبعون الرسل وتؤمنون بما جاءوا به، فلماذا قتلتموهم إن كنتم صادقين في عزمكم ومن ثمّ فالشرط الذي يشترطونه ويطلبون المعجزة لا على سبيل الاسترشاد وإنما على سبيل التعنت والمكابرة .

المطلب الخامس: جدال القرآن مع منكري البعث

إن قضية البعث و الجزء من الموضوعات المهمة التي اشتغل بها الفكر الإنساني منذ القديم بالرغم من اتفاق الرسالات السماوية بما فيها الإسلام على وجود حياة أخرى بعد الحياة الدنيا فلقد وجد من أنكر وجود هذه الحياة الأخرى و هؤلاء هم الملاحدة الماديون وإذا أردنا الإطّلاع على شبهات هؤلاء فتجد أن القرآن أصدق سجل يروي لنا دعوى المنكرين للبعث والمستبعدين لوجوده وأبرز هذه الشبهات بما يلي[2]:

أ – الاستغراب من تحليل الجسم إلى ذرات ترابية وما يطرأ عليها من تغيرات قال تعالى :" وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ"[3].

ب – لا تعود للإنسان القوة الغاذية والنامية مرة أخرى بعد موته .

ج – فرضا لو أكل إنسان من قبل السباع مثلاً و صارت أجزاء المأكول مختلطة بأجزاء الآكل بعد موته فإذا أعيد فأجزاء المأكول إما أن تعاد إلى بدن الآكل فلا يبقى للمأكول أجزاء تخلق و منها أعضاءه و إما أن تعاد إلى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل أجزاء. وردًّا على هذه الشبهات فلقد حلف الله على وجود البعث في مواضيع عدة في القرآن الكريم قال تعالى :" زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"[4] وقال :" فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ "[5]وفضلا عن إثبات وجود البعث بالحلف فلقد جادل هؤلاء الدهريين الملحدين وفنّد مزاعمهم ورد عليهم دعا ويهم الباطلة في الكثير من آي الذكر الحكيم، إلاّ أنّه استعمل أدلة وأشكالاً وطرقًا استدلالية خاصة بموضوع البعث زيادة على الأشكال السابقة التي ذكرناها في معرض الحديث عن أشكال الجدل القرآني :

أولا: الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله بقدرته ثم أحياهم، فإذا استقرأنا آي الذكر الحكيم الدال على إمكانية البعث نجد أن القرآن قد قص علينا قصصا و قعت في الزمن الغابر استدل من خلالها الله عز وجل على البعث بمن أماتهم الله بقدرته ثم أحياهم و من هذه القصص مايلي:

أ – قوم موسى اللذين أماتهم الله ثم أحياهم وذلك عندما طلبوا منه أن يريهم الله كشرط للإيمان به قال تعالى :" وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "[6]

---

1 - سورة آل عمران ،الآية 183.
2 - ينظر زاهر عوّاض الألمعي، مناهج، ص 301 ت 304 .
3 - سورة الرعد، الآية 5 .
4 - سورة التغابن، الآية 7 .
5 - سورة الذاريات، الآية 23 .
6 - سورة البقرة ،الآية 55 ، 56 .

ب- المقتول الذي ضرب من أعضاء البقرة التي أمر الله أهل القاتل أن يذبحوها فلما ضرب بعضو من أعضائها حيي و أخبرهم بالذي قتله ثم مات بعد ذلك " وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"[1].

ج - قصة الذين أماتهم الله ثم أحياهم: وهؤلاء هم قوم أصيبوا بوباء ففروا من ديارهم وخرجوا منها قال تعالى في شأنهم: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"[2].

د - قصة عزيز عليه السلام قال تعالى :" كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[3].

هـ – سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى :قال تعالى :" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".[4]

و - قصة أصحاب الكهف الذين لبثوا في الكهف ثلاثمائة و تسع سنين قال تعالى :" فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا"[5].

ثانيا: قياس الإعادة على الابتداء:[6] يقول الله تعالى :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ"[7]لقد أورد الله صحة البعث و الحشر ردا على المعاندين الذين يشكون في إمكانية البعث دليلين[8] :

- أحدهما يتعلق بخلق الإنسان و نشأته و مراحل حياته إلى الممات.
- ثانيهما يتعلق بما هو محيط بالإنسان كالاستدلال بخلق النبات و بعد أن ذكر الدليلين عقب عليهما بخمسة نتائج و هي:

---

1 - سورة البقرة ،الآية 72، 73 .

2 - سورة البقرة ،الآية 243 .

3 - سورة البقرة ،الآية 259 .

4 - سورة البقرة ،الآية 260، 261 .

5 - سورة الكهف، الآية 11، 12 .

6 - ينظر السيوطي الاتقانفي علوم القرآن، م2، ج2، ص 53 .وينظر أيضًا الزركشي :البرهان في علوم القرآن ج 1، ص 30، 31 .

7 - سورة الحج، الآيات 5 - 7 .

8 - ينظر الفخر الرازي: التفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت - لبنان، ط 3، 1405ه - 1985 م، م 12، ج 23، ص 8، 10 .

أ - " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ "ومعناه بما أن الله قادر على إيجاد هذه الأشياء فكيف نستبعد قدرته على إعادة إحيائها مرة أخرى .

ج -" وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " و معناه أن الذي قدر على إنشاء هذه المخلوقات ثم أحياها بعد موتها ومن كان كذلك فهو قادر على كل الممكنات، و من كان قادرا على كل الممكنات فهو قادر على البعث من جديد .

د - " وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا "و معناه أنه لما استدل الله عز وجل على إمكانية الإعادة في نفسها، وأنه تعالى قادر على الممكنات، والساعة أمر ممكن ووعد الصادق بإتيانه و كل أمر ممكن وعد بإتيانه فهو آت و الساعة لا ريب فيها .

هـ - "وأن الله يبعث من في القبور " فهو خبر ممن ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته فوجب القطع بوجوبه.

2 - قال تعالى :" وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ "[1]و قد روي الحاكم وغيره أنّ أبي بن خلف جاء بعظم ففته فقال :" أيحيي هذا بعدما بلي ورم! فأنزل الله تعالى " قل يحييها أول مرة " فاستدل سبحانه وتعالى برد النشأة الأولى إلى الأخرى بعلة الحدوث "[2].

3 - قوله تعالى " وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا "[3]إن من أبرز شبهات المنكرين للبعث أن أعضاء الإنسان إن تفرقت و انحلت و أصبحت ذرات ترابية يستبعد جمعها بعد تفرقها وإعادة الحياة إليها بعد فنائها و أمثال هذه الشبهة تطعن في قدرة الله عز وجل فرد عليهم " قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ " فمهما كانت طبيعة جسمكم و كيف أصبحت بعد مماتكم حجارة أو حديدا فإن الله قادر على إحيائكم من جديد[4] و قوله :" فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " هذا هو محل الشاهد في الآية الكريمة و مفاده أن الذي قدر على الخلق و الإنشاء لأول مرة فهو قادر على الإحياء و البعث للمرة الثانية و ذلك في سياق الجواب عن الذي يعيد و يبعث الناس من قبورهم فأجيب أن الذي يحيي و يبعث هو الله و ضمن هذا الجواب ذكر الكيفية و هي تبعثون كما خلقتم لأول مرة.

4 - قوله تعالى :" وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "[5]هذا مثال آخر على استدلال بالبعث بالنشأة الأولى أو قياس الإعادة على الابتداء أو القياس الأولي [6] فتعالى الله علوا كبيرا أن نصفه بأن يسهل عليه شيء ويصعب عليه شيء آخركما هو موجود في صفات البشر بأن يكون شيءسهلاص عليهم ويكون شيء آخر صعبًا عليهم فله المثل الأعلى في الخلق و الإيجاد والقدرة و العلم و الحياة والرحمة و الرضى والغضب.

5 - قوله تعالى :" وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا"[7] قد يتساءل الإنسان المجادل عن كونه إذا ما مات سوف يحُيى بعد

---

1 - سورة يس ،الآية 78، 79 .

2 - ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 31 .

3 - سورة الإسراء ،الآيات 49 - 51 .

4 - ينظر زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل، ص 314 .

5 - سورة الروم ،الآية 27 .

6 - ينظر المصدر السابق، ص 315 .

7 - سورة مريم ،الآية 66، 67 .

ذلك أفلا يتذكر أن هذا الإنسان قد خلقناه من العدم فمادمنا قد قدرنا على خلقه من العدم فبالإمكان أن نعيد حياته من جديد .

ثالثا: قياس الإعادة على خلق السماوات و الأرض بطريق الأولى[1]

1 - قال تعالى :" وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ "[2].

2 - قال تعالى :" أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ"[3]

3 - قال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[4].

ومما سبق من الآيات يبين الله عز وجل أن الذي يقدر على خلق السماوات و الأرض يستطيع أن يخلق أشياء أخرى دونها ومنها خلق الإنسان يقول تعالى: "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[5] ومعناه إذا كان الله قادرًا على أن يخلق أشياء عظيمة في الكبر فهو إلى خلق مادونها أقدر سواءً أتعلق الأمر بالنشأة الأولى أو الثانية الناس "(3) معناه إذا كان الله قادرا على أن يخلق أشياء عظيمة في الكبر فهو إلى خلق ما دونها أقدر سواء أتعلق الأمر بالنشأة الأولى أو بالنشأة الثانية .

رابعا: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر و النبات[6]

1 - قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[7]

2 - و قال أيضا :" وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ"[8].

3)- و قال "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[9]

4)- و قال :" وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[10]

فالجدل القرآني يقيس إعادة الحياة للناس و بعثهم من جديد بإحياء الأرض بعد موتها و إخراج مختلف الثمرات من زروع ونخيل مختلفة الألوان والأشكال وإحياء الأرض الميتة يكون

---

1 - ينظر جلال الدين السيوطي: الا تقان في علوم القرآن م2، ج2، ص 54 .وينظر أيضًا الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 30، 31، وينظر د/ زاهر عوض الألمعي: مناهج الجدل، ص 316 .

2 - سورة الإسراء، الآية 98، 99 .

3 - سورة يس، الآية 81 .

4 - سورة الأحقاف نالآية 33 .

5 - سورة غافر، الآية 57 .

6 - ينظر السيوطي: الإتقان م2، ج2، ص 54، وينظر أيضًا الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 30، 31، وينظر د/ زاهر عوض الألمعي مناهج الجدل، ص 316 .

7 - سورة الأعراف، الآية 57 .

8 - سورة فاطر ،الآية 9 .

9 - سورة فصلت، الآية 39.

10 - سورة الرعد ،الآية 4 .

عبر مراحل مختلفة منها إرسال السحاب بواسطة الرياح إلى بلد أرضيه قاحلة جرداء و بمشيئة الله وقدرته تنزل هذه الأمطار على هذه الأرض فتهتز و تنتفخ وتنمو وترجع إليها الحياة من جديد .

خامسا: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر

1 - قال تعالى :" الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ"[1] يستدل المولى عز وجل في الآية السابقة على البعث الذي أنكره الملحدون بإيقاذ النّار الحامية من الشجر الخضر الرطب الطري البارد، واستخراج الحرارة من البرودة أو استخراج الشيء من نقيضه، يقول السيوطي: "وهذه غاية البيان في ردّ الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليها "[2]ومعناه أيضا فإذا تعجبتم من جميع أجزاء الجسم المتناثرة وإحيائها من جديد فإنّ إخراج النار الحامية من الشجر الأخضر الذي يقطر ماء لرطوبته يعدّ ذلك أغرب وأعجب ولكنّه واقع أمام أعينكم، ومن ثمّ فإن استبعدتم خلق الإنسان وإحيائه من جديد فخلق السماوات اكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوا هذا ولا ذاك[3].

سادسا: عدم انقلاب الحق وتبدله مهما اختلف فيه الناس

فالحق لا يتبدل و لا يتغير و لا يزول بل يبقى ثابتا مهما اختلف فيه الناس و جادلوا وتنازعوا فيه لأن ثبوته مستمد من ذاته، فكيفي أنه حق، ومن ثم لا يحتاج إلى دليل أو حجة تثبته. قال تعالى:" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِين"[4] يقول السيوطي " وتقريرهما (أي الآيتين) أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه، إنما تختلف الطرق الموصلة إليه، والحق في نفسه واحد فلما ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لا محالة كان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفا يوجب الائتلاف، ويرفع عنه الاختلاف، إذا كان الخلاف مذكورا في فطرنا، وكان لا يمكن ارتفاعه و زواله إلا بارتفاع هذه الجبلة إلى جبلة غيرها .صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف و العناد و هذه هي الحالة التي وعد لله بالمصير إليها فقال :" وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ "[5] أي عقد فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث ينكره المنكرون "[6] فالسيوطي يرشد الناس في جدالهم وخصامهم إلى أن يكون جدالهم في البحث عن الحق و أن يكون مفيدا واستعمل كل الوسائل التي تجعل الجدل مفيدا و يحاولوا أن يتفقوا في ما يمكن أن يتفق عليه و يبتعدوا عن العناد و المكابرة .و الاختلاف هي سنة الله في خلقه لكن لا أن يجعلها مطية لتحقيق أغراض خاطئة و أهداف غير سليمة وأن يختلف من أجل الاختلاف.

سابعا: البعث والجزاء من مقتضيات العدل الإلاهي و الحكمة الإلاهية [7]، قال تعالى :" أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى"[8]و يقول أيضا :" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ "[9] إن خلق الله للإنسان ليس عبثا بل ليجعله خليفة في الأرض و كلفه بأمور يقوم بها

---

1 - سورة يس نالآية 80 .

2 - الإتقان م2، ج 2، ص 54 .

3 - ينظر تفسير الفخر الرازي، ج 26، ص 110 (بتصرف)

4 - سورة النحل، الآية 38، 39 .

5 - سورة الأعراف، الآية 43 .

6 - الإتقان، م2، ج 2، ص 54.وينظر أيضًا الزركشي: البرهان، ج2، ص 32 .

7 - ينظر زاهر: مناهج الجدل، ص 321 .

8 - سورة القيامة، الآية36 .

9 - سورة المومنونن الآية 115 .

في الحياة وأوجب عليه أن يقوم بأشياء ووعده بالثواب إن قام بها أحسن قيام و نهاه عن القيام بأشياء أخرى و أوعده بالعقاب إن إفترقها ولم يتب، فالثواب و العقاب يكون بعد انقضاء مرحلة العمل و انتهاء الامتحان قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ"[1] وقال: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه"[2] و قال :" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

ثامنا: اليقظة بعد النوم دليلا آخر على البعث، إنّ النوم يشبه الموت كما أن اليقظة بعد النوم تشبه البعث بعد الموت قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"[3].

الخلاصة

مما سبق يتضح جليا أن جدل القرآن هو نموذج أمثل وحي وواقعي في الحوار و المناقشة الجادة الهادفة و التحليل الموضوعي البناء للقضايا المختلفة شأنها سواء ما تعلق منها بالجانب العقدي أو التشريعي أو الجوانب الفكرية، و السلوكية الأخرى .كما يعد الجدل القرآني المثل الأعلى في الحفاظ على كرامة الإنسان وذلك في إتاحة الفرصة لأن يناقش و يحاور ويجادل في الأمور التي أشكلت عليه بغية المعرفة والاستفادة والاطمئنان والتصرف على هدى و بصيرة وقناعة، وجاء الجدل القرآني ليرشد الإنسان لكي يستعمل عقله و يوظفه بالنظر والتدبر والتأمل و التفكير في الأنفس و الأفاق ليثبت إنسانيته ويعمل و يكدّ في الأرض و يبني حضارته، كما أنّ الجدل القرآني خاطب عقل الإنسان وقلبه وعاطفته وإحساسه بخلاف المنطق اليوناني الذي تعسف في مخاطبته للإنسان الكامل و خاطب عقله دون قلبه ووجدانه والجدل القرآني قدوة للمسلمين في مناهجه وخصائصه في رفع الخلاف عنهم واسترجاع وحدتهم.

---

1 - سورة الملك، الآية 1، 2 .

2 - سورة الزلزلة ،الآية 7، 8 .

3 - سورة الأنعام، الآية 60 .

الباب الثاني

الخصائص اللغوية للجدل القرآني ودلالتها

الفصل الأول

الخصائص الصوتية للجدل القرآني

ودلالتها

المبحث الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها

المطلب الأول: مفهوم الدلالة وعلم الدلالة

أولا: الدلالة لغة واصطلاحا

الدلالة هي مصدر الفعل دلَّ يدُلُّ المأخوذ من مادة (دَلَلَ)، وهو من باب قَتَلَ يَقتُلُ[1] ودلّه على شيء أو على الطريق يَدُلُهُ أي سدّدَه إليه[2]، والمراد بالتسديد إراءة الطريق، وفي التهذيب دللتُ بهذا الطريق دَلالة أي عَرفته[3].واستعمل لفظ دلَّ مجاز أيضا " الدَّال على الخير كفاعله ودلّه على الصراط المستقيم"[4] أي أرشده ووجّهه وهداه، والاسم الدَّلالة والدِّلالة بالكسر والفتح والدَّلولة بالضم، واقتصر ابن سيده على الكسر، وذكر الصّاغاني: الكسر والفتح وقال أن الفتح أعلى[5]أي أرجح من الكسر والضم .

يقول الجر جاني " الدلالة هي كون الشيء، بحالة يلتزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[6] ولقد تناول العلماء العرب في مختلف تخصصاتهم من أصوليين ومتكلمين ومناطقة و لغويين مبحث الدلالة وقسموا الدلالة إلى ثلاثة أقسام: الدلالة الطبيعية، الدلالة العقلية(منطقية)، الدلالة الوضعية(عرفية)[7].

ثانيا: مفهوم علم الدلالة

علم الدلالة في اللغة هو تركيب إضافي يقابل المصطلح الإنجليزي Semantics، وهو من أحدث فروع علم اللغة[8] يتناول بالبحث والدراسة " معاني الألفاظ وأنواعها وأصولها والصلة بين اللفظ والمعنى والتطور الدلالي، ظاهره وأسبابه، والقوانين التي يخضع لها"[9]كما يعرفه بعضهم " بأنه دراسة المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشرط الواجب توفره في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[10]أو يعد منهجا لدراسة اللغة اللهجة على مستوى المعنى .. وخلال ما سبق نستنتج أن علم الدلالة هو علم حديث النشأة يهتم بدراسة الألفاظ من

---

1 - ينظر ابن منظور: لسان العرب مادة (دلل)، م 1 ً 1006، وينظر أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، معجم عربي - عربي، ط 2، 1418ه - 1997،شركة أبنا شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت - صيدا، مادة (دلل)ص 105 .

2 - ينظر ابن منظور: لسان العرب مادة (دلل)، م 1 ص 1006 .

3 - ينظر مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي سيري، 1414ه - 1994 م، دار الفكر بيروت - لبنان م14، باب اللام مادة(دلل)

4 - جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط.1419،1هـ -1998م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ج1ص295 مادة(دلل).

5 - ينظر ابن منظور: لسان العرب مج 2،ص 1006 مادة (دلل) وينظرا أيضا، الزبيدي: تاج العروس 14 باب اللام (دلل) ص 241

6 - الجرجاني : التعريفات، ص 241.

7 - كشاف اصطلحات الفنون :التهانوي الحنفي، وضع حواشيه أحمد حسن يسبح ط1 1418هـ -1998م، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان م 2،ص 1.

8 - ينظر عبد العزيز مطر :علم اللغة وفقه اللغة، ص 45 .

9 - المرجع نفسه المكان نفسه.

10 - أحمد مختار عمر علم الدلالة ط3، 1991، عالم الكتب، القاهرة، ص7.

حيث معانيها وعلاقة هذه الألفاظ بهذه المعاني من حيث تطور دلالتها ومظاهر هذا التطور وأسبابه، والقوانين المتحكمة فيه

ولقد ساهم العرب مساهمة فعّالة في الدراسة الدلالية كل في مجال تخصصه، فلقد تناوله الفلاسفة والمناطقة والمتكلمين، كما تحدث عنه اللغويون والأصوليون والبلاغيون والمفسرون أمّا الفلاسفة المتقدمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد وابن حزم والغزالي، والقاضي عبد الجبار وغيرهم فقد تناولوا اللفظ وما يدل عليه من حيث التعريف وتحديد عناصر الدلالة وعرّفوا الدلالة انطلاقا من هذه العناصر، ومن أشهر تعاريف الدلالة هو تعريف الجرجاني السابق وقسّموا الدلالة إلى طبيعة وعقلية ووضعية كما قاموا بتقسيم هذه الأخيرة إلى مطابقة وتضن والتزام .

أما ما يتعلق بجهود اللغويين فإن علماء اللغة العربية عالجوا الكثير من المسائل المتعلقة بمعاني الألفاظ ودلالتها والتي تعد من صميم مباحث علم الدلالة منها ما يتعلق بمعاني الغريب في القرآن الكريم،والحديث عن مجاز القرآن والتأليف في " الوجوه والنظائر" في القرآن[1]كما ألفوا معاجم بحسب الموضوعات والمعاني كالمخصص لابد سيده الأندلسي الذي راعى فيه الموضوعات كذكره لموضوع السماء والنجوم في فصل، وما يتعلق بالأرض وأجزائها في فصل أيضا والإنسان وما يتعلق بأعضائه وصفاته وأخلاقه في فصل آخر[2]وألفوا معاجم أخرى بحسب الألفاظ..أول معجمات الألفاظ العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175) ويعد أول معجم في العربية، ثم معجم الجيم للنظر بن شميل (ت203هـ) ، و(الجيم) لأبي عمرو الشيباني(ت206ه)[3] ولقد تنوعت اهتمامات اللغويين العرب بعد ذلك منها محاولة ابن فارس في معجمه المقاييس، ومحاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة ومحاولة ابن حني في كتابه الخصائص، وكتاب الصالحين في فقه اللغة لبن فارس، وكتاب المزهر لجلال الدين السيوطي.

أما اهتمامات الأصوليين في مجال دلالة الألفاظ في كتبهم، فلقد تناولوا موضوعات أهمها دلالة اللفظ، دلالة المنطوق، دلالة المفهوم، وتقسيم اللفظ بحسب الظهور والخفاء والترادف والإشتراك والعموم والخصوص والتنصيص والتقييد، ومن اهتمامات البلاغيين في مجال علم الدلالة دراستهم للحقيقة والمجاز وأساليب الأمر والنهي والاستفهام، ونظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني وغيرها[4].

أما إسهامات المفسرين في علم الدلالة فسوف نتعرض لها عند الحديث عن نظرية السياق وفي العصر الحديث يعد الدكتور إبراهيم أنيس أول مؤلف وضع كتابا في علم الدلالة باللغة العربية وذلك في سنة 1958 تحت عنوان (دلالة الألفاظ) وطبع عدة طبعات بعد ذلك وتعد محاولته رائدة في هذا المجال فلقد ألمّ بما كتبه العرب قديما ومألفوه في هذا الميدان كما كان له إلمام واسع على ما كتب في مجال دلالة الألفاظ من قبل الدراسيين الغربيين ويمثل كتابه(دلالة الألفاظ) دراسة معاصرة وأصيلة في نفس الوقت.

---

1 - ينظر المرجع نفسه ، ص20.

2 - ينظر محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط7، 1401هـ-1981م، دار الفكر للطباعة والنشر، التوزيع، ص155،154.

3- ينظر محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط1، بيروت، 1400هـ - 1980، بيروت - لبنان منشورات دار مكتبة الحياة، ص227.

4 -ينظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص21،20.

المطلب الثاني : الدلالة و أنواعها

فأمّا ما يتعلق بالدلالة وأنواعها فإن الباحث في دلالة الألفاظ كي يتسنى له معرفة دلالة الألفاظ عليه أن يطّلع على أنواع الدلالات ويقوم بتحليلها ومن أنواع هذه الدلالات مايلي:

أولا: الدلالة الصوتية

الدلالة الصوتية هي الدلالة التي تستنبط من الأصوات التي تألفت منها الكلمة وتختلف دلالة الكلمات بحسب طبيعة هذه الأصوات، فتدل شدة الصوت وجهده على معنى قوي، كما تدل رخاوة الصوت وهمسه على معنى فيه لين ويسر [1] ويعتبر توالي الحركات في الكلمات على توالي حركة الفعل في الواقع، أو إذا قمنا بإبدال أو إحلال صوت في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى، وكذلك إذا أضفنا إلى الكلمة صوت أو حذفنا منها صوت أدى ذلك إلى تغير معناها لأن زيادة المعنى يدل على زيادة المبنى[2]ويمكن أن تستمد الدلالة من جوانب أخرى تتعلق بالصوت كالنبر والتنغيم.

1 - النبر:

هو إيضاح نسبي لصوت أو مقطع وذلك بالضغط عليه، ويذل طاقة زائدة وجهد عضلي إضافي أكبر من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة[3] والهدف من ذلك لفت انتباه السامع ففي العبارة الآتية هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا ماء في القمر فإذا كان النبر على عبارة بلا ماء فيكون العيش بلا ماء هو موضع الغرابة أما إذا كان النبر على عبارة في القمر دل أن العيش في القمر موضع الغرابة.

2 - التنغيم:

يلعب التنغيم دورا هاما في الدلالة على طبيعة الجملة وهو وسيلة للتفريق بين الاستفهامية والتقريرية والتعجبية، فحتى إذا لم توجد الأدوات الدالة على طبيعة الجملة كأدوات الاستفهام والتعجب وغيرها فنستطيع أن نعوض هذه الأدوات بالتنغيم وكذلك الأمر بالنسبة للعلامات، فعلامة الاستفهام أو التعجب أو غيرها من العلامات هي التي تدل على طبيعة الجملة (المكتوبة) استفهامية أو تعجبية، فإذا كانت الجملة (منطوقة) فإن التنغيم يقوم مقام هذه العلامات. قوله تعالى على لسان قوم إبراهيم "قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ"4 فبالرغم من وجود أداة الاستفهام وهي همزة الاستفهام، فعلى القارئ أن ينغم جملة (يا إبراهيم) بنغمة الاستفهام لكي يزداد المعنى قوة ووضوحا لأنه لو قام القارئ بتنغيم جملة (يا إبراهيم) نغمة تقريرية مثلا أو نغمة عادية، فلا يمكن أن يؤدي المعنى المطلوب، ولا يستطيع المستمع أن يدرك أن هذا هو موضع الاستفهام ويمكن أن تدل الجملة الواحدة على أكثر من دلالة لو قمنا بتنغيمها نغمات متعددة .

---

1 - ينظر عبد العزيز مطر: علم وفقه اللغة، ص 47

2 - ينظر فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية و تطبيقية ، ط2 1419 ه - 1999 م مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ص30

3 - ينظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، 1997 م - 1418 ه، عالم الكتب، القاهرة ص221

4 - سورة الأنبياء، الآية 62 .

ثانيا: الدلالة الصرفية

هي الدلالة المستخرجة والمستمدة من الصيغ وأبنيتها وأوزانها[1] فكل وزن الأوزان له دلالة معينة من هذه الأوزان مثلا زيادة الهمزة في أول الثلاثي و التي تدل على دلالات كثيرة كالتعدية مثل خرج زيد وأخرجت زيدا وكالدخول في الزمان والمكان كأصبح الدالة على الدخول في الصباح وأمصر الدالة على الدخول في مصرإلخ..ومن الأوزان الصوفية أيضا تضعيف عن الفعل الثلاثي الذي يدل هو الآخر دلالات متعددة كالتكثير والمبالغة مثل جمع أكثر من الجمع وطوف بالغ في الطواف والتعدية مثل فرح زيد، وفرحت زيدا ومن الأوزان أيضا زيادة الألف والسين والتاء للدلالة على الطلب، كا استطعم، استسقى استنصح أي طلب الطعام، السقي النصيحة أو الدلالة على التحول كقولنا استنسر البغات أي صار نسرا واستنوق الجمل صار ناقة[2].

ثالثا: الدلالة النحوية

الدلالة النحوية هي الدلالة التي تستنبط من خلال الجملة المنطوقة أو المكتوبة على مستوى التحليلي أو التركيبي ويطلق على هذا النوع من الدلالة الوظائف النحوية أو المعاني النحوية[3]أو ما يستخلص من نظام الجملة العربية المرتبة ترتيبا خاصا مبنيا على علاقات معينة بين عناصر هذا الترتيب كالفاعلية والمعنوية والظرفية والإضافة والحالية ..إلخ. بحيث لو اختل هذا النظام لوجدنا معوية في فهم دلالة الجملة[4]ومثال ذلك كأن نقول أعطى المعلم التلميذ جائزة فالمعلم هو فاعل دلالته النحوية هي الفاعلية، والتلميذ مفعولا به ودلالته المفعولية، فإذا غيرنا من نظام الجملة بهذا الشكل التلميذ جائزة المعلم أعطى فلا يمكن أن نفهم الجملة فضلا عن معرفة ما تدل عليه، وجانب آخر من الدلالة يمكن أن يستنبط من المعاني العامة للجمل الأساليب الدالة على الخبر أو الإنشاء، والإثبات أو النفي، والتأكيد والطلب كالاستفهام والأمر والنهي والعرض والتخصيص والتمني والترجي والنداء والشرط باستخدام الأدوات الدالة على هذه الأساليب[5].

رابعا: الدلالة المعجمية

وهي الدلالة الناتجة عن معنى الكلمة في المعجم وهي أول خطوة يخطوها الباحث في دلالة الألفاظ قبل أن يتطرق إلى الخطوات الآنفة الذكر، وهي الدلالة الصوتية و الصوفية والنحوية، لأن هذه الخطوات ما هي إلا وسائل أخرى وظيفية مساعدة على تحديد المعنى العام و البحث في الدلالة المعجمية من الأعمال الأساسية التي يقوم بها علماء المعاجم، ولقد قسم علماء المعاجم المحدثون المعنى المعجمي أو الدلالة المعجمية إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ ما تشير إليه الكلمة في العالم الخارجي ويطلق عليها اسم المعنى الأساسي أو الأولي أو المركزي[6]ويسميه إبراهيم أنيس بالدلالة المركزية[7]كما يطلق عليه أحيانا المعنى التصوري أو

---

1 ـ ينظر إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ط2، 1963، مكتبة الانجلو المصرية، ص47

2 ـ ينظر: فريد عوض حيدر علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ص39، 40 بتصرف

3 ـ ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، 1418 ه ـ 1998 م، عالم الكتب، القاهرة، ص178

4 ـ ينظر إبراهيم أنس: دلالة الألفاظ، ص48

5 ـ ينظر فريد عوض حيدر، ص علم الدلالة، ص43

6 ـ ينظر المرجع السابق ، ص49 وينظر أيضا أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص32

7 ـ ينظر إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ، ص106

المفهومي أو الإدراكي، وهذه الدلالة المركزية تمثل القدر المشترك من الدلالة الذي يتعامل به الناس ويتفاهمون فيما بينهم، وينقلون به أفكارهم بشرط أن يتكلموا بلغة واحدة1 .
2 ـ ما تتضمنه الكلمة من دلالات أو ما تستدعيه في الذهن من معاني ويطلق عليه اسم المعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي أو التضمني كما يطلق عليه مصطلح الدلالة الهامشية2 ويمكن أن تدل هذه الدلالة الهاشمية على معنى ذاتي يتعلق بخبرات فرد أو شخص معين أو على معنى اجتماعي ويتغير هذان المعينان في كيهما بتغير الثقافات و الزمن والخيرات فأما المعنى النفسي الذاتي فهو يتعلق بمتحدث أو متحدث واحد ولا يتميز بالعمومية3ولا أن يكون متداولا بين الناس وهو ما أشار إليه وعبر عنه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله " تلد الظلال من المعاني التي تختلف بين فرد إلى آخر تبعا لتجارب الأفراد وخيراتهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم"4 مثل ذلك كلمة النار التي تعني ذلك اللهب المتصاعد الذي يرى في المدفئة أو الغابة أو الفرن ..إلخ. وهذا هوا لمعنى الأساسي لكلمة النار المعروف لدى كل الناس وقد يسمع فرد من الأفراد هذه الكلمة فيشعر بالخوف و الهلع لأن هذه الكلمة أعادت إلى ذاكرته مشهدًا رآه وهو صغير ويتمثل في احتراق بيتهم وما خلفه هذا الحريق من وفاة أعز إنسان لديه كأن يكون أبوه أو أمّه أو أحد إخوانه أو أخواته، فهذا معنى هامشي ذاتي، وأمّا المعنى الاجتماعي يتمثل في وجود معاني إضافية إلى المعنى الأساسي لدى مجتمع ما وهذه المعاني قابلة للتغيير من مجتمع إلى آخر وهي " تعكس بعض الخصائص العضوية و النفسية والاجتماعية، كما تعكس بعض الصفات المرتبطة في أذهان الناس بالمرأة كالثرثرة وإجادة الطبخ ولبس نوع معين من اللباس، أو التي ترتبط في أذهان الناس طبقًا لوجهة نظرهم الفردية أو الجماعية، أو لوجهة نظر المجتمع ككل (استخدم البكاء -عاطفية- غير منطقية ..)"5ويدخل ضمن الدلالات الإضافية ما تتركه بعض الكلمات من إيحاء دلالي ويسمى هذا النوع من الدلالة بالمعنى المنعكس أي ما تعكسه بعض الكلمات من إيحاء يثير التقزز والاشمئزاز من هذه الكلمات ما يرتبط بالجنس6فإذا رجعنا إلى القرآن نجده تحدث عن الجنس بكلمات لطيفة، كالنكاح، والأزواج، الطمث..إلخ ومن هذه الكلمات ما يربط بأماكن قضاء الحاجة، فالكثير من الكلمات الدالة على هذه الأماكن التي تثير التقزز استفيض عنها بكلمات أخرى أنسب كدورة المياه، والحمام، والتواليت..
3 ـ مدى تطابق المعنى الأساسي بالمعنى الثانوي التضمني فعلماء المعاجم دورهم يكمن في إيجاد نقاط التطابق الكلي أو الجزئي بين المعنيين فإذا كان التطابق بين المعنيين تطابقا كليا وكان تطابقها لفظا واختلافها معنى فهما من قبيل المشترك اللفظي أما إذا كان تطابقهما تطابقا من حيث المعنى واختلافهما من حيث اللفظ فهما مترادفان وتسمى هذه الدراسة بالعلاقات الدلالية بين الكلمات7.

---

1 ـ ينظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص32، ينظر أيضا إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص106
2 ـ ينظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص33، وينظر فريد عوض حيدر :علم الدلالة، ص 49،وينظر إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص106
3 ـ ينظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص35
2 ـ دلالة الألفاظ، ص107
5 ـ ينظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 35.
6 ـ ينظر المرجع نفسه، ص36.
7- ينظر فريد عوض حيدر: علم الدلالة،ص50

خامسا: دلالة المقام أو الدلالة السياقية

وهي الدلالة المستخلصة من المقام الذي استخدمت فيه الكلمة فإذا أردنا معرفة دلالة كلمة معينة أو تركيب معين فلا بد لنا بملاحظة الوحدات اللغوية الأخرى التي تجاورها ومدى ارتباطها وهذا يسمى بالسياق اللغوي فكلمة اليد لا يمكن إدراك دلالتها إلا بمعرفة السياق الذي وردت فيه مثل قولنا هم"يد" على من سواهم ومعنى اليد هنا هو وحدتهم وتماسكهم، وقولنا "يد"الفأس معناه مقبضه، وقولنا فلان طويل اليد معناه كريم أو سارق1وتوجد سياقات أخرى غير لغوية وهي: السياق العاطفي والسياق الموقف والسياق الثقافي: أما السياق العاطفي فهو يحدد لنا مدى قوة وضعف الانفعال فالإرادة غير الحب والكره غير البغض، وهذا الأخير غير المقت، أما سياق الموقف ، فهو يعني المقام الخارجي الذي يمكن أن تقال فيه الكلمة أو الجملة مثل قولنا "يرحمك الله "في مقام تشميت العاطس وقوله "يرحمه الله أو الله يرحمه" في مقام الدعاء على الميت، أما السياق الثقافي فتختلف دلالة الكلمة بحسب نوعية السياق الثقافي الواردة فيه، فكلمة جذر لها معنى عند الفلاح ومعنى ثاني عند اللغوي ومعنى ثالث عند الرياضي2.

المبحث الثاني: تعريف الصوت اللغوي

يعرّف اللغويون الصوت بأنه «أثر سمعي تنتجه أعضاء النطق الإنساني إراديا في صورة ذبذبات نتيجة لأوضاع وحركات معينة لهذه الأعضاء، ومن هذا الأثر السمعي تتألف الرموز التي هي أساس الكلام عند الإنسان، ومن هذه الرموز الصوتية تتألف الكلمة ذات المعنى والجمل والعبارات، وهذه الأربعة؛ أي الصوت والكلمة والمعنى والجمل هي العناصر الأساسية للغة»3. وممّا تقدّم نستنتج أن الأصوات هي الأساس في الكلام الإنساني، و«تشكّل مادة اللغة الأولى في الدراسات اللغوية لأن كل أمّة أو جماعة لغوية تعتمد منهجا محدّدا ومميزا في صوغ لكلماتها من الأصوات التي ينتجها "الجهاز النطقي" الإنساني، ثم تصوغ من الكلمات الجملة والتراكيب بغية التعبير بها عن حاجياتها المادية والمعنوية التي لا حصر لها»4، والعلم الذي يعنى بدراسة الصوت اللغوي هو علم الأصوات، وهذا الأخير يدرس الصوت الإنساني من جوانب عدة" «من حيث أعضاء النطق به، وكيفية صدوره، ومخرجه، وصفته، وانتقاله في موجات صوتية عبر الهواء، واستقباله في أذن السامع، من حيث موقع الصوت في الكلمة، ومجاورته لغيره، وتأثره به، وتأثيره فيه»5، وكل جانب من هذه الجوانب يهتم به فرع من فروع علم الأصوات.

فعلم الأصوات النطقي أو الفيسيولوجي يهتم بدراسة الصوت في جانبه الأول (إصدار الصوت) أو الجانب النطقي، والذي يتمثل في عملية النطق من جانب المتكلم، وما تنتضمن هذه العملية من حركات أعضاء النطق.

أما علم الأصوات الأكوستتيكي أو الفيزيائي فهو يهتم بدراسة الصوت من جانبه الثاني المتمثل في انتقال الصوت وانتشاره في الهواء، والذي يتمثل في الموجات الصوتية المنتشرة في الهواء نتيجة لحركات أعضاء النطق.

---

1 - ينظر أحمد مختار عمر:علم الدلالة،ص70

2 - ينظر المرجع السابق،ص71.

3 - عبد العزيز مطر: علم اللغة وفقه اللغة، ص31.

4 - عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية، ص5.

5 - المرجع السابق،المكان نفسه .

أما علم الأصوات السمعي فهو يهتم بالجانب السمعي المتمثل في تلك الذبذبات المقابلة للموجات الصوتية، والتي تؤثر في طبلة الأذن السامع وتعمل عملها في ميكانيكية أذنه الداخلية، وفي أعصاب سمعه حتّى يدرك الأصوات[1].

وبعد تقدم البحث العلمي في مجال الأصوات اكتشف العلماء أنّ للصوت جوانب أخرى تحتاج إلى البحث، فقسّموا علم الأصوات العام قسمة أخرى، هي علم الأصوات أو الفوناتيك (phonetics)، وعلم وظائف الأصوات (phonology).

أما علم الأصوات أو الفوناتيك فـ «يراد به دراسة الأصوات من حيث كونها أحداثا منطوقة بالفعل، لها تأثير سمعي معين دون النظر في قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعنية»[2].

وأما علم وظائف الأصوات فإنه «يدرس الصوت الإنساني في تركيب الكلام ودوره في الدراسات الصرفية والنحوية والدلالية في لغة معينة، كدراسة أصوات اللغة العربية، ودورها في الصرف العربي، في تركيب اللغة ودلالتها»[3]، وعلة تسميته من بعض اللغويين علم وظائف الأصوات لأنه يدرس الأصوات اللغوية ودورها في مستويات الدراسة اللغوية الأخرى من صرف ونحو ودلالة، ومجال دراسته تتناول الفونيم والمقطع والنبر والنغم ودورهم في تحديد معنى الكلمة أو العبارة وتمييز هذا من ذاك وذلك بواسطة عمليات عدّة هي:

تحديد وظائف الفونيمات.

خضوع الفونيمات لقواعد معينة في تجاورها وارتباطها وعلائقها المتبادلة، وذلك نحو الجهر، والهمس، والانسداد، والتضييق، والتغليظ، والترقيق.

مواقع الأصوات، وكونها في هذا الحرف أو ذاك، وكثرة ورودها أو ندرة ورودها في حالات معينة.

نبر المقاطع، والكلمات، والعبارات.

تنغيم الجملة والعبارة.

ودراستي للخصائص الصوتية للجدل القرآني ترتبط بعلم وظائف الأصوات حيث نقوم باستخراج الأصوات الأكثر تواترا في الجدل القرآني، وصفاتها من جهر وهمس وشدة ورخاوة واستعلاء واستفال وإطباق وانفتاح، ودلالتها في الجدل القرآني، ثمّ أركّز على بعض الأصوات التي كثر ورودها في الجدل القرآني، وأستخرج دلالتها في بعض السياقات، وأقوم بدراسة المقطع وأنواعه، والنبر والتنغيم، وأستخرج دلالتها في بعض السياقات التي كثر ورودها فيها.

المبحث الثالث : أقسام الأصوات وصفاتها

قسّم اللغويون الأصوات اللغوية الإنسانية إلى أصوات صامتة، وأصوات صائتة، وأساس هذا التقسيم ينبني على «طبيعة الأصوات وخواصها، بتركيز الاهتمام على خاصيتين مهمتين هما: أوضاع الأوتار الصوتية، وطريقة مرور الهواء من الحلق والفم، وقد تضاف إليها خاصية ثالثة تتمثل في أوضاع الشفاه وأشكالها المختلفة»[4]؛ فالصوت الصائت هو «الصوت المجهور الذي يحدث

أثناء النطق به أن يمرّ الهواء حرّا طليقا خلال الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعاً»[5].

---

[1] - ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ج2 الأصوات، د ط ،1971 ،دار المعارف بمصر ، كرنيش ،النيل القاهرة ،ص13.
[2] - المرجع السابق، ص34.
[3] - عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية، ص24.
[4] - كمال بشر: علم اللغة العام، ج2 الأصوات، ص 92.
[5] - المرجع نفسه، المكان نفسه.

أم الصوت الصائت فهو «الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع، ويدخل في الأصوات الصامتة تلك الأصوات التي لا يمرّ الهواء أثناء النطق بها من الفم، وإنما يمرّ بالأنف كالنون والميم، وكذلك الأصوات التي ينحرف هواؤها فلا يخرج من وسط الفم وإنما يخرج من جانبيه أو أحدهما كاللام»[1]، ولقم قسم اللغويون الأصوات الصامتة إلى أصوات مجهورة ومهموسة، وأصوات شديدة ورخوة، الصوت المركب، الأصوات المتوسطة، الأصوات المكرّرة، الصوتان الأنفيان، الصوت المنحرف، كما وصفوها بصفات هي: الاستعلاء، والاستفال، والانطباق، والانفتاح.

المطلب الأول: الأصوات المجهورة والمهموسة:

أ - الأصوات المجهورة:

يعرف العرب القدامى الصوت المجهور بـ«أنّه حرف أشبع الاعتماد من وضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد ، ويجري الصوت»[2]، ويفسّر اللغويون المحدثون معنى إشباع الاعتماد على الحرف «بانقباض فتحة المزمار الذي يؤدي إلى اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر، فتضيق فتحة المزمار، غير أنها تسمح بمرور النفس خلالها، فإذا اندفع الهواء خلال الوترين في هذا الوضع يهتزّان اهتزازا منتظما، ويحدثان صوتا موسيقيا تختلف درجته حسب عدد هذه الهزّات أو الذبذبات في الثانية، كما تختلف شدّته وغلوّه حسب سعة الاهتزازة الواحدة، وعلماء الأصوات اللغوية يسمّون هذه العملية بجهر الصوت، والأصوات التي تصدر بهذه الطريقة؛ طريقة ذبذبة الوترين الصوتيين في الحنجرة، تسمى أصواتاً مجهورةً، فالصوت المجهور هو الذي يهتزّ مع الوترين الصوتيين»[3]، والأصوات المجهورة هي: الباء، والجيم، والدّال، والزّاي، والرّاء، والذّال،والضّاد، والظّاء، والعين والغين، واللام، والميم، والنّون، والواو نحو ولد، والياء نحو بيت، ولقد أضاف اللغويون القدامى القاف والطّاء والهمزة، وأخرجوها من الأصوات المهموسة، وهذه الإضافة لا تتفق مع النطق الحالي لهذه الأصوات الثلاثة[4]، ومن خصائص الأصوات المجهورة أنّها هي الغالبة في الأصوات اللّغوية، وفي كلّ كلام كي لا تفقد اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص، والدليل على ذلك أن نسبة شيوع الأصوات المجهورة في كل كلام أربعة أخماس من الكلام، مقابل خمسة وعشرين بالمائة نسبة شيوع الأصوات المهموسة[5].

ب - الأصوات المهموسة:

عبّر اللغويون القدامى عن صفة الهمس بـ«الصوت الذي يخرج معه نفس وليس من صوت الصدر، وإنما يخرج منسلاً»[6]، ومعنى قولهم ليس من صوت الصدر عدم ذبذبة الأوتار الصوتية عند النطق بالصوت المهموس، أما معنى كونه يخرج منسلاً أي أن الهواء الذي يندفع إلى الحنجرة يكون حرّا طليقا دون أن يعترض طريقه اقتراب الوترين الصوتيين عن بعضيهما البعض، بل يكونان منفرجين حالة النطق بالصوت المهموس[7].

---

[1] - المرجع السابق، ص 93.

[2] - ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، تحقيق لجنة من الأساتذة ،مصطفى السقا ، محمد الزفزاف ،ط1 ،1374ه ،1954م ،إدارة إحياء التراث القديم ، إدارة الثقافة العامة ،، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج1 ،ص 69 , نمج1، ص 69.

[3] - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ط4 ،1971 ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،ص 20، وينظر أيضا كمال بشر: علم اللغة العام، ص 110.

[4] - ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 110.

[5] - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 21.

[6] - ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص 73.

[7] - ينظر كمال بشير: علم اللغة العام، ص 109.

والأصوات المهموسة كما حدّدها اللغويون القدامى «هي عشرة أحرف، وهي الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء، ويجمعها في اللفظ قولك: ستشحثك خصفة، وباقي الحروف وهي تسعة عشر مجهورة»1، أمّا اللغويون المحدثون فقد عدّوا كلاً من القاف والطاء من الأصوات المهموسة فيكون عدد الأصوات المهموسة اثنا عشر، وهي العشرة التي ذكرها القدامى مضافا إليها القاف والطاء، واختلاف القدامى والمحدثين حول تحديد الأصوات المجهورة والمهموسة يعود سببه إلى اختلافهم في طريقة النظر إلى الأصوات، فاللغويون القدامى «لم يشيروا في مناقشاتهم إلى الأوتار الصوتية، ولم يعتمدوا على أوضاعها في تحديد الجهر والهمس، وإنما عرفوا ظاهرة الجهر والهمس بناء على كيفية مرور الهواء في جهاز النطق وهي تعريفات تتسم بالصعوبة والتعقيد، لكن بالرغم من كل هذا اتفقوا على حروف الجهر والهمس إلا في الطاء والقاف والهمزة، حيث حكموا على الثلاثة بأنها مجهورة على حين أن الصوتين الأولين مهموسان بحسب نطقنا الحالي، والهمزة لا مهموسة ولا مجهورة»2.

المطلب الثاني: الأصوات الشديدة والرخوة:

أ - الأصوات الشديدة:

هذه الأصوات تقابل الأصوات الانفجارية أو الوقفات عند الغربيين، وتكون هذه الأصوات «بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا»3، والمواضع التي يقف فيها الهواء وينحبس انحباسا تاما عند إحداث الأصوات الشديدة هي:

1 – الشفتان، وذلك حينما تنطبقان انطباقا تاما عند نطق حرف الباء.

2 – أصول الثنايا العليا ومقدمة اللثة، وذلك بأن يلتقي بها طرف اللسان عند إرادة النطق بالتاء والدال والطاء والضاد.

3 – أقصى الحنك الأعلى حينما يلتقي به أقصى اللسان عند إرادة النطق بحرف الكاف.

4 – أدنى الحلق، بما في ذلك اللهاة، حينما يلتقي به أقصى اللسان عند إرادة نطق حرف القاف.

5 – الحنجرة، عند إرادة نطق همزة القطع.

والأصوات الشديدة هي الباء والتاء والدال والضاد والطاء والكاف والقاف، فإذا قارنّا هذه الأصوات التي حدّدها المحدثون بالأصوات التي حدّدها القدامى نجد أنّ القدامى قد جعلوا الجيم ضمن هذه الأصوات، وقد جمعوها في قولهم "أجدك طبقك"، ولم يذكروا الضاد ضمن هذه الأصوات، أما اللغويون المحدثون لم يعتبروا الجيم صوتا شديدا بل سمّوه صوتا مركّبا يجمع بين صفتي الشدّة والرخاوة، أما الضاد فقد عدّوه صوتا شديدا4.

ب – الأصوات الرخوة:

الأصوات الرخوة هي التي «لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباسا تامّا محكما وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند الخروج ضيقا جدّا، ويترتب على ضيق المجرى أن النفس أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى... وهذه الأصوات يسميها المحدثون بالأصوات الاحتكاكية وعلى قدر نسبة الصفير في الصوت تتكون رخاوته، ولهذا فأكثر الأصوات رخاوة تلك التي سماها القدامى بأصوات الصفير، وهي

---

[1] - المصدر السابق، ج1، ص 68.

[2] - كمال بشر، علم اللغة العام، ص 111.

[3] - محمد السعران: علم اللغة، ص 153، وينظر أيضا كمال بشر: علم اللغة العام، ص 127.

[4] - ينظر كمال بشير: علم اللغة العام، ص 125، وينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 23-24.

السين والزاي والصاد، وإذا اتّسع الفراغ نسبيا بين العضوين الملتقيين قلّت نسبة الصفير وحينئذ يمكن تسميته حفيفا بدلاً من صفير»1، والأصوات الرخوة هي القاف والتاء والذال والظاء والزاي والسين والشين والصاد والخاء والعين والحاء والهاء.

المطلب الثالث: الصوت المركب:

يوجد صوت من الأصوات الصامتة يجمع بين صفتي الشّدّة والرخاوة، وهو يحدث في تكوينه انحباسا يتلوه مباشرة احتكاك، وهذا بانفصال أعضاء نطقه ببطء «والصامت الانفجاري الاحتكاكي نوع من الانفجاري يحدث في تكوينه أن يتبع إطلاق الانفجاري مباشرة بالاحتكاكي المقابل له، أي بالاحتكاكي الذي يتكون فيه الانفجاري، وهذا الصوت الاحتكاكي الذي يُعدّ جزءا جوهريا من الانفجاري الاحتكاكي يسمع لأن الأعضاء المشتركة في نطق الانفجاري تنفصل ببطء»2، وفي اللغة العربية يوجد صوت واحد يجمع بين الشدّة والرخاوة، وهو الجيم الفصيحة المعروفة كما يجيد في نطقها أصحاب القراءات3 وصوت الجيم هذا مركب من صوت الدال وهو صوت شديد يتلوه مباشرة صوت متعطش كالجيم الشامية4.

المطلب الرابع: الأصوات المتوسطة:

لقد توصل اللغويون القدامى والمحدثون إلى تحديد قسمة أخرى من الأصوات توصف بأنها ليست بالشديدة ولا بالرخوة لدى اللغويين القدامى، وتوصف بأنها ليست بالصامتة ولا الصائتة لدى اللغويين المحدثين، وأطلقت عليها عدة تسميات؛ الصوائت المتوسطة5 أشباه الصوامت أو الصوائت6، أنصاف الحركات أو أشباه الحركات، الانزلاقية الانحدارية7 وينقسم هذا النوع من الصوامت إلى قسمين هما8:

أ – أشباه الصوائت:

وهي الأصوات الأربعة: اللام، الميم، النون، الراء، وهذه الأصوات تشبه الصوائت (الحركات) في أهم خاصية من خواصها، وهي قوة الوضوح السمعي «ويتجلى هذا الشبه في خروج هواء هذه الأصوات حرّا طليقا، وذلك لخروج هذه الصوامت دون أن يصطدم بأي حاجز إلاّ أنّ خروج هواء الصوائت يكون وسط الفم وخروج هواء اللام يكون من جانبي الفم، وخروج هواء الميم والنون من الأنف وخروج هواء الرّاء يكون حرّا تقريبا بسبب الاتصال والانفصال الدّائمين... وهو أكثر الصوامت وضوحا سمعيا، وبما أن هواء هذه الأصوات لا يخرج من وسط الفم... فإننا لا نستطيع اعتبارها كالصوائت... ولأنها تمتاز من بقية الصوامت بخاصية الوضوح السمعي فهي ليست صائتة تماما، ولذا سميت بأشباه الصوائت أو أشباه الحركات»9.

ولقد أضاف اللغويون القدامى صوت العين إلى هذه الأصوات لأن العين رخو وأقل الأصوات الرخوة رخاوة، وجمعوها في قولهم "لم نرع"، ومفهوم التوسط عند اللغويين القدامى هو توسط هذه الأصوات بين الشدة والرخاوة، أما المحدثون فإن مفهومهم للتوسط هو توسط هذه الأصوات

---

[1] - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 24، وينظر أيضا محمد السعران: علم اللغة، ص 172-173، وينظر أيضا كمال بشر: علم اللغة العام، ص 125 و151.

[2] - السعران: علم اللغة، ص 166.

[3] - ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 161.

[4] - ينظر المكان نفسه.

[5] - تسمية القدامى.

[6] - محمد السعوران.

[7] - كمال بشر.

[8] - اعتمدت وجهة نظر كمال بشير.

[9] - كمال بشر: علم اللغة العام، ص 167.

بين الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة «وكان الأولى بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات (لا بين الانفجارية والاحتكاكية) فهي كما رأيت تتسم بخواص الأصوات الصامتة ولكنها في الوقت نفسه تبدي شبهاً معيّناً بالحركات (الصوائت) ومن ثمّ أطلقنا عليها نحن "أشباه الحركات"»1.

ب – أنصاف الصوائت:

يطلق هذا المصطلح على الصوتين الواو في كلمة (ولد)، والياء في كلمة (بيت) وكما يطلق عليها مصطلح انزلاقية انحدارية لأنه «يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين صائت ضيق (الكسرة مثلا) ثم تنتقل بسرعة إلى "صائت" آخر أشد بروزا، ولا يدوم وضع اللسان الأول زمنا ملحوظا والذي يدعو إلى إدراج هذه الأصوات تحت طبقة "الصوامت" هو ما تتميز به من انتقال سريع مع ضعف في قوة النفس (الزفير)»2، إن هذين الصوتين هما أقرب إلى الصوائت في صفاتهما ولكن عندما تدخل في التركيب الصوتي للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة، إذا قارنّا بين أنصاف الحركات وأشباه الحركات بمدى قربها من الصوائت وجدنا أن أنصاف الحركات هي الأقرب من الصوائت3.

وإذا رجعنا إلى تصور القدامى لأنصاف الحركات وعلاقتها بالصوائت وأشباهها نجدهم قد أضافوا كلاّ من الواو والياء إلى اللام والميم والنون والراء والعين وزادوا الألف وجمعوها في قولهم "لم يروّعنا" أو "لم يروِ عنّا"، فأما إضافتهم للواو كالتي في كلمة ولد والياء كالتي في كلمة بيت فهذا مقبول، أما إذا قصدوا بالواو والياء حروف اللين أو حروف المدّ فهذا غير مقبول لأنها صوائت صرفة ولا يمكن أن تكون بين الصوامت والصوائت، وأما إضافتهم للألف فإضافتهم تعوزها الدقة وليست مقبولة باعتبار أن الألف من حروف المدّ واللين4.

المطلب الخامس: الصوت المكرّر:

مفهوم التكرار هو طرقات سريعة يحدثها عضو من الأعضاء المرنة، ويوجد في اللغة العربية صوت واحد تنطبق عليه هذه الصفة وهو الراء، يقول ابن جني في وصف صوت الراء المكرّر: «وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتوتّر، بما فيه من التكرير، ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين»، ومعنى التعثر هو تردّد طرف اللسان وارتعاده، وطرقه للثّة أو الحنك الأعلى طرقات سريعة «ويتكون الراء بأن يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة، فيحرّك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقيا بحافة الحنك الأعلى فيضيق هناك مجرى الهواء، والصفة المميزة للراء هي تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق بها»5، ويعدّ الراء من الأصوات المتوسطة، ومن خصائص الراء أنها ترقق وتفخّم «ولقد أجمع القرّاء أن الراء ترقق عندما تكون مكسورة دائما أو تسبقها كسرة، وتفخم الراء عندما تكون مفتوحة إلا إذا سبقتها كسرة أو ياء فإنها ترقق، كما تفخّم أيضا إذا سبقتها فتحة، أما الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم فحكمها غامض لا نكاد نهتدي فيه إلى رأي ينطبق على ما نسمعه من أفواه القراء في الوقت الحاضر»6.

المطلب السادس: الصوت الجانبي أو المنحرف:

---

[1] - المرجع نفسه ، ص 169.
[2] - محمد السعران: علم اللغة، ص 179.
[3] - ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 171.
[4] - المرجع السابق ، ص 169.
[5] - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 66.
[6] - المرجع نفسه، ص 65.

وتسمية هذا الصوت بالجانبي أو المنحرف نسبة إلى مرور الهواء وانحرافه من أحد جانبي الفم أو كليهما عند النطق بهذا الصوت، ويمثل هذا الصوت في العربية صوت اللام، ويتكون هذا الصوت «بأن يمرّ الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعا ضعيفا من الحفيف، وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو كليهما يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، وبذلك يحال بين الهواء ومروره في وسط الفم فيتسرب من جانبيه»1، ومن خصائص اللام العربية أنّها تكون مرققة أو مفخمة والأصل أن تكون مرققة إلا إذا جاورها أحد أصوات الاستعلاء أو أن تكون اللام نفسها مفتوحة2، والفرق بين اللام المفخمة واللام المرققة يرجع إلى وضعية اللسان حال النطق بها، فاللسان في حالة التفخيم يتخذ شكلا مقعرا وفي حالة الترقيق يكون ممدّدا أو منبسطا.

المطلب السابع: الصوتان الأنفيان:

ويطلق أيضا على هذين الصوتين الصوامت الغناء، وهي «تتكون بأن يحبس الهواء حبسا تاما في موضع من الفم ولكن ينخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ من طريق الأنف، ومن أمثلة الصوامت الغناء الميم والنون»3.

أ – النون: يعدّ النون من أشباه الصوائت، ويتكون «بأن يندفع الهواء من الرئتين محرّكا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع»4، ويعترض اعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا والنون صامت مجهور سنّي أنفي5.

ب – الميم: يعدّ الميم هو الآخر من أشباه الصوائت، والفرق بينه وبين النون من حيث المخرج، فعند إرادة النطق بالميم تنطبق الشفتان انطباقا تاما، أما في حال النطق بالنون يعتمد اللسان على أصول الثنايا، ويتكون صوت الميم «بأن يمرّ الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، فسدّ مجرى الفم، فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع، وفي أثناء تسرّب الهواء في التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق»6، فالميم هو صوت شفوي أنفي مجهور، ولقد أطلق علماء التجويد والقراءات على الصوت الذي يحدثه الهواء في التجويف الأنفي عند النطق بهذين الصوتين الغنة أو الصوت الأغن.

المطلب الثامن: الاستعلاء والاستفال

أما الاستعلاء فهو «أن تتصعّد في الحنك الأعلى، فأربعة فيها مع استعلائها إطباق وقد ذكرناها (الضاد، الطاء، الصاد، الظاء)، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها»7، والمقصود بالتصعّد في الحنك الأعلى هو صعود اللسان وعلوّه عند النطق بالحرف إلى الحنك مما يؤدي إلى خروج الصوت من أعلى الفم، فحروف الاستعلاء هي الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، ويجمعها قولك "خص ضغط قظ"، ومن هذه الأصوات المستعلية أصوات مطبقة وهي أربعة: الضاد والطاء والصاد والظاء، ومنها أصوات غير مطبقة وهي الأصوات الثلاثة الباقية: الخاء والغين والقاف.

---

[1] - المرجع السابق، ص 64.
[2] - ينظر المرجع نفسه ، المكان نفسه.
[3] - السعران: علم اللغة، ص 168، وينظر أيضا كمال بشر: علم اللغة العام، ص 167.
[4] - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 66.
[5] - ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 168.
[6] - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 45-46.
[7] - ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص 71.

أما الاستفال فهو عكس الاستعلاء أي عدم صعود اللسان إلى الحنك الأعلى، وأصوات الاستفال هي باقي الأصوات الأخرى وهي اثنان وعشرون صوتا، وهي الهمزة والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والعين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء والألف.

المطلب التاسع: الإطباق والانفتاح

يقول ابن جني: «وللحروف انقسام آخر إلى الإطباق والانفتاح، فالمطبقة أربعة وهي الضاد والطاء والصاد والظاء، وما سوى ذلك مفتوح»[1]، ومعنى الإطباق «إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك في مواضعهنّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيها بين اللسان في الحنك إلى مواضع الحرف وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء»[2]، ويعرّفه ابن جني بقوله: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس في موضعها شيء غيرها، تزول الضاد، إذا عدمت الإطباق إليه»[3]، وأصوات الإطباق هي من الأصوات التي يصعب نطقها ولذلك يقل ورودها في النطق مقارنة بالأصوات المتبقية الأخرى، والضاد من هذه الأصوات التي يعدّ أصعب صوت في النطق، وامتازت به اللغة العربية عن سائر اللغات الأخرى، وسميت باسمه "لغة الضاد".

أما الانفتاح هو عكس الإطباق، إذ أن اللسان في نطق الأصوات المتفتحة

هذا ما يتعلق بالصوامت وأقسامها وبعض صفاتها، أما الصوائت وأقسامها فإن العلماء اللغويين العرب قد تفطنوا إلى أقسام الصوائت وعبّروا عنها بعبارات دقيقة، يقول ابن جنّي تحت عنوان "الحركات أبعاض حروف المد": «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة؛ فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة»[4]، فالصوائت إذن تنقسم إلى قسمين:

1) الصوائت القصيرة: وهي ما عبّر عنها ابن جنّي بالحركات، وهي الفتحة والكسرة والضمة.

2) الصوائت الطويلة: وهي ما عبّر عنها ابن جنّي أيضا بحروف المدّ واللين وهي الألف والياء والواو.

ومجموع الصوائت في اللغة العربية ستة؛ ثلاثة صوائت قصيرة وثلاثة صوائت طويلة.

المبحث الرابع : الصوت ودلالته

المطلب الأول: الصوت ودلالته في اللغة:

علاقة الصوت بالمعنى من أهمّ وأبرز القضايا التي اهتمّ بها الدرس اللغوي قديما[5] وحديثا، ولقد أثار هذه القضية الخليل وسيبويه وابن جنّي قديما، ويعدّ ابن جنّي أبرز من تناول هذه القضية

---

[1] - المصدر اللسابق، ص 70.

[2] - سيبويه: الكتاب ج4، ص 463.

[3] - المصدر السابق، ج1، ص 71.

[4] - سر صناعة الإعراب، ج1، ص 19.

[5] - طرحت هذه القضية عند علماء اليونان إذ أنهم فاضوا فيها بين مؤيد ومعارض لها، وأطلقوا على صلة اللفظ بمدلوله الصلة الطبيعية أو الصلة الذاتية والصلة الوضعية، والقائلون بوجود صلة طبيعية سقراط وأفلاطون، أما أرسطو فإنه يرى أن الصلة بين الألفاظ ودلالتها صلة عرفية وتواضعية

وتعمّق في دراستها وتحليلها وتحدث عن جوانب عدّة ذات صلة وثيقة بهذه القضية في ثنايا كتابه الخصائص يقول ابن جنّي في باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"1: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر عنها، فيعدّلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو قضبت الدابة شعيرها،ونحو ذلك، وفي الخبر قد يدرك الخضم بالقضم، أي قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف، وعليه قول أبي الدرداء، "يخضمون ونقضم والموعد لله"، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس خذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، ومن ذلك قولهم النضح للماء ونحود النضخ أقوى من النضح، قال تعالى: "فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ"2 فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه... من ذلك قولهم: قرت الدم، وقرد الشيء... ومن ذلك قولهم: الوسيلة والوصيلة... ومن ذلك قولهم: صعد وسعد... ومن ذلك أيضا سدّ وصدّ... فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله، وأعطاك مقادته، وأركبك ذروته، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته وقلت: هذا أمر منتشر، ومذهب صعب موعر، حرمت نفسك لذته، وسددت عليها باب الحظوة به»3. ويقول أيضا «ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنّهمقد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها... وذلك قولهم "يحث" فالياء لفظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد، وبراثن الذئب، ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا»4، وتحت عنوان "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"5 يقول: «من ذلك قول الله سبحانه: "أَلَمْ تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا"6، أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنّك قد تهزّ ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك. (ومنه الأسف والعسف... ومنه القرمة... والقربة ...ومن ذلك تركيب (ح م س) و(ح ب س)... ومنه تركيب (ق ر د) و(ق ر ت)...) »7.

إن ابن جني، انطلاقا من حدسه الصوتي استطاع أن يعقد صلة بين الأصوات وما تدل عليه من معاني، ومخرج الصوت وصفته هو الذي يحدد الدلالة المعنية كالقاف والخاء والحاء والطاء والدال والتاء، كما أن بعض الأصوات المكونة لبعض الكلمات هي التي ترسم دلالة الكلمة، كـ"بحث" مثلا، فكل من الباء والحاء والثاء في نظر ابن جني قد رسم عناصر المعنى، كما أن تقارب مخارج بعض الأصوات واختلاف صفاتها قد يعطي للكلمة دلالات متقاربة (أزّ – هزّ)، (حبس – حمس)، (قرد – قرت)...ويعدّ ابن جني بهذا الصدد من القائلين بوجود صلة بين أصوات اللغة ومعانيها، ويوجد من العلماء من غالى في هذه القضية واعتبر أن الصلة بين

واصطلاحية وليست ذاتية، وظلت الكلمتان بين مفكري اليونان لغويين وفلاسفة، وطغى على آرائهم طابع المغامرة والمثابرة دون سند علمي أو استقراء للحقائق. ينظر إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص 62، 63.

[1] - الخصائص، ج2، ص 152.

[2] - سورة الرحمن، الآية 66.

[3] - الخصائص، ج2، الصفحات 157-162.

[4] - المصدر نفسه، ج2، ص 162-164.

[5] - المصدر نفسه، ج2، ص 164.

[6] - سورة مريم الآية 83.

[7] - المصدر السابق، ج2، ص 146-149، 152.

الأصوات ومدلولاتها صلة طبيعية، وهو عياد بن سليمان الصيمري من المعتزلة، وذهب إلى أن «بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع قال، وإلا كان تخصيص الاسم المعيّن بالمسمّى المعيّن ترجيحا غير مرجّح، وكان بعض من يرى رأيه ويقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل:ما مسمّى"أذغاغ" وهو بالفارسية "الحجر"، فقال: أجد فيها يبسا شديدا، وأراه الحجر، وأنكر الجمهور هذه المقالة، وقال: لو ثبت ما قاله لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة، ولما صحّ وضع اللفظ للضدين، كالقرء للحيض والطهر، والجون للأبيض والأسود، وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بإرادة الواضع المختار خصوصا إذا قلنا الواضع هو الله تعالى، فإن ذلك كتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت،وأما أهل اللغة العربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني، ولكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عبّاد أن عبّاد يراها ذاتية موجبة بخلافهم»[1]، أما في العصر الحديث فهناك من قال بوجود مناسبة طبيعية بين الأصوات ودلالتها مثل "همبلت" الذي زعم «أن اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الآذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان أي أن همبلت كان من أنصار المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمدلولات»[2]،كما أن هناك من لا يقول بوجود مناسبة طبيعية بين الألفاظ ودلالتها مثل "ملغيغ" الذي تصدى لرأي "همبلت" سنة 1842معارضا تلك الفكرة، ومبرهنا على فسادها بأن أورد مئات من كلمات الفصيلة الهندية الأروبية تناظر في معناها تلك الكلمات التي استدل بها "همبلت" وتخالفها في الأصوات، أما ما يتعلق بآراء العرب المحدثين حول القضية فلقد اتخذ إبراهيم أنيس طريقا معتدلا بين هؤلاء وهؤلاء،أدرك كل الإدراك أن «في اللغة العربية معاني تتطلب أصواتا خاصة، وهناك من المدلولات ما تسارع اللغة في التعبير عنها بألفاظ معينة وربما كان من العسير حصر تلك المجالات اللغوية التي نلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات، ولكن منها بلا شك النواحي الآتية:

1 – وجود صلة طبيعية بين بعض الكلمات ودلالة أصواتها المستمدة من أصوات الطبيعة الصادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء مثل: زقزقة العصافير، وفحيح الأفعى، وحفيف الأشجار، وخرير المياه... وليس بمقدور أحد أن ينفي العلاقة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها.

2 – قد تنشأ الكلمات للتعبير عن مصدر الصوت الطبيعي، مشتقة من هذا الصوت، وذلك كما فعلت بعض الأمم الأوروبية في تسمية طائر معين يظهر في الربيع ويصيح بصوت "كوكو" فتنشأ في اللغة هذه الكلمة، وأطلقت على الطائر نفسه لا على صوته فقط.

3 – حركات الإنسان وما ينشأ عنها من أصوات قد توحي بنوع من الكلمات وثيق الصلة بين اللفظ ومدلوله، ولدينا من هذا في اللغة العربية الكثير مثل: طرق الباب، ربت على كتفه، وكالقطع والقطف، والقطم والقضم والخضم، وغير ذلك من كلمات كثيرة ساقها ابن جني وغيره من علماء العرب في كتبهم، وقد نجد شيئا من هذا في الكلمات العربية التي تعبر عن الضرب والمشي واللعب.

4 – هناك كلمات يستمسك بها أصحاب علم النفس، ويرون فيها الصلة بين الأصوات والمدلولات واضحة جلية، وتلك التي تعبر عن الحالة النفسية كالكره، والنفور، والسخرية، ومثل البغض والغضب والنفور والفتور والشنآن والشنف وغير ذلك من كلمات يسهل العثور عليها بالتفتيش عنها في المعاجم العربية.

---

[1] - السيوطي: المزهر، ج1، ص 47.

[2] - إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص 68.

5 – طول الكلمة أو قصرها في الأصوات قد يوحي في اللغة بمعنى خاص، ولله درّ القدماء من علماء العربية حين قرّروا قاعدتهم المشهورة فقالوا: «زيادة المبنى يتبعها زيادة المعنى، وبرهنوا عليها في كتبهم بظواهر لغوية كثيرة منها: أن تضعيف عين الفعل قد يعبّر عن المبالغة في الحدث، ونلحظ هذا في "كسر" و"كسّر"، كذلك الأفعال التي تشبه (جرّ وجرجر)، و(ثرّ وثرثر)، وغير ذلك من كلمات كثيرة زيد في مبناها للمبالغة في معناها.

6 – حتى الحركات قد ترمز في بعض اللغات لمعانٍ خاصة، ففي اللغة الحامية نرى الكسرة تعبّر في غالب الأحيان عن القريب، في حين أن الضّمّة تعبّر عن البعيد»[1].

ومما سبق نستنتج أنه لا يمكن الجزم بوجود صلة طبيعية بين كل الألفاظ ودلالتها كما لا يمكن أن ننفي عدم وجود هذه الصلة أحيانا «ونستطيع أن نقول في غير تردّد أن للحرف في اللغة العربية إيحاءً خاصاً، فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وإيحاء ويثير في النفس جوّا يهيّئ لقبول المعنى ويوجّه إليه ويوحي به»[2].

المطلب الثاني: الصوت ودلالته في القرآن

يعتبر النص القرآني من أغنى النصوص وأثراها من الناحية الصوتية، ولذلك فإن الصوت في القرآن له دور مهمّ وأساسي في جانبه الجمالي المتمثل في الإيقاع المتميز، والدلالي المتمثل في ما يفيد من معاني وأغراض، وأهمية الصوت تكمن في تكوين الإيقاع المناسب للمعنى والغرض ونوع التأثير المراد إثارته في نفوس السامعين، وألفاظ القرآن على حدّ تعبير مصطفى صادق الرافعي: «إذا اشتدّت فأمواج البحر الزاخرة، وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة»[3]، والإيقاع وطبيعته خاضع لمخارج الحروف وصفاتها يكون اختلاف الكلمات صوتيا في الوضوح والشدة والسرعة وفي الرنين والإيقاع، فبعض الكلمات يبدو خافتا، وبعضها يظهر مجلجلا، والبعض خفيف التموجات يجري كالماء، وبعضها تسمع له ما يشبه الحفيف والخرير، وبعضها له نقرات كالدفوف أو طرقات كمطرقة الحداد، وبعضها تحسّ فيه صلابة، وبعضها تلمس فيه الرخاوة واللين، وبعضها هواء يسمح بالتموّج الصوتي والطواعية الموسيقية كحروف المد، وبعض له غير ذلك من الصفات التي تجعل للكلمة في النفس أثرا موسيقيا خاصا»[4]، ومظهر الإعجاز الصوتي في القرآن كون أصواته جاءت ملائمة لطبيعة الإنسان ونفسيته بها يتأثر وينفعل ولو كان أعجميا. يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي: «وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة وأثرها في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه يخاطب به كل نفس تفهمه وكل نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، ولو نزل القرآن بغيرها كان ضربا من الكلام البليغ الذي يطمع فيه وفي أكثره، ولما وُجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى، ولكنه انفرد بهذا الوجه للعجز، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللا بيّناً، أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض»[5]، والقرآن بإعجازه الصوتي يؤثر حتى في النفوس الزائفة الملحدة، من لا يعترفون بوجود الله، فعند سماعهم لآيات القرآن «لتلين قلوبهم وتهتزّ لأن فيهم طبيعة إنسانية، ولأن تتابع الأصوات نسبة معينة من مخارج الأحرف المختلفة، وهو بلاغة

---

[1] - إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ط7، 1994، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 145-148 (بتصرف).

[2] - محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، ص 261.

[3] - مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق محمد سعيد العريان ط4 ،مطبعة الاستقامة ، القاهرة ،ص 30.

[4] - أحمد أبو زيد التناسب البياني في القرآن الكريم دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، دط ، 1992 ،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء . ، ص 215.

[5] - تاريخ آداب العرب، ط4، 1394 ،1974م ،الناشر دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ،ج2 ،ص 217.

اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان، وعلى هذا وحده يؤوّل الأثر الوارد أن في الصوت الحسن ما يزيد القرآن حسنا، لأن يجنّب هذا الكمال اللغوي ما يعدّ نقصا منه إذا لم تجتمع أسباب الأداء في أصوات الحروف ومخارجها وإنما التمام الجامع لهذه الأسباب صفاء الصوت وتنوع طبقته، واستقامة وزنه على كل حرف»1، والأصوات وإعجاز نظمها، وطريقة توزيعها يثير انفعالات في النفس «فتكون ذات إيقاع قوي إذا كانت نسبة الأصوات ذات الجرس القوي غالبة عليها فتكون ذات إيقاع رخي إذا كانت نسبة الأصوات اللينة والضعيفة غالبة عليها»2، يقول مصطفى صادق الرافعي في هذا الشأن: «القرآن لا يستعين بشيء من ذلك في إحكام عباراته والتأتي بها إلى النفس وانتظام أسباب التأثير فيها، وليس إلا أن تقرأه حتى تحسّ من حروفه وأصواتها وحركاتها، ومواقع كلماته وطريقة نظمها ومداورتها للمعنى بأنه كلام يخرج من نفسك، وبأن هذه النفس قد ذهبت مع التلاوة أصواتا واستحال كل ما فيك من قوة الفكر والحس إليها، وجرى فيها مجرى البيان فصرت كأنك على الحقيقة مطوي في لسانك»3، ويقول أيضا «وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت بما يخرجه فبه مدّا أو غنّة أو لينا أو شدّة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع أو الإطناب، والبسيط بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى»4، فاختلاف طبيعة الحروف وصفاتها قوة وضعفا ومدا مناسب لدلالتها وما تؤدّيه من معنى في المقامات المختلفة «فالحروف الليّنة الهادئة الجرس تبعث على الارتياح، والقوية تناسب موقف الزجر والتعنيف، والممدودة تناسب مواطن النصح والإرشاد»5.

---

[1] - المرجع نفسه، ج2، ص 216.
[2] - التناسب البياني، ص 307.
[3] - المصدر السابق، ج2، ص 223.
[4] - المصدر نفسه، ج2، ص 415-416.
[5] - لاشين: حروف القرآن، ص 27.

المبحث الخامس: الأصوات وتواترها في جدال الأنبياء مع أقوامهم

بعد أن قمت بإحصاء الأصوات المتواترة في جدال الأنبياء مع أقوامهم تحصلت على ما يلي:

1 – جدول تفصيلي يحدد عدد الأصوات المتواترة والنسب المئوية لهذه الأصوات في كلام الأنبياء وأقوامهم.

2 – جدول موجز يحدد الأصوات المتواترة والنسب المئوية.

3 – جدول يوضح عدد تواتر الأصوات المجهورة والمهموسة والنسبة المئوية لتواتر صفة الجهر والهمس.

4 – جدول يوضح عدد تواتر الأصوات الشديدة والرخوة والنسبة المئوية لتواتر صفة الشدة والرخاوة.

5 – جدول يوضح عدد تواتر الأصوات الصامتة والأصوات المتوسطة والنسبة المئوية لتواتر الأصوات النسب صائتة والأصوات النصف الصائتة والأصوات الصامتة.

6 – جدول يوضح عدد تواتر الأصوات المستعلية والمستفالة والنسبة المئوية لتواتر الأصوات المستعلية والمستفلة.

7 – جدول يوضح عدد تواتر الأصوات المطبقة والأصوات المنفتحة والنسبة المئوية لصفة الإطباق والانفتاح.

8 – جدول يوضح عدد تواتر الصوائت والنسبة المئوية لتواتر الأقسام الستة للصوائت، وأضفت إليها السكون والشدة.

-01- الجدول التفصيلي لتواتر الأصوات في جدال الأنبياء مع أقوامهم

الموضوع	جدال نوح مع قومه										جدال هود										جدال صالح						جدال إبراهيم										جدال شعيب											
الطرف المجادل	قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		قومه		أبيه		أبيه وقومه		أبيه وقومه		أبيه وقومه		أبيه وقومه		قومه		قومه		قومه							
السورة	الأعراف 64/ 6		هود 35/2		المؤمنون 26/2		الشعراء 118/10		نوح 24/0		الأعراف 71/6		هود 57/5		المؤمنون 40/3		الشعراء 139/12		الأحقاف 23/2		الأعراف 77/7		هود 65/6		الشعراء 157/14		مريم 48/4		الأنبياء 68/5		الشعراء 82/6		العنكبوت 25/1		الصافات 97/8		الأعراف 90/8		هود 93/8		الشعراء 189/17		مجموع أصوات الأنبياء	النسبة المئوية	مجموع أصوات أقوامهم	النسبة المئوية	المجموع العام	النسبة المئوية
	ن	ق	ن	ق	ن	ق	ن	ق	ن	ق	هـ	ق	هـ	ق	هـ	ق	هـ	ق	هـ	ق	ص	ق	ص	ق	ص	ق	إ	أ	إ	أ.ق	إ	أ.ق	إ	أ.ق	إ	أ.ق	ش	ق	ش	ق	ش	ق						
01 اللام	34	04	50	15	09	16	23	08	51	17	28	09	36	07	08	18	17	10	14	03	22	18	16	07	28	06	19	06	35	28	17	07	53	07	18	07	39	12	41	13	27	08	585	12.42	226	11.78	811	12.25
02 النون	33	04	66	17	05	10	29	09	29	14	31	20	22	13	08	28	21	14	09	10	10	20	17	09	24	12	17	06	25	27	19	07	45	07	17	04	46	16	38	14	15	19	516	10.95	280	14.60	796	12.02
03 الميم	28	04	46	12	05	10	29	04	37	19	35	07	29	05	06	29	21	10	12	02	17	17	20	08	32	09	11	03	25	19	18	/	37	02	12	02	30	11	56	10	15	13	512	10.87	196	10.22	708	10.69
04 الهمزة	14	02	45	06	03	10	21	04	33	11	21	09	25	06	04	13	19	12	11	05	12	16	14	06	17	06	20	06	17	19	12	03	31	06	05	04	17	08	36	11	13	09	390	8.28	172	8.97	562	8.49
05 التاء	07	/	19	06	02	05	12	04	15	05	10	04	19	07	02	13	15	01	04	06	10	12	14	05	13	05	12	04	11	12	09	01	20	02	11	01	20	06	21	06	10	04	256	5.43	109	5.68	365	5.51
06 الهاء	07	01	17	04	02	07	07	01	19	11	09	04	16	02	05	12	04	02	07	01	12	05	16	04	12	01	04	04	16	14	09	01	19	05	07	04	15	03	17	02	04	02	224	4.75	90	4.69	314	4.74
07 الباء	11	01	12	06	04	05	13	01	07	06	11	06	07	03	04	08	10	04	05	01	09	08	09	06	06	02	13	01	13	08	08	02	22	/	07	04	23	04	23	05	07	05	224	4.75	86	4.48	310	4.68
08 الكاف	13	01	18	07	02	04	05	03	20	06	17	06	12	04	02	10	07	02	05	02	09	04	06	03	05	01	10	01	13	05	04	03	24	01	04	/	21	07	22	08	05	05	224	4.75	83	4.32	307	4.63
09 العين	12	/	16	03	01	01	09	02	15	08	10	04	10	02	01	05	15	06	07	02	06	06	05	05	12	01	14	/	11	14	09	01	16	/	05	01	17	01	20	05	08	04	219	4.64	71	3.70	290	4.38
10 القاف	09	02	16	05	06	02	08	02	16	03	10	04	09	02	02	03	04	02	05	02	05	07	08	05	06	03	04	/	09	13	07	02	16	05	08	03	12	05	22	04	07	03	189	4.01	77	4.01	266	4.01
11 الراء	12	/	20	08	03	05	10	02	34	13	15	03	24	02	04	10	06	04	05	/	08	10	15	05	12	04	08	04	08	07	05	/	13	03	06	01	15	04	20	07	05	03	169	3.58	95	4.95	264	3.98
12 الياء	05	02	20	02	02	03	04	01	18	05	07	03	10	02	/	05	02	02	04	/	03	02	11	03	08	01	15	02	03	06	12	01	23	02	01	03	15	04	29	05	04	03	196	4.16	57	2.97	253	3.82
13 الواو	01	01	18	02	01	01	04	01	25	17	1	03	07	02	/	09	06	02	06	/	06	03	05	03	10	/	07	01	07	02	10	01	19	02	03	02	15	04	20	03	06	02	197	4.18	62	3.23	259	3.77
14 الفاء	05	01	06	05	03	04	05	/	09	04	06	04	05	/	03	04	/	03	02	02	08	03	07	04	07	02	05	/	10	08	05	03	11	03	08	04	12	01	09	04	03	04	129	2.73	63	3.28	192	2.90
15 الدال	02	/	07	06	02	01	01	/	08	08	05	04	08	01	01	02	02	01	04	02	05	01	03	06	01	03	07	/	08	03	06	01	13	/	04	01	11	01	08	01	01	01	107	2.27	43	2.24	150	2.26
16 السين	04	/	03	/	01	01	04	/	16	05	06	01	07	01	02	01	02	02	01	/	05	06	05	/	06	02	07	/	01	05	01	/	05	/	01	/	07	02	08	/	08	03	100	2.12	29	1.51	129	1.94
17 الذال	07	/	06	04	01	03	04	01	03	01	05	02	02	/	01	06	04	05	04	/	08	04	04	03	05	01	02	/	07	03	03	02	08	01	02	/	05	03	03	/	01	03	85	1.80	42	2.19	127	1.91
18 الجيم	04	/	06	01	/	02	03	01	16	01	06	02	10	01	/	02	04	/	01	01	03	/	02	/	04	/	01	02	02	03	/	01	01	02	01	01	03	03	02	/	03	/	72	1.52	23	1.19	95	1.43
19 الخاء	01	/	03	/	/	/	01	/	06	01	03	/	01	/	/	03	04	01	04	/	04	/	03	/	03	/	01	/	/	/	02	/	06	/	01	/	05	02	07	/	03	01	58	1.23	08	0.41	66	0.69
20 الحاء	03	/	03	01	01	02	06	/	01	01	/	03	/	02	/	05	/	/	01	/	02	02	02	01	03	02	03	/	01	01	/	/	03	/	01	01	05	/	07	01	01	/	42	0.89	22	1.14	64	0.96
21 الشين	/	/	02	/	/	01	01	/	02	01	/	/	05	/	/	04	02	/	/	/	/	/	01	01	02	01	05	/	02	03	/	01	05	/	/	/	04	02	03	03	01	01	36	0.76	17	0.88	53	0.80
22 الصاد	01	/	03	01	01	01	/	/	/	03	01	01	02	/	/	01	01	/	/	01	02	02	03	01	02	02	03	/	01	01	/	01	02	/	/	/	04	/	05	01	/	/	31	0.65	15	0.78	46	0.69
23 الطاء	/	/	02	/	/	/	03	/	03	/	02	/	02	/	/	01	04	/	01	/	/	/	/	/	04	/	03	/	02	01	03	/	/	/	01	/	03	/	03	01	01	01	37	0.78	04	0.20	41	0.61
24 الغين	03	/	02	/	01	/	/	/	03	03	03	/	04	/	01	/	/	/	01	/	01	/	03	01	/	/	02	01	/	/	01	/	02	/	02	/	02	/	02	/	/	/	33	0.70	05	0.26	38	0.57
25 الثاء	/	/	/	02	/	01	/	/	01	03	/	/	02	/	/	03	01	01	/	/	02	/	02	02	/	02	/	/	02	/	/	/	05	/	/	/	01	/	02	/	01	01	19	0.40	15	0.78	34	0.51
26 الضاد	01	01	/	/	/	01	/	/	02	03	01	/	01	/	/	/	/	/	/	/	03	01	02	/	02	/	/	/	03	/	02	/	06	/	01	/	/	/	01	01	01	/	26	0.55	07	0.36	33	0.49
27 الزاي	/	/	03	/	/	01	/	/	/	03	02	/	01	/	/	/	/	02	/	/	/	/	01	/	01	/	01	/	/	/	/	/	04	/	/	01	/	/	06	02	01	/	20	0.42	09	0.46	29	0.43
28 الظاء	01	/	01	01	/	/	/	/	/	/	02	01	02	/	/	01	/	02	01	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	02	/	01	01	/	03	/	01	/	02	/	/	03	14	0.29	11	0.57	25	0.37

-02- جدول تواتر الأصوات في جدال الأنبياء مع أقوامهم

الموضوع	جدال نوح مع قومه					جدال هود					جدال صالح			جدال إبراهيم					جدال شعيب				
الطرف المجادل	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	قومه	أبيه	أبيه وقومه	أبيه وقومه	أبيه وقومه	أبيه وقومه	قومه	قومه	قومه		
السورة	لأعراف 64/ 6	ود 35/2	مؤمنون 26/2	شعراء 118/10	وح 24/0	لأعراف 71/6	ود 57/5	مؤمنون 40/3	شعراء 139/12	لأحقاف 23/2	لأعراف 77/7	ود 65/6	شعراء 157/14	ريم 48/4	لأنبياء 68/5	شعراء 82/6	عنكبوت 25/1	صافات 97/8	لأعراف 90/8	ود 93/8	شعراء 189/17	جموع	سبة المئوي
01 اللام	38	65	25	31	68	37	43	26	27	17	40	23	34	25	63	24	60	25	51	54	35	811	12.25
02 النون	27	83	15	38	43	51	35	36	35	19	30	26	36	23	52	26	52	21	62	52	34	796	12.02
03 الميم	32	58	16	33	56	42	34	35	31	14	34	28	41	14	44	18	39	14	41	66	28	708	10.69
04 الهمزة	16	51	13	25	44	30	31	17	31	16	28	20	23	26	36	15	37	09	25	47	22	562	8.49
05 التاء	07	25	07	16	20	14	26	15	16	10	22	19	18	16	23	10	22	12	26	27	14	365	5.51
06 الهاء	08	21	09	08	30	13	18	17	06	08	17	20	13	08	30	10	24	11	18	19	06	314	4.74
07 الباء	12	18	09	14	13	17	10	12	14	06	17	15	08	14	21	10	22	11	27	28	12	310	4.68
08 الكاف	14	25	06	08	26	23	16	12	09	07	13	09	06	11	18	07	25	04	28	30	10	307	4.63
09 العين	12	19	02	11	23	14	12	06	21	09	12	10	13	14	25	10	16	06	18	25	12	290	4.38
10 القاف	11	21	08	10	19	14	11	05	06	07	12	13	09	04	22	09	21	11	17	26	10	266	4.01
11 الراء	12	28	08	12	47	18	26	14	10	05	18	20	16	12	15	05	16	07	19	27	08	264	3.98
12 الياء	08	22	05	05	23	10	12	05	04	04	05	14	09	17	09	13	25	05	19	34	07	253	3.82
13 الواو	12	20	02	05	42	14	09	09	08	06	09	08	10	08	09	11	21	05	19	23	08	250	3.77
14 الفاء	06	11	07	05	13	10	05	07	03	04	11	11	09	05	18	08	14	12	13	13	07	192	2.90
15 الدال	02	13	03	01	16	09	09	03	03	06	06	09	04	07	12	07	13	05	12	09	02	150	2.26
16 السين	04	03	02	04	21	07	08	03	04	01	11	05	08	07	06	01	05	01	09	08	11	129	1.94
17 الذال	07	10	04	05	04	07	02	07	09	04	12	07	06	02	10	05	09	02	08	03	04	127	1.91
18 الجيم	04	07	02	04	17	08	11	02	04	02	03	02	04	03	05	01	03	02	06	02	03	95	1.43
19 الخاء	01	03	/	01	07	03	01	03	05	04	04	03	03	01	/	02	06	01	07	07	04	66	0.99
20 الحاء	03	04	03	06	02	03	02	05	/	01	04	03	05	03	02	/	03	02	05	08	01	64	0.96
21 الشين	/	02	01	01	03	/	05	04	02	/	/	02	03	05	05	01	05	/	06	06	02	53	0.80
22 الصاد	01	04	02	/	03	02	02	01	01	01	04	04	04	03	02	01	02	/	04	06	/	46	0.69
23 الطاء	/	02	/	03	03	02	02	01	04	01	/	/	04	03	03	03	/	01	03	04	02	41	0.61
24 الغين	03	02	01	/	06	03	04	01	/	01	01	04	/	03	/	01	02	02	02	02	/	38	0.57
25 الثاء	/	02	01	/	04	/	02	03	02	/	02	04	02	/	02	/	05	/	01	02	02	34	0.51
26 الضاد	02	/	01	/	05	01	01	/	/	/	04	02	02	/	03	02	06	01	/	02	01	33	0.49
27 الزاي	/	03	01	/	03	02	01	/	02	/	/	01	01	01	/	/	04	01	/	08	01	29	0.43
28 الظاء	01	02	/	/	/	03	02	01	02	01	/	/	/	/	02	01	01	03	01	02	03	25	0.37

8- جدول تواتر الصوائت في جدال الأنبياء مع أقوامهم

الموضوع	جدال نوح مع قومه					جدال هود					جدال صالح			جدال إبراهيم					جدال شعيب				
الطرف المجادل	قومه					قومه					قومه			أبوه	أبوه وقومه				قومه				
السورة	لأعراف	ود	مؤمنون	شعراء	وح	لأعراف	ود	مؤمنون	شعراء	لأحقاف	لأعراف	ود	شعراء	ريم	لأنبياء	شعراء	عنكبوت	صافات	لأعراف	ود	شعراء	جموع	سبة المئوية
الآيات	64/ 60	35/25	26/23	118/105	24/01	71/65	57/50	40/32	139/123	23/21	77/73	65/61	157/141	48/42	68/52	82/69	25/16	97/83	90/85	93/84	189/176		
الفتحة	86	204	69	86	219	117	107	80	123	47	109	107	105	97	156	101	181	74	196	234	138	2875	34.76
السكون	43	86	25	36	113	62	56	46	28	28	58	52	32	33	40	71	68	31	93	96	48	1245	15.05
الألف	29	70	26	25	68	50	46	25	26	22	47	51	35	41	78	48	56	26	73	80	27	1042	12.60
الكسرة	30	65	07	15	64	54	48	29	18	29	29	32	26	45	60	29	65	26	61	67	21	876	10.59
الضمة	23	71	15	25	66	40	18	37	26	18	55	33	27	10	55	31	57	17	55	64	29	826	9.98
الشدة	52	43	13	17	48	17	29	15	27	10	18	22	18	18	60	20	31	11	37	67	26	659	7.96
مدّ الياء	10	22	06	18	23	12	23	06	21	04	10	26	20	16	19	16	13	14	18	36	17	396	4.46
مدّ الواو	09	18	08	20	24	11	19	13	17	03	22	17	18	05	25	18	22	12	24	20	12	350	4.23

-03- الجهر والهمس

الأصوات المهموسة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
التاء	365	5.51	19.44
الهاء	314	4.74	16.72
الكاف	307	4.63	16.35
القاف	266	4.01	14.17
الفاء	192	2.90	10.22
السين	129	1.94	6.87
الخاء	66	0.99	3.51
الحاء	64	0.96	3.40
الشين	53	0.80	2.82
الصاد	46	0.69	2.45
الطاء	41	0.61	2.18
الثاء	34	0.51	1.81
المجموع	1877	%28.29	%100

الأصوات المجهورة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
اللام	811	12.25	17.10
النون	796	12.02	16.78
الميم	708	10.69	14.93
الهمزة	562	8.49	11.85
الباء	310	4.68	6.53
العين	290	4.38	6.11
الراء	264	3.98	5.56
الياء	253	3.82	5.33
الواو	250	3.77	5.27
الدال	150	2.26	3.16
الذال	127	1.91	2.67
الجيم	95	1.43	2.00
الغين	38	0.57	0.80
الضاد	33	0.49	0.69
الزاي	29	0.43	0.61
الظاء	25	0.37	0.52
المجموع	4741	%71.54	%100

الصفة	تواترها	النسبة المئوية
الهمس	1877	**%28.29**
الجهر	4741	%71.54

-04- الشـدة والرخـاوة

الأصوات الشديدة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
الهمزة	562	26.39	8.49
التـاء	365	17.14	5.51
البـاء	310	14.56	4.68
الكاف	307	14.41	4.63
القاف	266	12.49	4.01
الدال	150	7.04	2.26
الجيم	95	4.46	1.43
الطاء	41	1.92	2.18
الضـاد	33	1.55	0.49
المجموع	2129	%100	%33.68

الصفة	تواترها	النسبة المئوية
الشدّة	2129	%60.79
الرخـاوة	1373	%39.20
المجموع	3502	%100

الأصوات الرخوة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
الهـاء	314	4.74	22.86
العين	290	4.38	21.12
الفاء	192	2.90	13.98
السين	129	1.94	9.39
الذال	127	1.91	9.24
الخاء	66	0.99	4.80
الحاء	64	0.96	4.66
الشين	53	0.80	3.86
الصاد	46	0.69	3.35
الغين	38	0.57	0.76
الثاء	34	1.81	2.47
الزاي	29	0.43	2.11
الظاء	25	0.37	1.82
المجموع	1373	%22.49	%100

-05- الأصوات الصامتة والأصوات المتوسطة

الأصوات الصامتة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
الهمزة	562	8.49	15.89
التاء	365	5.51	10.32
الهاء	314	4.74	8.88
الباء	310	4.68	8.76
الكاف	307	4.63	8.68
العين	290	4.38	8.20
القاف	266	4.01	7.52
الفاء	192	2.90	5.42
الدال	150	2.26	4.24
السين	129	1.94	3.64
الذال	127	1.91	3.59
الجيم	95	1.43	2.68
الخاء	66	0.99	1.86
الحاء	64	0.96	1.80
الشين	53	0.80	1.49
الصاد	46	0.69	1.30
الطاء	41	0.61	1.15
الغين	38	0.57	1.07
الثاء	34	0.51	0.96
الضاد	33	0.49	0.93
الزاي	29	0.43	0.82
الظاء	25	0.37	0.70
المجموع	3536	%53.30	%100

الأصوات المتوسطة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
اللام	811	12.25	26.31
النون	796	12.02	25.82
الميم	708	10.69	22.97
الراء	264	3.98	8.56
الياء	253	3.82	8.20
الواو	250	3.77	8.11
المجموع	3082	%64.53	%100

الأصوات الشبه صائتة

اللام	811	12.25	31.44
النون	796	12.02	30.86
الميم	708	10.69	27.45
الراء	264	3.98	10.23
	2579	38.94	

الأصوات النصف صائتة

الياء	253	3.82	50.29
الواو	250	3.77	49.70
	503	7.59	%100

الأصوات	تواترها	النسبة المئوية
الأصوات الصامتة	3536	53.30
الأصوات الشبه صائتة	2579	38.94
الأصوات النصف صائتة	503	7.59
المجموع	6618	%100

-06- الاستعلاء والاستفال

الأصوات المستعلية

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
القاف	266	4.01	51.65
الخاء	66	0.99	12.81
الصاد	46	0.69	8.93
الطاء	41	0.61	7.76
الغين	38	0.57	7.37
الضاد	33	049	6.40
الظاء	25	0.37	4.85
المجموع	515	7.73	%100

الصفة	تواترها	النسبة المئوية
الاستعلاء	515	7.73
الاستفال	6103	92.10
المجموع	6618	%100

الأصوات المستفلة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
اللام	211	12.25	13.28
النون	796	12.02	13.04
الميم	708	10.69	11.60
الهمزة	562	8.49	9.20
التاء	365	5.51	5.98
الهاء	314	4.74	5.14
الباء	310	4.68	5.07
الكاف	307	4.63	5.03
العين	290	4.38	4.75
الراء	264	3.98	4.32
الياء	253	3.82	4.14
الواو	250	3.77	4.09
الفاء	192	2.90	3.14
الدال	150	2.26	2.45
السين	129	1.94	2.11
الذال	127	1.91	
الجيم	95	1.43	1.55
الحاء	64	0.96	1.04
الشين	53	0.80	0.86
الثاء	34	0.51	0.55
الزاي	29	0.43	0.47
المجموع	6103	%92.10	%100

07- الإطباق والانفتاح

الأصوات المطبقة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
الصاد	46	0.69	31.72
الطاء	41	0.61	28.27
الضاد	33	0.49	22.27
الظاء	25	0.37	17.24
	145	%2.16	%100

الأصوات المنفتحة

الصوت	تواتره	النسبة المئوية على مستوى الأصوات	النسبة المئوية على مستوى الصفة
اللام	211	12.25	12.52
النون	796	12.02	12.29
الميم	708	10.69	10.93
الهمزة	562	8.49	8.68
التاء	365	5.51	5.63
الهاء	314	4.74	4.85
الباء	310	4.68	4.78
الكاف	307	4.63	4.74
العين	290	4.38	4.48
القاف	266	4.01	4.10
الراء	264	3.98	4.07
الياء	253	3.82	3.90
الواو	250	3.77	3.86
الفاء	192	2.90	2.96
الدال	150	2.26	2.31
السين	129	1.94	1.99
الذال	127	1.91	1.96
الجيم	95	1.43	1.46
الخاء	66	0.99	1.01
الحاء	64	0.96	0.98
الشين	53	0.80	0.81
الغين	38	0.57	0.58
الثاء	34	0.51	0.52
الزاي	29	0.43	0.44
	6473	%97.67	%100

	تواترها	النسبة المئوية
الإطباق	145	2.16
الانفتاح	6473	97.67
المجموع	%6618	%100

1) إذا رجعنا إلى الجدول التفصيلي لتواتر الأصوات في جدال الأنبياء مع أقوامهم فإن ما يمكن ملاحظته أن عدد تواتر الأصوات في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد تواتر الأصوات في كلام أقواهم، فمجموع الأصوات المتواترة في كلام الأنبياء (4421 مرة) ومجموع تواتر الأصوات في كلام الأقوام (1834)، وهذا راجع إلى النفس الطويل الذي اتصف به الأنبياء عليهم السلام في مجادلتهم لأقوامهم، وإقناعهم بالحجج والبراهين، وردهم على الافتراءات والأكاذيب والتهم التي يلصقوها بهم أقوامهم، ومن ثم فجدالهم لأقوامهم كان في عدة جبهات، كما اتخذ أساليب وأشكال شتى، هذا من جهة ومن جهة أخرى عن جدالهم لأقوامهم اتسم بثراء المعلومات وغزارة الأفكار والمواضيع المختلفة، وعلة قلة الأصوات المتواترة في كلام الأقوام الذي يعد ثلث الأصوات المتواترة يعود إلى أن جدالهم كان منصبا على إلقاء التهم والافتراءات الباطلة لأنبيائهم، والتكذيب بما جاء به الأنبياء، وسبب نقص الأصوات أيضا يعود إلى أنهم لا يملكون الأساليب الملائمة في جدالهم لأنبيائهم، وافتقارهم إلى الحجج المقنعة والمعلومات والأفكار التي يبررون بها عدم إيمانهم بالرسالات وعدم تقبلهم لها، فإذا أعوزتهم الأدلة والحجج المقنعة لجأوا إلى التهديد والعنف.

2) من خلال المربعات البارزة في الجدول الثاني نستنتج الأصوات التي كثر استعمالها من قبل بعض الأنبياء كما نستنتج السور التي وردت فيها هذه الأصوات بكثرة، فالأنبياء الذين استعملوا الأصوات أكثر من غيرهم هم على الترتيب: شعيب، نوح، إبراهيم، هود، وأما السور التي وردت فيها الأصوات بكثافة هي على الترتيب: هود، نوح، الأعراف، العنكبوت، الأنبياء، وهذا ما يبرر تركيزنا على بعض الأنبياء وجدالهم مع أقوامهم والتركيز على بعض السور في تحليل دلالة تكرار بعض الأصوات.

3) أما ما يتعلق بجدول تواتر الأصوات المجهورة والمهموسة فنلاحظ أن الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة، فتواتر الأصوات المجهورة (4741 مرة بنسبة 71.54%) أما الأصوات المهموسة فتواترها (1877 مرة بنسبة 28.29%) وهذا راجع إلى أن أي نص لغوي لابد أن تحتل فيه الأصوات المجهورة الصدارة في الكثرة، وإلا فقد هذا النص عنصره الموسيقي، وبما أن القرءان الكريم يمتاز بميزة خاصة في جانبه الصوتي وصل إلى حد الإعجاز فلا بد أن تحتل الأصوات المجهورة فيه الصدارة في الجانب الكمي، إضافة إلى أن سياق الجدل بين الأنبياء وأقوامهم يقتضي استعمال الأصوات المجهورة بكثرة، لأن كل طرف يحتاج إلى الجهر بما يدعيه وإبطال حجج الخصم وهذا باستعمال الأصوات المجهورة.

4) يبين الجدول الرابع أن الأصوات الشديدة أكثر من الأصوات الرخوة، فالأصوات الشديدة تواترت(2120 مرة بنسبة 60.79%) بينما تواترت الأصوات الرخوة (1373 مرة بنسبة 39.20%) وسبب كثرة الأصوات الشديدة راجع إلى طبيعة الجدل في حد ذاته كونه يمتاز بنوع من الحدة والشدة في الكلام بين الطرفين المتجادلين، وهذه الشدة متأتية من أن كل طرف يدافع وينافح ويكافح ويستعمل كل ما أوتي من وسائل البيان بغية التشبث والتمسك برأيه ومحاولة تزييف آراء الخصم وحججهم، والأنبياء يوظفون الأصوات الشديدة توظيفا حسناً، وكل صوت مناسب تقريبا لغرض من الأغراض، فالهمزة مثلا للاستفهام والإنكار والتعجب والتقرير، والتاء لتبرئة أنفسهم مما ألصق القوم بهم، وإقرار القوم بالسلوكات السلبية، والكاف للاتهام وتذكير القوم بنعم الله عليهم، والقاف لقرع أسماع الكافرين بالبراهين والحجج الواضحة، والدال لدعوة القوم إلى عبادة الله والثبات على دينه، والياء لتذكير القوم بربوبية الله تعالى ونعمه التي لا تحصى.

5) طغت الأصوات المتوسطة على الأصوات الصامتة، وخصوصا الأصوات الشبه صائتة؛ إذ تواترت الأصوات المتوسطة (3536 مرة بنسبة 53.3%)، فإذا قارنّا عدد تواتر الأصوات

الصامتة بعدد تواتر الأصوات المتوسطة وجدنا الفارق بينهما ضئيل جداً يقدّر بـ (454 مرة بنسبة 6.77%) بالرغم من أن عدد الأصوات الصامتة 22 صوتا، وعدد الأصوات المتوسطة 6 أصوات فقط! ! ؟ ولقد احتلت الأصوات الشبه الصائتة الصدارة وهي اللام والنون والميم والراء في كثرة تواترها في سياق الجدل بين الأنبياء وأقوامهم لما تحمل هذه الأصوات من دلالات النهي والنفي، والتنبيه والاستفهام ومقارعة الحجة بالحجة، وتفنيد مزاعم القوم وإقناع الخصوم بالأدلة الواضحة والحجج المقنعة، إضافة إلى أن أكثر فواصل القرآن تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في موسيقى فواصل القرآن.

6) في الجدول السادس تواترت الأصوات المستفلة (6103 مرة بنسبة 92.10%) بينما تواترت الأصوات المستعلية (515 مرة بنسبة 7.73%) فقط، ومن ثمّ نستنتج أن عدد الأصوات المستفلة يفوق بكثير عدد الأصوات المستعلية، وتمثل الأصوات المستعلية عشر الأصوات والسبب يعود إلى قلة استعمال هذه الأصوات في الكلام عموما وهذا لصعوبة نطقها مقارنة بالأصوات الأخرى التي لا يلقى المتكلم حرجا وكلفة عند النطق بها، وكما أن هذه الأصوات المستعلية صعبة عند النطق فهي كذلك تثقل كاهل السامع لها وتسبب له ضيقا وحرجا، وخصوصا إذا تواترت بصفة مستمرة في الكلام، بينما الأصوات المستفلة سهلة وخفيفة على السامع، ولا تثير قلقا ولا اضطرابا ولا سأما عند سماعها، والأنبياء عليهم السلام يتلطفون في مجادلتهم لأقوامهم ويستعملون الحكمة حتى في اختيار الأصوات الملائمة التي تستسيغها وتتقبلها آذان أقوامهم، ويحرصون كل الحرص على إيصال ما يدعون إليه إلى أسماع القوم بطريقة لا يشعر القوم بالملل والضجر والسأم عند سماعهم إياها، فالأنبياء يتواضعون مع أقوامهم سلوكا وكلاما، فلا يتشدقون بالأصوات التي تثقل كاهل الأقوام بل يوصلون دعوتهم بأيسر طريق وأخف كلام.

7) في الجدول السابع الذي يمثل تواتر صفة الإطباق والانفتاح يبين لنا أن صفة الانفتاح هي الغالبة في الجدل بين الأنبياء وأقوامهم، فالأصوات المنفتحة تواترت (6473 مرة بنسبة 97.67%) وهي نسبة عالية جدا إذا قورنت بصفة الإطباق التي يقدر تواتر عدد أصواته بـ (145 مرة بنسبة 2.16%) فقط، والسبب يرجع إلى ما قيل في الأصوات المستعلية وهو صعوبة النطق بهذه الأصوات وهي الصاد والطاء والضاد والظاء فاللسان يتجشم عند النطق بهذه الأصوات وهي أصعب نطقا من بقية أصوات الاستعلاء كالخاء والعين والقاف، ويتصدر صوت الضاد أصوات الإطباق في صعوبة النطق به في اللغة العربية، ولذلك تميزت به اللغة العربية عن سائر اللغات وسميت باسمه، فإذا كان الأنبياء يحرصون كل الحرص في مخاطبة أقوامهم بأحسن كلام وأيسره وأخفه دون الالتجاء إلى أصوات الاستعلاء فهم أحرص بكثير من أن يرد في كلامهم أصوات الإطباق إلا نادرا ولضرورة المقام.

8) أما الجدول الثامن الذي يتعلق بالصوائت وعدد تواترها فهو يبيّن لنا تواتر الأصوات الصائتة من حيث الكثرة. وتعدّ الفتحة من أكثر الصوائت تواترا (2875 مرة بنسبة 34.76%) وهذا راجع إلىسهولة نطق الفتحة، ثم تليها الكسرة في الدرجة الثانية (876 مرة بنسبة 10.59%) وأخيرا الضمة (826 مرة بنسبة 9.98%) فإذا قارنّا بين الضمة والكسرة نجد أن الفرق بينهما قليل جدا (50 مرة بنسبة 0.61%) بينما إذا قارنا عدد تواتر صوت الفتحة بالكسرة والضمة نجد أن الفرق شاسع يقدّر بـ (1999 مرة بنسبة 24.17%) وهذا لكون الفتحة أسهل في النطق من الكسرة والضمة، أما ما يتعلق بالمدود وأحرف اللين فإننا نجد أن الألف تواتر (1042 مرة بنسبة 12.60%) وهذا راجع إلى سهولة النطق به وهو امتداد للفتحة ويليه مد الياء في الدرجة الثانية (396 مرة بنسبة 4.46%) وهو يعدّ امتدادا للكسرة، وأخيرا مد الواو (350 مرة بنسبة 4.23%) وكما رأينا سابقا أن الفرق بين الضمة والكسرة ضئيل في تواترها، فكذلك

الواو والياء إذ الفرق بينهما (46 مرة بنسبة 0.23%)، لكن الفرق بين مد الألف ومد الواو والياء شاسع جدا (646 مرة بنسبة 8.14%).
أما ما يتعلق بالسكون فهو يحتل الدرجة الثانية بعد الفتحة وهذا لسهولة النطق به، أما الشدة فاتخذت درجة الوسط فتواترها لم يكن كثيرا جدا ولا قليلا جدا بل تواترها جاء بين هذا وذاك، وهذا في السياقات التي تستلزم التشديد والتوكيد.

المبحث السادس: تكرار الصوت ودلالته

المطلب الأول: الهمزة واللام والقاف

تعدّ الهمزة من أبرز الأصوات الصامتة انتشارا في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم، ولقد كثر ورودها في سياق جدال نوح مع قومه في سورة هود، فلقد تكررت الهمزة في كلام نوح (45 مرة) وفي كلام قومه (6 مرات)، قال تعالى على لسان نوح:« وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ»[1]، ولقد وردت الهمزة بصفة مكثفة (11 مرة) ومضمون هذه الآية الرد على الافتراءات والادعاءات الباطلة الموجهة إليه، والهمزة تتكون عندما يندفع الهواء من الرئتين وعند وصوله إلى الوترين الصوتيين تسدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك عندما ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما، فلا يسمح للهواء بالنفاد من الحنجرة ويكون ضغط الهواء في ذلك الموضع، ثم ينفصل الوتران عن بعضهما البعض فينفذ الهواء من بينهما محدثا صوتا انفجاريا، وهمزة القطع هي صوت صامت حنجري انفجاري ليس مهموسا ولا مجهورا[2]، وتكرار همزة القطع بهذه الكثافة (أقول، أعلم، أقول، أقول، أعلم) يدل على جدية نوح في إظهار الحقيقة وتزييف مزاعم قومه، وذلك بتحقيق الهمزة بالرغم من قول العلماء بأن «الهمزة حرف مستثقل لأنه بعد مخرجها»[3] إلا أنّه كررها مرات عديدة ليقطع بها دابر أكاذيبهم ويحسم في حقيقة أمره ويأتي بالقول الفصل.

ومن الأصوات التي ساعدت الهمزة في تزييف وإبطال مزاعم القوم اللام النافية الممدودة والقاف في فعل القول (أقول) وصوت اللام يطلق عليه الصوت الجانبي أو المنحرف نسبة إلى مرور الهواء وانحرافه من أحد جانبي الفم أو كليهما عند النطق به، ويتكون «بأن يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعا ضعيفا من الحفيف، وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو كليهما يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك بحال بين الهواء ومروره في وسط الفم فيتسرب من جانبيه»[4] [5].

أما صوت القاف فهو من الأصوات الشديدة وهو يتكون «عندما يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يتحرك الوتران الصوتيان، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم وهنالك ينحبس الهواء (بما في ذلك اللهاة) بأقصى اللسان ثم ينفصل العضوان

---

1 - سورة هود، الآية 31.
2 - ينظر السعران: علم اللغة، ص 157، وينظر كمال بشر، علم اللغة العام، ج2 الأصوات، ص 142.
هناك من الدارسين من اعتبر الهمزة صوتا مهموسا كرمضان عبد التواب، وتمام حسان، ويوجد من القدماء من اعتبر الهمزة صوتا مجهورا، أما ما يتعلق بمخرج الهمزة فهناك من يرى أن الهمزة هوائية أو أنها من الجوف وهو رأي الخليل، ويرى غالبية اللغويين القدامى ومنهم سيبويه وابن جنّي أن مخرج الهمزة أقصى الحلق. للمزيد من الاطلاع ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 143-147.
3 - ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، م5، ج10، ص 116.
4 - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 64، وينظر أيضا كمال بشر: علم اللغة العام، ج2،ص 166-167.
5 - ومن خصائص اللام العربية أنها تكون مرققة أو مفخمة والأصل فيها أن تكون مرققة إلا إذا جاورها أحد أصوات الاستعلاء، وأن تكون اللام نفسها مفتوحة، والفرق بين اللام المرققة والمفخمة يرجع إلى وضعية اللسان حال النطق بها، فاللسان في حالة تفخيم اللام يتخذ شكلا مقعرا كما هو الحال في أصوات الإطباق، ويكون منبسطا في حالة ترقيقه. ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 64.

انفصالا مفاجئا فيحدث الهواء صوتا انفجاريا شديدا»[1]، فالقاف صوت لهوي انفجاري مهموس[2].

فأما اللام جاءت لتؤكد مع الهمزة انحراف مزاعم القوم انحرافا حقيقيا عن جادة الصواب وعن الفطرة السليمة، ومظهر هذا التأكيد هو تكرارها مع فعل القول ثلاث مرات ومرة مع فعل العلم (أعلم)، وجاءت اللام ممدودة بالألف الذي يعدّ من الصوائت الطويلة المجهورة لكي يسمعوا جيدا الجواب المنكر لأقوالهم المنحرفة. فإذا أفادت اللام انحراف مزاعم القوم والهمزة تحقيق هذا الانحراف، فإن صوت القاف الموصوف بالشدة والقرع جاء مع فعل القول ليقرع الآذان الصماء والثقيلة عن سماع الحق ليجعلها تسمعه رغما عنها ويسهل من خليلها سبيل الحق ليجد طريقه للقلوب التي استيقنته واعترفت به.

المطلب الثاني: الباء – النون – الهاء – التاء

يعد صوت الباء من الأصوات القوية لشدته وجهره، ونطقه يحدث دويا هائلا وخصوصا إذا كان المقام يستدعي ذلك[3]، وبالرغم من قوة صوت الباء إلا أنه يكون في بعض السياقات ينساب انسيابا وكأنه صوت رخو،مهموس، ومن أبرز السياقات التي ورد فيها صوت الباء شديدا ومجهورا، جدال شعيب مع قومه في سورة الأعراف، إذ تكرر صوت الباء (28 مرة)، (23 مرة) في كلام شعيب و(3 مرات) في كلام قومه، قال تعالى على لسان سيدنا شعيب عليه السلام في مجال رده لتهديد قومه له بالخروج او الارتداد عن دينه"قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ"[4] لقد ورد صوت الباء في هذه الآية (8 مرات) بصيغ مختلفة، جاء منونا بالفتح (كَذِبًا) ومفتوحا (بَعْدَ) ومشدّدا (رَبُّنَا _ رَبُّنَا _ رَبَّنَا) مرتين بالضم ومرة بالفتح،وجاء مفتوحا مرتين(بَيْنَ _ بَيْنَنَا) وجاء مكسورا(بِالْحَقِّ). لقد جاء الباء منوّنا بالفتح في كلمة (كَذِبًا) ليدل على شدة الافتراء وعظمته، و(كَذِبًا) جاءت نكرة دالة على التعظيم والتهويل فجاءت الباء لتزيد من عظمة هذا الافتراء شدة وقوة وهذا عندما يتم الضغط على الشفتين في نطق كلمة كذبا وتنغيمها بنغمة تقريرية، وجاء صوت الباء بعد ذلك في كلمة (بَعْدَ) ليبرر شدة الافتراء وعظمته وجاءت كلمة (بَعْدَ) بين (عُدْنَا) و(نَجَّانَا) فالبون شاسع وعظيم وبعيد بعد السماء عن الأرض، والمشرق عن المغرب بين الكلمتين كما أنّهما متباعدتان كمًّا وزمنا فهما متباعدتان كيفا وآنا ومفهوم التباعد تباعد تقابلي أي أنهما متباعدتان بعد الخير عن الشر والضلال عن الهدى والظلمات عن النور، قال تعالى:" أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ"[5]وقال أيضا:" وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ(19)وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ(20)وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ(21)"[6]والباء في كلمة بعد كأنها حاجز قوي شديد في سمكه وارتفاعه وجاء صوت الدال ليعضد صوت الباء أيضا في شدة استقرار هذا

---

1 - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 87.

2 - ولقد وقع اختلاف في تحديد صوت القاف بين القدماء والمحدثين في الصفة والمخرج،فالقدماء يرون أن القاف مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وهو رأي سيبويه وابن جني وغيرهما، ويرون أيضا أنها مجهورة، غير أن اللغويين المحدثين يرون أن القاف مخرجها من أدنى الحلق في الفم واللهاة وأنها مهموسة، ينظر السعران: علم اللغة، ص 156، وينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ج2، ص 138، مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص 123.

3 - "يتكون بأن يمر الهواء أولا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقا تاما، فإذا انفرجت الشفتان سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى بالباء، فلنطق الباء تنطبق الشفتان أولا حين انحباس الهواء عندها،ثم تنفرجان فجأة فيسمع صوت الباء، والباء صوت صامت شفوي انفجاري مجهور" إبراهيم أنيس:الأصوات اللغوية، ص 45، وينظر أيضا السعران:علم اللغة، ص154، وينظر أيضا كمال بشر:علم اللغة، ص128.

4 - سور ة الأعراف الآية 89.

5 _ سورة ص الآية 28 .

6 _ سورة فاطر الآية 19_21.

الحاجز وتمكنه وثباته، مهما كانت السباب المؤدية إلى زعزعته، وأما العين فجسدت ذلك الفارق الكمي والكيفي البعيد بين المعنيين وهذا لابتعاد مخرج العين عن الباء والدال.

أما الباء المشددة المضمومة والمكررة (رَبُّنَا_ رَبُّنَا) جاءت لتؤكد أن قوة الحاجز ومتانته_الذي دلت عليه الباء الشديدة مع الدال الدّال على استقراره وثباته_لا يمكن أن يضعف أو يتزعزع إلا بمشيئة الله رب العالمين، وتدل الباء الشديدة في طبيعتها الصوتية والمشددة المضمومة وخصوصا عندما يتم الضغط على الشفتين ضغطا قويا عند النطق بالباء المشددة المضمومة يدل على شدة ارتباطهم بالله عز وجل وتمسكهم به دعاء والتجاء واستعانة وتوكلا. وإضافة الرب إلى فاء الجمع إضافة افتخار بانتمائهم إلى الله وإعلان الولاء له.

والنون من الأصوات الشبه صائتة وتسمى بالصوت النفي أو الأغن، ويتكون "بأن يندفع الهواء من الرئتين محركا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا حتى إذا وصل إلى الحلق هبط الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع"[1]، ويعترض هواء الفم اعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا والنون صامت مجهور سنّي أنفي[2]، وتكرار النون المجهورة ومدها بالألف يدل على تغني هؤلاء القوم بهذه الرابطة والصلة القوية بالله عز وجلّ، أمّا (ربّنا) الثانية فهي تأكيد لدلالة (ربّنا) الأولى في سياق وصفه بالعلم المطلق تدلّ على أن الله الذي يعلم حقيقة إيمان شعيب ومن تبعه ويعلم ما تكنّ صدورهم من الحبّ والولاء له لا يمكن أن يكون سبباً في ارتدادهم وعودتهم إلى ما كانوا عليه، ولا أن يحمل للقوم سبيلا لهم أن يخرجوهم من ديارهم، أما صوت الباء المشدّد المفتوح الممدود في كلمة (ربّنا) تدلّ على النداء والدعاء والتوجّه إليه أن يكون حاجزا بين شعيب ومن تبعه وبين قومهم، أما الباء في (بيننا) تدلّ على شدّة وقوّة الإيمان والاعتصام بالله، والباء في (بين) تدلّ على شدّة الكفر والطغيان، والباء في كلمة (ربّنا) السالفة تدل على وجود الله حاجزا بين شعيب وقومه وبين الكفار لكونها أكثر تشديدا من كلمتي(بيننا وبين). أما الباء المكسورة في كلمة (بالحق) تدل على شدّة عدل الله في معاملته لعباده، فوقوفه إلى جانب شعيب ومن تبعه ضدّ قومه ناصرا ومؤيداً جسّده صوت الباء المكسورة، وصوت القاف يدلّ على مدى عمق هذا العدل الإلهي في معاملته لعباده.

ولقد تكرّر صوت الهاء في هذه الآية (6 مرات) منها (4 مرات) متصل بلفظ الجلالة، وعند إرادة النطق بالهاء يتخذ الفم وضعا مناسبا لنطق صائت من الصوائت ويندفع الهواء داخل الحنجرة[3] «ويمر خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثا صوتا احتكاكيا يرفع الحنك اللّيّن، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فالهاء العربي صامت مهموس حنجري احتكاكي»[4]، وتكرار صوت الهاء متصلا بلفظ الجلالة (الله) (4 مرات) خلال ردّهم على تهديدات قومهم لهم يدل على تنبيههم لقومهم بوجود الله وتثبيت ألوهيته في نفوسهم غير المؤمنة به في سياق نفي ارتدادهم عن الدين، فلفظ الجلالة (الله) الواقع بين كلمتي (الكذب) و(الافتراء) يدل على تنبيه هؤلاء الجاحدين إلى عظمة الله ومكانته في نفوسهم التي كانت سببا في عدم ارتدادهم عن الدين، وقولهم «نجّانا الله منها» تنبيه لقومهم إلى مصدر الفضل في نجاتهم، وإظهار لفظ الجلالة في مقام الإضمار يدل على تأدبهم مع الله

---

1 _ إبراهيم أنيس:الأصوات اللغوية، ص66.

2 - ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 168.

3 - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 88-89.

4 - السعدان: علم اللغة، ص 178-179.

في إقرارهم بفضله عليهم، وقولهم «إلا أن يشاء الله» تنبيه لقومهم أنهم خاضعون لمشيئة الله، وقولهم «على الله توكلنا» يدل أيضا على تنبيههم لقومهم علة مصدر توكّلهم واعتمادهم واستعانتهم به في أمورهم الدينية والدنيوية، والهاء في لفظ الجلالة في كل ما سبق تدل على التمعن في حقيقة الأشياء ومصادر الأشياء، فالله مصدر الوجود ومصدر النجاة ومصدر التصرف في أمور البشر ومصدر التوكل والاستعانة.

ولقد ورد صوت الباء في سياق جدال إبراهيم لأبيه أقل شدّة وحدّة وقوّة مما رأينا في جدال شعيب مع قومه، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم مخاطبا أباه: «يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا»[1]، فإذا تدبّر الإنسان هذه الآيات وأرهف سمعه على صوت الباء يجد أن صوت الباء قد خفت ولان وضعف وتخلّى عن طبيعته المتمثلة في الشدة والجهر والقوة لأن مقام الأبوة جعلته يتخلى عن ذلك. ولقد صاحبت التاء الباء في هذا السياق لتجسد مدى ارتباط الابن بأبيه وحبه له والعطف والإشفاق عليه والتواضع له، فإذا تدبّر الإنسان هذه الآيات مرة أخرى وأرهف أذنه في كلمة (أبتِ) وجد أن التاء تنازلت هي الأخرى عن طبيعتها المتمثلة في الشدة وأصبحت كأنها صوت رخو إضافة إلى صفة الهمس المعروفة بها، وكونها جاءت مكسورة يناسب انكسار وتواضع إبراهيم لأبيه، وانكسار خاطره عندما يرى صورة أبيه في هذه الحالة من الضياع والهلاك والشقاء، ولقد تعاون صوت الباء والتاء في إشعار الأب بعاطفة أبوّته لابنه وبنوّة ابنه له، فالباء تدل على الأبوة والتاء تدل على البنوة، وكأن إبراهيم يخاطب أباه ويقول له: يا أبي أنا ابنك، ويردّدها أربع مرات. وإبراهيم من طبعه الشدّة وخصوصا في معاملته لقومه، لكنه عندما اختلى بأبيه يدعوه إلى الإيمان بالله نبذ عبادة الأصنام غيّر من طبعه وأسلوبه في الكلام فكان أكثر لينا وتأدبا وتواضعا مع أبيه، فكان صوت الباء والتاء طوع أمره، فتنازلتا عن طبيعتهما وسلكتا مسلك الخفة والرقة واللين، والناس مأمورون كلهم بالتأدب بآداب اللين والتواضع وخفض الجناح وعدم الجهر بالصوت في مقام الأبوة حتى ولو كان هؤلاء الناس ذوي طبع عصبي تثور أعصابهم لأتفه الأسباب، اقتداءً بأبينا إبراهيم عليه السلام وعملا بقول الله عز وجل: «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا»[2]، والدعاة إلى دين الله هم أيضا مأمورون بتغيير لهجاتهم وطريقتهم في التعبير بتغيّر المقامات وتنوع طباع من يدعونهم، والتأدب بآداب الجدال وذلك باستعمال الأصوات المناسبة للمقام.

المطلب الثالث: الكاف

يكثر استعمال صوت الكاف عندما يكون الكلام بين طرفين أو خصوصا في سياق الخصومة والجدال وتبادل التهم والادعاءات الباطلة الفارغة، ولقد ورد صوت الكاف بصفة مكثفة في جدال الأنبياء مع أقوامهم، ولقد تكرر صوت الكاف في سياق جدال هود مع قومه في سورة الأعراف(23 مرة)،

(17 مرة)في كلام هود و(6 مرات)فقط في كلام قومه.قال تعالى على لسان سيدنا هود عليه السلام وفي معرض ردّه على قومه حينما وصفوه بالسفاهة والكذب: «أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي

---

1 - سورة مريم، الآيات من 42 إلى 45.

2 - سورة الإسراء، الآية 23.

الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [1]والكاف من الأصوات الشديدة المهموسة وهو يتكون بأن يندفع الهواء الآتي من الرئتين إلى الحنجرة دون أن يتذبذب الوتران الصوتيان حتى إذا وصل إلى أقصى الفم اعترض طريقه ارتفاع أقصى اللسان والتقائه بأقصى الحنك اللّين، وهذا الأخير يرتفع ليمنع مرور الهواء إلى الأنف فينحبس الهواء انحباسا تاما ثم ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا فيندفع الهواء خارج الفم محدثا صوتا انفجاريا. فالكاف قصي شديد مهموس.[2]فإذا تأمل الإنسان هذه الآيات وأرهف سمعه لصوت الكاف وجد أن الكاف وردت مضمومة مع ميم ساكنة (7 مرات)، (4 مرات) متصلة بالأفعال (جاء -أنذر – جعل -زاد)، (مرتين) متصلة بالحرفين (من -لعلّ) ومرة واحدة مضافة إلى اسم الجلالة (رب)، وورد الكاف مفردا في الكلمات (ذكر –اذكروا -اذكروا).

تدل الكاف المضمومة مع الميم الساكنة في هذه الآية على الرعاية والاهتمام بالمخاطبين والنطق بهما يجسّد هذه العناية، فارتفاع أقصى اللسان والتقاؤه بأقصى الحنك واستدارة الشفتين عند النطق بالكاف، ثم انطباقهما عند النطق بالميم الساكنة، فالارتفاع يدل على العناية الإلهية، واستدارة الشفتين تدل على إحاطة هذه العناية بقوم هود، وانطباق الشفتين ودخول الهواء إلى التجويف الأنفي محدثا صوتا أغنّ وهو الميم الساكنة يدل على مدى حنوّ ورأفة الله بهؤلاء القوم، وهذه العناية والإحاطة والحنو والرحمة بهؤلاء القوم تتجلى فيما يلي:

1- مجيء هود رسولا إليهم (جاءكم)، قال تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا»[3].

2- مجيء هود من بني جنسهم ليبلّغهم رسالات الله (لينذركم) «قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا»[4].

3 – جعلهم خلفاء لقوم نوح ليعتبروا بهم (جعلكم).

4 – بسط لهم في خلقتهم إذ يتمتعون بأجسام طويلة وقوية (زادكم).

وتكرار كاف الخطاب مع ميم الجمع مع الأفعال (جاء – أنذر – جعل – زاد) يدل على سعة رحمة الله بهؤلاء وعنايته بهم عناية خاصة، والعناية الخاصة تتمثل في الزيادة لأن كل الأقوام جاءها الأنبياء من بني جنسهم وبلغوا لهم رسالات ربّهم بعد أن جعل الله هذه الأقوام خليفة لأقوام آخرين هلكوا إلا من آمن منهم، أما عاد فقد زادها الله خاصية طول أجسامهم.

ولقد سميت الرسالة بكلمة (ذكر) وهي كلمة مكونة من ثلاثة أصوات يتوسطها الكاف الساكن؛ فالصوت الأول صوت رخو مهموس مكسور، أما الصوت الثالث فهو حرف مكرر مجهور منوّن. هذه الكلمة هي خفيفة على لسان الإنسان عند النطق بها، وهذه الخفة في النطق بهذه الكلمة تدل على سهولة ويسر التلفظ بكلمة التوحيد الخفيفة على اللسان والثقيلة على الميزان وما يلاقيه الإنسان من سعادة وانشراح وراحة واطمئنان عندما يؤمن بالله ويتوجّه إليه بالعبادة والخضوع والاستسلام لأمره في الدنيا، والشعور بالسعادة والاطمئنان والرضا في الآخرة، وتدل الكاف في فعل الأمر (اذكروا) على تذكيرهم بكاف الخطاب مع ميم الجماعة الواردة في الأفعال الدالة على الرعاية والعناية والرحمة (جاء – أنذر – جعل – زاد(وتدل الذال على خفة الرسالة وسهولة الإيمان بها والعمل بمقتضاها، أما الراء فتدل

---

1 - سورة الأعراف، الآية رقم69 .

2 - ينظر إبراهيم أنيس:الأصوات اللغوية، ص84 وينظر علم اللغة: السعران، ص156،155 ،وينظر كمال بشر:علم اللغة العام،ج2،ص138.

3 - سورة الإسراء، الآية 15.

4 - سورة الإسراء، الآية 95.

على (تكرار الذكر من حين لآخر) عدم نسيان هذه النعم وتذكرها بصفة مستمرة ومكررة.

المطلب الرابع: الراء

يعدّ الراء من الأصوات الشبيهة بالصائتة لشدة جهرها، ويسمى بالصوت المكرر، ومعنى التكرار هو طرقات سريعة يحدثها عضو من الأعضاء المرنة ويوجد في اللغة العربية صوت واحد تنطبق عليه هذه الصفة وهو الراء، «ويتكون الراء بأن يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقيا بحافة الحنك الأعلى، فيضيق هناك مجرى الهواء، والصفة المميزة للراء هي تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق بها»[1]، ومن خصائص الراء أنها ترقق وتفخّم «ولقد أجمع القراء أن الراء ترقق عندما تكون مكسورة دائما أو تسبقها كسرة، وتفخم الراء عندما تكون مفتوحة إلا إذا سبقتها كسرة أو ياء فإنها ترقق، كما تفخم أيضا إذا سبقتها فتحة، أما الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم فحكمها غامض لا نكاد نهتدي فيه إلى رأي ينطبق على ما نسمعه من أفواه القراء في الوقت الحاضر»[2]، ولقد كثر وروده في الجدل القرآني، ومن أكثر السياقات ورودا جدال نوح مع قومه في سورة نوح إذ تكرّر صوت الراء (59 مرة) منها (48 مرة) في كلام سيدنا نوح و(11 مرة) في كلام قومه، قال تعالى على لسان نوح: «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا»[3]، لقد تكرر صوت الراء (11 مرة) منها (7 مرات) في الأسماء و(4 مرات) في الأفعال، والأسماء التي ذكرت فيها الراء كلها أسماء نكرة منوّنة بالفتح وهي (إسراراً، غفاراً، مدراراً، أنهاراً، وقاراً، أطواراً) إلا اسم واحد معرف بالإضافة وهو (ربكم)، أما الأفعال فمنها ما ورد ماضياً (أسررت)، ومنها ما ورد أمرا (استغفروا)، ومنها ما ورد مضارعا (يرسل، ترجعون) وتعدّد ورود الراء في الأسماء والأفعال يدل على شدّة تمسّك نوح بدعوته وإلحاحه في دعوته لقومه وإمحاض النصح لهم والإشفاق عليهم، كما تدل على سلوك نوح مناهج متعددة وأساليب مختلفة من جهر بالدعوة «دعوتهم جهارا» والتقدير دعوت وأجهرت جهارا، تأكيد الجهر بالدعوة بتكرار حرف الراء وتنوينه بتنوين التنكير يدل على كثرة الإجهار واتخاذ أسلوب الإسرار «أسررت لهم إسرارا» هنا تكرر صوت الراء أربع مرات بصيغ مختلفة: بالفتح، ثم السكون، ثم المد، ثم التنوين، وهذا التكرار لصوت الراء وتعدد صيغه يدل على تأكيد هذا الإسرار، واستعمل الفعل الماضي المناسب لانتهاء مرحلتي الجهر والإسرار، وحينما لم تنجح الدعوة بشقيها الجهري والإسراري استعمل فعل الأمر «استغفروا ربّكم إنه كان غفارا» طالبا منهم أن يعودوا إلى الله ويطلبوا منه المغفرة مما سلف من ذنوبهم، والراء الممدودة بالواو تدل على تكرار طلب المغفرة والرجوع إليه كلهم، وتعريف كلمة (رب) بالإضافة إشعارهم وتذكيرهم بمدى لطف الله بهم ورعايته لهم وعنايته بهم ورحمته بهم وفضله عليهم منذ أن كانوا أجنة في بطون أمهاتهم، والراء في كلمة (رب) تدل على دعوته لهم بتذكّره من حين لآخر، وورود الراء ضمن الوصف البليغ للمغفرة من قبل الله عزّ وجلّ تدل على كثرة مغفرته لذنوب عباده، وتنوينها يدل على عظم هذه المغفرة التي هي من مظاهر سعة رحمته بعباده، وبعد الأمر بالاستغفار سلك نوح مع قومه مسلك الإغراء بالمكاسب التي يتحصلون عليها عندما يقدمون على التوبة والإنابة إليه، واستعمل فعل

---

1 - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 66.

2 - المصدر السابق، ص 65.

3 - سورة نوح، الآيات 8 - 12.

المضارع (يرسل) المفيد للتجدد إرسال الغيث بالإضافة إلى دلالة الراء على التكرار، وليؤكد استمرار نزول الغيث عليهم استعمل المصدر (مدرارا)، فالراء الممدودة تدل على تكرار الغيث واستمراره وعمومه عليهم، والراء المنوّنة تدل على عظم النعم التي تلي هذا الغيث (جنات، زروع، فواكه، أنعام...) واستعمل أسلوب الإطناب لإظهار أبرز نتائج الغيث وهي الجنات والأنهار، وكرر فعل الجعل مرتين ولام الملكية مرتين ليدل على عظم عناية الله بهم ورعايته لهم وحنوّه عليهم، والراء في (أنهارا) تدل على استمرار سيلان هذه الأنهار وجريها وسعتها وضخامتها.

وحينما وجد أن هذه السبل في الدعوة لم تلق آذانا صاغية وقلوبا واعية وأفعالا واقعة عتب عليهم استمرارهم وتماديهم في غيهم وعدم إيمانهم واعترافهم بآلائه عليهم وعبّر عن عدم اعترافهم بفضل المنعم عليهم بعدم الوقار ليقرّهم على مبالغتهم في عدم احترام الله عز وجل، فالقاف تدل على عمق هذا الفضل ، والواو تدل على تعدد النعم والآلاء عليهم، والراء تدل على تكرار الاعتراف بجميل هذا الفضل والإقرار به لمستحقه، وذكرهم بمثال واحد من أمثلة اللطف الإلهي، وذكرهم بأصل نشأتهم وهي أنهم خلقوا في أرحام أمهاتهم أطوارا مختلفة، والراء تدل على ترتيب هذه الأطوار والتنوين يدل على اختلاف طور عن طور وعظم قدرة الله في تصوير خلقتهم في كل طور.

المطلب الخامس: الدال:

يعدّ صوت الدال من الأصوات الشديدة التي كثر تواترها في الجدل القرآني، ولقد تكررت (13 مرة) عند جدال إبراهيم وقومه وذلك في سورة العنكبوت، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم مخاطبا قومه: «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»[1] ولقد تكرر صوت الدال مع النون في هذه الآية (4 مرات) وورد مع الضمير المتصل الغائب، وورد بمفرده مفتوحا مرة واحدة، ويتكون صوت الدال بأن يمر الهواء بالحنجرة ويتذبذب الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق ويرفع الحنك اللين، فلا يمر الهواء إلى الأنف، وحينما يصل إلى الفم يقف التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا حائلا مون مروره فينحبس انحباسا تاما، ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل العضوان انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجاريا هو صوت الدال[2].

يدل تكررا الدال مع نون الجمع بكثافة على الدونية، والدنو والدناءة والدنيّة والدّدن والدندنة والإدنان؛ ومعنى الدونية مشتق من فعل (دَوَنَ)، ولكلمة(دُونَ) معان متعددة منها: تحت، الساقط من الناس، الخسيس[3]. أما الدُّنو فهو مشتق من فعل(دنا) غير المهموز ومعناه القرب، قال الليث: « الدنو غير مهموز مصدر دنا يدنو فهو دان، وسميت الدنيا لأنها دنت وتأخرت الاخرة، وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا ... ويقال دنا وأدنى ودنّى إذا قرب، قال: وأدنى إذا عاش ضيقا بعد سعة، والأدنى السّفل»[4] والدناءة مشتقة من فعل دنا المهموز أي دنأ « ورجل دنيء هو الخبيث البطن والفرج... وهو الضعيف الخسيس الذي لا غناء عنده المقصر في كل ما أخذ فيه »[5] أما الدنيّة مشتقة من فعل دان « قال أبو عبيدة قوله دان نفسه

1 - سورة العنكبوت، الآية 17.
2 - ينظر السعران: علم اللغة، ص 154، وينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،ص 47، وينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 129.
3 _ الأزهري:تهذيب اللغة،ج14،ص180(باب الدال والنون) فعل دون.
4 _ المصدر السابق،ج14،ص188_189(باب الدال والنون) فعل دنا.
5 _ المصدر نفسه،ج14،ص 188(باب الدال والنون) فعل دنا.

أي أذلّها واستعبدها »1 وأما الددن والددندة والإدنان فإنها مشتقة من فعل دَنَّ؛ فالددن «هو اللهو واللعب»2 والددندة «أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه عنه لأنه يخفيه والهيمنة نحو منها»3 والإدنان هو«الثبات في المكان والإقامة فيه، نقول أدنّ الرجل بالمكان إدنانا(وأبنّ إبنانا) إذا أقام، ومثله مما يعاقب فيه الدال والياء انبرى واندرى بمعنى واحد»4.

ومما سبق نستنتج أن تعانق الدال والنون وورودهما معا دلاّ على المعاني الوضيعة وهذه المعاني هي السقوط والخسة والاقتراب من الأرض، والعيش الضنك، والسفالة والذلّة والاستعباد، واللهو واللعب واللغو، والكلام الغير مفهوم، وأخيرا البقاء والدوام والإقامة والمعنى الخير تدخل تحته كل المعاني السابقة أي أن المعاني السالفة ثابتة ومستقرة ومستحكمة في نفوس هؤلاء لأنهم استبدلوا عبادة الأدنى والأحقر وهي الأصنام المنحوتة من الحجر والخشب بالذي هو خير وهو الله تعالى، مصداقا لقوله عز وجل في شأن هؤلاء ومن كان على شاكلتهم: «قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ»5، ومدّ الواو الذي بين الدال والنون يدلّ على امتداد سلوك عبادة الأوثان وامتداد المعاني الوضيعة في نفوس عابديها، والدال يدلّ على ثباتها واستقرارها، والنون بغنّته يجسّد هذه الددندة بالأصوات غير المفهومة.

أما الدال المفتوحة في كلمة (عندَ) فإنها تدل على معنى الاستقرار والثبات والصيانة والكفالة، أي أن ما تطلبونه موجود ومكفول ومصون عند علاّمالغيوب.

والدال في (اعبدوه) تؤكد ثبات واستقرار معنى التجاء الإنسان إلى قوة تحميه كأن تكون أصناما أو حجرا أو شجرا أو...، وجاءت الهاء لتدلّ الإنسان أو بالأحرى قوم إبراهيم على الوجهة الصحيحة في الالتجاء إلى القوة التي تحميه ويستمدّ منها العون، فبدلاً من التغني والددندة بكلام لا يفهم مع أشياء لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ولا تغني من الحق شيئا، وهذا ما جسدته النون مع الدال فحطّت من معناه، أن يتوجه إلى المصدر الحقيقي الذي يستمد منه القوة والعون والغوث وهو الله السميع البصير الرازق... إلخ، بالابتهال والدعاء والتوسل والتوكل، وأكثر من هذا الشكر لنعمه، وهذا ما جسدته الهاء مع الدال،فرفعت من شأن معناه. وابتعاد مخرج الهاء عن مخرج النون يدلّ على ابتعاد هؤلاء الكفار عن الصواب، ويدل الهاء بمخرجه على أصل ومصدر وحقيقة الوجهة التي يلتجئ إليها الإنسان في الملمات، أما النون فتدل على ظواهر الأمور لقربها من الشفتين وسهولة نطقها، أما الهاء بمخرجها البعيد العميق ونطقها الأصعب من النون تدل على التفكر بعمق في بواطن الأمور، ومعرفة أصول الأشياء وحقائقها صعب يحتاج إلى كدّ الذهن والمعاناة كما يحتاج إلى الصبر والأناة.

المطلب السادس: التاء

التاء من الأصوات الشديدة المهموسة التي كثر ورودها في جدال الأنبياء مع أقوامهم، وغالبا ما ترد في الأفعال أو الأسماء أو الضمائر، ولقد كثر ورودها متصلة بالأفعال أكثر من الضمائر والأسماء، ويدل معناها غالبا على:

---

1 _ المصدر نفسه،ج14، ص182(باب الدال والنون) فعل دان.
2 _ المصدر نفسه،ج14 ،ص69(باب الدال والنون)فعل دنّ.
3 _ المصدر نفسه،نفس المكان.
4 _ المصدر نفسه،ج14 ،ص70.
5 _ سورة البقرة،الآية61.

الإقرار: كأن يقرّ المتكلم بأنه قام بسلوك ما أو إقرار المخاطب بأنه قام بسلوك ما.

التبرئة: كأن يتبرأ المتكلم نفسه من تهمة أو شبهة ألصقت به من قبل الخصم.

الاتهام: كأن يتهم المخاطب بتهمة أو شبهة.

النهي: نهي المخاطب بعدم القيام بفعل ما مشين.

والإقرار والتبرئة والنهي هو سلوك الأنبياء في جدالهم مع أقوامهم، أما الاتهام فهو يصدر غالبا من الأقوام، ولذلك نجد أن صوت التاء يكثر وروده في كلام الأنبياء أكثر من أقوامهم لأن لهم أدوارا كثيرة وهي إقناع القوم بصدقهم وصدق رسالتهم، ودعوتهم إلى الخير ونبذ الشر، والردّ عن أكاذيبهم وافتراءاتهم الموجهة إليهم، أما أقوامهم فليس لديهم ما يبررون به حججهم إلا إلصاق التهم الباطلة وتزييف الحقائق، فإذا أخذنا جدال نوح مع قومه كنموذج نجد أن التاء تكررت (19 مرة) في كلام نوح و(6 مرات) فقط !! في كلام قومهم، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: «يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ»1، ففي هذه الآية ورد صوت التاء (7 مرات)؛ (4مرات) في الأفعال، مرتين في الأسماء، ومرة في الضمير المنفصل، فالتاء في الفعل (أرأيتم) تدل على إقرار القوم على انهم يرون رأي العين والقلب صدق النبيء ورسالته باستفهام إنكاري عن عدم إيمانهم به بالرغم من ذلك، والتاء في (كنت) تدل على إقرار نوح على صدق رسالته باستعمال فعل الكينونة الدال على الثبات والاستقرار، أما تاء التأنيث في (بينة) تدل على تأكيد شدة وضوح الرسالة وتنوينها يدل على عظمها، والتاء في (آتاني) تدل على إقراره بصاحب الفضل عليه وهو الله، والمد يدل على افتخاره بهذا الفضل، والتاء في (رحمة) تدل على إقراره بفضل الله عليه ورحمته به وتنوينها يدل على مدى قيمة هذا الفضل، أما التاء الساكنة في (عميت) فتدل على إقرار القوم بمحاولتهم إسكات صوت الرسالة وإطفاء نورها، أما التاء في (أنتم) هو اتهام القوم بمحاولتهم إطفاء نورها بسبب كرههم لها.

وبعد هذه المحاولة من نوح في إقناع القوم على صدق رسالته جاء الرد من قبل القوم في الأخير، قال تعالى على لسانهم: «يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ»2، فورود التاء في الأفعال (جادلتنا، أكثرت، فأتنا، تعدنا) يدل على إقرارهم واعترافهم بصدق حجج نوح وعجزهم عن الرد عنها إبطالا أو إقرارا كما تدل على تذمرهم إلى حد اليأس، وصرحوا بذلك بقولهم (أكثرت)، فورود هذه التاءات المتتالية يدل على أن القوم لا يستطيعون تحمل المزيد، وهذه التاءات تحمل شحنة الغيظ والغضب والاتهام وخصوصا عندما تتصور هذه التاءات المتتالية تخرج من أفواههم، فلذلك تراهم يستعجلون العذاب من نوح، ومخاطبته بفعل الكينونة (كنت) يدل على شكهم في صدق رسالته.

المطلب السابع: الميم – الكاف – الذال:

يعدّ الميم من الأصوات الشبه الصائتة الأكثر ورودا في جدال الأنبياء مع أقوامهم، وعادة ما تكون أداة نفي، أو حرف جر، أو اسما موصولا، أو أصلية في الفعل أو الاسم، أو تكون ساكنة تفيد الجمع، وما النافية من أكثر الميمات ورودا في القرآن وخصوصا في سياق جحد الرسالة من قبل الأقوام، قال تعالى على لسان قوم نوح: «مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ

---

1 - سورة هود، الآية 28.

2 - سورة هود، الآية 32.

اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ»1.

إن تكرار ما الممدودة المفيدة للنفي ثلاث مرات، وتكرار فعل الرؤية المضارع المبتدئ بنون الجمع والمنتهي بكاف الخطاب يدل على شدة رفضهم لنبوة نوح عليه السلام، والجهر بذلك باستعمال الميم الشبيهة بالصائت ومدّها بالألف، وسهولة مخرج الميم الذي ينتج من ضمّ الشفتين فقط يدل على احتقارهم وازدرائهم بالنبي نوح عليه السلام، وما يؤكد هذا هو استعمالهم أسلوب القسر، وبرّروا كفرهم به ورفض رسالته بكونه ما هو إلا بشر مثلهم ، والنبر على الميم في (مثلنا) يدل على زيادة احتقارهم به، ومن مبررات رفضهم للرسالة هو اتباع أراذل القوم له واستعمال ضمير الفصل (هم) يدل على شدة احتقارهم لهؤلاء وتأكيد هذا الاحتقار باستعمال أسلوب القصر، وكلمة (أراذل) التي تلفظوا بها تدل على قمة احتقارهم لهؤلاء وللنبي نوح بالتبع وخصوصا إذا تمّ النطق بالذال واللام جيدا لأن الذال من أصوات النفث واللام صوت منحرف، وكأنهم عند نطقهم بكلمة الأراذل يقومون بالنفث عليهم، ولا ينفث إلا على الشيء الحقير الدنيء، وبعد هذا الازدراء والاحتقار الذي وصل مداه ما عساهم إلا أن ينفوا الأفضلية عنهم باستعمال حرف الجر (من) لتأكيد نفي الأفضلية والمزية عنهم، وفي الأخير عن ما قالوه آنفا ووصفوه بالكذب، وفعل الرؤية المقصود منها الرؤية العينية التي ترى ظواهر الأشياء، ومبررات كفرهم أساسها بشرية النبيء واتباع الأراذل له، وهذا المقياس أوصلهم إلى رؤية قلبية أساسها الظن والكذب، وتكرار كاف الخطاب تدل على اتهام نوح وأتباعه بمختلف النعوت السلبية، ونطقنا لهذه الكاف واستحضارنا لمشهد هذا الجدال نحس أن الكاف تحمل شحنة الاتهام ممزوجة بالازدراء والاحتقار والتهديد والانتقام والغيظ الشديد لأن القوم أعوزتهم الحجج المقنعة فلا يستطيعون الرد على حجج نوح الدامغة.

1 - سورة هود، الآية 27.

المبحث السابع المقطع ودلالته في الجدل القرآني:

المطلب الأول: تعريف المقطع:

قد تعرض اللغويون العرب القدامى للمقطع في أبحاثهم عندما قاموا بدراسة العروض العربي، وقطعوا الشعر إلى تفعيلات والتي تتألف من الأسباب والأوتاد. ولقد عرف الفارابي المقطع بأنه: «كل حرف غير مصوت أتبع بمصوّت قصير به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعربي يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلا، وهو يمكن أن يقرن له فإنهم يسمونه الحرف الساكن، ولكل حرف غير مصوت قرن به صوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل»[1].

أما تعريف اللغويين المحدثين للمقطع فهو ينقسم إلى قسمين (وهذا) تعريف فونيتيكي (صوتي) وتعريف فونولوجي (وظيفي) وهذا الانقسام سببه اختلافهم في النظر إلى المقطع.

ومن أبرز تعريفات المقطع من الجانب الفونيتيكي[2]:

تتابع من الأصوات الكلامية، له حد أعلى أو قمّة إسماع طبيعية تقع في حدّين أدنيين من الأسماع.

قطاع من تيار الكلام يحوي صوتا مقطعيا ذا حجم أعظم محاطا بقطاعين أضعف أكوستيكيا.

وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلال نبضة صدرية واحدة: قمة إسماع أو بروز.

وأما من عرف المقطع من الجانب الفونولوجي الوظيفي فيرى أنه[3]:

الوحدة التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر أو نغمة واحدة.

الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها.

وحدة تحتوي على صوت علة – واحد فقط – إما وحده أو مع سواكن بأعداد معينة وبنظام معين.

فإذا قارنا بين تعريف اللغويين العرب القدامى وتعريف اللغويين المحدثين نجد أنهم يتفقون في تحديده في كونه يؤدي وظيفة في النسيج الكلامي، وزاد المحدثون تفسيرا للمقطع من الجانب الصوتي، ومن هنا تعددت مفاهيمهم للمقطع.

واللغة العربية حين النطق بها تتكون من مجموعات كبيرة من المقاطع، كل مجموعة تتكون من مقاطع ينضم بعضها إلى بعض وينسجم بعضها مع بعض، وكل مجموعة من المقاطع تسمى كلمة[4]. «الكلمة العربية سواء أكانت اسما أو فعلا، مجردة أم مزيدة، تتكون من مقاطع منتظمة الفونيمات مميزة واضحة المعالم في السمع مما يساعد على تحديد الدلالة في المنظور اللغوي، وتتوزع المقاطع في الكلمة العربية وفق الآتي:

1) أحادية المقطع: عَنْ –2) ثنائية المقطع: أَكْتُبْ -3) ثلاثية المقطع: كَاتِبٌ

4) رباعية المقطع: مَدْرَسَةٌ -5) خماسية المقطع: اِحْتِفَالاَتٌ -6) سداسية المقطع: اِسْتِقْبَالاَتُهُمْ

---

1 - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 213.

2 - أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي، ص 284-285.

3 - المرجع نفسه، ص 285-286.

4 - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،ص 161-162.

7) سباعية المقطع: اِسْتِقْبَالاَتُهُنَّ»[1].

المطلب الثاني: أنواع المقاطع:

انطلاقا من تعريف الفارابي للمقطع وتعريف المحدثين له يمكن تصنيف المقطع من حيث السكون والحركة إلى نوعين من المقاطع؛ أحدهما ساكب والآخر متحرك، والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت ساكن، ولقد سمّى العلماء اللغويون المقطع الساكن مقفلا أو مغلقا، والمقطع المتحرك مفتوحا[2].

أما إذا صنّفنا المقاطع بحسب الحجم نجد أن العلماء «اصطلحوا على وصف المقطع بأنه قصير إذا لم يزد على صوتين، وبأنه متوسط إذا تكون من ثلاثة أصوات أو من صوتين أحدهما طويل، وبأنه طويل إذا تكون من أربعة أصوات أو من ثلاثة أصوات أحدها طويل»[3]، واستنادا إلى ما سبق يمكن أن نستنتج أنّ أنواع المقاطع في اللغة العربية خمسة، وهي[4]:

مقطع قصير: 1) ص + ع: مَ – دَ.

مقطع متوسط: 2) ص + ع ع: مَا – لاَ – نَا.

3) ص + ع + ص: مَنْ – هَلْ.

مقطع طويل: 4) ص ع ص ص: مُسْتَقرّ: ص ع ص/ ص ع/ ص ع ص ص.

5) ص ع ع ص: تُوعَدُون: ص ع ع/ ص ع/ ص ع ع ص.

والأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع هي الشائعة والغالبة في الكلام العربي، أما النوعان الآخران فقليلا الشيوع إلاّ في أواخر الكلمات أو الوقف[5].

وإذا جئنا للحديث عن المقاطع في الجدل القرآني من حيث كثرتها وقلتها يمكن ترتيبها فيما يلي من المقاطع الأكثر ورودا وانتشارا إلى المقاطع الأقل:

1) المقاطع القصيرة المفتوحة: بنسبة 43.76%.

2) المقاطع المقفلة: بنسبة 15.05%.

3) المقاطع الطويلة الممدودة بالألف: بنسبة 12.60%.

4) المقاطع القصيرة المكسورة: بنسبة 10.59%.

5) المقاطع القصيرة المضمومة: بنسبة 9.98%.

6) المقاطع الطويلة الممدودة بالياء: بنسبة 4.46%.

7) المقاطع الطويلة الممدودة بالواو: بنسبة 4.23%.

ومن خلال هذا الترتيب وهذه النسب المئوية نستنتج أن الجدل القرآني يركز على المقاطع القصيرة المفتوحة والمقاطع المقفلة والمقاطع الطويلة وخصوصا الممدودة بالألف منها،

---

1 - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 221-222.

2 - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 159-160، وينظر أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي، ص 303.

3 - أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي، ص 303.

4 - هنالك من اللغويين من جعلها ستة مقاطع وأصناف المقطع (ع – ص) ومثل له بأداة التعريف "ال" كالدكتور تمام حسان، ينظر مناهج البحث في اللغة، ص 173.

5 - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 164.

وتعدّد هذه المقاطع واختلافها راجع إلى تعدّد السياقات والمقامات المختلفة، ويرى الدكتور أحمد أبو زيد في دراسته للتناسب البياني في القرآن: «أن استخدام القرآن للمقاطع المقفلة التي تنتهي بالسكون الحي الجازم في مقامات الجد والصرامة والحسم، وفي تصوير الانفعالات الحادة والحركات العنيفة وسرعة الأحداث... أما المقاطع الممدودة فإنها تعبّر عن معاني كثيرة وتصوير مشاهد مختلفة كالتذكير والتقريع والتهديد، وكمواقف الندم والحسرة، ومواقف الدعوة إلى الخير، وكوصف النعمة السابقة، وكالابتهالات»1.

هذا ما يتعلق بدلالة المقاطع في القرآن الكريم، فما هي دلالة المقاطع في الجدل القرآني؟ ذلك ما سوف نراه من خلال تحليل بعض المواقف الجدلية في القرآن.

المطلب الثالث: جدال نوح مع قومه:

قال تعالى: «يَا/ق ـَو/م ـِ/إ ـِنْ/نِي/ ل ـَ/ ك ـُم/ ن ـَ/ ذِي/ ر ـُنْ/ م ـُ/ بِي/ نـ ـُنْ/ ء ـَ/ن ـُ عْ/ بـ ـُ/ د ـُلْ/ لاَ/ هـ ـَ/ و ـَتْ/ ت ـَ/ قُو/ هـ ـُ/ و ـَ/ ء ـَ/ طِي/ عُو/ نِي/ ي ـَ غْ/ ف ـِرْ/ ل ـَ/ ك ـُمْ/ م ـِنْ/ ذ ـُ/ نُو/ ب ـِ/ ك ـُمْ/ و ـَ/ ي ـُ/ؤ ـَ خْ/ خ ـِرْ/ ك ـُمْ/ ء ـِ/ لى/ ء ـَ/ ج ـَ/ ل ـِنْ/ م ـُ/ س ـَمْ/ مَى/ ء ـِنْ/ ن ـَ/ ء ـَ/ ج ـَ/ ل ـَلْ/ لاَ/ هـ ـِ/ ء ـِ/ ذَا/ جَا/ ء ـَ/ لاَ/ ي ـُ/ؤ ـَ خْ/ خ ـَ/ ر ـُ/ ل ـَو/ ك ـُنْ/ ت ـُمْ/ ت ـَ عْ/ ل ـَ/ مُونْ/» (72 مقطعاً).

المقاطع المفتوحة الطويلة: يَا/نِي/ ذِي/ بِي/ لاَ/ قُو/ طِي/ عُو/ نِي/ نُو/ لى/ مَى/ لاَ/ ذَا/ جَا/ لاَ/ (16 مقطعا).

المقاطع المقفلة: قَوْ، إنْ، كُمْ، رُنْ، نُنْ، نُعْ، دُلْ، وَتْ، يَغْ، فِرْ، كُمْ، مِنْ، كُمْ، أَخْ، خِرْ، كُمْ، لِنْ، سَمْ، إنْ، لَلْ، أَخْ، لَوْ، كُنْ، تُمْ، تَعْ، مُونْ (26 مقطعا).

المقاطع القصيرة: مِ، لَ، نَ، مُ، أ، بُ، هَـ، تَ، هُـ، وَ، أ، لَ، دُ، بـِ، وَ، يُ، إ، أ، جَ، مُ، نَ، أ، جَ، هِـ، إ، أ، يُ، خَ، رُ، لَ (30 مقطعا).

عدد المقاطع في هذه الآيات (72 مقطعا) منها (26 مقطعا) مقفلا، و(16 مقطعا) مفتوحا طويلا، والباقي مقاطع قصيرة.

تدل المقاطع على سرعة نوح في دعوة قومه، وهذا استجابة لأمر الله، وحبّا للخير لقومه، وإشفاقا عليهم، وتمنيا أن يسرعوا لتلبية هذه الدعوة ويرجعوا إلى الله وجلين خائفين، وإلى نوح طائعين، ولقد جسّد هذه السرعة المقاطعُ المقفلةُ (قَوْ، إنْ، كُمْ، أنْ، نُنْ، نُعْ، دُلْ، وَتْ) ودلّت المقاطع الباقية على سرعة وفاء الله بوعده إن أسرعوا واستجابوا لدعوة نوح وأنابوا إلى الله «وجزم فعل يَغْفِرْ لكم من ذنوبكم في جواب الأوامر الثلاثة (اعبدوا الله، واتقوه، وأطيعوني) أي إن تفعلوا ذلك يغفر لكم من ذنوبكم، وهذا وعد بخير الآخرة...ويؤخركم إلى أجل مسمى فهو وعد بخير دنيوي يستوي الناس في رغبته، وهو طول البقاء، فإنه من النعم العظيمة لأن جبلّة الإنسان حب البقاء في الدنيا على ما في الحياة من عوارض ومكدرات...، التأخير ضد التعجيل، وقد أطلق التأخير على التمديد والتوسيع في أجل الشيء»2.

ولقد وردت بعض المقاطع المقفلة جنبا إلى جنب دون فاصل بينها لتؤكد هذه السرعة في وفاء الله بوعده الدنيوي (أَخْ، خِرْ، كُمْ) والأخروي (يَغْ، فِرْ) وزيادة مِنْ في المقاطع المقفلة يؤكد هذا الخير المعجّل لهم «وهذا من زيادة (مِنْ) في الإيجاب على رأي كثيرين من أئمة النحو مثل الأخفش وأبي علي الفارسي، وابن جني من البصريين، وهو قول الكسائي وجميع

1 - أبو زيد أحمد :التناسب البياني في القرآن ص 321

2 - الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م14، ج29، ص 189.

نحاة الكوفة، فيفيد أن الإيمان يجبّ ما قبله في شريعة نوح مثل شريعة الإسلام»[1].

أما يتعلق بالمقاطع المفتوحة الطويلة فإنها تدلّ على تنبيه القوم ونصحهم وأمرهم بعبادة الله وتقواه وطاعة نوح (يا، ني، ذي، بي، لا، قو، طي، نو، لی، می، جا، لا) فالمقاطع المفتوحة الطويلة بالألف (يا، لا، لی، جا، لا) تدل على تنبيه القوم وتحذيرهم من مغبّة التولّي والعصيان لأن (الوقت الذي عيّنه الله لحلول العذاب بهم إن لم يعبدوه ويطيعوه إذا جاء إبانه باستمرار على الشرك لا ينفعهم الإيمان ساعتئذ»[2]، وأما المقاطع المفتوحة الطويلة بالواو (قو، عو، نو) تدل علىأمر نوح قومه بالإسراع في الرجوع إلى الله، وأما المقاطع المفتوحة الطويلة بالياء (ني، ذي، بي، طي، ني) فإنها ترفعهم بشخصية لا داعي، وحمل القوم على اتباعه وتذكير القوم بعلاقة القرابة ببنوح وقومه.

ومما سبق نستنتج أن المقاطع جاءت ملائمة لسياق تعجيل نوح في إبلاغ الدعوة وتمنى سرعة القوم في الاستجابة وسرعة وفاء الله بوعده، والمقاطع المفتوحة الطويلة ناسبت مقام الأمر بعبادة الله والإنابة إليه وطاعة الرسول، كما نسيت التعريف بشخصية الرسول وعلاقة القرابة بين الرسول والقوم.

هذا ما يتعلق بدلالة المقاطع في القرآن الكريم، فما هي دلالة المقاطع في الجدل القرآني؟

ذلك ما سوف نستنتجه من خلال تحليل مقاطع بعض المواقف الجدلية في القرآن.

المطلب الرابع: جدال هود مع قومه:

قال تعالى: «و ـَ/ يَا/ ق ـَ وْ/ م ـِ سْ/ ت ـَ غْ/ ف ـِ/ رُو/ ر ـَ بْ/ ب ـَ/ ك ـُ مْ/ ث ـُ مْ/ م ـَ/ تُو/ بُو/ ء ـِ/ ل ـَ يْ/ هـ ـِ/ ي ـُ رْ/ س ـِ/ ل ـِ سْ/ س ـَ/مَا/ ء ـَ/ ع ـَ/ ل ـَ يْ/ ك ـُ مْ/ م ـِ دْ/ رَا/ ر ـَ نْ/ و ـَ/ ي ـَ/ ز ـِ دْ/ ك ـُ مْ/ ق ـُ وْ/ و ـَ/ ت ـَ نْ/ ء ـِ/ لى/ ق ـُ وْ/ و ـَ/ ت ـِ/ ك ـُ مْ/ و ـَ/ لاَ/ ت ـَ/ ت ـَ/ و ـَ لْ/ ل ـَ وْ/ م ـُ جْ/ ر ـِ/ مِينْ/»[3].

المقاطع المفتوحة الطويلة: يَا – رُو – تُو – بُو – مَا – رَا – لى – لاَ (8 مقاطع).

المقاطع المقفلة: قَوْ – مِسْ – تَغْ –رَبْ – كُمْ – ثُمْ – كَيْ – يُرْ – لِسْ – كَيْ – كُمْ – مِدْ – رَنْ – زِدْ – كُمْ – قُوْ – تَنْ – قُوْ – كُمْ – وَلْ – لوْ – مُجْ – مِينْ (23 مقطعا).

المقاطع المفتوحة القصيرة: وَ – فِ – بَ – مَ – إِ – هِـ – سِ – سَ – أَ – عَ – وَ – يَ – وَ – إِ – وَ – تِ – وَ – تَ – تَ – رِ (20 مقطعا).

إذا تأملنا هذه الآية نجد أنها تتكون من مقاطع مفتوحة ومقاطع مقفلة، والمقاطع المقفلة أكثر من المقاطع المفتوحة وخصوصا الطويلة منها، فالمقاطع الطويلة (يَا – رُو – تُو – بُو – مَا – رَا – لى – لاَ) مناسبة لمقام النصح والوعظ وحث القوم على الإسراع إلى التوبة والإنابة إلى الله وعدم البقاء في الكفر والضلال، وعدم رفضها أو الارتداد عنها بعد تقبلها، ويدل هذا على شدة خوف هود من قومه فـ(يَا) تدل على التنبيه والنصح والوعظ، و(رُو – تُو – بُو) تدل على الأمر بالإسراع إلى التوبة، والمقطعان (مَا – رَا) يدلان على عدم البقاء في الكفر والضلال، والمقطعان (لى – لاَ) يدلان على عدم الارتداد عن الدين، وكأن بهود عليه السلام من خلال هذه المقاطع يقول لقومه أسرعوا إلى التوبة والإنابة، أما زلتم باقين على هذه الحال؟

---

1 - المصدر السابق ، المكان نفسه .

2 - المصدر نفسه ،م14 ، ج29، ص 131.

3 - سورة هود، الآية 52.

أما المقاطع المقفلة فإنها تجسد السرعة المطلوبة من قوم هود والتي من شأنها أن تكون سببا في سرعة استجابة الله لهم في تعجيل نزول المطر واستمراره وزيادة القوة إليهم، فالمقاطع (قَوْ – مِسْ – تَغْ –رَبْ – كُمْ – ثُمْ) تجسّد سرعة الاستغفار والتوبة المطلوبة، والمقاطع (كَيْ – يُرْ – لِسْ – كَيْ – كُمْ – مِدْ – رَنْ – زِدْ – كُمْ – قُوْ – تَنْ – قُوْ – كُمْ) تجسد سرعة استجابة الله لهم وتعجيل إنزال المطر المستمر وزيادة القوة إليهم، أما المقاطع المقفلة الأخيرة (وَلْ – لوْ – مُجْ – مِينْ) فتجسّد النهي عن عدم التسرع في رفض هذه الدعوة، أو عدم السرعة في الارتداد عن الدين، وجسّد هذا النهي أكثر تكرار اللام والواو، وتكرار المقطع (كُمْ) أربع مرات يدل على أن القوم إذا أسرعوا في الرجوع إلى الله وأخلصوا له العبادة فإن الله سيعجّل لهم بالنعم والآلاء والتي تكون خالصة لهم من دون الناس، وسبب دعوة هود عليه السلام قومَه بالإسراع إلى التوبة والاستغفار لكي يعجّل الله بإنزال المطر عليهم، وزيادة قومه أكثر من قوتهم «لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات، حراصاً عليه أشدّ الحرص، فكانوا أحوج شيء إلى الماء، وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو، مهيبين من كل ناحية، وقيل أرادوا القوة في المال، وقيل القوة على النكاح، وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحامهم»[1].

هذا ما يتعلق بهود عليه السلام وحرصه الشديد على قومه فماذا كان ردّ هؤلاء القوم؟

قال تعالى: «قَا/ لُو/ يَا/ هُو/ د ُ/ مَا/ جِ أْ/ ت َ/ نَا/ ب ِ/ ب َ يْ/ ي ِ/ ن َ/ ت ِ نْ/ و َ/ مَا/ ن َ حْ/ ن ُ/ ب ِ/ تَا/ ر ِ/ كِي/ آ/ ل ِ/ هـ َ/ ت ِ/ نَا/ ع َ نْ/ ق َ وْ/ ل ِ/ ك َ/ و َ/ مَا/ ن َ حْ/ ن ُ/ ل َ/ ك َ/ ب ِ/ مُو/ م ِ/ نِينْ/»[2]. (41 مقطعا).

المقاطع المفتوحة الطويلة: قَا - لُو - يَا – هُو – مَا – نَا – مَا – تَا – كِي – آ – نَا – مَا –مُو (13 مقطعا).

المقاطع المقفلة: جِئْ – بَيْ – نَحْ – عَنْ – قَوْ – نَحْ – نِينْ. (8 مقاطع).

المقاطع المفتوحة القصيرة: دُ – تَ – بِ – ي – نَ – وَ – نُ – بِ - رِ – لِ – هَ – تِ – ل – كَ – وَ – نُ – لَ – كَ – بِ – مِ. (20 مقطعا).

إذا أرهفنا سمعنا إلى هذا الرد من قبل القوم وركّزنا على المقاطع المفتوحة والمقفلة نجد أن هذه الآية تقابل الآية السالفة من حيث عدد المقاطع، فلقد رأينا في الآية السابقة أن عدد المقاطع المقفلة أكثر من المقاطع المفتوحة وخصوصا الطويلة منها، وهذا يدل دلالة واضحة على حرص هود على اجتثاث بذور الشرك من قلوب قومه، وحبّه الخير لهم، أما هذه الآية فإن المقاطع المفتوحة أكثر من المقاطع المقفلة، وهذا التقابل في عدد المقاطع يدل على التقابل في كلا الموقفين، فحرص هود على قومه قوبل باللامبالاة والتهاون، وتضييع المزيد من الوقت، والمبالغة في الإصرار والتمادي في طريق الضلال، والتثاقل والرفض الصريح لما دعاهم إليه نبيّهم هود عليه السلام، والجهر بهذا الرد السلبي وهذا ما جسّده تكرار المقطعين المفتوحين الطويلين الممدودين بالألف (مَا، نَا)، والميم والنون هما من أشباه الصوائت لشدّة جهرهما، فإذا أمدّا بالألف يزدادان جهرا على جهر، فالمقطع (مَا) يدلّ على جهرهم في رفضهم للدعوة وتماديهم في غيّهم، و(نَا) يدلّ على إجماعهم على هذا التمادي وافتخارهم به، وإطالة المدّ يدلّ على التثاقل والمزيد من تضييع الوقت، أمّا المقاطع الأخرى (قَا - لُو - يَا – هُو – مَا – نَا – مَا – تَا – كِي – آ –مُو) فإنها تجسّد هذا الرفض المطلق

---

1 - الزمخشري: الكشاف، م2، ص 386-387.

2 - سورة هود، الآية 53.

انطلاقا بالمقاطع (قَا - لُو - يَا – هُو) المفيدة لتيئيس هود، ونصحه بعدم المبالغة والحرص في الموعظة «وافتتاح كلامهم بالنداء يشير إلى الاهتمام بما سيقولونه وأنه جدير بأن ينتبه له لأنهم نزّلوه منزلة البعيد لغفلته فنادوه، فهو مستعمل في معناه الكنائي أيضا، وقد يكون مرادا منه مع ذلك توبيخه ولومه فيكون كناية ثانية»[1]، وهذا البعد الذي جسدته (يَا) المفيدة للنداء تدل على بعد نواياهم من نواياه، والمقاطع الباقية (تَا – كِي – آ –مُو) تدل على إصرارهم على عدم ترك آلهتهم والتشبث بها ونفيهم التقيد بما أمرهم به هود، أما المقاطع المقفلة (جِئْ – بَيْ – نَحْ – عَنْ – قَوْ – نَحْ – نِينْ) تدل على شدة إسراعهم في تكذيبه ورفع أنفسهم وتنزيهها عن قبولها الإيمان، وجسّد هذا المعنى أكثر تكرار المقطع (نَحْ) مرتين إضافة إلى المقطع (عَنْ) والمقطع المقفل الطويل (نينْ).

المطلب الخامس: نموذج آخر لجدال هود مع قومه:

قال تعالى: «ء ـَ/ و ـَ/ ع ـَ/ ج ـِ بْ/ ت ـُ مْ/ ء ـَ نْ/ جَا/ ء ـَ/ ك ـُ مْ/ ذ ـِ كْ/ ر ـُ نْ/ م ـِ رْ/ ر ـَ بْ/ ب ـِ/ ك ـُ مْ/ عـَ/ لى/ ر ـَ/ ج ـُ/ ل ـِ نْ/ م ـِ نْ/ ك ـُ مْ/ ل ـِ/ ي ـُ نْ/ ذ ـِ/ ر ـَ/ ك ـُ مْ/ و ـَ ذْ/ ك ـُ/ رُو/ ء ـِ ذْ/ ج ـَ/ ع ـَ/ ل ـَ/ ك ـُ مْ/ خ ـُ/ ل ـَ/ فَا/ ء ـَ/ م ـِ مْ/ ب ـَ عْ/ ق ـَ وْ/ م ـِ/ نُو/ ح ـِ نْ/ و ـَ/ زَا/ د ـَ/ ك ـُ مْ/ ف ـِ لْ/ خ ـَ لْ/ ق ـِ/ ب ـَ سْ/ ط ـَ/ ت ـَ نْ/ ف ـَ ذْ/ ك ـُ/ رُو/ آ/ لا/ ء ـَ لْ/ لا/ ه ـِ/ ل ـَ/ ع ـَ لْ/ ل ـَ/ ك ـُ مْ/ ت ـُ فـْ/ ل ـِ/ حُونْ/»[2] (71 مقطعا).

المقاطع المفتوحة الطويلة: جَا - لى - رُو - فَا - نُو - زَا - رُو - آ - لاَ - لاَ (10 مقاطع)

المقاطع المقفلة: جِبْ – تُمْ – أَنْ – كُمْ – ذِكْ – رُنْ – مِرْ – رَبْ – كُمْ – لِنْ – مِنْ – كُمْ – يُنْ – كُمْ – وَذْ – إِذْ – كُمْ – مِمْ – بَعْ – قَوْ – حِنْ – كُمْ – فِلْ – خَلْ – بَسْ – تَنْ – فَذْ – أَلْ – عَلْ – كُمْ – تُفْ – حُونْ (32 مقطعا).

المقاطع القصيرة: أ – وَ – عَ – أ – بِ – عَ – رَ – جُ – لِ – ذِ – رَ – كُ – جَ – عَ – لَ – خُ – لَ – أ – دِ – مِ – وَ – دَ – قِ – طَ – كُ – هِـ – لَ – لَ – لِ (29 مقطعا).

تتكون هذه الآية من (71 مقطعا) منها (32 مقطعا) مقفلا، و(10 مقاطع) طويلة، وباقس المقاطع قصيرة، وعلة كثرة عدد المقاطع المقفلة هو مقام الزجر والتأنيب والتذكير بنعم الله على عاد لأنه عادا كفروا ربّهم وجحدوا النعم التي أسبغها الله عليهم، ومن هذه المقاطع (جِبْ– أَنْ – كُمْ – ذِكْ – رُنْ – مِرْ – رَبْ – كُمْ...) فهذا الكلام المتقطع وهذه الوقفات المتكررة المتسلسلة والتي تكاد أن تكون كلها جنبا إلى جنب (جِبْ – تُمْ – أَنْ) – (كُمْ – ذِكْ – رُنْ) – (لِنْ – مِنْ – كُمْ) – (فِلْ – خَلْ) يريد هود من خلالها أن يستوقفهم، ويستمهلهم لئلاّ يذهبوا بعيدا بطغيانهم وعتوّهم وجبروتهم، ويشعرهم بجدية الأمر، ويذكرهم بألطاف الله عزّ وجلّ عليهم، وتكرار المقطع (كُمْ) سبع مرات يعدّ أكبر دليل على اهتمام الله عز وجلّ بهؤلاء القوم ورحمته بهم وزادهم بسطة في الناس "بأن جعلهم أفضل منهم فيما تتفاضل به الأمم من الأمور كلها فيشمل رجحان العقول وقوة الأجسام، وسلامتها من العاهات والآفات وقوة البأس"[3].

وممّا ساعد المقاطع المقفلة في تصوير معاني الزجر والتأنيب والتذكير بنعم الله، وجود بعض المقاطع المفتوحة القصيرة جنبا إلى جنب دون أن يفصل بينهما فاصل، وهي (أ – وَ – عَ)، (جَ – عَ – لَ) فالمقاطع (أ – وَ – عَ) تدل على شدة استنكار هود عليه السلام مما آل إليه

1 - الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م6، ج12، ص 97.
2 - سورة الأعراف، الآية 69.
3 - الطاهر بن عاشور : التحرير، م5، ج8، ص 206.

وضع القوم من الجحود والإنكار، والمقاطع (جَ – عَ – لَ) تدل على الرغم من ذلك أن الله لم يهملهم ولم يتركهم، بل جعل النعم تترى عليهم منكل جانب.

وأما المقاطع المفتوحة الطويلة فهي قليلة جدا، جاءت هي الأخرى ضمن سياق التأنيب والتذكير بنعم الله (جَا - لى - رُو - فَا - نُو - زَا - رُو - آ - لاَ – لاَ) فهذه المقاطع الطويلة وخصوصا الممدودة بالألف تذكرهم بطبيعة هذه النعم، وهي: (مجيء الرسول من بني جلدتهم، ومن أقرب الناس إليهم، وبلغهم الرسالة، خلافتهم لقوم نوح، وزيادة القوم بسطة في العقل والجسم) وأما المقاطع الطويلة الممدودة بالواو (رُو – نُو – رُو) فتدل على أمر هود قومه بالعودة إلى الله والإنابة إليه، والموضوع الغالب في هذه الآية التذكير بنعم الله تعالى، وهذا من وسائل الجدل القرآني، وهذه الوقفات المتتالية الكثيرة التي استوقف هود قومه فيها تدل على شدة غفلة هؤلاء القوم و"لأن النفس تنسى النعم فتكفر المنعم، فإذا تذكرت النعمة رأت حقا عليها أن تشكر المنعم، ولذلك كانت مسألة شكر المنعم من أهم وسائل التكليف"[1]، فكانت هذه المقاطع المقفلة التي عاضتها المقاطع الطويلة والقصيرة مناسبة لهذا الأسلوب المتمثل في تذكير القوم بأنعم الله عليهم، وكثرة المقاطع المقفلة مناسبة لكثرة القلوب الغافلة المغلفة المقفلة.

المطلب السادس: جدال إبراهيم لأبيه:

قال تعالى: «يَا/ ءَ/ بَ/ تِ/ لِ/ مَ/ تَ ـَ عْ/ بُ/ دُ/ مَا/ لاَ/ يَ ـَ سْ/ مَ/ عُ/ وَ/ لاَ/ يُ ـُ بْ/ صِ/ رُ/ وَ/ لاَ/ يُ ـُ غْ/ نِ/ عَ ـَ نْ/ كَ/ شَ ـَ يْ/ ءَا/»[2].

إن عدد المقاطع في هذه الآية (27 مقطعا) منها ستة مقاطع مفتوحة طويلة، وستة مقاطع مقفلة، والباقي مقاطع مفتوحة قصيرة.

نلاحظ أن عدد المقاطع الطويلة المفتوحة يساوي عدد المقاطع المقفلة، وهذا مناسب لمقام التنبيه والنصح والتوجيه، والمقاطع المفتوحة الطويلة هي (يَا – مَا – لاَ – لاَ – لاَ – آ)، وتكرار المقطع (لاَ) ثلاث مرات متتالية يفيد تنبيه الأب بحقيقة الأصنام التي يعبدها، ونفي كل ما من شأنه أن يكون سببا في عبادتها، والمقطع (يَا) فإنه يفيد تنبيه السامع وإحضار ذهنه لما سوف يقال له، أما المقاطع المقفلة (تَعْ – يَسْ – يُبْ – يُغْ – عَنْ – شَيْ) جاءت لتجسد حقيقة هذه الأصنام المتصفة بكونها جامدة، صمّاء، عمياء، فقيرة، وعاجزة؛ فالمقطع (تَعْ) يدل على جمود الأصنام، و(تَسْ) يدل على صممها، و(تُبْ) يدل على عميها، و(تُغْ) يدل على فقرها وعجزها عن الحركة. ومن ثمّ فدلالة المقاطع الممدودة هو التنبيه بحقيقة الأصنام، والمقاطع المقفلة تجسّد هذه الحقيقة.

هذا نموذج من مجادلة إبراهيم لأبيه، نكتفي به ونترك النماذج الأخرى وننتقل مباشرة إلى جواب الأب لابنه بعد هذه التوجيهات والنصائح.

قال تعالى: «قَا/ لَ/ ءَ/ رَا/ غِ/ بُ ـُ نْ/ ءَ ـَ نْ/ تَ/ عَ ـَ نْ/ آ/ لِ/ هَـ/ تِي/ يَا/ ءِ ـِ بْ/ رَا/ هِيمْ/ لَ/ ءِ ـِ لْ/ لَ ـَ مْ/ تَ ـَ نْ/ تَ/ هِـ/ لَ/ ءَ ـَ رْ/ جُ/ مَ ـَ نْ/ نَ/ كَ/ وَ ـَ هْ/ جُ ـُ رْ/ نِي/ مَ/ لِ/ يَا/»[3] (32 مقطعا).

المقاطع الطويلة: رَا – آ – تِي – يَا – رَا - يَا (6 مقاطع).

---

1 - المصدر السابق، م5، ج8، ص 204.

2 - سورة مريم، الآية، 42.

3 - سورة مريم، الآية 46.

المقاطع المقفلة: بُنْ – أنْ – عَنْ – إبْ – هِيمْ – إلْ – لَمْ – تَنْ – أرْ – مَنْ – وَهْ – جُرْ. (12 مقطعا).

المقاطع القصيرة: أ – غ – ل – هـَ – لَ – تَ – هـِ – لَ – جُ – نَ – كَ – مَ – ل (14 مقطعا).

إذا تأملنا هذه المقاطع نجد أنّ المقاطع المقفلة أكثر من المقاطع المفتوحة الطويلة، وهذا مناسب لمقام التهديد والوعيد الغالب في ردّ آزر، أمّا المقاطع المفتوحة الطويلة القليلة والتي وردت كلها في مقدمة ردّه مناسبة لمقام التنبيه عن الخطر المحدق بإبراهيم، وكأن المقاطع المفتوحة الطويلة تمهّد للمقاطع المقفلة، والتنبيه يمهّد للتهديد والوعيد، وأبرز المقاطع المفتوحة الطويلة الواردة في المقدمة (رَا – آ – تِي – يَا – رَا)، فالمقطع (رَا) تكرّر مرّتين وهو من الأصوات الشبه الصائتة لشدّة جهره، ويوصف بأنه صوت مكرّر، ودلالة هذا المقطع تدل على شدّة تعجّب آزر من رغبة إبراهيم عن الأصنام، ومدّ الراء الأول يدل على تعجّب آزر من هذا الموقف، ومدّ الراء الثانية يدلّ على تعجّب آزر من صاحب هذا الموقف وكونه ابنه، "ولله درّه أنّ أبا إبراهيم ينكر على إبراهيم تمكّن الرغبة عن آلهتهم من نفسه ويهتمّ بأمر الرغبة عن الآلهة لأنها موضع عجب"1.

والمقطع (آ) عبارة عن همزة ممدودة بالألف ويدلّ على تعجّب آزر من مساس شيء مقدس عنده هو الآلهة، والمقطع (تِي) الطويل الممدود بالياء يدل على شدّة ارتباط الأب بالآلهة وتمسكه بها وتعظيمها وتقديسها والميل إليها، ومن أبرز هذه المقاطع المقطع (يَا) المفيد للنداء "وللنداء في قوله (يا إبراهيم) تكملة لعملية الإنكار والتعجب، لأن المتعجب من فعله مع حضوره يقصد بندائه تنبيهه على سوء فعله، كأنه في غيبة عن إدراك فعله، فالمتكلم ينزّله منزلة الغائب فيناديه لإرجاع رشده"2.

أما المقاطع المقفلة (بُنْ – أنْ – عَنْ – إبْ – هِيمْ) تؤكد ما دلت عليه المقاطع الطويلة من شدة التعجب المنكر لما صدر عن إبراهيم. أما المقاطع المقفلة الباقية (إلْ – لَمْ – تَنْ – أرْ – مَنْ – وَهْ – جُرْ) فتدل على التهديد والوعيد بالمصير السيئ الذي سوف يلقاه إبراهيم إن استمرّ على ذلك ولم يرعو، وخصوصا المقاطع الأربعة المقفلة الأخيرة (أرْ – مَنْ – وَهْ – جُرْ)، فالمقطعان (أرْ – مَنْ) يدلان على لامبالاة الأب واستطاعته قتل ابنه برميه ورجمه بالحجارة لأن "الرجم الرسمي بالحجارة، وهي كناية مشهورة في معنى القتل بذلك الرمي"3، وورود المقطعين (وَهْ – جُرْ) جنبا إلى جنب يدل على سرعة الأب في إبعاد ابنه وخلعه و"قطع المكالمة، وقطع المعاشرة، وإنما أمر أبو إبراهيم ابنه بهجرانه، ولم يخبره بأنه هو يهجره يدل على أنّ هذا الهجران في معنى الطرد والخلع إشعارا بتحقيره"4.

المطلب السابع: جدال شعيب مع قومه:

قال تعالى: «يَا/ ق ـَ وْ/ م ـِ عْ/ ب ـُ/ د ـُ لْ/ لاَ/ هـ ـَ/ مَا/ لـَ/ ك ـُ مْ/ م ـِ نْ/ ء ـِ/ لاَ/ هـ ـِ نْ/ غ ـَ يْ/ ر ـُ/ هـ ـُ/ ق ـَ دْ/ جَا/ ء ـَ تْ/ ك ـُ مْ/ ب ـَ يْ/ ي ـِ/ ن ـَ/ ت ـُ نْ/ م ـِ رْ/ ر ـَ بْ/ ب ـِ/ ك ـُ مْ/ ف ـَ/ ء ـَ وْ/ ف ـُ لْ/ ك ـَ يْ/ ل ـَ/ و ـَ لْ/ مِي/ زَا/ ن ـَ/ ب ـِ لْ/ ق ـِ سْ/ ط ـِ/ و ـَ/ لاَ/ ت ـَ بْ/ خ ـَ/ س ـُ نْ/ نَا/ س ـَ/ ء ـَ شْ/ يَا/ ء ـَ/ ه ـُ مْ/ و ـَ/ لاَ/ ت ـُ فْ/ س ـِ/ دُو/ ف ـِ لْ/ ء ـَ رْ/ ض ـِ/ ب ـَ عْ/ د ـَ/ ء ـِ صْ/ لاَ/ ح ـِ/ هَا/ ذَا/ ل ـِ/ ك ـُ مْ/ خ ـَ يْ/ ر ـُ نْ/ ل ـَ/ ك ـُ مْ/ ء ـِ نْ/ ك

---

1 - الطاهر بن عاشور :التحرير، م8، ج16، ص 119.

2 - المصدر السابق، م8، ج16، ص 120.

3 - المصدر نفسه .

4 - المصدر نفسه.

ـُ نْ/ ت ـُ مْ/ م ـُ ؤْ/ م ـِ/ نِينْ/ و ـَ/ لاَ/ ت ـَ قْ/ ع ـُ/ دُو/ ب ـْ/ ك ـُ لْ/ ل ـِ/ ص ـِ/ رَا/ ط ـِ نْ/ تُو/ ع ـِ/ دُونْ/ و ـَ/ ت ـَ/ ص ـُ دْ/ دُو/ ن ـَ/ ع ـَ نْ/ س ـَ/ بِي/ ل ـِ لْ/ لاَ/ ه÷ ـِ/ م ـَ نْ/ آ/ م ـَ/ ن ـَ/ و ـَ/ ت ـَ ب ـْ/ غُو/ ن ـَ/ هَا/ ع ـِ/ و ـَ/ ج ـَ نْ/ و ـَ ذْ/ ك ـُ/ رُو/ ء ـِ ذْ/ ك ـُ نْ/ ت ـُ مْ/ ق ـَ/ لِي/ ل ـَ نْ/ ف ـَ/ ك ـَ ثْ/ ث ـَ/ ر ـَ/ ك ـُ مْ/ و ـَ نْ/ ظ ـُ/ رُو/ ك ـَ يْ/ ف ـَ/ كَا/ ن ـَ/ عَا/ ق ـِ/ ب ـَ/ ت ـُ لْ/ م ـُ فْ/ س ـِ/ دِينْ»1.

المقاطع المقفلة: قوْ – مِعْ – دُلْ – كُمْ – مِنْ – هِنْ – غَيْ – قدْ – أتْ – كُمْ – بَيْ – نُنْ – مِرْ – رَبْ – كُمْ –أوْ – فُلْ – كَيْ – وَلْ – تُبْ – سُنْ – أشْ – هُمْ – تُفْ – فِلْ – أرْ – بَعْ – إصْ – كُمْ – خَيْ – رُنْ – كُمْ – إنْ – كُنْ – تُمْ – مُؤْ – نِينْ – تَقْ – كُلْ – تُمْ – لَنْ – كَثْ – كُمْ – وَنْ – كَيْ – تُلْ – مُفْ – دِينْ. (59 مقطعا).

المقاطع المفتوحة الطويلة: يَا – لاَ – مَا – لاَ – جَا – زَا – لاَ – نَا – يَا – لاَ – دُو – لاَ – هَا – ذَا – لاَ – دُو – رَا – تُو – دُو – بِي – لاَ – آ – غُو – هَا – رُو – لِي – رُو – كَا – عَا. (29 مقطعا).

المقاطع المفتوحة القصيرة: بُ – هَ – لَ – إِ – رُ – هُ – ي – نَ – بِ – فَ – لَ – نَ – وَ – سَ – أ – وَ – سِ – ضِ – دَ – حِ – لِ – لَ – مِ – وَ – غُ – بِ – لِ – صِ – عِ – وَ – تَ – نَ – سَ – هِـ – مَ – نَ – وَ – نَ – ع – وَ – كُ – قَ – فَ – ثَ – رَ – فَ – نَ – ق – بَ – سِ. (50 مقطعا).

إذا أرهفنا سمعنا للمقاطع الموجودة في الآيتين نجد أن عدد المقاطع المقفلة أكبر من المقاطع المفتوحة القصيرة والطويلة، إذ أن عدد المقاطع المقفلة (59 مقطعا)، وعدد المقاطع المفتوحة القصيرة (50 مقطعا)، وعدد المقاطع المفتوحة الطويلة (29 مقطعا)، وكثرة المقاطع من جهة واختلافها من جهة أخرى يدل على تعدّد المقامات والسياقات والمضامين وأساليب المخاطبة، وهذا راجع إلى "أنّ البشر في ذلك العصر (عصر شعيب) قد تطورت نفوسهم تطورا هيأهم لقبول الشرائع الفرعية، فإ، دعوة شعيب عليه السلام كانت أوسع من دعوة الرسل من قبله هود وصالح عليهما السلام، إذ كان فيها تشريع أحكام فرعية"2، ومن ثمّ فلم تقتصر دعوة شعيب على عبادة الله ونبذ الشرك والتوبة إلى الله، بل تعدّت إلى تصحيح بعض الأخطاء والانحرافات السلوكية والمعاملاتية، والنهي عن التعدي على الغير "وحاصل ما أمر به شعيب عليه السلام قومه بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاثة أصول هي حفظ حقوق المعاملة المالية، وحفظ نظام الأمة ومصالحها، وحفظ حقوق حرية الاستهداء"3، ويتفرع عن هذه الأصول إيفاء الكيل وعدم بخس الناس أشياءهم والناس المقصود بهم الباعة، وعدم الإفساد فبالأرض، والنهي عن التعرض للناس في الطرقات، ومنع من يرغب في إصلاح نفسه، وإيعادهم بالشر، ووصفهم دعوة شعيب بالبطلان4، ولا بدّ من الجدّية الكثيرة والحزم القويّ والحرص الشديد والصرامة المتناهية والإخلاص المتفاني لتصحيح هذه السلوكيات المنحرفة وتقويم هذا الاعوجاج والحيلولة دون انتشاره وتفشيه، حفاظا على "هناء العيش واستقرار الأمن وصفاء الودّ بين الأمّة وزوال الإحن المفضية إلى الخصومات والمقاتلات، فإذا تمّ ذلك كثرت الأمة وعزّت وهابتها أعداؤها وحسنت أحدوثتها، وكثر مالها بسبب رغبة الناس في التجارة والزراعة لأمن صاحب المال من ابتزاز ماله، وفيه خير

---

1 - سورة الأعراف، الآية 85، 86.
2 - الطاهر بن عاشور :التحرير، م5، ج8، ص 241.
3 - المصدر نفسه، م5 ، ج 8 ،ص 243.
4 - ينظر المصدر السابق، م5، ج8، ص 145-247.

الآخرة لأن ذلك إن فعلوه امتثالا لأمر الله تعالى بواسطة رسولهم أكسبهم رضا الله فنجوا من العذاب وسكنوا دار الثواب"1.

ولقد جاءت المقاطع المقفلة لتجسّد مواقف الجد والحزم والحرص (قَوْ - كُمْ– مِنْ – هِنْ – غَيْ – قَدْ – أَتْ – كُمْ – بَيْ – ثُنْ – مِرْ – رَبْ – كُمْ –أَوْ – فُلْ – كَيْ – وَلْ – ثُبْ – أَشْ – هُمْ – ثُفْ – بَعْ – إِصْ – تَقْ – كُلْ – طِنْ – دُونْ – تَبْ – جَنْ – صُدْ) فهذه المقاطع المقفلة تدعو القوم إلى الالتجاء إلى الله وعبادته والتزام الحدود والتقيد بها وعدم تجاوزها والعفّة المطلقة، والعدل والإنصاف المتفاني في معاملة الغير، وخصوصا المقاطع (فُلْ – ثُبْ – أَشْ – ثُفْ – بَعْ – تَقْ – طِنْ – دُونْ – صُدْ – جَنْ).

أما المقاطع الطويلة وخصوصا الممدودة بالألف فتدل على الأمر بالتزام الحدود والنهي عن تجاوزها وهي (يَا – لاَ – مَا – لاَ – لاَ – نَا – يَا – لاَ – هَا) فهذه المقاطع الطويلة تدل على أمر قوم شعيب بإيفاء الكيل والميزان وتنهى عن بخس الناس أشياءهم والإفساد في الأرض والقعود في الطرقات والتعرض للمارة بالأذى.

وتكرار المقطعين (كُمْ – ثُمْ) بصفة مكثفة يدل على إخلاص شعيب في إمحاض النصح لقومه واهتمامه بهم والإشفاق عليهم والحرص على تربية نفوسهم، وتذكيرهم بنعمة تكثير الله إياهم، ومعناها "تيسيره أسباب الكثرة لهم بأن قوّى فيهم قوّة التناسل وحفظهم من أسباب الموت، ويسّر لنسلهم اليفاعة حتّى كثرت مواليدهم وقلّت وفياتهم، فصاروا عددا كثيرا من زمن لا يعهد في مثله مصير أمة إلى عددهم".

ولقد وردت مجموعة من المقاطع المغلقة جنبا إلى جنب دون فاصل بينها، وهي (هِنْ - غَيْ)، (أَتْ – كُمْ)، (ثُنْ – مِرْ – رَبْ)، (أَوْ – فُلْ – كَيْ)، (فِلْ – أَرْ)، (كُنْ – ثُمْ) فهذه المجموعات من المقاطع المقفلة زادت من حدّة الصرامة والحزم والحرص الشديد بأمر القوم على الإقبال على الله وإيفاء الكيل والميزان، ونهيهم عن الإفساد في الأرض بكافة أنواعه، وإظهار الاهتمام بهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم، وتحذيرهم من مغبة الإصرار على هذه السلوكيات المنحرفة.

المبحث الثامن: النبر ودلالته في الجدل القرآني:

تمهيد:

حينما يتحدث الإنسان بلغته يعمد في العادة إلى الضغط على أحد المقاطع من مقاطع الكلمة، أو إحدى الكلمات من الجملة لقصد إبرازها وإيضاحها في السمع من غيره من المقاطع الأخرى أو غيرها من الكلمات الأخرى، ويطلق على هذا الضغط اسم النبر.

فالنبر2 هو "وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات أو المقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم"3. ويمكن تفسير كيفية حدوث النبر من الناحية النطقية بأنه "نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد، فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطا كبيرا، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين، ويقترب أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع، هذا في حالة الأصوات المجهورة، أما مع الأصوات

---

1 - ينظر المصدر السابق، م 5، ج8، ص 245، 246، 247.

2 - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 169.

3 - ولقد سماه السعران البروز أو الجهارة، ويسميه أيضا الارتكاز، ينظر السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 188-189.

المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما مع الصوت المهموس غير المنبور، وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء، وكذلك يلاحظ مع الصوت المنبور نشاط في أعضاء النطق الأخرى كأقصى الحنك واللسان والشفتين، ولكنّا حين النطق بالصوت المنبور نلحظ فتورا في أعضاء النطق... وكذلك نلحظ أن الوضع اللساني يكون أقل دقة وإحكاما، ويضعف نشاط الحركة في الشفتين، ويترتب عن كل هذا الخمول في عضلات النطق أن يقلّ وضوح الصوت في السمع، وينخفض الصوت فيصعب تمييزه من مسافة عندما يمكن تمييز الصوت المنبور"[1].

ومن هنا نستنتج أن النبر حدث صوتي يكتسي أهمية بالغة في النطق الإنساني والنبر لا يقتصر وجوده في لغة معينة بل هو موجود في كل اللغات، إلا أن موضع النبر وأهميته الدلالية يختلف من لغة إلى أخرى، ومنها ما يخضع لقواعد معينة كالعربية والفرنسية، ومنها ما لا يخضع لقاعدة ما كالإنجليزية.

المطلب الأول: النبر في اللغة العربية:

ولقد عبّر عن النبر في اللغة العربية عند علماء اللغة القدامى بمسميات مختلفة "كالهمز، العلو، الرفع، مطل الحركات، الارتكاز، الإشباع، المد، التوتر، التضعيف، وكلها تفضي إلىمستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعا للسياق وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي"[2].

أما ما يتعلق بالنبر وعلاقته بالهمز فإن العرب القدامى يطلقون مصطلح النبر ويريدون به الهمز، يقول ابن سينا معرّفا النبر "حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير"[3]، وهذا التعريف يدل أن العرب لم يفرّقوا بين النبر والهمز، بل عدّوهما معنى واحدا وهو الضغط والارتكاز.

عن أبي زيد الأنصاري أنه قال: "أهل الحجاز وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون (لا يهمزون) وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا"[4]، قال ابن منظور: "لمّا حجّ المهدي قدم الكسائي يصلي بالمدينة، فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه فقالوا: تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالقرآن"[5]، وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم: يا نبيء الله. فقال له: "لا تنبر اسمي، أي لا تهمز"[6].

ومن هنا يتضح أن النبر يكافئ الهمز عند العرب لأن النطق بالهمزة يستدعي نشاط من أعضاء النطق كالرئتين، عضلات الصدر، أقصى الحنك، الشفتين، اللسان، مما يؤدي إلى اتساع الذبذبات الصوتية[7]، "فالأساس في هذا الصوت (أي الهمزة) هو الضغط والهتّ والنبر، وعلى هذا يمكننا القول إن الهمز نوع من أنواع النبر، ويخضع ذلك إلى رغبات المتكلمين ولكن في استشهارها الصوتي يبدو أن مهمتها الوظيفية هي التطويل والتمديد للصائت القصير الذي يقع قبلها على الصامت وإذا صح هذا الاستنتاج فإن ذلك من مهام

---

1 - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 169-170.
2 - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 240.
3 - رسالة أسباب حدوث الحروف، القاهرة، 1302هـ، ص 72.
4 - إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، القاهرة، 1973، ص 78-79.
5 - المرجع نفسه، المكان نفسه.
6 -المرجع نفسه ، المكان نفسه .
7 - ينظر عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 240.

الضغط والهتّ المكافئين من حيث الدلالة للنبر"[1]، فلنضرب مثلا لكلمة "السماء" فلا يمكن أن نمدّ الألف مدّا عاديا بل نطيل في المد وهذا لوجود الهمزة بعده.

ويعدّ ابن جنّي من أبرز اللغويين الذين تحدّثوا عن النبر بمصطلحات أخرى كالمطل والإشباع والامتداد والإطالة، يقول ابن جنّي عن مطل الحركات: "وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو"[2]، ولقد أعطى مثالا عن مطل الفتحة وإشباعها فقال: "وحكى عن الفراء عنهم: أكلت لحما شاةٍ، أرادلحمشاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا"[3].

أما عن مطل الحروف فيقول ابن جني: "والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوّته، وهي الألف والياء والواو، العم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت (بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهنّ غير مدغمات) ففيها امتداد ولين نحو قام، سربه، وحوت وكوز وكتاب..."[4].

وتحدّث عن مواضع ثلاثة يكون فيها امتداد للأصوات المصوتة أشدّ وتتمكن مدة إطالتها وهي ثلاثة وقوع الهمزة بعد المصوت، وقوع حرف مشدّد بعد المصوّت، والوقوف عليه عند التذكر[5]، "والهمزة نحو نساء ورداء و(حطيئة ورزيئة)، مقروءة ومخبوءة... وإنّما تمكن المدّ فيهنّ مع الهمز لأن الهمز حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ثم تماديت بهنّ نحو طلن، وشعن في الصوت فوفين له وزدن في (بيانه) و(مكانه) وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها وغير مشدّد"[6].

وأما ما يتعلق بمدّ الألف قبل الحرف المشدّ وسببه "أنهنّ سواكن وأول المد لين مع التشديد ساكن (التقاء المد وهو ساكن بالحرف الأول المشدّد) فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوّة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضا إليه تعلقا وذلك نحو شابّة ودابّة"[7].

وأمّا مدّ الألف عند التذكر "فنحو قولك أخواك ضربا، إذا كنت متذكرا للمفعول به أو الظرف أو نحو ذلك أي ضربا زيدا أو نحوه، وكذلك تمطل الواو إذا تذكرت في نحو ضربوا، إذا كنت تتذكر المفعول أو الظرف أو نحو ذلك: أي ضربوا زيدا، أو ضربوا يوم الجمعة قياما، فتتذكر الحال، وكذلك الياء في نحو اضربي، أي اضربي زيدا ونحوه"[8].

فالمطل أو بالأحرى النبر عند ابن جنّي هو زيادة الضغط وقوة الارتكاز بالإشباع إلا أن هذا الإشباع يكون:

- إما مراعاة لقواعد الأداء الصوتي حينما توجد بعض المعطيات لذلك كإطالة المدّ أكثر من المد العادي إذا وليته همزة (سماء، دعاء، نداء...) أو إذا لحقه حرف مشدّد (الضالّين، العادّين...).

- وإما قصد دلالة معينة من قبل المتكلم لينتبه إليها السامع كمثال مطل كلمة لحم فصارت

---

1 - المصدر نفسه، ص 250.
2 - ابن جنّي: الخصائص، ج3، ص 121.
3 - المصدر نفسه، ج3، ص 123.
4 - المصدر نفسه، المكان نفسه.
5 - المصدر نفسه، ج3، ص 125.
6 - المصدر نفسه، المكان نفسه.
7 - المصدر السابق، ج3، ص 126.
8 - المصدر نفسه، ج3، ص 128.

لحما، أو مدّ الألف لقصد التذكر ضربا،ضربوا، اضربي زيدا أو يوم الجمعة.

ولقد تحدث ابن جنّي مرة أخرى عن النبر في معرض حديثه عن حذف الصفة إن دلّ عليها دليل لفظي من السياق فيقول: "قولهم سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا ! ، فتزيد من قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك، وكذلك تقول سألناه فوجدناه سمحا أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا! وتزوي وجهك وتقطّ به، فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك، فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة"[1].

فالنبر الذي سماه ابن جنّي التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم،وتمكين الصوت لا يعدّ مراعاة لقاعدة معينة من قواعد الأداء الصوتي، وإنما يدلّ على دلالة معينة قصدها المتكلم لينبّه بها السامع.

وانطلاقا مما سبق يمكن تقسيم النبر إلى قسمين:

- نبر الصيغة تطبيقا لقاعدة صوتية معينة أو تطبيقا لقواعد النبر التي أوجدها العلماء.

- نبر دلالي (أو سياقي) وهو النبر على مقطع معين من الكلمة أو نبر كلمة من الجملة، وهذا النوع من النبر نسبي ولا يعدّ قاعدة مطلقة لأن الأغراض الكلامية والتوجهات الإنسانية هي التي تتحكم في النبر.

المطلب الثاني: أنواع النبر وقواعده في اللغة العربية:

1) نبر الصيغة:

لقد تحدث العلماء اللغويون عن قواعد النبر، أي كيف ومتى يتم النبر على بعض المقاطع الواردة في الكلام الإنساني، ولقد لخص إبراهيم أنيس هذه القواعد فقال: "ينظر أولا إلى المقطع الأخير فإن كان من النوعين الرابع أو الخامس (س ع ع س أو س ع س س) وكان هو موضع النبر، وإلا نظر إلى المقطع قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث (س ع ع أو س ع س) حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان من النوع الأول (س ع) نظر إلى ما قبله، فإن كان مثله (أي س ع) أي من النوع الأول كان النبر على هذا المقطع الثالث حين تعدّ من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين تعدّ من الآخر إلا في حالة واحدة وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول"[2].

فالنبر يقع على المقطع الأخير في مثل (نستعين = س ع س/ س ع/ س ع ع س) أو (ذاكرت = س ع ع/ س ع س س)، وعلى المقطع قبل الأخير مثل (تعلّم = س ع/ س ع س/ س ع س) و(يعادي = س ع/ س ع ع/ س ع ع)، كما يقع على المقطع الثالث من الآخر مثل (كتب = س ع/ س ع/ س ع) و(اجتمع = س ع س/ س ع/ س ع) وعلى المقطع الرابع من الآخر

1 - المصدر السابق، ج2، ص 370، 371.
2 - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 106.

مثل (بلحة = س ع/ س ع/ س ع/ س ع س) و(سمكة = س ع/ س ع/ س ع/ س ع س)[1].

ولقد قسّم اللغويون درجات النبر إلى[2]:

1 - نبر أولي.

2 – نبر ثانوي.

3 – نبر ضعيف.

وبنوا كل ذلك على أساس:

1 – ازدياد شدة الصوت.

2 – ارتفاع نغمته الإسماعية.

3 – امتداد مدته الإنتاجية.

أما النبر الأولي فهو ما تحدث عنه إبراهيم أنيس عند حديثه عن قواعد النبر الأربعة التي سبق الحديث عنها، وأما النبر الضعيف فهو النطق العادي للحرف، وأما النبر الثانوي فإنه "يوجد في الكلمات ذوات المقطعين فأكثر، فالمقطع المنبور نبرا ثانويا يمكن وجوده على مسافات محدّدة من النبر الأولي كما يأتي:

1) يقع الثانوي على المقطع الذي قبل المقطع المنبور نبرا أوليا إذا كان ذو النبر الثانوي طويلا مثل ضالّين، حاجّات...

2) يقع على المقطع الذي بينه وبين المنبور الأولي أحد الأنساق الآتية:

أ – مقطع متوسط + آخر متوسط (س ع س + س ع ع) مثل علّمناه، مستبقين، يستخفون.

ب – مقطع متوسط + مقطع قصير مثل مستقيم، مستعدّة، صاحبوهم.

3) ويقع على المقطع الثالث قبل المنبور نبرا أوليا إذا كانت الثلاثة السابقة لهذا المنبور الأولي تكون نسقا في صورة (متوسط + قصير + قصير أو متوسط) نحو مستحمّين، يستفيدون، ما عرفناهم، محتملوهم.

ولا يقع الضغط الثانوي على المقطع الرابع السابق للمنبور الأولي في الكلمة"[3].

وهناك من تحدّث عن قواعد النبر من حيث عدد المقاطع "فالكلمة التي تتألف من مقطع واحد يقع النبر فيها على نواة المقطع:

هذا => س ع ع.

مَن => س ع س.

والكلمة التي تتكون من مقطعين فإن النبر الرئيسي يقع على المقطع الأول ويأخذ الثاني نبرا ضعيفا: دارس => س ع ع/ س ع س.

والكلمة التي تتكون من ثلاثة مقاطع فإن النبر الرئيسي يقع على المقطع الثاني ويأخذ بقية المقاطع نبرا ضعيفا:

---

1 - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 106، 107 (بتصرف).

2 - ينظر عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 251، 252، وينظر أيضا السعوان: علم اللغة، ص 190، 191، وينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ج2، ص 211.

3 - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 195.

يُلاحق => س ع/ س ع ع/ س ع س.

اعتمد => س ع س/ س ع/ س ع س.

وهناك ما يسمّى بالنبر الاشتقاقي، وهذا النوع من المسمّى ينتقل وفق مكونات الصيغة الاشتقاقية للكلمة: كتب => س ع/ س ع/ س ع.

يكتب => س ع س/ س ع/ س ع.

كتابة => س ع/ س ع ع/ س ع.

مكتوب => س ع س/ س ع ع/ س ع"[1].

ويدخل ضمن قواعد نبر الصيغة النبر الصرفي الذي تحدث عنه الدكتور تمام حسان في معرض حديثه عن أنواع النبر فقال: "فالنبر الصرفي هو ما يحدّده الميزان الصرفي، فنحن إذا تأملنا كلمة فاعل نجد أن الفاء أوضح أصواتها لوقوع النبر عليها، وباعتبار هذه الصيغة ميزانا صرفيا نجد أن كل ما جاء على مثاله يقع عليه النبر بنفس الطريقة، مثل قاتل، وحابس، وناقل، ورابط... حتى الأمر في صيغة الفاعل كجاهدْ، وسافرْ، تقع في نموذج هذا الوزن فتلقى النبر على فاء الكلمة، ومثل ذلك أن صيغة مفعول وكل ما جاء على مثالها يقع النبر على عين الكلمة فيها، وما جاء على وزن مستفعل يقع النبر فيه على التاء، وهلمّ جرّا"[2].

2) نبر السياق:

إن نبر السياق لا علاقة له بنبر الصيغة وقواعدها غير أنه يتفق معها أحيانا في الموضع، وأي مقطع في المجموعة الكلامية سواء أكان في وسطها أو في آخرها صالح لأن يقع عليه هذا النوع من النبر[3]، فمثلا حينما ينهى المعلم التلميذ عن الكلام في القسم فيقول له: لا تتكلم في القسم، فـ(لا) هو مقطع واحد، ومن قواعد النبر في المقطع الواحد النبر على نواته (س ع ع)، فالمعلم حينما يؤكد على النهي فإنه ينبر على المقطع (لا) بشدة ومن ثمّ فالمقطع (لا) اتفق على نبره نبر القاعدة ونبر السياق، ويدخل ضمن نبر السياق نبر الجملة، ومعنى نبر الجملة هو الضغط على إحدى الكلمات لتوجيه دلالة الجملة وجهة معينة، وكلما كان الضغط على إحدى مكونات الكلمات أدّى إلى دلالة معينة فمثلا قوله تعالى: "أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ"[4] فهذه الآية يمكن أن نستخرج منها دلالات كثيرة كلما نبرنا إحدى كلماتها، فحينما يتم النبر على كلمة (أنت) في الآية فيعني أن القوم يشكّون في الفاعل إبراهيم أم غيره، وإذا تم النبر على الفعل (فعلت) فيعني أن القوم يشكّون أن إبراهيم فعل ذلك أم لم يفعل، وإذا نبر على اسم الإشارة (هذا) يشكّون في الطريقة التي تم بها تحطيم الأصنام، وحينما يتم النبر على كل كلمات الجملة مرة واحدة يعني أن القوم لم يعوا تمام الوعي بما حلّ بأصنامهم وتملكتهم الدهشة والحيرة، وهذا ما وقع للقوم بالفعل.

المطلب الثالث: النبر وقواعده في القرآن الكريم:

إن طبيعة النص القرآني من الناحية الأدائية أو التلاوة يختلف عن النصوص الأخرى نثرها وشعرها، والذي يريد أن يتلو القرآن عليه أن يكون ملمّا بقواعد التلاوة تعلّما وأداءً لكي يقرأ

---

1 - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 252.

2 - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 194-195.

3 - المصدر نفسه، ص 197.

4 - سورة الأنبياء، الآية 62.

القرآن قراءة صحيحة، وقبل أن يجتهد العلماء في وضع قواعد التلاوة الصحيحة كان الناس يقرؤون القرآن ومجوّدا على السليقة، ولكن حينما اختلط العرب بالعجم في عصر الفتوحات الإسلامية ما بعدها انتشر الخطأ واللحن في التلاوة، فاجتهد القرّاء والمجوّدون ووضعوا قواعد وأحكام التلاوة النموذجية للقرآن وسموه بفن الترتيل أو علم التجويد.

1 - تعريف فن الترتيل وعلم التجويد:

فن الترتيل هو "قراءة القرآن بتمهل، وإعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ وتوفية الغنّات، وتحقيق الهمزة، وتبيين الحروف، واعتماد الإظهار، والتشديدات، والترتيل والتجويد بمعنى واحد، وهو طريق عملي لرياضة الألسنة وتقويم الألفاظ، وبه نزل القرآن، قال تعالى: "وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً"1، وقال: "وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً"2، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحبّ أن يقرأ القرآن غضّا طريّا كما نزل"، "والتجويد في اللغة مأخوذ من أجاد الشيء يجيده، أي أتى به جيّدا، والجيد نقيض الرديء، وصيغة التفعيل منه جوّد يجوّد تجويدا، فهو بمعنى التحسين والتكميل والإتقان، وفي الاصطلاح هو إعطاء الحروف حقها من الصفات اللازمة لها ومستحقها من الأحكام التي تنشأ عن تلك الصفاتّ"3.

إذا قارنّا بين تعريف النبر في اللغة العربية وتعريف فن الترتيل نجد أنهما يتفقان في الهدف وهو النطق الصحيح للغة العربية والتلاوة الصحيحة للقرآن، فالذي لا يراعي في كلامه مثلا طول الصوت أو قصره فيطيل المد مكان القصر، أو يقصره في مكان المد يجعل المتكلم أجنبيا عن اللغة، وذلك لأهمية طول الصوت اللغوي في النطق الصحيح باللغة4، ومن ثمّ فإن للغة العربية قواعدها في النطق بها لا بد من تطبيقها كما أن للقرآن الكريم قواعد خاصة به يحتاجها القارئ عند إرادته تلاوة القرآن تلاوة صحيحة. كما يتفق التعريفان النبر والترتيل في كونهما يركزان على كيفية نطق بعض الحروف من غيرها أثناء الأداء، إلا أنّ التسميات تختلف، فالنبر يسمّي ذلك تركيزا وضغطا، والترتيل يسميه إشباعا ووفاء وتحقيقا وإظهارا وتشديدا، أما قواعد النبر ومواضعه في أي نص لغوي فتختلف عن النص القرآني لأن النص القرآني كما أسلفنا يختلف عن النصوص الأخرى لأنه غني وثري من الناحية الصوتية إذا قارنّاه بالنصوص الأخرى، ومن ثمّ فمواضع النبر وقواعده في النص القرآني كثيرة ومختلفة مقارنة بتلك النصوص.

2 - قواعد النبر في القرآن الكريم[5]:

إذا أردنا استخراج قواعد النبر في القرآن الكريم وجدناها كثيرة لذلك سوف نركز على أهم هذه القواعد دون الخوض في التفاصيل، وهي نبر غنة ونبر مد، فنبر الغنة يتعلق بأحكام النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة، أما نبر المد فيتعلق بالمدود وأنواعها وأحكامها.

2 – 1 - نبر غنة في بعض أحكام النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة:

أ) تعريف الغنة:"هي صوت لذيذ مركب في جسم النون والتنوين والميم إذا كانت ساكنة ولم تظهر، ومخرجها من الخيشوم، ولا عمل للسان في الصوت، وتمدّ الغنّة مقدار حركتين، الحركة بمقدار ما يقبض الإنسان إصبعه أو يبسطها بدون عجلة أو تأنّ"6، يعدّ صوت الغنة في بعض

---

1 - سورة الفرقان: الآية 32.

2 - سورة المزمل: الآية 04.

3 - مصطفى أكرور: حلية التلاوة، ط1، 1994، دار نجيب للطباعة والنشر، ص 29.

4 - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 154.

5 - سوف أعتمد في استخراج قواعد النبر من القرآن الكريم على كتاب حق التلاوة للأستاذ مصطفى أكرور.

6 - مصطفى أكرور: حق التلاوة، ص 33.

أحكام النون الساكنة والتنوين وأحكام الميم الساكنة من الظواهر الصوتية التي انفرد بها القرآن الكريم والتي يقع فيها نوع من الضغط والتركيز عند التلاوة أو عند السماع.

ب) مواضع نبر الغنة في بعض أحكام النون الساكنة والتنوين:

- نبر الغنة في حكم الإدغام1:

إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف في أول كلمة تليه مباشرة، وهذه الأحرف مجموعة في كلمة (ينمو) أو (يومن) ويسمّى هذا الإدغام ناقصا لبقاء الغنة فيه2.

أمثلة: - مِنْ نُورٍ: من~3/ نُو/ ر ـِ نْ/ - مِن مَّلْجَإٍ: مِم~/ مَلْ/ جَ/ ء ـِ نْ

- مِن وَّاقٍ: مِو~/ وَا/ ق ـِ نْ/ - إِن يَّقُولُونَ: إِي~/ يَ/ قُو/ لُو/ نَ

- نبر الغنة في حكم الإخفاء:4

إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإخفاء، وهي خمسة عشر حرفا: الصاد، الذال، الثاء، الكاف، الجيم، الشين، القاف، السين، الدال، الطاء، الزاي، الفاء، التاء، الضاد، الظاء5.

أمثلة:

- الصاد: يَنصُرُنِي: يَن≈6/ص ـُ/ر ـُ/نِي/ - الذال: أنذِرْ: أن≈/ذ ـِ رْ/
- الثاء: مِن ثَمَرِهِ: مِن≈/ث ـَ/م ـَ/ر ـِ/هـ ـِ/
- الكاف: إن كان: إن~/كَا/ن ـَ/ - الجيم: أَنْجَاهُ: أن~/جَا/هـ ـُ/
- القاف: مِن قَبْلِكُم:مِن~/ق ـَ بْ/ل ـِ/ك ـُ مْ - الشين: يُنشِئُ: يُن~/ش ـِ/ء ـُ/
- السين: عَنْ سَبِيلِ: عَن~/س ـَ/بِي/ل ـِ/ - الدال: عِنْدَ: عِن~/د ـَ/
- الطاء: يَنْطِقُونَص: يَن~/ط ـِ/قُونْ/ - الزاي: أَنْزَلَ: أن~/ز ـَ/ل ـَ/
- الفاء: أَنْفُسِهِمْ: أن~/ف ـُ/س ـِ/هـ ـِ مْ/ - التاء: أَنْتُمْ: أن~/ت ـُ مْ/
- الضاد: مِنْ ضَرِيعْ: مِن~/ض ـَ/ريعْ/ - الظاء: تُنْظِرُونْ: تُن~/ظ ـِ/رُونْ/

- نبر الغنة في حكم الإقلاب7:

إذا وليها حرف واحد وهو الباء.

مثال: أنبَتَكُمْ: أم / ب ـَ/ ت ـَ/ كُمْ.

- نبر الغنة في حكم التشديد:

يجب نبر الغنة في حالة النون المشدّدة سواء أكانت في كلمة واحدة أم في كلمتين. مثال:

إنَّهم: إن / نَ/ هُمْ/

إن نقُولُ: إن / نَ/ قُو / لُ/

جـ) مواضع نبر الغنة في بعض أحكام الميم الساكنة[8]:

- نبر الغنة في حكم الإخفاء:

إذا تلا الميم الساكنة حرف واحد هو الباء.

مثال: مَا أنتُم بِمُعجِزِين: أن / تُم / ب ـِ/ م ـُ عْ/ ج ـِ/ زِينْ/

---

1 - الإدغام لغة إدخال شيء في شيء آخر، واصطلاحا: هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشدّدا من جنس الثاني، مصطفى أكرور: حق التلاوة، ص 32.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص 33.

3 - رمزت إلى موقع الغنة في حكم الإدغام بهذا الرمز: ~

4 - الإخفاء لغة الستر، واصطلاحا هو إخفاء الحرف الأول في الحرف الثاني مع بقاء صفة الغنة وهو حالة بين الإظهار والإدغام، مصطفى أكرور: حق التلاوة، ص 34.

5 - - هذه الأحرف مجموعة في أوائل كلمات البيت التالي:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

6 - رمزت إلى موضع الغنة في حكم الإخفاء بهذا الرمز: ≈.

7 - الإقلاب لغة: تحويل الشيء عن وجهه، واصطلاحا قلب النون الساكنة أو التنوين ميما خالصة مخفاة بغنة، مصطفى أكرور، حق التلاوة، ص 34.

8 - ينظر المرجع نفسه، ص 36.

- نبر الغنة في حكم الإدغام:
إذا تلا الميم الساكنة حرف واحد هو (الميم).
مثال: فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ: ق ـُ/ لُو/ ب ـِ/ هـ ـِ مْ / م ـَ/ ر ـَ/ ض ـُ نْ/
- نبر الغنة في حكم التشديد:
يجب نبر الغنة إذا كانت الميم مشدّدة سواء أكانت في كلمة واحدة أم في كلمتين.
مثال: أَمَّا: أَمْ / مَا/
مَا لَهُم مِّن: مَا/ ل ـَ/ هُمْ / م ـِ نْ/

2 – 2 - نبر المد، أسبابه وأحكامه:

يعدّ من الظواهر الصوتية التي يقع فيها النبر والضغط والتركيز عند التلاوة ويصنّف ضمن المقاطع المفتوحة الطويلة التي سبق الحديث عنها، ويسمّى أيضا بالمقطع المتوسط، أما ما يتعلق بنبره فينبر عليه إذا وقع قبل المقطع الأخير من مقاطع الكلمة، وهو من أغلب المواضع التي يكثر عندها النبر في اللغة العربية[1]، "والمد في اللغة التطويل والإكثار والزيادة، أما في الاصطلاح فهو إطالة الصوت بحرف المد"[2]، والمد لا يقع إلا في ثلاثة حروف هي الألف والواو والياء، وهذا النوع من المد يسمّى مدّا عاديا أو طبيعيا أو أصليا أو مدّ الصيغة[3]، وهذا المد هو الذي تحدّث عن نبره علماء اللغة العربية إذا وقع قبل المقطع الأخير من الكلمة، أمّا في القرآن فإن المدّ قد يزاد في تمديده إذا اقتضى تمديده لسبب من الأسباب، ويختلف طول مدّه أو قصره باختلاف الأسباب المؤدية إلى ذلك.

أ) نبر المد بسبب الهمزة:

ينبر المد بالزيادة فيطوله أكثر من طول مدّه العادي إذا وقعت بعده همزة، وينقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث الحكم:

1- المد الواجب المتصل: "سمّي متصلا لاتصال الهمزة به في كلمة واحدة، وسمّي واجبا لأن القرّاء أجمعوا على وجوب مدّه وإن اختلفوا في مقدار مدّه لكن لم يرو عن أحد القول بقصره"[4].
مثال: جَاء: جا/ ء ـَ، سيءَ: سي/ ء ـَ، قروء: قُ/ رو/ ء ـُ نْ.

2- المد الجائز المنفصل: وسمي منفصلا لانفصال المد عن الهمزة ومجيء كل منها في كلمة، بحيث يكون المد في آخر الكلمة الأولى، وتكون الهمزة في أول الكلمة الثانية، ومعنى الجواز هو جواز قصره أو مدّه[5].
مثال: ها أنتم: ها/ ء ـَ نْ/ ت ـُ مْ، يا إبراهيم: يَا/ ء ـِ بْ/ رَا/ هِيمْ.

3- مدّ البدل: "وهو ما كان أصله همزتين قطعيتين، الأولى متحركة والثانية ساكنة في كلمة واحدة، فتبدّل الثانية حرف مد من جنس حركة الهمزة الأولى، فإن كانت الأولى مكسورة أبدلت الثانية ياءً، وإن كانت الأولى مضمومة أبدلت الثانية واواً، وإن كانت الأولى مفتوحة أبدلت الثانية ألفاً، نحو (آدم، آزر، أوتوا، إيمانا) إذ أصل هذه الكلمات (أأْدَمُ، أأْزَرُ، أُؤْتُوا، إِئْمَانًا)"[6]، أمّا مقدار مدّه فعند حفص مقدار حركتين (أي طبيعي)، وعند ورش القصر (حركتان)، التوسط (أربع حركات)، الطول (ست حركات)، وألحق بمدّ البدل كل ما جاء بعد همزة لم يكن أصله همزة ساكنة (مآبْ، يستهزئون، جاؤوا).

---

1 - ينظر إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 170.
2 - مصطفى أكرور: حق التلاوة، ص 53.
3 - ينظر المرجع نفسه ، المككان نفسه ،.
4 - المرجع نفسه، ص 54، ومعنى القصر هو المدّ بمقدار حركتين فقط.
5 - أما عن عاصم فالرواية بالمد بمقدار أربع حركات أو خمس، وذكر ابن الجزري أنه روي عن حفص من عدّة طرق قصره، وأما ورش فيكون مقدار المد ستّ حركات (الطول).المرجع نفسه، ص 54، 55.
6 - نفسه، ص 55.

مثال: آدم: ءَا/ دَمْ/ (طبيعي)، ء ا/دَمْ (التوسط أو الطول)[1].
مَئَآب : م ـَ/ ءَا/ بْ (القصر)، م ـَ/ ء ا/ بْ (التوسط أو الطول).

ب) نبر المد بسبب السكون:

- نبر المد بسبب السكون الأصلي:

ينبر هذا النوع من المدّ إذا جاء بعده سكون أصلي في كلمة لا ينفصل عنها وصلا ووقفا "ويسمّى بالمد اللازم للزوم السكون في الكلمة، وعدم انفكاكها عنها، ومقداره ست حركات نحو: الحاقة، ءامّين البيت، ولا الضّالّين... ونلاحظ أن الحرف المشدّد أصله حرفان متماثلان الأول ساكن والثاني متحرك"[2]. مثال: الحاقة: ء ـَ لْ/ حَآقْ/ ق ـَهْ. ولا الضّالّين: و ـَ/ لَضْ/ ضَآلْ/ لِينْ.

- نبر المد بسبب السكون العارض:

"وهو أن يأتي بعد حرف المدّ حرف متحرك بأي حركة كانت في حال الوصل، ثمّ يسكّن هذا الحرف عند الوقف، ويسمّى عارضا لعروضه بعروض السكون عند الوقف، ومقدار مدّه حركتان (القصر) وأربع حركات (التوسط) وستّ حركات (الطول)، نحو (مئآبْ، تَعْلَمُونَ^ص، مُنِيبٌ^ص)"[3] وهذا النوع من المدّ الذي ينبر عليه هو ما سمّي بالمقطع الزائد في الطول في تصنيف المقاطع من حيث الطول والقصر وهو من جنس (س ع ع س) وهو المقطع المنبور والذي يأتي عادة في آخر الكلمة،مثال: تَعْلَمُونَ^ص: ت ـَ عْ/ ل ـَ/ مُونْ، مُنِيبٌ^ص: م ـُ/ نِيبْ/.

"ويلحق بهذا مدّ اللّين وهو أن توجد الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلها مع الوقف على الحرف الذي بعدها، وحكمه عدم المد مطلقا حال الوصل"[4]، أما في حال الوقف فله أحكام كثيرة: القصر (حركتان)، التوسط (أربع حركات)، الإشباع (ست حركات)، الروم[5] والإشمام[6].

مثال: يُؤمنونَ^ص: ي ـُ ؤْ/ م ـِ/ نُونْ (القصر).
ي ـُ ؤْ/ م ـِ/ نُونْ (التوسط – الإشباع).
رَحِيمٍ^ص: ر ـَ/ حِيمْ (القصر).
ر ـَ/ حِيمْ (التوسط – الإشباع).
نَسْتَعِينُ^ص: ن ـَ سْ/ ت ـَ/ عِينْ (القصر).
ن ـَ سْ/ ت ـَ/ عِينْ (التوسط – الإشباع).

جـ) أحكام أخرى لنبر المد:

- نبر مدّ هاء الكناية:

هاء الكناية هي (ها) الضمير المتصل للمفرد الغائب وتأتي مع الحرف والفعل والاسم، وتنبر هاء الكناية نبر مدّ في بعض الأحوال، وهي:

أ) إذا وقعت بين متحركين، وحكمها أن تمدّ بواو مقدار حركتين إن كانت مضمومة، وبياء إن كانت مكسورة[7]، مثال: لَهُ عَابِدُون: ل ـَ/ هُو/ عَا/ ب ـِ/ دُونْ.

- نبر مد (ها) اسم الإشارة:

تنبر ها اسم الإشارة نبر مدّ طبيعي إذا وليها حرف من حروف الهجاء باستثناء الهمزة،مثال: هذه ناقةُ اللهِ: هَا/ ذ ـِ/ هِي/.

---

1 - لم أفصل في ترميز مد الألف طولا وقصرا وجعلتهما رمزا واحدا وهو ~ لأن العبرة بالطول مقارنة بالقصر.
2 - أ. مصطفى أكرور: حق التلاوة، ص 57.
3 - نفسه، ص 59.
4 - المرجع السابق، نفس المكان.
5 - الروم: هو الإتيان ببعض الحركة بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد، ويكون في المجرور والمرفوع (غفورٍ رحيم، نستعينُ).
6 - الإشمام: هو الإشارة بالشفتين إلى جهة الضم بعد تسكين الحرف بحيث يدركه المبصر، ولا يكون في المرفوع، المرجع السابق، نفس المكان.
7 -

وتنبر ها اسم الإشارة نبر مدّ متصل (ست حركات) إذا وليها همز، مثال: هذهِ أنْعَامٌ: هَا/ ذ ِ/ هي/.

- نبر مدّ التمكين:

إذا وقعت ياءان متتاليتان الأولى مشدّدة مكسورة والثانية ممدودة بالكسر تمدّ الياء الثانية مدّ تمكين "ويسمّى مدّ التمكين لأنه يخرج متمكنا بسبب الشدّة، نحو (حُيّيتُم، ربّانيّين، الأمّيّين)"[1].

حُيّيتُم: حُيْ/ يي/ تُمْ.

---

1 - مصطفى أكرور: حق التلاوة، ص 62.

المبحث التاسع: التنغيم

المطلب الأول: أهميته ووظيفته:

حينما نسمع كلام الإنسان وهو يتكلم فإنّ صوته لا يكون بدرجة واحدة ثابتة بل يتلون، ويتغير، ويعلو وينخفض، ويقوى ويضعف، وهذا راجع إلى العادات النطقية التي تتصف بها لغته، إضافة إلى تنوع أغراضه وأهدافه التي يريد تحقيقها والإفصاح بها، وهذا التلون والتغير في الصوت يسمّى تنغيما[1].

التنغيم هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلامّ"[2]، أو هو إعطاء الكلام نغمات معينة تنتج من اختلاف درجات الصوت"[3].

يلعب التنغيم مع النبر دورا مهمّا وفعّالا في الكلام الإنساني[4]، وذلك في توضيح أغراض الإنسان من خلال كلامه، كما يعدّ وسيلة للتعبير عن الحالات النفسية المختلفة "كالرضا، والغضب، واليأس، والأمل، والاستفهام، والتعجب، والنفي، والإنكار، والتقرير، والتوكيد، والتهكم، والزجر، والفرح، والحزن، وبيان الحال، والغنى، والفقر، والشك، واليقين، والإثبات، واللامبالاة، والإقناع عن طريق التلوين في الدرجات التنغيمية"[5]، وللتنغيم أيضا وظيفة نحوية ودلالية مهمة؛ فالجمل العربية تختلف أغراضها باختلاف تنغيم تلك الجمل، فالجملة المنغمة بنغمة الاستفهام مثلا تختلف عن الجملة المنغمة بتنغيم العرض، وجملة الإثبات تختلف عن الجملة المؤكدة في طريقة تنغيمها، ومن ثمّ فالتنغيم هو الذي يدلنا على أغراض الجمل[6]، وتوجد أغراض أخرى كالتهكم والزجر والموافقة والرفض والاستغراب والدهشة وغيرها نتعرف عليها من خلال التنغيم[7]، أما ما يتعلق بالوظيفة الدلالية للتنغيم "فيمكن رؤيتها لا في اختلاف علو الصوت وانخفاضه فحسب، ولكن في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقطع في النموذج التنغيمي الذي يقوم من الأمثلة مقام الميزان الصرفي من أمثلته، اختلافا للماجريات العامة التي تم فيها النطق"[8]، والمقصود بدلالة التنغيم هنا ليس تنغيم الجملة بل المقطع من كلمة مفردة في بعض اللغات، وتختلف دلالة الكلمة باختلاف ترتيب نغمات المقاطع "ومن أشهر هذه اللغات اللغة الصينية، إذ قد تؤدي فيها الكلمة الواحدة عدّة معانٍ، ويتوقف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصوت حين النطق بالكلمة، ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية، ففي اللغة الصينية كلمة (فان) تؤدي ستة معانٍ لا علاقة بينها هي (نوم، يحرق، شجاع، واجب، يقسم، مسحوق) وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة"[9].

وللتنغيم وظيفة أخرى تتمثل في أنه يؤدي دور علامات الترقيم في الكتابة، إلاّ أن التنغيم أكثر إيضاحا لغرض الجملة من علامات الترقيم، وهذا لتنوع النغمات وكثرتها مقارنة بعلامات الترقيم المحدّد كالنقطة والفاصلة والتعجب والاستفهام...[10]

---

1 - يسميه إبراهيم أنيس موسيقى الكلام، الأصوات اللغوية، ص 175.
2 - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 198.، وينظر أيضا كمال بشر: علم اللغة العام، ج2 الأصوات، ص 212، السعران: علم اللغة، ص 192.
3 - أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص 119.
4 - ينظر كمال بشر: علم اللغة العام، ص 210.
5 - عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص 257، وينظر أيضا السعران: علم اللغة، ص 193.
6 - ينظر د/ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 226، وينظر أيضا مناهج البحث في اللغة، ص 198، للمؤلف نفسه.
7 - ينظر د/ كمال بشر: علم اللغة العام، ج2، ص 212، 213.
8 - د/ تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 198.
9 - د/ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 175.
10 - ينظر د/ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 226، 227.

المطلب الثاني: التنغيم في اللغة العربية:

إذا أردنا الحديث عن التنغيم بوصفه ظاهرة صوتية توجد في أي كلام إنساني عند النطق، فالتنغيم مستعمل عند الناطقين باللغة العربية، أما إذا تحدثنا عن التنغيم كدراسة ميدانية وتطبيقية على التراث العربي فإن اللغويين العرب القدامى لم يدرسوه دراسة علمية جادة، ولم يتركوا لنا قواعد للتنغيم نستنتج من خلالها طبيعة الجملة وأغراضها، لأن التنغيم يتعلق بالجانب السمعي والنطقي، والتراث اللغوي لم يصل إلينا منطوقا بل وصل إلينا مكتوبا، ولقد وردت بعض الإشارات الخاطفة الدالة على كونها ظاهرة صوتية واردة في التواصل اللغوي كإشارة الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في قوله "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا لفظا، ولا كلاما إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون، مع الإشارة من الدّلّ والشكل والتفتل والتثني"[1].

نستنتج من خلال هذا النص أن الجاحظ يريد أن يبيّن السبيل الأمثل في الإفصاح والبيان، وهو توظيف الأصوات توظيفا حسناً مراعاة لعادات النطق في العربية، وأهمّها نبر مقاطعها نبرا سليما، وتنغيم الجملة بما يناسب غرضها، وهو ما عبّر عنه بالدل والشكل والتفتل، أما ما استشهد به بعض اللغويين المحدثين من أقوال لابن جني في الخصائص[2] وجعلها دليلا على وجود التنغيم كدراسة في التراث العربي، فهو دليل أقرب إلى النبر منه إلى التنغيم، لأن هذه الأقوال تشير إلى التركيز والضغط، وهذا واضح من المصطلحات التي استعملها كالتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم والتمصيط وإطالة الصوت، أما التنغيم فيتعلق باللحن المتمثل في الصعود والهبوط والثبات على مستوى الجملة في الكلام.

يعدّ تمام حسان من أبرز اللغويين المحدثين الذين اجتهدوا في دراسة ظاهرة التنغيم في اللغة العربية واستطاع أن يحيط بهذه الظاهرة ويتعمق في تفسيرها وشرحها، وتوصّل إلى استنتاج أقسامها وأنواعها، وجعل لكل قسم ونوع ميزانا خاصا وعقد مشابهة بين الميزان الصرفي للكلمات في اللغة العربية وبين الصيغ التنغيمية للمعاني النحوية فقال: "لقد ذكرنا من قبل كيف تأتي الكلمات العربية على مثال صيغ محدّدة تعتبر قوالب لها، ونحبّ هنا أن نعقد شبهاً بين هذه الصيغ الصرفية للكلمات وبين صيغ أخرى تنغيمية تتصل بالمعاني النحوية التي للجملة لا للباب المفرد، فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محدّدة، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة، فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة فاؤها وعينها ولامها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض وبعضها يتفق مع النبر وبعضها لا يتفق معه، وبعضها صاعد عن مستوى أسفل وبعضها هابط من مستوى أعلى، فالصيغة التنغيمية منحنى نغمي خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي للمثال"[3]، ولقد توصل إلى استخراج ستة موازين تنغيمية انطلاقا من تركيزه على أساسين اولهما شكل النغمة آخر مقطع من الجملة صعودا أو هبوطا، وثانيهما المدى بين أعلى نغمة

---

1 - تحقيق عبد السلام هارون، 1948، 1950، ج1، ص 79.

2 - النص سبق ذكره في معرض الحديث عن النبر في اللغة العربية، ص 6، وهو كالتالي: "قولهم سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا، فتزيد من قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة، وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إن نممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا، وتزدي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك، فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة" ج2، ص 370، 371.

3 - اللغة الرعبية معناها ومبناها، ص 226.

وأخفضها سعة وضيقا او إيجابا وسلبا أو قوة وضعفا، وبين كل من الأساسين ميزان تنغيمي؛ فبين النغمة الصاعدة والهابطة هناك ما يسمى النغمة الثابتة العادية، وبين المدى السلبي والإيجابي المدى النسبي المتوسط، ويمكن بيانها وفق الجدول الآتي[1]:

المدى	الشكل
الإيجابي (الواسع – القوي)	هابط
الإيجابي (الواسع – القوي)	صاعد
النسبي (الثابت – العادي)	هابط
النسبي (الثابت – العادي)	صاعد
السلبي (الضيق – الضعيف)	هابط
السلبي (الضيق – الضعيف)	صاعد

ولقد فسّر كيفية حدوث المدى الإيجابي والنسبي من الناحية الصوتية بكمية خروج الهواء من الرئتين ونشاط حركة الحجاب الحاجز، ومدى اهتزاز الأوتار الصوتية، ويستعمل المدى الإيجابي الواسع عند اهتزاز قوي للأوتار الصوتية وخروج كمية كبيرة من الهواء والنشاط الشديد لحركة الحجاب الحاجز، أما المدى السلبي فهو يستعمل عند عدم اهتزاز الأوتار الصوتية وخروج كمية قليلة من الهواء والضعف الشديد لحركة الحجاب الحاجز، وأما المدى النسبي فهو يكون وسطا بينهما لعدم وجود سعة مطلقة وضيق مطلق بل هما نسبيان[2].

وعمل الدكتور تمام حسان على إيجاد لكل ميزان تنغيمي معنا جمليا مناسبا[3]:

1) المدى الإيجابي الواسع القوي الهابط: يدل على الجملة الثابتة المؤكدة.

2) المدى الإيجابي الواسع القوي الصاعد: يدل على الجملة المثبتة المؤكدة التي قيلت في سياق عاطفي مثير أو رفع الصوت عند إلقاء خطبة أو عند الشجار والصياح الغاضب.

3) المدى النسبي الثابت العادي الهابط: يدل على الجملة التي قيلت في ظروف عادية وهي كالنداء والتحية وتفصيل المعدودات والاستفهام بغير هل والهمزة.

4) المدى النسبي الثابت العادي الصاعد: يدل على الجملة الاستفهامية المصدرة بهل أو الهمزة.

5) المدى السلبي الضيق الضعيف الصاعد: يدل على التمني والعتاب.

6) المدى السلبي الضيق الضعيف الهابط: يدل على التسليم بالأمر عبارة لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، وعبارات الأسف والتحسر، مع خفض الصوت.

أما ما يتعلق بدلالة شكل النغمة فالنغمة الهابطة تستعمل عادة في الإثبات والنفي والشرط والدعاء وجميع الجمل، أما النغمة الصاعدة فيقتصر استعمالها على الاستفهام بالأداتين (هل والهمزة).

وحاول أن يرمز إلى التنغيم بجانبه الشكلي والمدي بما يلي[4]:



---

1 -ينظر مناهج البحث في اللغة، ص 198، 199، وينظر اللغة العربية معناها ومبناها، ص 229، 230 (بتصرف).

2 - ينظر مناهج البحث في اللغة، ص 200، 201.

3 - ينظر المصدر نفسه، ص 202، 203، وينظر أيضا اللغة العربية معناها ومبناها، ص 229، 230.

4 - ينظر مناهج البحث في اللغة، ص 201 (بتصرف).

فالنقطة . تشير إلى النغمة الثابتة غير المنبورة.
والمطة _ تشير إلى النغمة الثابتة المنبورة.
والرمز يشير إلى النغمة الهابطة.
والرمز يشير إلى النغمة الصاعدة.
والخطوط الأربعة المتوازية تمثل المديات الثلاثة، وكل مدى بين خطين، فالسفلي لكتابة المدى السلبي، والسفلي والأوسط للمدى النسبي، والثلاثة جميعا لكتابة المدى الإيجابي.

المبحث العاشر: علاقة النبر الدلالي أو التأكيدي بالتنغيم:

قبل التطرق إلى العلاقة بين النبر والتنغيم نحاول أن نلخّص أنواع النبر من خلال ما سبق ذكره. إن للنبر أنواعا ثلاثة هي:

- نبر الصيغة أو القاعدة.
- نبر الاستعمال أو انتقال النبر.
- النبر الدلالي.

1) أما ما يتعلق بنبر القاعدة أو الصيغة فيستعمله كل إنسان عربي فصيح اللسان، وبهذا النوع من النبر نعرف مدى أصالة اللغة العربية في ألسنة الناطقين بها، لأن لكل لغة عاداتها النطقية التي من المفروض أن يلتزم بها أهلها، ومن أبرز هذه العادات احترام قصر الحركة وطول المد، والنبر في مواضع معينة، ويدخل ضمن هذا النوع من النبر ما استخرجه علماء اللغة من قواعد كالتي تتعلق بالمد وإشباعه في بعض السياقات كمجيء الهمزة بعده أو حرف مشدد، فيدخل ضمن هذا الإطار أيضا ما أقره علماء التجويد والترتيل من قواعد تعصم لسان قارئ القرآن من اللحن والخطأ كأحكام الغنة المتعلقة بالنون الساكنة والتنوين والميم الساكنة وأحكام المدود بأصنافها وأنواعها.

2) أما انتقال النبر فيمثل العلاقة بين نبر القاعدة أو الصيغة وبين نبر الاستعمال، أي أن قواعد النبر في جانبها النظري تتغير عند الاستعمال وعند التطبيق لأن السياق يتطلب ذلك، وإذا تغيرت البنية المقطعية فمواقع النبر تتغير حتما هي الأخرى في الكلام عما كانت عليه مفردة، فكلمة النادي تنتهي بمقطع دي (س ع ع) وكلمة العام تبدأ بـ (لْ) وعندما نقول (النادي العام) يكون المقطعان اللذان يمثلان نهاية الكلمة الأولى وبداية الكلمة الثانية بهذا الشكل (دي لْ) وبسبب التقاء الساكنين الياء المدية واللام الساكنة فإن الياء تفقد كميتها وتصير بمقدار الكسرة، ويصبح المقطعان مقطعا واحدا وهو (دِلْ) من جنس (س ع س)، ويتم نطق الكلمتين بهذا الشكل (النّادِلعامْ).

وما يغير من مواقع المقاطع في السياق وجود بعض الظواهر السياقية كهاء السكت والإشباع وألف الندبة وإطلاق القافية والزوائد والملحقات كالضمائر مثلا، فموقع النبر في كلمة ضَرَبَ هو المقطع الأول، ولكن حينما يتصل به الضمير هما (ضربهما) ينتقل النبر من المقطع الأول إلى المقطع الثالث[1].

3) أما النبر الدلالي فهو مستقل عن نبر القاعدة ونبر الاستعمال، غير أنه يتفق مع أحدهما أحيانا، ووظيفته إظهار الجانب الدلالي من الكلام، ويكون على مستوى الجمل أو المجموعات الكلامية، وليست له قواعد مضبوطة، وإنما يخضع لرغبات وأغراض المتكلم.

أما علاقة النبر الدلالي بالتنغيم فإن للنبر الدلالي علاقة وطيدة بالتنغيم في فهم معاني وأغراض الكلام المنطوق، فالتنغيم وظيفته تكمن في إبراز المعنى العام للجملة وأي جملة يمكن أن "تقال بنغمات متعدّدة ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعان مثل الحزن والفرح والشك والتأنيب والاعتراض والتحقير وهلمّ جرّا، حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني لأن هذه الجملة لم تتعرض لتغير في بنيتها ولم يضف إليها أو يستخرج منها شيء، ولم يتغير فيها إلا التنغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية"[2]، وللتنغيم ثلاثة لحون وهي: إما أن يكون صاعدا أو هابطا أو ثابت، فاللحن الصاعد كالاستفهام بهل والهمزة، والهابط

---

1 - ينظر تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 306.

2 - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 227.

كالإثبات والنفي والشرط والدعاء وجميع الجمل والتسليم بالأمر والأسى والحزن والتحسر، والثابت يستعمل في الكلام العادي بين الناس. أما النبر فهو يقوم بوظيفة التأكيد والتركيز على بعض تفاصيل المجموعات الكلامية وإبراز عناصر معينة بغية إيضاحها وبيانها، وهذا النبر التأكيدي إما يقع على مستوى الكلمة بالتركيز على أحد مقاطعها أو يكون على مستوى الجملة بالتركيز على إحدى كلماتها، وليس نبر الكلمة في الجملة إلا تركيزا على مقطع من مقاطع الكلمة المنبورة نبرا قاعديا أو استعماليا ليكون أوضح في السمع مما كان عليه، فحينما نقول مثلا: نجح أنس، فحينما يتم النبر على الكلمة الثانية للدلالة على أن أنس نجح لا غير فالنبر يكون على المقطع الأول وهو "أ"، وفي الأخير نستطيع القول إن النبر الدلالي أو التأكيدي أساسيان لفهم معنى الجملة، وكلاهما مكمّل للآخر.

المبحث الحادي عشر :

النبر الدلالي (التأكيدي) والتنغيم في القرآن الكريم

إذا أتينا إلى دراسة النبر الدلالي (التأكيدي) والتنغيم في القرآن الكريم فالدراسة تحتاج إلى مجازفة لأن الدراسة تعتمد على ما هو منطوق ومسموع والتراث العربي وصل إلينا مكتوبا غير مسموع وكذلك القرآن الكريم حتى ولو أنه وصل إلينا كما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك حينما اجتهد علماء التجويد والترتيل في تقعيد تلاوته لجعل القارئ يتلوه تلاوة صحيحة دون لحن أو خطأ، وسموا ذلك بقواعد التلاوة أو الترتيل أو التجويد.ولكن لم يصل إلينا منبورا نبرا دلاليا ومنغما، ولقد اجتهد القراء والمجودون تلاوته تلاوة صحيحة بمراعاتهم قواعد التلاوة إلا أنهم اختلفوا في مراعاة النبر الدلالي والتنغيم، وغن اتفقوا تقريبا في مراعاة الوقف. وهذا الأخير من أهم الوسائل في فهم معاني القرآن إلا أن النبر الدلالي والتنغيم لا يقل أهمية من الوقف في فهم هذه المعانين ولا نملك معطيات معينة على النبر الدلالي والتنغيم في القرآن عموما ومواقف الجدل التي يكثر فيها النبر الدلالي والتنغيم بالخصوص. فمشاهدتنا لشريط سنمائي أو مشهد مسرحي نستطيع فهم المغزى من القصة من خلال نبرات الممثلين ونغماتهم المختلفة لأننا نسمعها ونراها. فلو شاهدنا هذه المشاهد دون سماع الأصوات يصعب علينا فهم القصة، ولكن حينما نسمع القصة دون مشاهدتها فإننا سوف نفهمها لأن أهم شيء هو نبرات المتكلمين ونغماتهم، أما إذا تحدثنا عن القصص الروائي المكتوب فإننا عند قراءتنا لإحدى الروايات فسوف نفهمها وأحيانا نفضل أن نقرأ رواية من أن نشاهدها وهي تمثل، ومدى فهمنا للروايات والتمتع بقراءتها يرجع إلى عبقرية الأديب الكاتب في تصوير تلك المشاهد وتلك الشخصيات ووصفها، وأهم من هذا وصف النبرات بالحدة والضعف ووضع نقاط الاستفهام والتعجب والنقطة والفاصلة والفاصلة المنقوطة ... وهذا لكي نفهم نبرات الشخصيات ونغماتهم عند الحوار دون السماع إليهم لأن علامات الترقيم تقوم مقام التنغيم. فإذا رجعنا إلى القرآن فإننا لا نجد إشارات تدل على حدة النبرات وخفتها ونبر بعض المقاطع أو بعض الكلمات في الحوار القرآني بصفة عامة والجدل القرآني بصفة خاصة، أما ما يتعلق بالتنغيم فإننا نستطيع فهم الجملة دون أن تكون منغمة لوجود أدوات تقوم مقام التنغيم كالتعجب والاستفهام والإنكار والتمني والترجي ... ولكن توجد بعض الجمل القرآنية تدل على المعاني السالفة الذكر ولكن لا تتصورها الأدوات الدالة على ذلك فإذا لم تتل هذه الآيات بتنغيم خاص بالمعنى فإن السامع لا يستطيع فهم هذه المعاني، ولنفرض أنه توجد الأدوات فالقارئ للقرآن إذا لم يتل الآية بالتنغيم المناسب لذلك المعنى فإن السامع يصعب عليه فهم المعنى، والكثير من المقرئين والمجودين ممن أوتوا موهبة في التجويد يجتهدون في إمتاع السامع للقرآن في جانبه الجمالي جمال الصوت واللحن غير أنهم يهملون جانب النبر والتنغيم، فلو أضافوا لجمال الصوت واللحن والوقف النبر والتنغيم لاستطاعوا تجسيد المعاني وخصوصا في سياق الجدل وجعل السامع يستحضر السياق الاجتماعي والفردي ويدرك نفسيات الأطراف المجادلة ومواقفهم.

ولقد اجتهد بعض المفكرين والأدباء والنقاد في إبراز الصور والمشاهد في القرآن، وأبرزهم سيد قطب في كتابيه "التصوير الفني في القرآن"، و"مشاهد يوم القيامة"، وكذا تفسيره "في ظلال القرآن"، ولقد أوتي عبقرية فذة في إبراز هذه الصور من خلال تحليله لآيات النعيم والعذاب ونفسيات الكفار والمنافقين والمشركين والمؤمنين، فهذه الصور مرئية، فلو أضيف إليها تصوير هذه المواقف وهذه المشاهد تصويرا سماعيا لزاد من إيضاح المعنى وإبرازه في ذهن المتلقي السامع للقرآن، وذلك من خلال النبر والتنغيم.

وبعد هذه الإلمامة السريعة لمفهوم النبر والتنغيم يجدر بنا أن نحلل بعض الآيات مبرزين فيها مواطن النبر والتنغيم انطلاقا من قراءتنا الخاصة لها، وإبراز دلالة كل من النبر والتنغيم في هذه الآيات، ولسوف نركّز على النبر الدلالي التأكيدي في التحليل.

المطلب الأول: جدال نوح مع قومه:

قال تعالى على لسان نوح: "لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ"[1].

لاَ/ ت ـَ عْ/ ب ـُ/ دُو/ إ ـِ لْ/ ل ـَ لْ/ لاَ/ هـ ـَ/ إ ـِ ن/ نِي/ أ ـَ/ خَا/ ف ـُ/

ع ـَ/ ل ـَ يْ/ ك ـُ مْ/ ع ـَ/ ذَا/ ب ـَ/ ي ـَ وْ/ م ـِ نْ/ أ ـَ/ لِيمْ.

المقاطع المنبورة نبرا دلاليا هي: لا – لَلْ – لاَ – نِي – خَا – كُمْ – ذاَ – مِنْ – لِيمْ.

فالمقطع (لا) هو من المقاطع المنبورة نبرا قاعديا ولكن نوحا زاد من نبره ليصحّح مسار عبادة القوم المنحرفة، و(لا) هو من الأصوات الشبيهة بالصائتة لشدة جهرها وما تؤدي من وظيفة انتباهية، والمقطع (للْ) المنبور نبرا قاعديا ودلاليا يدل على الوجهة الصحيحة المفروض أن يسلكها القوم في عبادتهم، و(لا) الثانية المنبورة بشدة تدل على وجود معبود واحد يمكن أن يلجأ إليه وهو الله، والضغط على المقطع (نِي) ليبرّر به نوح حرصه في تغيير مسار العبادة وهو كونه من قرابتهم، وأنه يهمّه أمرهم ومصيرهم، والضغط على (خا) يدل على غلبة عاطفة القرابة من قومه والتي جعلته يخاف أشدّ الخوف من مصير قومه، والضغط على المقطع (ذا) لينبههم إلى المآل الذي سوف يصيرون إليه وهو العذاب، والضغط على المقطع (من) يدل على زمن العذاب وهو يوم القيامة والذي لا يعرف شدة أهواله إلا الله، والمقطع المنبور (ليم) يدل على الألم الشديد الذي يلقونه حينما يعذّبون.

ماذا كان رد القوم مما دعا إليه نوح عليه السلام؟

قال تعالى على لسان القوم: "مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ"[2].

مَا/ ن ـَ/ رَا/ ك ـَ/ إ ـِ لْ/ لاَ/ ب ـَ/ ش ـَ/ ر ـَ م/ م ـِ ثْ/ ل ـَ/ نَا/ و ـَ/ مَا/

ن ـَ/ رَا/ ك ـَ تْ/ ت ـَ/ ب ـَ/ ع ـَ/ ك ـَ/ إ ـِ لْ/ ل ـَ لْ/ ل ـَ/ ذِي/ ن ـَ/

هـ ـُ مْ/ أ ـَ/ رَا/ ذ ـِ/ ل ـُ/ نَا/ بَا/ د ـِ/ ي ـَ رْ/ ر ـَ أ/ ي ـِ/ و ـَ/ مَا/ ن ـَ/

رَى/ ل ـَ/ ك ـُ مْ/ ع ـَ/ ل ـَ يْ/ نَا/ م ـِ ن/ ف ـَ ضْ/ ل ـِ م/ ب ـَ لْ/ ن ـَ/

ظ ـُ ن/ ن ـُ/ ك ـُ مْ/ كَا/ ذ ـِ/ بِينْ.

نلاحظ في هذه الآية أن النبر الدلالي التأكيدي يوافق نبر القاعدة أحيانا، مثل (مَا – لاَ – رَمْ – مَا – تَ – ذِي – ذِ – هُمْ – مَا – بَلْ)، فهذه المقاطع هي منبورة نبرا قاعديا ولكن ضغط عليها القوم لتأكيد نفيهم دعوة نوح.

---

1 -سورة هود: الآية 26.

2 - سورة هود: الآية 27.

فالمقطعان (ما) و(لا) يدلان على النفي الصريح لنبوة نوح عليه السلام والاحتقار من شأنه، كونه بشرا منهم، وأتباع دعوته الأراذل من الناس، ورفضهم أن يكون هو ومن اتبعوه أفضل منهم.
أما نبرتهم القوية على (رَمْ) في (بشرا) يدل أيضا على إضمارهم له صفات وضيعة ولم يصرحوا بها، وهذه الصفات يتصف بها سائر البشر كالأكل والشراب وما شابه ذلك، لأن هذه الصفات تحط من قيمة النبي المرسل في نظرهم. ونبرهم القوي على المقطع (ت) في (اتبعك) يدل على غيظهم وحنقهم على دعوة نوح التي اتبعها الأراذل من الناس، أو تدل على احتقارهم لهذه الدعوة والحط من قيمتها، والنبر على المقطع (هم) يدل على التركيز على شخصية هؤلاء الذي اتبعوه، وأما نبرهم على المقطع (ذ) في (أراذلنا) يدل على شدة احتقارهم واستهزائهم بهؤلاء الناس، والضغط على المقطع (بل) يدل على تراجعهم على ما قالوا آنفا ووصف نوح ومن تبعه بأبشع الأوصاف وهو الكذب.
أما المقاطع الأخرى المنبورة نبرا دلاليا فقط فهي (كَ، نَا، رَا، كَ، نَا، نَا، كُمْ، كَا).
أما نبرهم على المقطع (ك) في (نراك، اتبعك) فيدل على غضبهم وحنقهم الشديد على نوح والتركيز على شخصيته دون دعوته، كونه بشرا مثلهم واتباع الأراذل له واتهام دعوته بالنقص والقصور من خلاله هو ومن تبعه لا الدعوة في حدّ ذاتها، والضغط على المقطع (نا) في (مثلنا، أراذلنا، علينا) يدل على التركيز على شخصيتهم (أي الملأ) وجعلهم السيادة الأساس في قيادة الصحة والخطأ، لأنهم الأشراف وباقي الناس هم الأتباع، وما من جديد يستجدّ إلاّ ويقيسونه بمنطقهم هم وما تمليه عليهم أهواؤهم، فقاسوا شخصية نوح فوجدوه منهم أي من قبيلتهم، والذين اتبعوه أيضا هم من الأتباع ورعاع القوم، فكيف يتبعون أتباعهم والرعاع من الناس، فلذلك يرون لا جديد على ما استجد لاعتقادهم أن الرسالة والدعوة الجديدة يصدَّق بها إذا جاء بها أكابر القوم واستجاب لها كل الناس، ومن ثمّ فلسان حال نبرهم على المقطع (نا) يدل على أننا نحن الملأ والأشراف أولى منك بالنبوة واتباعها ليست حكرا على الأراذل بل كل قومنا معني بها، فبما أن هذه الدعوة جاءت مخالفة لهذا القانون فإنها مرفوضة.
وأما ضغطهم على المقطع (را) في (نراك) فيدل على سطحية تفكيرهم لأنهم يعتمدون على الرؤية البصرية لصاحب الرسالة والأحرى أن يتعمقوا في الرؤية القلبية لصاحب الرسالة وما جاء به، أما الضغط في ردّهم على المقطع (كم) يعدّ مقابلا لضغطهم على المقطع (نا)، فالمقطع (نا) يدل على الملأ من القوم وأتباعهم، وأما (كم) فيدل على أن ردّ القوم متّجه إلى شخصية نوح، والذين اتبعوه بعد أن كان موجّها إلى شخصية نوح فقط، ولم يكن ردّهم منصبّا على مضمون الرسالة بل على شخصية حامليها ومكانتهم في السلّم الاجتماعي، وقاسوا مدى مصداقية الدعوة بحجم الذين اتبعوه هل هم الأكثرية أو الأقلية من الناس، فحينما وجدوا الداعي نوحا من عامة الناس وأتباعه أقلية، إضافة إلى كونهم أراذل اطمأنوا على أنهم أفضل من نوح ومن تبعه لأنهم يتصدرون المرتبة الأولى في السلّم الاجتماعي والذين اتبعوه هم الأكثرية من الناس.
ونبروا على المقطع (كا) في (كاذبين) ليسفّهوا دعوة نوح ويصفوها بالكذب لكون هذه الدعوة جاء مخالفة لأعراف وتقاليد القوم.
أما ما يتعلق بالتنغيم فالمجموعات المقصعية يتراوح تنغيمها بين الثبات والهبوط لأن كل المقطع عبارة عن نفي ونبذ الدعوة واحتقار شأن الداعي والأتباع، وبالمقابل الإعلاء من شأن الأشراف من القوم.

مَا/ ن ـَ/ رَا/ ك ـَ/ إ ـِ لْ/ لاَ/ ب ـَ/ ش ـَ/ ر ـَ م/ م ـِ ثْ/ ل ـَ/ نَا/ و ـَ/ مَا/

ن ـَ/ رَا/ ك ـَ تْ/ ت ـُ/ ب ـُ/ ع ـَ/ ك ـَ/ إ ـِ لْ/ ل ـَ لْ/ ل ـَ/ ذِي/ ن ـَ/

هـ ـُ مْ/ أ ـَ/ رَا/ ذ ـِ/ ل ـُ/ نَا/ بَا/ د ـِ/ ي ـَ رْ/ ر ـَ أ/ ي ـِ/ و ـَ/ مَا/ ن ـَ/

رَى/ ل ـَ/ ك ـُ مْ/ ع ـَ/ ل ـَ يْ/ نَا/ م ـِ ن/ ف ـَ ضْ/ ل ـِ م/ ب ـَ لْ/ ن ـَ/

ظ ـُ ن/ ن ـُ/ ك ـُ مْ/ كَا/ ذ ـِ/ بِينْ.

المطلب الثاني: جدال هود مع قومه:

قال الله تعالى: "فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ"[1].

أ ـُ عْ/ ب ـُ/ د ـُ لْ/ لاَ/ هـ ـَ/ مَا/ ل ـَ/ ك ـُ م/ مِنْ/ إ ـِ/ لاَ/ هـ ـِ نْ/ غَيْ/

ر ـُ/ ه ـُ/ أ ـَ/ ف ـَ/ لاَ/ ت ـَ تْ/ ت ـَ/ قُونْ/.

إذا تأملنا هذه الآية نجد أن المقاطع المنبورة نبرا قاعديا ودلاليا هي (أُعْ، لاَ، مَا، مِنْ، لاَ، هـُ، قُونْ)، والمقاطع المنبورة نبرا دلاليا هي (كُمْ، هِنْ، لاَ).

أما المقاطع المنبورة نبرا مضاعفا فإنها تركّز على إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه، فالمقطع (أُعْ) يدل على حثّ القوم على عبادة الله، والمقطع المنبور (لا) في لفظ الجلالة يدل على المعبود الذي يتوجه إليه الناس بالعبادة وهو الله، والمقطع (ما) ينفي إخلاص العبادة إلى ما سواه، و(مِنْ) تدل على عدم وجود إله يستحق العبادة من دون الله، والنبر على المقطع (لا) في إله يدل على هذا الإله الغير موجود، والمقطع (هـُ) في غيره يؤكد به حثّ القوم إلى عبادة الإله الواحد الأحد، والمقطع المنبور (قُونْ) يدل على التعجب المستنكر عن عدم طاعة القوم لله وتقواه، أما المقاطع الأخرى فهي تؤكد معاني المقاطع المنبورة سالفا، فالمقطع (كم) يدل على أن هذا الإله المطلوب من القوم أن يخلصوا له العبادة فهو للقوم يكلؤهم برحمته ورعايته وعنايته لهم إذا أخلصوا له العبادة، والضغط على المقطع (هِنْ) في إله يدل على عدم وجود إله يملك هذه الصفات التي يتصف بها الله تعالى، والمقطع (لا) يدل على تنبيه القوم على ما هم عليه من غفلة.

أما ما يتعلق بالتنغيم فإن أغلب مقاطع المجموعات الكلامية ثابتة، وهذا مناسب للأمر والنصح والتوجيه والإرشاد، إلا المجموعة المقطعية الأخيرة فإنها ذات تنغيم ثابت وصاعد، وهذا مناسب لمقام الزجر والتعنيف والإنكار.

فماذا كان جواب قومه يا ترى؟

قال تعالى: "مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ"[2].

مَا/ هَا/ ذَا/ إ ـِ لْ/ لاَ/ ب ـَ/ ش ـَ/ ر ـُ نْ/ م ـِ ثْ/ ل ـُ/ ك ـُ مْ/ ي ـَ أ/ ك ـُ/

ل ـُ/ مِم/ مَا/ ت ـَ أ/ ك ـُ/ لُو/ ن ـَ/ م ـِ نْ/ هـ ـُ/ و ـَ/ ي ـَ شْ/ ر ـَ/

---

1 - سورة المومنون: الآية 32.

2 - سورة المومنون: الآية 33.

ب ـُ/ مِم/ مَا/ ت ـَ شْ/ ر ـَ/ بُونْ/
إذا تأملنا هذا الرد من القوم نجد المقاطع التي نبرت نبرا قاعديا ودلاليا هي (مَا، لاَ، يَأ، تَأ، يَشْ، تَشْ) والمقاطع التي نبرت نبرا دلاليا هي (ذَا، رُنْ، كُمْ).
أما المقاطع التي نبرت نبرا مضاعفا فإنها تدل على الاستهزاء والاستحقار من شأن هود عليه السلام؛ فالمقطع (ما) و(لا) يدلان على نفي النبوة عنه، والمقطعان (يأ، تأ) يدل على أنه بشر بدليل أنه يأكل كما يأكل الناس و(يش، تش) يدل أيضا على بشريته بدليل أنه يشرب كما يشرب الناس، أما المقاطع المنبورة نبرا دلاليا فقط فدلالتها تؤكد ما دلت عليه المقاطع المنبورة نبرا مضاعفا، فالمقطع (ذاَ) يدل على إشارتهم لهود إشارة استحقار وازدراء وتصغير لشأنه، والمقطع يدل على إضمار القوم لهود صفات وضيعة منها الأكل والشرب الذي دلت عليه المقاطع المنبورة نبرا مضاعفا، أما المقطع (كُمْ) فإن النبر عليه يدل على أن هودا ليس بأمر ذي بال ولا بالأمر الذي يثير الانتباه ولا بالأمر الخطر، بل هو إنسان مثل الناس محاولة منهم التهوين من أمره.
أما ما يتعلق بالتنغيم فإن المجموعات المقطعية يتراوح تنغيمها بين الصعود والهبوط، وهذا مناسب لمقام الإنكار والرفض والاحتقار والاستهزاء.

المطلب الثالث: جدال صالح مع قومه:
قال تعالى: "وَإِلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ"[1].

يَا/ قَوْ/ مِعْ/ ب ـُ/ دُلْ/ لاَ/ هـ ـَ/ مَا/ ل ـَ/ ك ـُ م/ مِن/ إ ـِ/ لاَ/ هِنْ/ غَيْ/ ر ـُ/

هـ ـُ/ هـ ـُ/ و ـَ/ أ ـَ ن/ ش ـَ/ أ ـَ/ ك ـُ م/ م ـِ/ ن ـَ لْ/ أ ـَ رْ/ ض ـِ/

و ـَ سْ/ ت ـَ عْ/ م ـَ/ ر ـَ/ ك ـُ مْ/ فِي/ هَا/ ف ـَ سْ/ ت ـَ غْ/ ف ـِ/ رُو/

هُ/ ث ـُ م/ م ـَ/ تُو/ بُو/ إ ـِ/ ل ـَ يْ/ هـ ـِ/ إ ـِ ن/ ن ـَ/ ر ـَ بْ/ بِي/ ق ـَ/

ري/ ب ـُ ن/ م ـُ/ جيبْ/.
بعد تأملي لهذا النص وجدت المقاطع التي نبرت نبرا قاعديا ودلاليا هي (يا، لا، ما، مِنْ، لاَ، أنْ، تَعْ، تَغْ، تُو، ري، جيبْ) والمقاطع الأخرى المنبورة نبرا دلاليا فقط هي (كُمْ، هِنْ، هُـ، كُمْ، أرْ، كُمْ، رُو، هُـ، هِـ، بِي).
فالنبر على المقطع (يا) يدل على لفت انتباه القوم لما سوف يقوله صالح عليه السلام لهم، والمقطع (لا) يدل على حث القوم على إخلاص العبادة لله وحده، والمقطع (ما) يدل على الإنكار الشديد على غفلة القوم عن الله واتباع آلهة من دونه، والمقطع (من) يدل على تأكيد صالح عليه السلام لقومه عن عدم وجود أي إله يستحق العبادة من دونه، أما المقطع (أن) فيدل على أن الفضل يرجع إليه أيضا في عمارة الأرض، والمقطع (تغ) يدل على حث القوم على الرجوع إلى الله وطلب المغفرة منه، أما المقطع (تر) فيدل على تنبيه القوم بشدة قرب الله عز وجلّ لعباده،

1 - سورة هود: الآية 61.

"والقرب هنا مستعار للرأفة والإكرام، لأن البعد يستعار للجفاء والإعراض"[1]، والمقطع المنبور الأخير (جيب) يدل على شدة سرعة الاستجابة لدعاء القوم.
أمّا المقطع (كم) فإن النبر عليه في (أنشأكم، استعمركم) يدل على تذكير صالح قومه بمثالين من آلاء الله ونعمه عليهم لعلهم ينتبهون وهي الإنشاء وما تحمل من معاني الخلق الحسن ومراحل التكوين والاستعمار التي تعني "الإعمار ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعدّ تعميرا للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض"[2].
والنبر على المقطع (هن) في إله يدل على تجريد هذا الإله الذي يعبد من دون الله من كل صفات الألوهية التي يمكن أن يتصف بها في نظرهم، والمقطع (هُ) في غيره يدل على تأكيد صفات الربوبية والألوهية التي يتصف بها الله عن سائر الآلهة الأخرى التي تعبد من دونه، والمقطع (هُ) في (استغفروه) يدل على اقتناع القوم وحثهم على الرجوع إليه وطلب المغفرة منه لا غيره، والمقطع (هِ) في (إليه) يدل على تركيز صالح على أن الله أولى بالاستغفار وقبول التوبة عن عباده، أما المقطع (بي) في (ربّي) فيدل على إحساس صالح الشديد واعترافه بجميل الله وفضله عليه.
أما ما يتعلق بالتنغيم فإن نغمات المجموعات المقطعية تتراوح بين الثبوت والهبوط وهذا مناسب لمقام النصح والإرشاد والأمر والنهي.
فماذا كان جواب القوم؟
قال تعالى: "قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ"[3].

يَا/ صَا/ ل ِـ/ ح ُـ/ ق ـَ دْ/ كُن/ ت ـَ/ فِي/ نَا/ مَرْ/ جُوْ/ وَنْ/ قبْ/ لَ/ هَا/ ذَا/

أَ/ تَنْ/ هَا/ نَا/ أن/ نَعْ/ ب ـُ/ د ـَ/ مَا/ يَعْ/ بُ/ دُ/ آ/ بَا/ ؤُ/ نَا/ وَ/ إن/ نَ/ نَا/ لَ/

فِي/ شَكْ/ كِن/ مِم/ مَا/ تَدْ/ عُو/ نَا/ إِ/ ليْ/ هِ/ مُ/ رِيبْ/.
المقاطع المنبورة نبرا مضاعفا هي (يا، كن، نع، ما، يع، با، في، ما، ريبْ)، والمقاطع المنبورة نبرا دلاليا هي (نا، ذا، نا، نا).
افتتح رد القوم بالنداء (يا) "لقصد التوبيخ أو الملام والتنبيه... وقرينة التوبيخ هنا أظهر، وهي قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا، فإنه تعريض بخيبة رجائهم فيه، فهو تعنيف"[4]، والنبر على المقطع (كن) يدل على تذكير صالح عليه السلام بماضيه قبل الدعوة "أي كنت مرجوا لخصال السيادة وحماية العشيرة ونصرة الآلهة"[5]، ونبر القوم عند ردّهم على دعوة صالح على المقطع (نع) في (نعبد) هو تعجبهم واستنكارهم على نهي صالح لهم بترك عبادة الأصنام وعبادة الواحد الأحد، والضغط على الاسم الموصول (ما) في التعبير عن أصنامهم "لما في الصلة من الدلالة على استحقاق تلك الأصنام أن يعبدوها في زعمهم"[6]، والنبر على المقطع (با) في (آباؤنا) يدل على شدة تمسكهم بعقيدة الأجداد، ونبرهم على المقطع (في) يدل على تمكن الشك وتعمقه في

1 - الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م6، ج12، ص 109.
2 - التحرير والتنوير، م6، ج12، ص 108.
3 - سورة هود، الآية 62.
4 - الطاهر بن عاشور :التحرير، م6، ج12، ص 109.
5 - المصدر نفسه ، ص 110.
6 - المصدر نفسه، م6، ج12، ص 109.

سويداء قلوبهم، والمقطع (ما) يدل على مدى جهلهم وإنكارهم لدعوة صالح وهذا باستعمالهم الاسم الموصول بدلا من الحديث عن مضمون هذه الدعوة، أما المقطع الأخير (ريبْ) فيدل على تأكيد الشك بوصفه بـ(مريب) وهو "اسم فاعل من أراب إذا وقع في الريب، يقال رابه وأرابه بمعنى شككه، ووصف الشك بذلك تأكيد"[1].

أما المقاطع (نا) المنبور نبرا دلاليا فهو يدل على حديث القوم عن أنفسهم، فالمقطع (نا) في (فينا) يحاولون بالنبر عليه أن يستثيروا عاطفة صالح بتذكيره بانتمائه إلى القوم وتذكيره بمرحلة الصبا وحب القوم له، ويدل النبر على المقطع (نا) في (أتنهانا) على تعجبهم مما فعله صالح وهو نهي القوم بترك عبادة الأجداد التي تعد من الأشياء الأساسية في حياتهم، وتعجبهم المستنكر عن جرأة صالح ونهي الملأ من القوم عن مخالفة الأعراف والتقاليد، ونبرهم على المقطع (ذا) يدل على إشارتهم إلى الدعوة وكأنها أمر عظيم وخطير.

أما ما يتعلق بالتنغيم فإن نغمات المجموعة الأولى "يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا" ثابتة وهابطة في نهاية المقطع الأخير من المجموعة الأولى، أما المجموعة الثانية من المقاطع فإنها صاعدة "أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا"، أما المجموعة الأخيرة من المقاطع فإنها ثابتة وهابطة في المقطع الأخير "إننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب"، فالنغمة الثابتة في المجموعة الأولى مناسبة لمقام النداء وتذكير صالح بما كان قبل دعوته، أما النغمة الصاعدة في المجموعة الثانية فإنها مناسبة لمقام الاستفهام الإنكاري والتعجب من أمر صالح عليه السلام، وأما المجموعة الأخيرة ذات النغمة الثابتة المنتهية بالنغمة الهابطة فإنها مناسبة لمقام التأكيد على استمرار القوم في غيّهم وعدم الإيمان بالدعوة التي جاء بها صالح.

المطلب الرابع: جدال شعيب مع قومه:

قال تعالى: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ"[2].

وَسْ/ تَغْ/ فِـ/ رُو/ رَبْ/ بَـ/ كُم/ ثُم/ مَ/ تُو/ بُو/ إِ/ لَيْ/ هِـ/ إِن/ نَ/ رَبْ/ بِي/

رَ/ حِي/ مُنْ/ وَ/ دُودْ/.

المقاطع المنبورة نبرا مضاعفا هي (تغ، ب، تو، إن، بي، حي، دود) ولقد تحدثت عن بعضها سابقا (تغ، تو، بي)، أما المقاطع (ب) في (ربّكم) فيدل على ربوبية الله وعظمته التي تتجلى في الخلق والرزق والرحمة والكرم والرأفة... والضغط على المقطع (حي) في (رحيم) يدل على سعة رحمة الله عز وجل بعباده، والضغط على المقطع (دود) يدل على أن الله شديد المحبة لمن يتقرب إليه لأن الودود من الود وهو المحبة.

أما ما يتعلق بالتنغيم فإن نغمات المجموعة الأولى "واستغفروا ربكم" ثابتة وهابطة في المقطع الأخير وهذا يناسب مقام الوعظ والإرشاد وكذلك المجموعة الثانية "ثم توبوا إليه"، أما المجموعة الأخيرة "إن ربي قريب مجيب" فالنغمة ثابتة وهابطة في المقطع الأخير وهذا مناسب لمقام التوكيد.

فماذا كان جواب القوم؟

قال تعالى: "يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ"[3].

---

1 - المصدر نفسه، ص 111.
2 - سورة هود، الآية 90.
3 - سورة هود، الآية 91.

يَا/ ش ـُ/ عَيْ/ ب ـُ/ مَا/ نَفْ/ ق ـَ/ ه ـُ/ ك ـَ/ ثِي/ رَنْ/ مِم/ مَا/ ت ـَ/ قُو/ ل ـُ/

و ـَ/ إن/ نَا/ ل ـَ/ ن ـَ/ رَا/ ك ـَ/ فِي/ نَا/ ض ـَ/ عِي/ فَنْ/ و ـَ/ لَوْ/ لاَ/ رَهْـ/

ط ـُ/ ك ـَ/ ل ـَ/ ر ـَ/ جَمْ/ نَا/ ك ـَ/ و ـَ/ مَا/ أن/ ت ـَ/ ع ـَ/ ليْ/ نَا/ ب ـِ/

ع ـَ/ زيزْ/.

المقاطع المنبورة نبرا مضاعفا هي (يا، ما، ثي، ما، را، نا، عي، لا، رهـ، نا، ما، أن، ليْ، زيز).

المقطع (يا) تحدثت عنه في معرض تحليل مقاطع جدال صالح مع قومه و(ما) يدل على عدم فهمهم للرسالة التي دعا إليها، أو أنهم تكلفوا عدم فهم الرسالة "لأنهم لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له "وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه"[1] أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه، وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول، أو جعلوا لكلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه، وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الأنبياء"[2]، والضغط على المقطع (ثي) في (كثيرا) يدل على أن الكثير مما قاله لهم لم يفقهوه أو تعمدوا عدم فقهه، والضغط على المقطع (را) في (نراك) يدل دلالة صريحة على التصغير من شأن شعيب قلة وضعفا مشوبا احتقار، والضغط على المقطع (نا) في (فينا) يدل على تعظيم أنفسهم كثرة وقوة، والضغط على المقطع (عي) يدل على محاولة القوم تضعيف قوته والاستهانة بشأنه وجعله لا شيء مثل الذر، والضغط على المقطع (لا) في (لولا) يدل على التهديد بتسليط أليم العذاب عليه، والضغط على المقطع (نا) في (لرجمناك) يدل على تعظيم أنفسهم والافتخار بقوة عددهم وعدّتهم وتلذذهم في إظهار بأسهم وبطشهم محاولة منهم تخويف شعيب على ذلك، والضغط على(ما) في (ما نراك) يدل على أن شعيبا لا يشكل خطرا عليهم كفرد ولا أهمية له ولا يعدّ إنسانا ذا بال، والضغط على المقطع (أن) في (أنت) يدل على مبالغتهم في التركيز عليه والضغط عليه وإجماعهم عليه للمزيد من تخويفه، والمعنى أنهم يكنّون له أشد الحقد والغيظ وتسليط أشد العقاب عليه لو ظفروا به، والضغط على المقطع (رهـ) في (رهطك) يدل على أن الرهط هم السبب في عدم وصول القوم إليه، والضغط على المقطع الأخير (زيز) يدل على تجريده من كل ما من شأنه أن يكون قويا منيع الجانب.

أما ما يتعلق بالتنغيم فيمكن تقسيم هذه الآية إلى مجموعات مقطعية نغمية يا شعيب نغمة ثابتة تليها نغمة هابطة وهذا منا سب لمقام التنبيه بالنداء، ما نفقه كثيرا مما تقول نغمة ثابتة تليها نغمة هابطة وهذا مناسب لمقام النفي والإنكار، وإنا لنراك فينا ضعيفا نغمات ثابتة تليها نغمة هابطة وهذا مناسب لمقام الاستهزاء والتحقير، ولولا رهطك لرجمناك نغمات ثابتة تليها نغمة هابطة وهذا مناسب لمقام التهديد، وما أنت علينا بعزيز نغمات ثابتة تليها نغمة هابطة وهذا مناسب لمقام الاحتقار.

المطلب الخامس: نبر الجمل

قال تعالى: "أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ"[3].

أأنت: يدل على الشك في الفاعل إبراهيم أم غيره.

---

1 - سورة الأنعام، الآية 25.

2 - الزمخشري: الكشاف، م2، ص 407.

3 - سورة الأنبياء، الآية 62.

فعلت: يدل على التركيز على الفعل الذي قام به إبراهيم والاهتمام به.
هذا: يدل على التركيز على نوعية الفعل الذي قام به إبراهيم وهو التحطم وجعل الأصنام قطعا متفرقة.
بآلهتنا: يدل على الاهتمام والتركيز على من وقع عليه فعل التحطيم.
يا: يدل على الاهتمام بتنبيه الفاعل (إبراهيم) عن غفلته ولا مبالاته وإدراك عاقبة فعله.
إبراهيم: يدل على الاهتمام والتركيز على شخصية الفاعل فعل التحطيم والاستغراب عن أنه ابن آزر صانع وحامي الأصنام.
قال تعالى: "أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيم"[1].
راغب: يدل على تعجب آزر من موقف إبراهيم من الأصنام وهو الرغبة عنهم.
أنت: يدل على تعجب آزر من أن يكون ابنه وأقرب الناس إليه هو من ينكر عبادة الأصنام.
آلهتي: يدل على تعجب واستنكار آزر من الشيء المستنكّر من قبل إبراهيم وهي الآلهة أحب الأشياء إلى آزر وأعظمها بدليل نسبتها إليه.
يا: تنبيه إبراهيم من غفلته وعدم انتباهه إلى الفعل العظيم الذي ارتكبه وهو إنكار عبادة الأصنام.
إبراهيم: تعجب من أن يكون إبراهيم ابنه هو من أنكر عبادة الأصنام ولربما لم يكن ينتظر آزر أن يكون ابنه إبراهيم بالذات هو الذي أنكر عبادة الأصنام لأنه كان يحسن إليه ويرعاه أو أنّ إبراهيم من أحسن أبنائه.

1 - سورة مريم، الآية 46.

الفصل الثاني

الخصائص الصرفية للجدل القرآني ودلالتها

المبحث الأول: مفهوم الصرف والدلالة الصرفية

المطلب الأول: مفهوم الصرف وعلاقته بالنحو:

أولا: الصرف لغة واصطلاحا:

أ - الصرف لغة: هو "التغيير والتحويل من وجه إلى وجه أو من حال إلى حال ولا يخرج ما في المعاجم العربية عن هذا المعنى، وقد وردت مادة "صرف" في القرآن الكريم بهذا المعنى في كثير من الآيات، كقوله تعالى: "انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ"[1] وقوله: "وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"[2] وغيرها من الآيات"[3].

ب - الصرف اصطلاحا: هو التصرف في الحروف الأصول من الكلمة فتتصرف فيها "بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصرف فيها، والتصريف لها نحو قولك ضرب، فهذا مثال الماضي، فإن أردت المضارع قلت يضرب، أو اسم الفاعل قلت ضارب، أو المفعول قلت مضروب، أو المصدر قلت ضربا، أو فعل ما لم يسم فاعله قلت ضُرب، وإن أردت الفعل أكثر من واحد على وجه المقابلة قلت ضارَب، فإن أردت أنه استدعى الضرب قلت استضرب، فإن أردت أنه كثر الضرب وكرّره قلت ضرّب، فإن أردت أنه كان فيه الضرب في نفسه مع اختلاج وحركة قلت اضطرب، وعلى هذا عامّة التصرف في هذا النحو من كلام العرب، فمعنى التصريف هو ما أريناك من التقلب بالحرف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادة منها وغير ذلك"[4].

ويقسّم أحد المحدثين الصرف من الناحية الاصطلاحية إلى قسمين أحدهما عملي والآخر علمي؛ فالتصريف بالمعنى العملي هو "تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها كاسم الفاعل والمفعول واسم التفضيل والتثنية والجمع إلى غير ذلك، وبالمعنى العملي علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء"[5]. أما تعريف المحدثين لعلم الصرف فإنه لا يخرج عن تعريف الأقدمين؛ فالصرف عندهم هو "العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعرابا ولا بناء، والمقصود بالأبنية هي هيئة الكلمة"[6]، ويمكن تلخيص رأي المحدثين "بأن كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة، أو – بعبارة بعضهم – وتؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية، كل دراسة من هذا القبيل هي صرف في نظرنا"[7].

ومما سبق نستنتج أن تعريف الصرف من الناحية الاصطلاحية ينقسم إلى قسمين كما أشير إليه سابقا، وهما علمي وعملي؛ فالعلمي هو أن يحيط الإنسان الذي يريد إتقان لغته علما بما يتعلق بالصرف أي الجانب النظري منه، والعملي هو تصريف الكلمة إلى صيغ متعدّدة، وهذا الجانب يتعلق بالتعليم، ويمكن إيجاد جانب آخر وهو دراسة نص من النصوص واستخراج خصائصه الصرفية وما تحمل من دلالات، وهذا الجانب يتعلق بالبحث الأكاديمي الجاد، ويمكن تلخيص هذه الجوانب فيما يلي:

---

1 - سورة الأنعام، الآية 46.

2 - سورة البقرة، الآية 164.

3 - أبنية الصرف في كتاب سيبويه: خديجة الحديثي، ص1، 1965م، 1385هـ، منشورات مكتبة النهضة، ط1، بغداد، ص 23. ولقد استخلص الدكتور عبد الفتاح الدجني 9 معاني لكلمة صرف صرفا، والمعنى الأقرب من هذه المعاني هو التغيير الذي أخذ به، ينظر عبد الفتاح الدجني، في الصرف العربي نشأة ودراسة، ط2، 1403هـ، 1983م، مكتبة الفلاح، الكويت، ص 13، 15،14.

4 - ابن جني: التصريف الملوكي، صححه وفهرس مطالبه وشواهده سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، ص1، شركة التمدن الصناعية بالقربية، 1331هـ، 1913م، ص 4.

5 - الحملاوي: كتاب شذ العرف في فن الصرف، دط، دت، المكتبة العلمية، بيروت، ص 17.

6 - عبده الراجحي: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 7.

7 - كمال بشر: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، ط2، 1971، دار المعارف بمصر، ص 85.

1) الصرف كعلم: معرفة كيف تصاغ الأبنية وأصولها.
2) الصرف كتصريف: تحويل بنية الكلمة إلى صيغ مختلفة.
3) الصرف كدراسة: تحليل نص من النصوص ومحاولة استخراج خصائصه الصرفية وما تحمل من دلالات.

ثانيا: موضوع علم الصرف:

يهتم علم الصرف "بالألفاظ العربية من حيث تلك الأحوال، كالصحة والإعلال والأصالة والزيادة ونحوها"[1]، كما أنه يتناول "الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة في اللغة العربية، ولا يدخل الأسماء الأعجمية ولا يتعلق بالحروف وأشباهها"[2].

يقول ابن عصفور: "واعلم أن التصريف لا يدخل في أربعة أشياء، وهي الأسماء الأعجمية التي عجمتها شخصية كإسماعيل ونحوه، لأنها حكاية ما يصوت به، وليس لها أصل معلوم، والحروف ما شبّه بها من الأسماء المتوغلة في البناء نحو "مَنْ" و"ما" لأنها لافتقارها بمنزلة جزء من الكلمة التي تدخل عليها فكما أن جزء الكلمة الذي هو حرف الهجاء لا يدخله تصريف، فكذلك ما هو بمنزلته"[3]. أما ما يتعلق بتصريف بعض الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وجمعها وتصغيرها "فهو صوري لا حقيقي فلفظ "هذان" مثلا ليس فرعا للفظ "هذا" بل وضع كلاهما وضعا مستقلا، وكذلك "ذا" و"ذيّا" و"تا" و"تيّا" فإن التصغير في مثل هذه الكلمات لا ينقاس، ولذلك جاء على غير قياس التصغير"[4]، فموضوع علم الصرف في الأخير "يتناول اللفظة المفردة وما يعرض لحروفها من إعلال وإبدال وحذف وقلب أو إمالة أو إدغام"[5]. ولقد كتب الدكتور كمال بشر مقالا مفصلا عرض فيه نظرته الجديدة لعلم الصرف، وقسم علم الصرف إلى نوعين:

- النوع الأول يتمثل في أبواب وبحوث اعتبرها من صميم الدراسة الصرفية لأنها تهتم "بدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنما لغرض معنوي، أو للحصول على قيم صرفية تفيد في خدمة الجمل والعبارات، ومن أهم أبواب الصرف هنا المشتقات وتقسيم الفعل إلى أزمنته المختلفة، والعريف والتنكير وأقسامها، والمتعدي واللازم، والمتصرف والجامد.. فالبحث في هذه المسائل وأمثالها بحث صرفي صميم إذ يخدم الجملة ويجعلها ذات معانٍ مختلفة، بحيث لو تغيّرت وحدتها تغيرت معانيها"[6].
- النوع الثاني ويتمثل في مسائل من الصرف التقليدي تهتم "بالنظر في الكلمة من حيث الزيادة والأصل والأوزان، والأبنية، وما إلى ذلك من تغيرات في صور الكلمات، هي تغييرات لا تعطي معاني أو قيما صرفية تخدم الجملة والعبارة، هذه الأبواب والمسائل كثيرة إلى حدّ تصعب معالجتها في هذا البحث"[7].

ومن هذه المسائل[8]:

- الكلام عن همزة التأنيث، في نحو "صحراء" والأصل المنقلبة عنه.
- أوزان الفعل الثلاثي الستة ليست ذات قيم صرفية ولكنها ذات قيم لفظية تساعد على النطق الصحيح لصيغة الفعل.
- صيغ جمع التكسير وأبنيته وقيمها الصرفية.

---

1 - الحملاوي: كتاب شذ العرف في فن الصرف، ص 17.
2 - عبد الفتاح الدجني: في الصرف العربي نشأة ودراسة، ص 34.
3 - ابن عصفور :الممتع في التصريف تحقيق فخر الدين قباوة ، ط4 ، 1339ه _ 1979 م منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ج1، ص 35.
4 - خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص 26.
5 - المرجع نفسه، ص 27.
6 - مفهوم علم الصرف: مجلة مجمع اللغة العربية، ج25، رمضان 1389هـ، نوفمبر 1969م، ص 110.
7 - المرجع السابق، ص 112.
8 - ينظر المرجع نفسه، من ص 112 إلى 131.

- صيغة (افتعل) وفروعها ودراسة فائها إذا كانت من حروف الإطباق أو إذا كانت دالا أو ذالا أو زايا هي أقرب إلى ميدان الأصوات منها إلى الصرف.
- فعل الأمر الثلاثي (قل) والفعل المضارع المؤكد المسند إلى ضمير الجماعة نحو "لتكتبنّ".
- البحث في أصول الفعل الأجوف والناقص وما تفرع منه من حيث أصل الكلمة.
- من الأجدر أن تدرس دراسة وصفية آنية أو دراسة تاريخية.

والسبب الذي جعل الدكتور كمال بشر يعيد النظر في هذه القضايا لأن بحثها ودراستها بذلك الشكل يغلب عليه طابع التخمين والظن والاحتمالات "والإغراق في بحث الجزئيات والمبالغة في الجري وراء فكرة الأصول والزوائد واعتقادهم أن للكلمات أصولا وزوائد تنضم إليها بحسب الحاجة والظروف المعيّن"[1]، واعتبر أن الحديث عن تلك المسائل "نوع من الترف العلمي الذي لا نستطيعه في وقتنا هذا، أو نوع من شغل الوقت وقتل الفراغ بقطع النظر عن أية نتائج علمية، أو قل إن البحث في هذا القضايا ونحوها نتيجة من نتائج الإغراق في الافتراض والتوهم بدافع إظهار البراعة في الجدل إرضاءً لنزعات مذهبية"[2].

وفي دراستي للخصائص الصرفية ودلالتها للجدل القرآني سوف أتناول النوع الأول الذي يتعلق بالاسم ودراسته من حيث التنكير والتعريف، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، كما أتطرق إلى دراسة الفعل وأنواعه والصيغ المتعلقة بالفعل التي امتاز بها الجدل القرآني، وأدرس أيضا المشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، والصفة المشبّهة، واسم الفعل، كما أتحدث أيضا عن بعض الصيغ المركبة، ولا أتناول المسائل الأخرى المتعلقة بأصل الكلمات أو النطق الصحيح للفعل، والزيادة والحذف والإعلال والتي تدرس الكلمة من حيث صورتها فقط دون ما تدل عليه من وظائف ودلالات، وهي التي اقترح كمال بشر أن تدرس في إطار علم اللغة العام، أو أن تدرج ضمن علم الأصوات.

ثالثا: علاقة الصرف بالنحو:

يخالف الصرف عن النحو اختلافا جوهريا من حيث طبيعة كل واحد منهما وما يحمل من خصائص، يقول ابن جني: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة،ألا ترى أنك إذا قلت "قام بكر"،"رأيت بكرا" و"مررت ببكر"فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم يعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أنّ هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بُدئ قبله بمعرفة الحو، ثم جيء به بعد ليكون الارتياض من النحو موطئا للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرّف الحال"[3]أما ما يتعلق بعلاقة الصرف بالنحو من حيث تاريخ نشأتهما فيجمع العلماء أن مواضيع الصرف كانت مختلطة بمواضيع النحو أو بالأحرى كانت ضمن الدراسة النحوية للقرآن ف القرن الأول الهجري: "لم يكن الصرف علما قائما بذاته أول الأمر، وإنما كانت الدراسة الصرفية ضمن الدراسات النحوية لأن علوم اللغة العربية لم تنفصل فحدد نصولها ومباحثها.

---

1 - المرجع السابق، ص 114.
2 - المرجع نفسه، وللمزيد من الاطلاع على تصور كمال بشر ومفهومه للصرف العربي، يراجع كتابه دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، من ص 81 إلى 120.
3 - ابن جني : المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني،تحقيق إبراهيم مصطفى عبد الله أمين ،د ط ،دت ، البابيي الحلبي ،ج1، ص 4-5.

وبعد أن نشطت حياة التأليف والحركة العلمية عند العرب اتجهت الدراسات نحو التخصص، فأخذت علوم العربية ينفصل بعضها عن الآخر ويستقل عن غيره، فنشأت الدراسات النحوية الصرفية، والدراسات الصرفية الخالصة على مرّ الأيام"[1]، وأول كتاب جمع بين مباحث النحو والصرف هو كتاب سبويه "وقد جمع سبويه مباحث الصرف في سياق ضبطه لعلوم العربية ووضع قوانينها دون تفرقة بين نحو وصرف، وقراءات وأصوات، وغير ذلك، وإن كان يمكن أن يقال إن سبويه جمع مسائل الصرف في مكان متميز، وذلك يدل على تمييز مواد الصرف عنده عن مواد النحو، وإن لم يشر إلى أنها خاصة بعلم غير النحو"[2]، ولم تنفصل المباحث الصرفية عن المباحث النحوية إلا في القرن الثالث الهجري، ويعدّ كتاب التصريف للمازني أول دراسة صرفية مستقلة عن النحو[3]، إلا أنه "لا يخرج عمّا ذكره سبويه في الكتاب في باب التصريف مع تلخيص وإضافة بعض الشواهد والأمثلة"[4].

ثم توالت الكتب المتخصصة في علم الصرف بعد ذلك فألف ابن جني كتابا شرح فيه "التصريف" للمازني، سمّاه "المنصف في شرح التصريف" وألف كتابا آخر سمّاه "التصريف الملوكي"، "وكان ابن جني أغزر مادة وأحسن ترتيبا، فقد أطال في موضوعات الصرف، وناقش كثيرا من الآراء، ولكنه لم يضع الصرف وضعه النهائي، وإن رتبه ترتيبا أدق من ترتيب المتقدمين. ولم يخرج الزمخشري مما كتبه سبويه والمازني وابن جني وإن كانت الموضوعات التي ذكرها أكثر تفصيلا وأحسن ضبطا، وأخذت بحوث الصرف شكلها الأخير على يد ابن الحاجب الذي هذّب مسائله ورتّب أبوابه، وجمع ما تفرّق من مسائله في الكتب الأخرى، فكان كتابه "الشافية" من خيرة الكتب التي أخرجت في الصرف من حيث الإحاطة والتبويب، وكان ابن مالك من أواخر الذين بحثوا في موضوعات الصرف بحثا شيّقا ممتعا؛ فقد فصّل في أبوابه ومسائله ولم يجئ من بعده من أتى بجديد أو ببحوث فيها طرافة، وفيها متعة، وكل ما فعله المتأخرون هو تلخيص الكتب المتقدمة أو شرحها والتعليق عليها، كما في شروح "الشافية" الكثيرة، وشروح كتب ابن مالك، ولا سيما "الألفية" و"التسهيل""[5].

المطلب الثاني: مفهوم الدلالة الصرفية:

معنى الدلالة الصرفية هي ما يمكن أن تستخرج من الصيغة الصرفية من معاني ودلالات زيادة على ما تدل عليها الحروف الأصول من دلالة معجمية؛ فمثلا: لا يكفي لبيان معنى (استغفر) معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ،ف،ر)، بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة، وهي هنا وزن (استفعل)، و الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب، واللغة العربية تمتاز بكثرة صيغها وأوزانها، ولا وجه للموازنة بينها وبين اللغات الأخرى في غزارتها، وهذه الأبنية والصيغ لها دلالات خاصة استعملها العرب في كلامهم لتدلّ على وظائف معيّنة، فجعلوا للفاعلية والمفعولية والمكان والزمان والسببية والحرفة والأصوات والمشاركة والآلة والتفضيل والحدث ولمعان أخرى كثيرة صيغا خاصة وقوالب بحيث إذا بنيت أي مادة من مواد الألفاظ على تلك الهيئة وصيغت في ذلك القالب أدّت ذلك المعنى متصلا بتلك المادة، فلو قلت التزاور مدعاة للألفة، فالتزاور مؤلفة من مادة (زور)، وقالب (التفاعل) الدال على المشاركة، فأصبح المعنى زيارة للناس بعضهم بعضا، ولفظ مدعاة مكوّن من مادة (دعو)، وقالب (مفعلة) الدال على تسبيب الشيء، وكثرته مثل مشغلة وملهاة، فمعناها السبب الداعي

---

1 - خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص 27.
2 - المصدر نفسه، المكان نفسه.
3 - ينظر عبد الفتاح الدجني: في الصرف العربي، ص 19.
4 - المرجع نفسه، ص 20.
5 - خديجة الحديثي: أبنية الصرف، ص 39-40.

إلى..والألفة مصدر من ألف يدل على الفعل نفسه"[1].

ولقد اجتهد علماء النحو والصّرف الأوائل في استنباط المعاني الصيغ الصرفية «فوقفوا في كثير منها، ومن ذلك ما هو معروف مشهور كالأسماء المشتقة المذكورة في كتب الصّرف، كاسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة بالفعل وأفعل التفضيل، واسم الزمان والمكان واسم الآلة، وكأوزان الأفعال وتصاريفها المختلفة وبعض أنواع الجموع القياسية السالمة منها وغير السالمة، ومنها ما عني به فقهاء اللغة مما لم يذكره علماء الصرف"[2]، ولقد تحدّث سيبويه عن دلالات الصّيغ وعقد لذلك أبوابا كثيرة منها: باب افتراق فعلت وأفعلت في الفعل للمعنى، باب دخول فعَّلت على فعَلتُ لا يشركه في ذلك أفعلتُ، باب دخول الزيادة في فعلت للمعاني، باب استفعلتُ، باب موضع افتعَلت، باب افعوعلتُ، وما هو على مثاله مما لم نذكره[3].

يقول مثلا:" تقول: دخل وخرج وجلس، فإذا أخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلتَ: أخرجه وأدخله وأجلسه، وتقول: فزع وأفزعته وخاف وأخفته، وجال أجلته، وجاء أجأته، فأكثر ما يكون على فعُِل إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبنى الفعل منه على أفعَلتُ، ومن ذلك أيضا مكُث وأمكثته"[4]، أراد بذلك أن الفعل الثلاثي اللازم إذا أريد تعديته زيدت همزة في أوله سواء أكان عين الفعل مفتوحا كجلس أو مكسورا كفزع أو مضموما كمكُث، ويقول أيضا" تقول: كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلتَ : كسّرته وقطعته ومزّقته، وما يدلّك على ذلك قولهم: علطتُ البعير وإبل معلّطة وبعير معلوط، وجرحته، وجرّحتهم وجرّحتُه: أكثرت الجراحات في جسده"[5] فتضعيف عين الفعل يفيد في نظر سيبويه التكثير، ويقول أيضا «وذلك قولك كسرته فانكسر، وحطمته فانحطم، وحسرته فانحسر، وشويته فانشوى، وبعضهم يقول: فاشتوى،..

ونظيره فعلتُه فانفعل: أفعلته ففعَل، نحو أدخلته فدخل وأخرجته فخرج ونحو ذلك»[6]، وتدل صيغة (انفعل) كانحطم وانحسر، وانشوى على المطاوعة أي الاستجابة والإذعان لفعل: حطم وحسر وشوى، ويدل الفعل أحيانا على المطاوعة دون وجود صيغة (انفعل) أو (افتعل) كأدخلته فدخل، وأخرجته فخرج، نكتفي بهذه الأمثلة للتدليل على جهود علماء النحو والصّرف في استنباط دلالات الصيغ الصّرفية، وننتقل إلى فقهاء اللغة ومن أبرز من تحدّث عن دلالات الصيغ الصرفية من فقهاء اللغة ابن جنّي للدلالة الصرفية كثيرة ومتنوعة فانطلاقا من فكرة المقابلة بين صيغ الألفاظ ودلالاتها.

بحث ابن جنّي في معاني العديد من الصّيغ، وبين كيف أن العرب تفرّق بين المعاني بحركة الحرف بل تناسب بالصيغة وحركاتها واقع الفعل الذي يعبّرون عنه"[7].

يقول ابن جني في باب امساس اللفظ أشباه المعاني «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحّته، قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّا فقاله صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان إنما تأتي للاضطراب والحركة نحو النقزَان والغليان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات (الأفعال) فاسم صوت الجندب (صرّ) ناسب استطالة صوت الجندب، واسم صوت البازب(صرصر) ناسب

1- محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية: ص278

2- المرجع نفسه، ص116

3- سيبويه :الكتاب: ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، 1402هـ-1982م، دار الجيل للطباعة – مصر مكتبة الخاجي بالقاهرة، ج4، ينظر الفهرس 487-488

4- المصدر نفسه، ج4، ص55

5- المصدرنفسه ،ج4، ص64

6- المصدر نفسه: ج4، ص64

7-حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية الصوتيةعند ابن جني دط، ،1986 ،دار الرشيد للنشر ،الجمهورية العراقية ص283، 284

تقطّع صوت البازي، كما ناسب توالي حركة الفتحة في المصادر التالية: (النقزان، الغليان، الغثيان) توالي حركة أفعالها في الواقع وهي النقز والغلي والغثي.

وابن جنّي لم يقف في هذه الأمثلة التي استشهد بها كل من سيبويه والخليل على مناسبة الصيغة لحركة الفعل في الواقع، بل تحدث عن صيغ ناسبت أفعالها في الواقع فقال: «ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه، ومنهج ما مثّلاه، وذلك أنّك تجد المصادر الرّباعية المضعّفة تأتي للتكرير، نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة، ووجدت أيضا (الفَعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو: البشَكى، والجمَزى، والولقى..فجعلوا المثال المكرّر للمعنى المكرّر أعني باب القلقلة المثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها»[1] المقصود بالمثال عند ابن جنّي الصيغة الصرفية المناسبة للفعل في الواقع، فإذا تكرر الفعل في الواقع تكرر محتوى الصيغة الصرفية الدالة عليه مثل: الزعزعة التي تكرر الزاي فيها الزاي والعين مناسبة لتكرّر الفعل في الواقع، كما أن توالي حركة الفتحة على أحرف المصادر (البشكى، الجمزى، الولقى) مناسب لدلالة هذه المصادر وهي السرعة والحركة.

ولابن جنّي إشارة خاصة حول دلالة الصيغة يمكن تسميتها بدلالة ترتيب حروف الكلمة على ترتيب الأفعال في الواقع، يقول في هذا الصدد «من ذلك أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب نحو: استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرًا، واستصرخ جعفر، فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال..فجاءت الهمزة والسين والتاء، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء والعين واللام، فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك؛ وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأتي لوقوعه تقدّمه ثم وقعت الإجابة إليه فتبع الفعل السؤال فيه، والتسبب لوقوعه، فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة»[2].

إن ابن جني بإحساسه اللغوي المرهف أضاف إلى معنى الطلب الذي تدل عليه الهمزة والسين والتاء معنى جديدا وهو ما أشير إليه في هذه الفقرة، فالطلب في الواقع يسبق الاستجابة لذلك الطلب، فإذا تحقق ذلك في الواقع يسبق الاستجابة لذلك الطلب، فإذا تحقق ذلك في الواقع حكت لنا صيغة (استفعل) ما حدث بالترتيب، فكما أن الطلب يسبق الاستجابة فكذلك حروف الزيادة الدالة على الطلب تسبق الحروف الأصول.

ولقد تحدث ابن جنّي عن دلالة الزيادة في المبنى على الزيادة في المعنى فقال:« من ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا: كسّر، قطّع، فتّح، غلّق، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوّة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك أنها واسطة لهما ومكنونة بهما»3 بما أن عين الفعل هو الأساس في الصيغة المجرّدة فأي زيادة في المعنى الواقع تنعكس على الصيغة وعلى عينها بالأساس لأنه عمدة الدلالة الأصلية، ولقد عقد بابا في هذا المعنى سمّاه " باب في قوة اللفظ لقوة المعنى فقال:«هذا فصل من العربية حسن، ومنه قولهم خشُن واخشوشن، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن، لما فيه من تكرير العين وزيادة..وكذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا اعشوشب..ومنه باب فعل وافتعل، نحو قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم قدر كذلك قال أبو العباس، وهو محض القياس، قال الله سبحانه«أخذ عزيز مقتدر»[4]، فمقتدر هنا أوفق من

1- ابن جني: الخصائص ،ج2، ص152

2- ابن جني : الخصائص ج2، ص153، 154

3- المصدر السابق: ج2،ص155

4- سورة القمر ،الآية 42

قادر، من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ»[1].

ولقد عقد ابن الأثير بابا على غرار ما ذهب إليه ابن جنّي سماه "في قوة اللفظ لقوة المعنى" تحدث فيه عن معاني الزيادة التي تطرق إليها ابن جنّي، ويرى أن الزيادة في المبنى «فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا لا نزاع فيه لبيانه وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة، فمن ذلك قولهم خشُن واخشوشن، فمعنى (خشن) دون معنى (اخشوشن) لما فيه من تكرير العَين وزيادة الواو نحو: فعَل وافعوعل، وكذلك قولهم: أعشب المكان فإذا رأوا كثرة العشب قالوا: اعشوشب»[2]، وابن الأثير لم يضف شيئا من معاني الزيادة في صيغة افعوعل إلا معنى المبالغة،كما أضاف معنى المبالغة في الفرق بين (قدر) و(اقتدر)، فمعنى (اقتدر) أقوى من معنى (قدر)، قال الله تعالى: « فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ »[3]، فمقتدر هاهنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب أو الدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذلك أن مقتدر اسم فاعل من اقتدر وقادر اسم فاعل من قدّر، ولا شكّ أن (افتعل) أبلغ من (فعل)[4]، فابن الأثير في تعليقه عن الفرق بين مقتدر وقادر استعمل كلمة أبلغ عوض عن كلمة أوفق التي ذكرها ابن جنّي في التفريق بين المعنيين كما أشار إلى علّة التفخيم والمبالغة في الدلالة وهي غضب الله وقدرته.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن الدلالة الصرفية عند المفسرين نجد أن الزمخشري يعدّ من الأئمة اللغويين الذين تحدّثوا عن دلالة الصيغ الصرفية، يقول موضحا سبب ورود كلمة نزّل في قوله تعالى « وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ »[5]، فإن قلتَ: لم قيل (مما نزلنا) على لفظ التنزيل لا الإنزال قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم.وذلك أنهم يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقب آيات، فقيل إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلمّوا نجما فردا من نجوم سورة من أصغر السور، وآيات شتى مفتريات، وهذه غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل»[6]، فالفرق بين نزّل وأنزل أن نزّل تدلّ على تكرار الإنزال بحسب الأحداث، وأنزل يدل على نزول القرآن مرة واحدة، ولقد استفاد الزمخشري في تفسيره لبعض الآيات مما استنبطه ابن جنّي من دلالات لبعض الصيغ الصرفية من ذلك صيغة الفعَلان الدالة على الحركة والاضطراب، قال مفسّر الآية الكريمة « وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ »[7].

وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء «فعلان» من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقصان واللهبان وما أشبه ذلك،والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة»[8]، إلا أن الصيغة فعلان الدالة على الاضطراب عند ابن جنّي تدل على ما هو محسوس أما هذه الصفة تدلّ على ما هو معنوي روحي[9].

1- المصدر السابق: ج3، ص264،265

2- ابن الأثير، المثل السائر، قدم له وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ط2، 1403هـ-1983م، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ج2، ص279.

3- سورة القمر،الآية 42

4- المصدر السابق: ج2، ص279،280

5- سورة البقرة، الآية 23

6- الزمخشري: الكشاف: م1،ص102،103

7- سورة العنكبوت ،الآية 64

8- المصدر السابق م3،ص448

9- ينظر: أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، إشراف وتقديم: نور الدين عتر، ط1، 1415- 1994م، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق ص242

ويعدّ السيد قطب من أبرز المفسرين المعاصرين الذين أوتوا حسا لغويا وحدسا روحانيا وخيالا مبدعا مما جعله يستنطق الآيات القرآنية ببراعة فائقة وذكاء وقاد وتفطن هو الآخر إلى قاعدة الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى في دلالات الصيغ وإن لم يشر إلى ذلك، وإنما نستطيع إخراج هذه المعاني من بعض وقفاته في تفسيره لبعض الآيات القرآنية، فهو مثلا في تفسيره لقوله تعالى :" مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ »[1]، يقول «لو أنك حذفت الشدة من الكلمة، فقلت تثاقلتم، لخف الجرس وضاع الأثر المنشود ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها اللفظ واستقلّ برسمها»[2].

المبحث الثاني:

الخصائص الصرفية للجدل القرآني

امتاز الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم بخصائص صرفية متنوعة أثرت هذا الجدال، واستعملها طرفا الجدال كوسيلة للتعبير عن آرائهما وحججهما ووظفها في خدمة أغراضهما ومقاصدهما؛ فالأنبياء استعملوا صيغا صرفية في سياق دعوتهم لأقوامهم إلى الله واجتناب الشرك، وإسداء النصح لهم وحب الخير والصلاح لهم، وبذلوا كل ما في وسعهم من أجل أن يكونوا سببا في اهتداء أقوامهم.

أما الأقوام على رأسهم أشرافهم وظفوا صيغا صرفية في سياق جحدهم وإنكارهم وتكذيبهم بما جاء به أنبياءهم، واستجمعوا كل طاقاتهم لمحاربة هذه الدعوات، وذلك بنعت أنبيائهم بأشنع الصفات وتهديدهم بأبشع العقوبات بغية إسكات الحق ووأده في المهد.

وسوف أتحدث عن هذه الخصائص على سبيل التمثيل لا الحصر، وأهمها النكرة والمعرفة دلالتها، والصيغ الصرفية الفعلية، والتعدي، والصيغ الصرفية المشتقة.

المطلب الأول: الاسم.

بعد إحصائنا لعدد الأسماء الواردة في الجدل القرآني تحصلنا على الجدول التالي:

المحاور	الأسماء الواردة في كلام الأنبياء	عدد الأسماء الواردة في كلام أقوامهم	المجموع
جدال نوح مع قومه	115	49	164
جدال هود مع قومه	87	43	13. 0
جدال صالح مع قومه	72	25	97
جدال إبراهيم مع قومه	91	28	119
جدال شعيب مع قومه	118	24	142
المجموع	483	169	652

.

إذا تأملنا هذا الجدول نستنتج أنّ عدد الأسماء الواردة في كلام الأنبياء (483) يفوق بكثير عدد الأسماء الواردة في كلام أقوامهم، والسبب تحدّثنا عنه حين حديثنا عن عدد الأصوات الواردة في كلام الأنبياء وأقوامهم.

1- سورة التوبة: 38

2- سيد قطب التصوير الفني في القرآن الكريم ،ص62

تجدر الملاحظة أنّ عدد الأسماء يفوق عدد الأفعال، إذ أنّ عدد الأسماء 652 اسما، بينما عدد الأفعال (472 فعلا).

وسبب كثرة الأسماء يعود إلى طبيعة موضوع الجدل وهو إرساء دعائم العقيدة وتثبيتها في القلوب، وذلك بالتعريف بأهم أركان العقيدة كالإيمان بالله (الله، إله، رب.) واليوم الآخر (يوم القيامة، العذاب، الجنة، النار..)، وصفات الله (رحيم، ودود، قريب، مجيب، محيط، غفّار..).

والإيمان بالرسول (الرسول، النذير، ناصح، أمين.) والرسالة التي جاء بها الرسول (البينة، الرحمة، الذكر، الخير..).

كما تدل الأسماء على خصوصيات بعض الأقوام: نوح (ودّ،سواع، يغوث، يعوق، نسر..) وقوم هود (البسطة، القوة، ريع، المصانع..)، وقوم صالح (السهول، القصور، الزروع، البيوت)، قوم إبراهيم (الأصنام، الأوثان، التماثيل) وقوم شعيب (الكيل، الميزان، القسط..).

وتدل الأسماء أيضا على ردود أفعال الأقوام السلبية، وذلك بإثبات أوصاف سيئة لأنبيائهم وأتباعهم (كاذب، رجل، جنة، مسحّر، أراذل، بادي الرأي، ضلالة، سفاهة.).

كما ساهمت الأسماء في وصف إيجاد تصنيف جديد للأقوام (المؤمن، الكافر، الفاجر.).

اعتاد النحاة الأوائل الحديث عن النكرة والمعرفة ضمن إطار علم النحو،فهم يدركون العلاقة الوطيدة بين الصرف والنحو مما جعلهم يمزجون بينهما في كتاباتهم الأولى منذ سيبويه إلى أن جاء من فصل العلمين عن بعضهما البعض وأفرد كل منهما بمؤلف خاص.

بما أن الصرف يدرس بنية الكلمة، والاسم هو كلمة، وبما أن النكرة والمعرفة تتعلق بالاسم، فهي من صميم الصرف بالمعنى الذي نفهمه، ونعني بذلك تلك الدراسة التي تعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنما لغرض معنوي، أو للحصول على قيم صرفية تفيد في خدمة الجمل والعبارات، ومن أهم أبواب الصرف هنا المشتقات وتقسيم الفعل إلى أزمنته المختلفة، والتعريف والتنكير وأقسامها، فالبحث في هذه المسائل ومثالها بحث صميم؛ إذ يخدم الجملة ويجعلها ذات معان مختلفة بحيث لو تغيرت وحداتها تغيرت معانيها"[1].

أولا: النكرة:

لقد أدت النكرة دلالات كثيرة أهمها: التعميم، التقليل، التعظيم، النوعية.

1) التعميم:

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في سياق نفي الأرزاق عن الأصنام «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا»[2]، فتنكير الرزق في سياق النفي يدل على أن هذه الأصنام لا تملك أن ترزق لعبدتها وسدنتها رزقا ولو قليلا، وهذا يدل على «عموم نفي قدرة أصنامهم على كل رزق ولو قليلا»[3] «ولا يرزقوكم شيئا من الرزق»[4]، وحينما أبطل ونفى الرزق عن أصنامهم بالنكرة الدالة على العموم أرشدهم إلى من يملك الرزق وهو الله « فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ »[5].

2) التقليل:

قال الله تعالى على لسان هود عليه السلام « فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ »[6]، وتنكير "شيئا" وارد في سياق نفي الضرر الحاصل من القوم عند هلاكهم، فالقوم لا ينالون من الله إن هلكوا ولا يتأثر ملك الله عز وجل

1- كمال بشر، مفهوم علم الصرف، مجلة مجمع اللغة العربية، ج25، نوفمبر 1969، ص110-111

2- سورة العنكبوت، الآية 17

3- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير م10،ج20، ص225

4- الزمخشري : الكشاف: م3، ص433

5- سورة العنكبوت، الآية 17

6- سورة هود، الآية 57

ولا يختل أمره»[1].

و"شيئا" هو «مصدر مؤكّد لفعل تضرّونه المنفي وتنكيره للتقليل كما هو شأن تنكير لفظ "الشيء" غالبا، والمقصود من التأكيد التنصيص على العموم بنفي الضر لأنه نكرة في حيّز النفي، أي فالله يلحق بكم الاستئصال وهو أعظم الضر، ولا تضرونه أقلّ ضرّ، فإن المعروف في المقارعات والخصومات أن الغالب المضر بعدوه لا يخلو من أن يلحقه بعض الضرر من جراء المقارعة والمحاربة»[2] فتعالى الله علوا كبيرا أن ينال منه أحد أو يتأثر ملكه من هلاك أحد، وإفادة تنكير شيئا على قلة الضرر يدل على عدميته مطلقا.

3) التعظيم:

قال الله على لسان نوح عليه السلام في سياق شكواه لربه من عدم استجابة القوم له بالرغم من طول المدة التي دعاهم فيها « وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا »[3].

وتنكير "استكبار" يدل على عظمة الاستكبار وشدة استحكام هذه الصّفة وتمكنها في سويداء قلوب هؤلاء تمكنا عجيبا لا مثيل له، كما يدل على قساوة قلوب القوم. ولقد تحدث القرآن عن أمثال هذه القلوب فقال:« ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ »[4]، فمقارنة الله القلوب القاسية بالحجارة يدل على عظمة وشدة هذه القسوة، كما أن هذه المقارنة هي تعريض للكفار بأن هذه الحجارة رغم قساوتها فإنها لا تبقى قاسية دائما بل تتحرك وتنشق وتهبط من خشية الله فلماذا لا تسلكون مسلك هذه الحجارة ذات الطبيعة القاسية.

ومن السياقات التي وردت فيه النكرة دالة على التعظيم جواب قوم إبراهيم افتخارا بعبادتهم للأصنام « قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ »[5]، بعد أن سألهم «مَاذَا تَعْبُدُونَ» منكرا لهم عبادتهم للأصنام وليس مستفسرا لأن إبراهيم يعلم أنهم يعبدون الأصنام وأنهم يعلمون أن إبراهيم «يعرفها ويعلم أنهم يعبدونها واسم الأصنام عندهم اسم عظيم يفتخرون به على عكس أهل التوحيد. ولهذا قال إبراهيم في مقام آخر « إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا »[6] على وجه التحقير لمعبوداتهم والتحميق لهم، وأتوا في جوابهم بفعل "نعبد" مع أن الشأن الاستغناء عن التصريح إذ كان جوابهم عن سؤاله فيه "تعبدون" فلا حاجة إلى تعيين جنس المعبودات فيقولوا "أصناما" كما في قوله تعالى: « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ »[7]، «مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» فعدلوا عن سنة الجواب إلى تكرير الفعل الواقع ابتهاجا بهذا الفعل وافتخارا به، ولذلك عطفوا على قولهم "نعبد" ما يزيد فعل العبادة تأكيدا بقولهم «فنظل لها عاكفين» وفي فعل "نظل" دلالة الاستمرار جميع النهار وأيضا فهم كانوا صابئة يعبدون الكواكب وجعلوا الأصنام رموزا للكواكب تكون خلفا عنها في النهار، فإذا جاء الليل عبدوا الكواكب الطالعة»[8]، وتعظيم هذه الأصنام وإعادة فعل العبادة والإتيان بفعل الاستمرار يدل على شدة عناد هؤلاء القوم

1- الألوسي: روح المعاني، م7،ج12، ص126
2- التحرير والتنوير: م6،ج12، ص103
3- سورة نوح، الآية 7
4- سورة البقرة، الآية 74
5- سورة الشعراء ، الآية 71
6- سورة العنكبوت، الآية 17
7- سورة البقرة ، الآية 219
8- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير م9،ج18،ص138

والتصريح بالتمادي في غيهم وكأني بهم يقولون لإبراهيم من خلال هذا الرّد «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ»، وهذا الجواب من هذه النفوس المريضة يعدّ من قبيل الاعتزاز بالإثم « وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ »[1] .

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[2].

فتنكير أفٍّ يدل على عظمة السلوك الخاطئ الذي يقوم به القوم وهو عبادة الأصنام والتمادي في ذلك وعظمة الخطأ قابلته قوة ضجر إبراهيم من قومه المعاندين بالرغم من وضوح الدلائل والحجج على خطأ ما يقومون به من أعمال.

ولقد دلت النكرة على التعظيم في كلمة "خير" الوارد في قوله تعالى على لسان شعيب « قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[3]، فشعيب عليه السلام حينما أمر قومه بعبادة الله وحده وإيفاء الكيل والميزان ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم والإفساد في الأرض، وعبّر عن ذلك باسم الإشارة الدّال على البعد لرفعة من يلتزم بإخلاص العبودية لله والعمل الصالح، وورود اسم التفضيل "خير" نكرة بعد اسم الإشارة يدل على التعظيم والكمال لأنه جامع خيري الدنيا والآخرة»[4]، فشعيب خاطب قومه بأنهم إذا عملوا بما أمرهم به واجتنبوا ما نهاهم عنه فستحمد سيرتهم وتتحسن صورتهم ويقصدهم الناس ويتعاملون معهم في التجارات والمكاسب[5]، ولربما يحظى الكافر بهذا الخير الدنيوي إذا حسنت معاملاته وسيرته والتزم بالسنن الكونية وذلك بالكد والجد واتخاذ الأسباب المؤدية إلى الربح، ولكن لا يحظى بخير الآخرة[6]، لأن الإيمان بالله والعمل الصالح شرطا الفوز في الدنيا والآخرة، لذلك قال تعالى في الآية السابقة « ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »، فإذا كنتم كفارا فلا خير لكم في الآخرة. .

4) النوعية:

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام « أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ»[7]، وتنكير "ذكر" و"رجل" في سياق جدال نوح مع قومه يدل على أن نوحا عليه السلام لام قومه لكونهم تعجبوا من أمر لا يثير العجب، وهذا الأمر هو مجيء ذكر لا يصادم الفطر السليمة بل هو مناسب لها، وهذا الذكر يتمثل في دعوة نوح قومه إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما أن الرجل الذي جاءهم بهذه الرسالة هو من بني جلدتهم، ومن ثم فإن تنكير "ذكر" و"رجل" للنوعية؛ إذ لا خصوصية لذكر دون ذكر ولا رجل دون رجل، فإن الناس سواء، والذكر سواء في قبوله لمن وفقه الله، ورده لمن حرم التوفيق، أي هذا الحدث الذي عظمتموه وضججتم له ما هو إلا ذكر من ربكم على رجل منكم..وأن يعلموا أن كون المذكر رجلا منهم أقرب إلى التعقل من كون مذكرهم من جنس آخر من ملك أو جنّي، فكان هذا الكلام من جوامع الكلم في إبطال دعوة الخصم والاستدلال لصدق دعوى المجادل وهو يتنزل منزله سند المنع في علم الجدل»[8].

1- سورة البقرة، الآية 206
2- سورة الأنبياء، الآية 67
3- سورة الأعراف، الآية 85
4- الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م5،ج8، ص245
5- ينظرأبو حيان التوحيدي : البحر المحيط: ج4، ص340
6- ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، دط، دت، أخبار اليوم، قطاع الثقافة م11، ص256
7- سورة الأعراف، الآية 63
8- سورة الأعراف، الآية 63

ومن أسماء النكرة الدالة على النوعية كلمة "جنّة" في سياق اتّهام نوح بالجنون. قال تعالى على لسان القوم « إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ »[1]، فالقوم أرادوا من وصف نوح بالجنون «اقتصادا منهم في حالة حيث احترزوا من أن يورّطوا أنفسهم في وصفه بالخيال مع أن المشاهد من حاله ينافي ذلك فأوهموا أقوامهم أن به جنونا خفيفا لا تبدوا آثاره واضحة»[2]، وكذلك يفعل أمراء القوم من ذوي الجاه والشرف في إيجاد مبررات لتسفيه ما جاء به نوحا وطمس حقيقة بنوته وجعل القوم لا يشعرون بخطورة الموقف، ومن ثمّ لا يستجيبون لدعوته.

ثانيا: المعرفة.

تدل المعرفة على شيء معيّن، ولقد قسّم علماء النحو المعرفة إلى خمس وهي: « العلم الخاص والمضمر والمبهم وهو شيئان: اسما الإشارة والموصولات، والداخل عليه حرف التعريف، والمضاف إلى أحد هؤلاء إضافة حقيقية»، وسوف نتحدث عن الضمير وأحواله واسم الإشارة والاسم الموصول والمعرف بالألف واللام والمضاف إلى معرفة ودلالة كل ذلك في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم.

1) الضمير:

يقوم الضمير بوظيفة الربط بين عناصر الكلام، وتفادي التكرار ولكن دلّ في القرآن الكريم بصفة عامّة، وفي جدال الأنبياء مع أقوامهم بصفة خاصّة على أغراض ودلالات أخرى وهي: .

أ) الإظهار في مقام الإضمار:

قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي» المقصود بالرسالات هي ما أوحى الله له،وإظهار لفظ الربوبية «رِسَالَاتِ رَبِّي» بدلا من إضمار "رسالاته" لينبه القوم بكونه إلا رسول أراد أن يبلغ ما أمر بتبليغه، وما يؤكد هذا المعنى إضافته "الرّب" إلى نفسه، وهذا يقتضي لزوم طاعته والالتزام بما أمر بتبليغه"[3] وهو تبليغ الرسالات مهما كانت الظروف، وإظهار لفظ الربوبية في مقام الإضمار تعريضا بالقوم بأنهم يعبدون ما لا يستحق العبادة،ومن الواجب عليهم أن ينتهوا عن هذا ويلتجئوا إلى رب العالمين طائعين منيبين.

إن قوم نوح لما بلغ عصيانهم مداه وأمعنوا في اتباع سراة القوم وبالغوا في المكر والاحتيال في الدّين وصدّ الملأ من القوم الناس عن اتّباعه وتحريشهم لأن يؤذوه، وتمسكوا بعبادة الأوثان ونهوا عن تركها،وضلوا عن جادة الصواب، شكى نوح إلى ربه وقال « رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا »[4] والمقصود بالظالمين الملأ من قومه ومن تبعهم فلماذا أظهر كلمة "الظالمين"، ومقتضى السياق يغني عن إظهار وصفهم ويكتفي بإضمارهم «وعدل عن الإضمار إلى الإظهار على خلاف مقتضى الظاهر لما يؤذن به وصف "الظالمين" من استحقاقهم الحرمان من عناية الله بهم لظلمهم، أي إشراكهم بالله"[5]، وإيذان بأنهم أفرطوا في الظلم وبالغواية[6] وتحذير

1- سورة المؤمنون ، الآية 25

2- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير م5،ج8، ص195-196

3- ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م5،ج8، ص193،192

4- سورة نوح، الآيات 21_ 24

5- التحرير والتنوير: م14 ، ج 29 ، ص 118 .

6- ينظر: الألوسي، روح المعاني: م16،ج29، ص134؛ وينظر أيضا: تفسير أبي السعود، ج9/ص41

لمن يحاول أن يكون مثلهم ويقفوا أثرهم في الظلم وأن يصل إلى هذا المصير الذي وصلوا إليه وهو الضلال البعيد.

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام «يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا»[1]، فإبراهيم عليه السلام نهى أباه عن اتباع الشيطان لأنه عصى الله تعالى، ولكي يعلّل نهي أبيه عن اتباع الشيطان قال:" إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا "، ولم يقل "إنه كان للرحمان عصيّا" والمقام يقتضي إضمار لفظ الشيطان لسبق ذكر لفظ الشيطان بصريح اسمه «تنبيها إلى النفرة منه، ولكون الجملة موعظة قائمة بنفسها»[2]، ولزيادة التقرير بأن الشيطان عدوّ لأبناء آدم وعدوّ للناس جميعا للاحتراز عن موالاته وطاعته[3].

وإظهار لفظ الجلالة في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام « أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[4]لزيادة التوضيح والبيان بأن الله هو الأحق بالعبادة وتشنيع عبادة غيره[5].

ب) عودة الضمير إلى ما بعده:

من المعلوم أن الضمير يعود إلى ما قبله، غير أنه قد يعود إلى ما بعده ليفيد دلالة معيّنة. قال تعالى على لسان هود « إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ »[6]؛ فالضمير المنفصل "هي" عائد على مذكور بعده قصدا للإبهام ثم التفصيل ليتمكن المعنى في ذهن السامع، وهذا من مواضع عود الضمير على ما بعده إذا كان ما بعده بيانا له، ولذلك يجعل الاسم الذي بعد الضمير عطف بيان، ومنه قول الشاعر أنشده في الكشاف المصراع الأول وأثبته الطيبي كاملا:

هي النفس ما حمّلتها تتحمّل   ولـلدهر أيام تجور وتعدل.

وقول أبي العلاء:

هو الهجر حتى ما يلم خيال   وبعض صدود الزائرين وصال.

ومبين الضمير هنا قوله "إلا حياتنا"، فيكون الاسم الذي بعد (إلّا) عطف بيان من الضمير، والتقدير إن حياتنا إلا حياتنا الدّنيا"[7].

ج) تقدم الضمير على الخبر:

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي »[8]، وهذا في سياق جدال قومه والإنكار عليهم عبادة الأصنام وترك عبادة الله، وفي هذه الآية يصف الله سبحانه وتعالى وقدرته ويذكر آلاءه ونعمه عليه، واستعمل الضمير "هو" مقدّما على الخبر دون أن يقول "الذي خلقني فهو يهديني والذي يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفيني «لتخصصه بأنه متولّي الهداية دون غيره لأن المقام لإبطال اعتقادهم بتصرّف أصنامهم»[9]، وإيراد هذه الآلاء والنعم التي يختص بها الله تعالى دون سائر المعبودات تعريضا لقومه وتربية لهم وتوجيههم وتنبيههم إلى المعبود المستحق العبادة وهو الله تعالى بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير لا الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تغني من الحقّ شيئا.

1- سورة مريم، الآية 44
2- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير: م8،ج16، ص117
3- ينظر الألوسي: روح المعاني: م9،ج16، ص142
4- سورة الأنبياء، الآية 67
5- ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير م8،ج16، ص104
6- سورة المؤمنون، الآية 37
7- الطاهر بن عاشور :التحرير م9،ج18، ص142
8- سورة الشعراء، الآيات 78 - 80
9- الطاهر بن عاشور : التحرير، م9،ج18، ص142

د) إسناد فعل المرض إلى النّفس:

إن إبراهيم عليه السلام في معرض ذكر آلاء الله ونعمه عليه[1]، أسند فعل الخلق والهداية والإطعام والسقي والإحياء والإماتة إلى الله سبحانه وتعالى وأسند فعل المرض إلى نفسه وفعل الشفاء إلى الله سبحانه وتعالى، وإسناد الأفعال الدالة على نعم الله إلى الذات العليّة إلا فعل المرض إلى نفسه وقال" إذا مرضت" ولم يقل "إذا أمرضني" « لأن كثيرا من أسباب المرض تحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه»[2]، كما أن إسناد المرض الذي هو نقمة وشرّ إلى نفسه وإسناد الشفاء الذي هو نعمة وهو خير إلى الله تعالى مع أنها (المرض والشّفاء) من الله تعالى كل ذلك لمراعاة حسن الأدب مع الله كما أسند الخضر عليه السّلام إرادة العيب إلى نفسه « فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا »[3]، وإسناد إرادة الرّب عز وعلا الخير للغلامين اليتيمين « فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ »[4]"[5].

2) اسم الإشارة:

يؤتى عادة باسم الإشارة للإشارة به إلى الشيء المعيّن القريب أو البعيد، ولقد ورد اسم الإشارة في كلام الأقوام والأنبياء وخرج به كل من الطرفين إلى دلالات أخرى يمكن استنتاجها من خلال السياق الذي وردت فيه.

قال تعالى على لسان الملأ من قومه « مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »[6]، فاسم الإشارة في قولهم "ما هذا إلا بشر مثلكم" يدل على أن نوحا كان حاضرا ولم يذكروه باسمه تصغيرا لشأنه وتحقيره لدى العامة من الناس وإغرائهم على معاداته وعدم اتباعه[7]، وقوله ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إشارة إلى ما دعاهم إليه يدل على مقدار تجاهلهم لما جاء به نوح «ولفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغيّ والفساد»[8]، وهذا الاستعمال لاسم الإشارة في مثل هذا السياق تعبير شائع عند من لا يهتم بالأمور العظيمة ولا يلقي لها بالا ويتجاهل أهميتها والسبب الذي جعلهم يتصرّفون بهذا التّصرف هو تكبّرهم وعنادهم واحتقارهم للداعي وما دعا إليه.

والإشارة إلى التماثيل في قول إبراهيم لأبيه وقومه « مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ »[9] لإظهار معناها الذي يدلّ على أنها منحطة غير صالحة للعبادة، وما يزيد هذا المعنى تأكيدا ووضوحا وصف الأوثان بالتماثيل التي تعدّ صورا مصنوعة لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرّا، واستعمال اسم الإشارة للقريب يدلّ على تحقير شأنها.

ومن دلالات الإشارة الدالة على القريب قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام « هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً »[10]، فصالح عليه السّلام حينما أخبر قومه بمجيء بينة تدل على صدق نبوته قال: هذه ناقة الله، فاسم الإشارة يدل على أن هذه الناقة كانت حاضرة يشاهدها القوم[11]، وتدل

1- ينظر الآيات 78- 80 من سورة الشعراء التي سبق الحديث عنها آنفا

2- الزمخشري، الكشاف: م3، ص310؛ وينظر أيضا الألوسي : روح المعاني: م11،ج19، ص144؛ ابو حيان التوحيدي : البحر المحيط: ج7، ص23

3- سورة الكهف، الآية 79.

4- سورة الكهف، الآية 82.

5- ينظر الألوسي: روح المعاني: م11،ج19، ص143؛ وينظر أيضا: تفسير أبي السعود: ج6،ص249

6- المؤمنون، الآية 24

7- ينظر: التحرير والتنوير: م9، ج18، ص42؛ وينظر أيضاالألوسي: روح المعاني: م10،ج18، ص33

8- الألوسي :روح المعاني: م10،ج18، ص38

9- سورة الأنبياء،الآية 52.

10- سورة الأعراف، الآية 73.

11- يروى أن قوم صالح سألوه آية فقال: أية آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك وغن استجيب لنا اتبعنا، فقال صالح عليه السلام: نعم، فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوا الاستجابة فلم تجبهم، ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة : أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فإن فعلت صدّقناك وأجبناك، فأخذ صالح عليه السلام وعليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لنؤمنن ولنصدّقن، قالوا: نعم فصلّى ودعا ربّه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى، وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العِظم فآمن به جندع ورهط من قومه. تفسير أبي السعود:ج3، ص241.

الإشارة على مدى صدق صالح عليه السّلام وإقناع قومه بمدى جدّيته، ورغبته الشّديدة في أن يكون سببا في هدايتهم.

3) الاسم الموصول:

للاسم الموصول دلالات كثيرة في الجدل القرآني، ومن هذه الدلالات:

أ) الاستحقاق:

قال الله تعالى على لسان ثمود « أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا »[1]، لقد عبّر القوم عن أصنامهم في سياق تعجّبهم من نهي صالح لهم أن يتجنبوا عبادة الأوثان- بالاسم الموصول وجعلوا صلة الموصول عبادة الآباء لهذه الأصنام؛ فبما أن الآباء يعبدون هذه الأصنام فهم أحقّ بعبادتها اقتداء بآبائهم فلم النّهي عن عبادة هذه الأصنام التي استحقت هذه العبادة؟.

قال تعالى على لسان هود عليه السّلام « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ »[2]، فهود عليه السلام حينما دعا قومه إلى تقوى الله واجتناب ما نهى الله عنه ذكّرهم بنعم الله عليهم، ولقد ارتبط لفظ الجلالة بفعل التقوى في الجملة الأولى، وارتبط الاسم الموصول بفعل التقوى في الجملة الثانية وصلته تدل على استحقاق الله عزّ وجلّ الشكر وتقوى الله وطاعة الرسول هي من صميم شكر الله عز وجل[3].

ب) التفخيم:

قال تعالى على لسان هود والأنبياء عليهم السّلام « يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[4]، فالأنبياء منزّهون عن الطمع على ما في أيدي أقوامهم فلا يسألونهم مكافأة وأجرا ممّا يدعونهم إليه، ومما يقومون به من نصح وموعظة وإيراد اسم الموصول "الذي" وصلته دون ذكر لفظ الجلالة للتفخيم، وجعل الصلة من فطر أي أوجد وهذا يختصّ به الله عز وجل دون سائر المخلوقات[5].

كما يدل أيضا "تحقيق أنه لا يسألهم على الإرشاد أجرا لأنه يعلم أن الذي خلقه يسوق إليه رزقه؛ لأن إظهار المتكلّم علمه بالأسباب لكلامه على المسببات قوة وتحقيقا"[6].

ج) التوبيخ:

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام " أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ »[7]، فهذا الاستفهام على سبيل التوبيخ والإنكار مما يفعله القوم دون تفكير ولا رويّة ووبّخهم على أنهم يعبدون ما هو منحوت، وهو من صنع الإنسان[8]؛ أي أن الأصنام منفعلة غير فاعلة والمعبود لابدّ أن يكون فاعلا مؤثرا في عباده، وإلا لما يلجأ إليه الإنسان لأن الإنسان إذا لا يقوى على أمر من الأمور التجأ إلى قوّة أكثر منه، وأكثر تأثيرا فيه، ولا يستنجد بقوة أضعف منه بكثير كالغريق يستنجد بالغريق، فلذلك أنكر إبراهيم على قومه عبادة ما ينحتون «لأن شأن المعبود أن يكون فاعلا لا منفعلا، فمن المنكر أن تعبدوا أصناما أنتم نحتّموها، وكان الشأن أن تكون أقل منكم»[9].

د) الاهتمام:

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام « وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ »[10]، وذكر

1- سورة هود: 62

2- سورة الشعراء، الآية 132.

3- ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير: م9،ج19، ص169.

4- سورة هود، الآية 51.

5- ينظرالألوسي : روح المعاني، م7،ج12، ص.119

6- الطاهر بن عاشور :التحرير، م6،ج12، ص94.

7- سورة الصافات، الآ ية 95.

8- ينظر الألوسي : روح المعاني، م13،ج23، ص.181

9- الطاهر بن عاشور : التحرير: م11،ج23، ص.144

10- سورة الشعراء ، الآيات 78،79، 80،81، 82 .

إبراهيم عليه السلام هذه الآلاء والنّعم بعد أن أعلن عداءه للأصنام التي يعبدها القوم من دون الله فقال « قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ »[1]، بعد أن أعلن إبراهيم العداء لهذه الأصنام استثنى الله سبحانه وتعالى، وبعد هذا الاستثناء شرع في وصف ربوبيته التي يستحقّ بها العبادة، وهو بذلك يريد لفت انتباه القوم إلى المعبود الذي يستحقّ الولاء والعبادة، واستعمل الاسم الموصول في ذكر صفات الله وآلائه عليه «وكرّر الاسم الموصول في المواضع الثلاثة مع كفاية عطف ما في حيز الصلة من الجمل السّت على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقلّ في إيجاب الحكم، حقيق بأن تجري عليه عزّ وجل بحيالها ولا تجعل من روادف غيرها»[2]، كما أن «تكريم الاسم الموصول في المواضع الثلاثة مع أن مقتضى الظاهر أن يعطف الصلتان على الصلة الأولى للاهتمام بصاحب تلك الصلات الثلاثة لأنه نعت عظيم لله تعالى، فحقيق أن يجعل مستقلا بذاته»[3].

هـ) الذم:

قال الله تعالى:« قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ »[4]، وقال بعد ذلك « وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ »[5]، لقد وصف الله تعالى الملأ بالموصول وصلته في الآية الأولى وكرّر وصفهم بالصلة والموصول وهذا «لقصد زيادة ذم الملأ بوصف الكفر كما ذمّ فيما سبق بوصف الاستكبار، ووصف الملأ هنا بالكفر لمناسبة الكلام المحكي عنهم الدّال على تصلّبهم في كفرهم كما وصفوا في الآية السابقة بالاستكبار لمناسبة حال مجادلتهم شعيبا كما تقدّم من الآيتين أنهم مستكبرون كما ترون»[6].

و) التشهير:

قال تعالى على لسان المكذّبين لدعوة نوح عليه السلام « مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ »[7].

إن من دلالة الاسم الموصول وصلته هو إضفاء طابع الشهرة على الموصوف بالموصول وصلته؛ فالقوم عدّلوا عدم استجابتهم لما دعاهم إليه نوح لأنه اتبعه أراذل القوم فقط دون غيرهم، ويدل على ذلك أداة الحصر، وعبر عنهم بالموصول وصلته دون قولهم "أراذلنا" «لحكاية أن في كلام الذين كفروا إيماء إلى شهرة اتّباع نوح عليه السّلام بين قومهم بوصف الرّذالة والحقارة»[8].

ويقول أبو حيّان التوحيدي في هذا الصّدد وفي قوله "إلا الذين هم أراذلنا" مبالغة في الإخبار وكأنه مؤذن بتأكيد حصر من اتّبعه، وأنهم هم الأراذل لم يشركهم شريف في ذلك وفي حديث هرقل وأشراف الناس اتّبعوه أم ضعفاءهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال هم اتّباع الرسل قبل «وإنما كان كذلك لاستيلاء الرئاسة على الأشراف وصعوبة الانفكاك عنها، والأنفة من الانقياد لغيرهم، والفقير خلي عن تلك الموانع فهو سريع الإجابة والانقياد»[9]، وتقبّل الرسالة وإجابة الدعوة في أول أمرها من قبل بسطاء الناس أمر معروف ومشهور في الأمم الماضية.

4) المعرّف بـ"أل":

1- سورة الشعراء، اللآيات 75 - 77.
2- الألوسي :روح المعاني، م11،ج19، ص143.
3- الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م9،ج18، ص143.
4- سورة الأعراف، الآية 88.
5- سورة الأعراف، الآية 90.
6- المصدر نفسه ، م5،ج9، ص12، 13.
7- سورة هود، الآية 27.
8- الطاهر بن عاغشور :التحرير م12، ص48 .
9- أبو حيان التوحيدي :البحر المحيط، ج5، ص215.

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ »[1]، لقد وردت كلمة "رزق" نكرة ومعرفة وتنكير رزقا الواردة في سياق نفي الأرزاق من الأصنام، ولو كان قليلا فالنكرة أفادت التقليل، أما دلالة المعرفة في مقام الأمر وطلب الرّزق من الله يدل على الاسترزاق أي: اطلبوا أي رزق مهما كان قليلا أو كثيرا من الله دون غيره.

ومن دلالات التعريف بالألف واللام الدلالة على العهد، قال تعالى على لسان صالح عليه السّلام في سياق تنكير قومه بآلاء الله ونعمه عليهم « وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ »[2]، فالمقصود من "الأرض " الأرض المعهودة أي أرضكم هذه أو المقصود بها أرض الحجر[3]، ويجوز أن تكون الأرض «دالة على الجنس لأنه لما بوّأهم في أرض معينة فقد بوّأهم في جانب من جوانب الأرض»[4].

5) المضاف إلى معرفة:

لعبت الإضافة دورا هامّا في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم وأدّت دلالات كثيرة.

أ- التحبيب:

إن من الوسائل التي يستعملها الأنبياء في جدالهم مع أقوامهم محاولة إثارة بعض العواطف وأبرزها عاطفة القرابة وذلك لجلب اهتمامهم لعلّهم يهتدون.

قال تعالى على لسان نوح عليه السّلام « يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ »[5]، فنوح عليه السلام لم ينادي قومه بـ "يا أيها النّاس" أو "يا قوم" وعبّر في ندائهم بوصف القوم ولتذكيرهم بأصرة القرابة، ليتحققوا أنه ناصح ومريد خيرهم ومشفق عليهم، وأضاف القوم إلى ضميره للتحبيب والترقيق لاستجلاب اهتدائهم»[6] وحينما دعاهم إلى وحدانية الله «قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين»[7]، وبالرغم من وصفهم إيّاه بالضلال المبين ردّ عليهم وكرّر نداءه لهم بوصف القوم وإضافتهم إلى نفسه، وهذا «استنزالا لطائر نفوسهم مما سيعقب النداء من الرّد عليهم وإبطال قولهم»[8]، فنوح عليه السلام لم يضق ذرعا مما قالوه بل كان واسع الصّدر ولم يثنه جوابهم عن إظهار عاطفة القرابة وإضافة نفسه إليهم، وهذا شأن الأنبياء في مخاطبة أقوامهم، فإبراهيم عليه السّلام ردّد نداءه لأبيه وإضافته إلى نفسه "يا أبت" أربع مرّات ولم يناده باسمه "آزر" تأدّبا من جهة واستعمال عاطفة القرابة من جهة ثانية محاولة منه لاستدراجه لقبول الموعظة،وبعد أن كرّر إبراهيم نداءه لأبيه بوصف الأبوّة وإضافتها إلى نفسه، فماذا كان جواب الأب الفظ الغليظ المتغطرس « قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ »[9]، فمن شدّة حنقه وغضبه على ابنه لم يناده بوصف النّبوّة كما وصفه ابنه بالأبوّة أربع مرّات .

ثانيا: لم يضفه إلى نفسه "يا بنيّ"، ثالثا: ناداه باسمه، رابعا: ورد ذكر "إبراهيم" في آخر الجملة، خامسا: أشار إليه بالضمير المنفصل المخاطب،أما سادسا: فعوض أن يضيف ابنه إلى نفسه أضاف الآلهة إلى نفسه وقال آلهتي، وكذلك سائر الأقوام الذين كفروا واستكبروا لم ينادوا

1- سورة العنكبوت، الآية 17.
2- سورة الأعراف، الآية 74.
3-ينظر: الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ، م5،ج8، ص220 ،وينظر تفسير أبي السّعود، ج3، ص242.
4- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير: م5،ج8، ص220 .
5- سورة الأعراف، الآية 59 .
6- المصدر نفسه ، م5،ج8، ص188 .
7- سورة الأعراف، الآية 60 .
8- المصدر نفسه ، م5،ج8، ص188 .
9- سورة مريم ، الآية 46 .

أنبياءهم بوصف الأخوّة أو لفظ من ألفاظ القرابة، بل نادوهم بأسمائهم « يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا »[1]، و« يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ »[2]، « يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الْمُرْسَلِينَ »[3]، « يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ »[4]، « أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ »[5]، والنداء بالوصف بإحدى أوصاف القرابة ونسبتها إلى النّفس أمضى من وسائل التربية؛ فإذا أراد الأب مثلا أن يحدّث ابنه في أمر ذي بال وخصوصا إذا كان أمرا تربويا من الأحسن أن ينادى بوصف النبوة وإضافته إلى نفسه لما في ذلك من أثر في نفس الطفل، ولنا في لقمان وهو يعظ ابنه أسوة حسنة في ذلك « يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »[6] .

والمسألة لا تقتصر على علاقة الأب بالابن فقط بل تتعدّى إلى العلاقة بين الأخ وأخيه والأم وابنها وابنتها والمجادل لمن يجادله والداعي لمن يدعوه.

ب) الاعتزاز:

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا »[7]، فإذا كانت مجادلة إبراهيم لأبيه محاطة بالأدب الجمّ والتواضع ولين الجانب لم تجدي نفعا،وهو أقرب الناس إليه. .

فمجادلة أبعد الناس إليه مقارنة بأبيه وهو القوم ميؤوس منها، فلذلك صرّح باعتزالهم وأعلن ولاءه لله عزّ وجلّ «وعبّر عن الله بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير نفسه للإشارة إلى انفراده من بينهم لعبادة الله تعالى فهو ربّه وحده من بينهم، فبالإضافة هنا تفيد القصر الإضافي مع ما تضمنته الإضافة من الاعتزاز بربوبية الله إاه والتشريف لنفسه بذلك»[8].

ومن أمثلة الإضافة الدالة على الاعتزاز قول الله تعالى على لسان شعيب واتباعه حينما هدّدوا بالإخراج من القرية أو أن يرتدّوا عن دينهم « قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ »[9].

بعد أن هدّد شعيبا وأتباعه من قبل القوم فلا سبيل لهم إلا الاحتماء بجناب الله سبحانه وتعالى والتصريح بلفظ الربوبية ثلاث مرّات وإضافته إلى ضمير المتكلّم "نا" يدلّ على إيمانهم بسلطان الله على كلّ شيء ويقينهم بقدرة الله وقوّته «وفيه من الانقطاع إلى الله تعالى ما لا يخفى»[10] واعتزازهم بالركن الشديد الذي آووا إليه «إظهارا لحضرة الإطلاق وتعريض بأن الله مولى الذين آمنوا»[11]، وأن الكافرين والجاحدين المستكبرين لا مولى لهم.

ج) التذكير بنعم الله:

1- سورة هود ، الآية 32 .
2- سورة هود ، الآية 53 .
3- سورة الأعراف ، 77 .
4- سورة هود ، الآية 91 .
5- سورة الأنبياء ، الآية 62 .
6- سورة لقمان ، الآيات 13 16، 17.
7- سورة مريم، الآية 48.
8- الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م8،ج16، ص123 .
9- سورة الأعراف، الآية 89 .
10- الألوسي :روح المعاني، م6،ج9، ص7.
11- الطهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م5،ج9، ص10 .

قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام « وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ »، ولقد أضاف الرّبّ إلى ضمير القوم لتذكيرهم بربوبية الله سبحانه وتعالى وتذكيرهم بنعم اللّه التي أسبغها عليهم لعلّهم يهتدون.

د) التشريف:

عندما دعا صالح عليه السّلام قومه إلى عبادة الله ونبذ الإشراك به أشار إلى دليل نبوّته «هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمُ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، فإضافة الناقة إلى الله تشريفا لها من جهة، وإيحاء بخطورة إلحاق الضّرر بها من جهة أخرى.

هـ) الاختصاص:

إذا عدنا إلى الآية السابقة في سياق استعراض النّاقة للقوم وتحذيرهم بعدم التعرض لها أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله، فلو اكتفى بالاسم "الأرض" دون إضافته إلى الله لفهم أن المراد أرض اللّه، وأضاف الأرض إلى الله كما أضاف الناقة إلى الله «قطعا لعذرهم في التعرّض، كأنه قيل الأرض أرض الله تعالى والناقة ناقة الله تعالى، فذروا ناقة الله تأكل في أرضه فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم فيأتي عذركم في منعها»[1]، فلها الحقّ في أن تأكل وتشرب وترعى بما يمكن أن تنتفع به[2].

ومن أمثلة ذلك دلالة الإضافة على الاختصاص قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام « وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ »[3]، والخزائن جمع خزينة؛ وهي المكان الذي يخزن فيه المال أو ما شابه ذلك من الأشياء النفيسة خشية الضياع غير أن الخزائن المضافة إلى الله هي «استعارة مكنية شبهت النعم والأشياء النافعة بالأموال النفيسة التي تدّخر في الخزائن، ورمز إلى ذلك بذكر ما هو من روادف المشبّه به، وهو الخزائن، وإضافة (خزائن) إلى الله لاختصاص الله بها»[4]، فشتان بين خزائن اللّه وخزائن الإنسان، فنوح عندما نفى أنه يملك خزائن الله ردّ على زعم القوم أن النّبوّة تعني باستطاعة النبي فعل أي شيء، وقوله «لا أقول لكم عندي خزائن الله»؛ أي لا أقول لكم حين أدّعي النبوة عندي مقدورات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطي ما أشاء وأمنع ما أشاء وليس بشيء»[5] . .

قال تعالى :« وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ »[6]، إن إضافة الرشد إلى إبراهيم يدلّ على عظم الرّشد الذي أوتيه ويظهر جليّا في الكمال الفكري والسلوكي الذي امتاز به إبراهيم ونال بذلك شهرة واسعة، وعظم شأنه. فكماله الفكري يتجلّى في التدبر والتأمل في الكون الفسيح ومحاولة الاهتداء إلى خالقه المدبّر « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ »[7]، أما كماله الخلقي يظهر في فوزه بجدارة واستحقاق في امتحان الأخلاق الصّعب، وهو الصّبر وأنواعه كصبره على فراق الأهل والولد، والعزم على ذبح فلذة كبده إسماعيل، والحرق حينما ألقي في النار؛ فإضافة الرشد إلى إبراهيم للتنبيه على عظم شأن هذا الرّشد؛ أي رشدا يليق به، لأن رشد إبراهيم قد كان مضرب الأمثال بين العرب وغيرهم، أي هو الذي علمتم سمعته التي طبقت الخافقين، فما ظنكم برشد أوتيه من جناب الله تعالى، فإن الإضافة لما كانت على معنى اللام كانت مفيدة للاختصاص، فكأنه انفرد به، وفيه إيماء إلى أن

1- الألوسي :روح المعاني : ط4، 1405هـ-1985، دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان، ج8، ص163
2- ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م5،ج8، ص218 .
3- سورة هود ، 31 .
4- الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م6،ج12، ص57 .
5- الألوسيب :روح المعاني، م7،ج12، ص63 .
6- سورة الأنبياء، الآية 51.
7- سورة الأنعام، 76 - 79 .

إبراهيم كان قد انفرد بالهدى بين قومه تنويها وتفخيما تذييله بالجملة المعترضة «وكنّا به عالمين»؛ أي آتيناه رشدا عظيما على علم منّا بإبراهيم؛ أي بكونه أهلا لذلك الرّشد، هذا العلم الإلهي متعلّق بالنفسية العظيمة التي كان بها محلّ ثناء الله تعالى عليه في مواضع كثيرة من قرآنه، أي من سريرته صفات قد رضيها الله وأحمدها فاستأهل بها اتخاذه خليلا،وهذا كقوله تعالى « وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ »[1]، وقوله « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ »[2]"[3].
»[2]"[3].

المطلب الثاني: الفعل:

بعد إحصائنا لعدد الأفعال المتواترة في جدال الأنبياء مع أقوامهم تحصلنا على الجدول الآتي:

محاور الجدل	الأفعال المضارعة		المجموع	الأفعال الماضية		المجموع	أفعال الأمر		المجموع	المجموع العام
جدال نوح مع قومه	نوح	قومه		نوح	قومه		نوح	قومه		
	47	18	67	26	18	44	10	01	11	122
جدال هود مع قومه	هود	قومه		هود	قومه		هود	قومه		
	30	17	47	21	14	35	16	02	18	100
جدال صالح مع قومه	صالح	قومه		صالح	قومه		صالح	قومه		
	21	06	27	09	13	22	12	02	14	63
جدال إبراهيم مع قومه	إبراهيم	قومه		إبراهيم	قومه		إبراهيم	قومه		
	52	08	60	14	11	25	07	06	13	98
جدال شعيب مع قومه	شعيب	قومه		شعيب	قومه		شعيب	قومه		
	32	11	43	23	05	28	17	01	18	89
المجموع	182	60	244	93	61	154	62	12	74	472

إذا تأملنا هذا الجدول يمكن أن نلاحظ ما يلي:

- عدد الأفعال الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد الأفعال الواردة في كلام أقوامهم .
- يمكن ترتيب عدد الأفعال من الأكبر إلى الأصغر بحسب محاور الجدل: .
  - جدال نوح مع قومه: 122 فعلا.

1- سورة الدخان، الآية 32 .
2- سورة الأنعام، الآية 24 .
3- الطاهر بن عاشور :التحرير، م8، ج16، ص92-93 .

- جدال هود مع قومه: 100 فعل.
- جدال إبراهيم مع قومه: 98 فعلا.
- جدال شعيب مع قومه: 89 فعلا.
- جدال صالح مع قومه: 89 فعلا.

- يمكن ترتيب عدد الأفعال من الأكبر إلى الأصغر بحسب أصناف الأفعال: الأفعال المضارعة 244 فعلا، الأفعال الماضية: 154 فعلا، أفعال الأمر: 74 فعلا.

تدل الأفعال على حركية وفعالية الأنبياء في تصحيح عقيدة وسلوك أقوامهم، كما تدل بالمقابل أيضا على حركية فعالية في تخطئة وتسفيه وتكذيب وتضليل أنبيائهم وتهديدهم وإلحاق أبشع العقوبات عليهم.

ولذلك نجد أن الفعل المضارع من أكثر الأفعال ورودا نظرا لكونه أكثر حركة إذا قارنّاه بالأفعال الماضية وأفعال الأمر، وهذه الكثرة مناسبة لطبيعة الجدل ذو الصيغة الحركية المتبادلة بين المتجادلين،واستمد الفعل الجدل ذو الصيغة الحركية المتبادلة بين المتجادلين، واستمد الفعل المضارع هذه الحركية من تعدد دلالاتها وهي وفق البيانات التي ورد فيها.

1) التجديد: (أبلّغ، أنصح، أعلم..).
2) التعليل: (لينذركم، لتتقوا، لتسلكوا..).
3) التوبيخ: (أفلا تتقون، ألا تتقون، أفلا تذكرون..).
4) النّفي: (لا تعلمون، لا أسأل، لا أقول، لا يسمع، لا يبصر..).
(ما نراك إلا بشر مثلنا، ما سمعنا بهذا، ما نفقه، ما أسأل..).
(لم تنته، لم يؤمنوا، لم ياتك..).
5) التوكيد: (لتكونَنّ، لنخرجنّ، لتعودنّ، لأكيدنّ..).
6) النهي: (لا تعبدوا، لا تنقصوا، لا تعثوا، لا تفسدوا، لا تمسوها..).

أما الأفعال الماضية فقد وردت بنسبة أقل من الأفعال المضارعة، غير أنها كانت سندا لها، فالأفعال المضارعة كانت هي المحرّكة للجدال، أما الأفعال الماضية فقامت بدور المساعد لها.

ولقد استعان الأنبياء بالأفعال الماضية في سياق جدلهم مع أقوامهم لتذكيرهم بنعم الله عليهم، مثل الأفعال (فطر، جعل، بوّأ، كثّر، زاد، أمدّ..)، وبالمقابل وظّف الأقوام الأفعال الماضية في الإنكار ونفي دعوات أقوامهم، مثل: (ما سمعنا، اعتراك، تافكنا، أجئتنا، اتبعك..).

ولقد قامت الأفعال الماضية بدور حكاية الأدوار التي قام بها الأنبياء في سبيل دعوتهم لأقوامهم مثل:(دعوت، أعلنت، أسررت، قلت، توكّلت، أرسلت، نجّانا، توكّلنا..)، كما حكت بالمقابل ردود وأفعال الأقوام مثل: (كذبوا، كفروا، استغشوا، عقروها، عتوا، نكسوا، رحمناك..).

أما أفعال الأمر فورودها أقل من الأفعال الماضية والمضارعة، والسبب يعود إلى طبيعة الجدل وهي سعي كل طرف إلى إقناع الطرف الآخر بصحة دعواه، والسعي إلى تعليل أحكامه وآرائه، والتنويع في أسلوب الإقناع، وفعل الأمر يراد به طلب القيام بالفعل في المستقبل، والجدل ليس أوامر فوقية تجبر الطرف الآخر على القيام بها وتطبيقها، بل هو محاولة إقناع الطرف الآخر بتعليل هذه الأوامر، وسلوك أساليب شتى ليقتنع بها ثمّ يطبّقها، ولذلك كانت أفعال الأمر قليلة جدّا، لأن طبيعة الجدل هي الإقناع وليس فرض الأوامر فقط، والفعل الملائم لطبيعة الجدل هو الفعل المضارع، ولذلك كان أكثر الأفعال ورودا في الجدال بين الأنبياء وأقوامهم.

وأفعال الأمر التي استعملها الأنبياء في جدالهم مع أقوامهم يراد بها الخير والصّلاح والهدى والرّشاد والفائدة الدنيوية والأخروية، وهي (اعبدوا، أطيعوا، اتقوا، استغفروا، اذكروا، توبوا، أوفوا، اصبروا، اتبعني، ابتغوا، اشكروا.) فماذا كان رد فعل الأقوام على هذه الأوامر يا ترى؟.

لقد قابل الأقوام أوامر أنبيائهم الدّالة على الخير لهم بأوامر دالة على الشر لهم، وذلك بمطالبة الإتيان بالعذاب (ائت، ائتنا..) وإسقاط العذاب من السماء (أسقط)، ومطالبتهم بالهجران (اهجرني)،والأبشع من هذا وذاك والأشنع التآمر على إلحاق أبلغ الضّرر على أنبيائهم (حرّقوه، قتلوه، ألقوه)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ضعفهم وقلة حيلتهم ونضوب معين حججهم وجهلهم بطبيعة الجدل، وانهزامهم في الجدل، والضعيف إذا انهزم في الجدال والمشادة الكلامية استعان بالملامة ووصف مجادله بأقبح الصفات، وإذا لم يسعفه لسانه التجأ في الأخير باستعمال عناصر القوى في جسده، ومن ثمّ يكون قد وصل بما يبدأ به الحيوان في صراعه مع غيره لأنه لا يملك لسانا استعان بالملاسنة ووصف مجادله بأقبح الصفات، وإذا لم يسعفه لسانه التجأ في الأخير باستعمال عناصر القوى في جسده، ومن ثم يكون قد وصل بما يبدأ به الحيوان في صراعه مع غيره لأنه لا يملك لسانا للملاسنة ولا يملك عقلا للمجادلة.

أولا: صيغ الفعل:

عند الحديث عن الدلالة الصرفية تحدّثنا عن أن الزيادة في المبنى تدلّ على الزيادة في المعنى، وفي جدال الأنبياء مع أقوامهم استعمل كل من الطرفين صيغا مزيدة للدلالة على المعاني تقوي ما ذهبنا إليه من حجج، ومن هذه الصيغ ما هو مزيد بحرفين كافتعل وتفعّل وانفعل، ومنها ما هو مزيد بثلاثة أحرف كاستفعل، ومنها صيغة فُعِلَ المبنية على ما لم يتم فاعلها.

1) أفْعَلْ:

لما رد نوح على كل ما جاء به قومه من ادعاءات وتهم وافتراءات وتهم بالحجج المقنعة حكى الله رد فعلهم على ذلك،فقال على لسان قومه « قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا »[1] وأكثر على وزن أفعل المزيد بحرف وهو الهمزة يدل على الإكثار من الشيء " ونظير هذا قولهم جادل فلان فأكثر أي بالغ في الجدال"[2].

وهذا يدل على أن نوحا لم يرد على تهمة أو فرية إلا وأبطلها وتوسع وأطنب في ردّه «وأبرز لهم بينات واضحة المدلول،وحججا تتلقاها العقول بالقبول، وألقمهم الحجر بردّ شبهاتهم الباطلة[3]، مما جعلهم يصلون إلى حد التذمر والتضجر واليأس وكأنهم بقولهم «جادلتنا فأكثرت جدالنا» يطلبون منه الكف عن ذلك؛لأن نفوسهم المستعلية المتكبرة تأبى سماع الحق.

2) افْتَعَلَ:

قال الله تعالى على لسان نوح "عليه السلام" رد على ضلالات القوم « وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ اللَّهُ خَيْرًا »[4]، وازدرى على وزن افتعل، والأصل في ازدرى ازترى فقلبت التاء دالا، والازدراء من الزراية وهي العيب وزاره أي عابه واحتقره وزيادة التاء في ازدرى يدل على مبالغة القوم في احتقار الأتباع « وإسناد الازدراء إلى أعينهم مجاز للمبالغة في رأي من حيث إنه إسناد إلى الحاسة التي لا يتصور منها تعييب أحد فكأن من لا يدرك ذلك يدركه، وللتنبيه أنهم استحقروهم بادي الرأي وبما عاينوا من وثاقة حالهم وقلة منالهم دون تأمل وتدبّر في معانيهم وكمالاتهم»[5]، وهذا يدل على قصور نظرهم، ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك"[6]،

1- سورة هود، الآية 32 .

2- الألوسي :روح المعاني، م7،ج12، ص67 .

3- تفسير أبي السعود: ج4، ص204 .

4- سورة هود ،الآية 31 .

5- الألوسي :روح المعاني، م7،ج11، ص64

6- تفسير أبي السعود، ج4،ص202 .

أما النبيء نوح عليه السلام فيرى في هؤلاء رأيا خاصا فهو بنور الله يبصر أن هؤلاء الأراذل في نظر القوم أكرم عند الله من القوم في الدنيا والآخرة، وليس بمقدوره أن ينفي عنهم الخيرة التي منحها الله لهم، فشتان بين رؤية البصر التي قد تخطئ أحايين كثيرة ورؤية البصيرة التي تصيب أحايين كثيرة.

3) تَفَعَّلَ:

إن من الصيغ التي استعملت في الجدل القرآني صيغة "تفعّل" ووردت في سياق تكذيب قوم نوح لما دعاهم إليه، قال تعالى على لسان قوم نوح « مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ »[1]، والفعل يتفضل على وزن يتفعّل وهو من الفعل المزيد بحرفين هما التاء وتكرير عين الفعل، والتفضل تكلّف الفضل وطلبه، والفضل أصله الزيادة، ثم شاع في زيادة الشرف والرّفعة؛ أي يريد أن يكون أفضل الناس لأنه نسبهم كلهم إلى الضلال"[2]، يقول الألوسي :"إن صيغة التفضل مستعارة للكمال،فإنه ما يتكلف له يكون على أكمل وجه فكأنه قيل: يريد كمال الفضل عليكم"[3].

ووصف نوح من قبل القوم ظنّا منهم بأنه يتكلّف أن يكون أفضل منهم ويريد الزعامة «حبا أن يسود على قومهم،فخشوا أن تزول سيادتهم وهم بجهلهم لا يتدبرون أحوال النفوس ولا ينظرون مصالح الناس ولكنهم يقدسون غيرهم على قياس أنفسهم،فلما كانت مطامح أنفسهم حب الرئاسة والتوسل إليها بالانتصاب لخدمة الأصنام، توهموا أن الذي جاء بإبطال عبادة الأصنام إنما أراد منازعتهم سلطانهم»[4].

4) انْفَعَلَ: .

قال الله تعالى على لسان هود عليه السلام « أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ »، وفعل الأمر انتظر على وزن انفعل، فالأمر بالانتظار "افتعال من النظر بمعنى الترقب، وكأن المخاطب أمر بالترقّب فارتقب "، والترقب المقصود ليس ترقب الأمر الحسن بل ترقب العذاب الذي سوف يصيبهم «وهذا غاية التهديد والوعيد،أي فانتظروا عاقبة أمركم في عبادة غير الله وفي تكذيب رسوله، وهذا غاية في الوثوق بما يحل بهم وأنه كائن لا محالة»[5].

5) فَعَّلَ:

إن آخر وسيلة يلجأ إليها المعاندون والمستكبرون لإفحام المجادل وإسكات صوته هو العقاب الجسدي، وهذا بعد أن ينضب معين حججهم وأدلتهم،ويعجزون عن المجادلة والمحاجّة ويتغلب عليهم خصمهم بأدلته الباهرة وبراهينه الساطعة والحق الدامغ فلا يجدون مفزعا ولا ملجأ يحافظون عليه على كبريائهم ويحفظون به ماء وجوههم من أن تجف إلا أن ينكلوا بالمجادل أبشع تنكيل، فإبراهيم كسّر الأصنام، وجعل ذلك وسيلة من وسائل الجدل «ونبههم على قبيح مرتكبهم وغلبهم بإقامة الحجة عليهم فلاذوا بالإيذاء له والغضب لآلهتهم واختاروا أشد العذاب وهو الإحراق بالنار التي هي سبب للإعدام المحض والإتلاف بالكلية، وكذا كل من أقيمت عليه الحجّة وكانت له قدرة يعدل إلى المناصبة والإذاية كما كانت قريش تفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفحمهم بالحجة وعجزوا عن معارضة ما أتاهم به عدلوا إلى الانتقام وإيثار

1- سورة المؤمنون، الآية 24 .

2- الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م9،ج18،ص42 .

3- الألوسي :روح المعاني، م10،ج18، ص38 .

4- المصدر السابق، م9،ج18، ص42 .

5- أبو حيان التوحيدي :البحر المحيط، ج4، ص329 .

الاغتيال فعصمه الله»[1]، وحين تآمروا على إتلافه «قَالُوا حَرِّقُوهُ»[2]، واستعملوا فعل حرّق الذي على وزن "فعّل" مبالغة في إتلافه أي حرقا متلفا[3]، واستعمال صيغة المبالغة يعبّر عمّا تكنّه نفوسهم من حقد وغضب دفين بلغ غايته ووصل مداه.

6) اسْتَفْعَلَ:

قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام « وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا »[4]، هذه الآية من الآيات التي توضح بجلاء نفسية المكذبين والمتعنتين والجاحدين لرسالة نوح عليه السلام، ويظهر هذا جليا إذا أمعنّا النظر في الكلمات (استغشوا- استكبروا- استكبارا)، هذه الكلمات الثلاثة على وزن استفعل تدل على الطلب كما تدل دلالة أخرى وهي المبالغة «واستغشوا ثيابهم»، أي بالغوا في التغطّي بها كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تغشاهم لئلا يروه كراهة النظر إليه من فرط كراهة الدعوة،ففي التعبير بصيغة الاستفعال مالا يخفى من المبالغة، وكذا في تعميم آلة الإبصار وغيرها من البدن بالستر مبالغة في إظهار الكراهة،ففي الآية مبالغة بحسب الكيف والكم"[5]، أما استكبروا "فهي مبالغة في تكبّروا، أي جعلوا أنفسهم أكبر من أن يأتمروا لواحد منهم، « فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ »[6]"[7]، وأكد فعل الاستكبار الدال على المبالغة كما رأينا بالمفعول المطلق لدلالة تمكن الاستكبار في نفوس القوم[8]، وتنوين "استكبارا" يدل على عظمة هذا الاستكبار وشدة استحكامه في نفوسهم[9]، إضافة إلى كونه نوع من الاستكبار لا مثيل له[10]، ويعلق سيد قطب على هذه الآية قائلا:" وهي صورة لإصرار الداعية على الدعوة وتحيّن كل فرصة ليبلغهم إياها.وإصرارهم هم على الضلال، تبرز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة، تبرز في وضع الأصابع في الآذان وستر الرؤوس والوجوه بالثياب، والتعبير يرسم بكلماته صورة العناد الطفولي الكامل، وهو يقول إنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وآذانهم لا تسع أصابع كاملة،إنما هم يسدونها بأطراف الأصابع، ولكنهم يسدونها بعنف بالغ، كأنما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم ضمانا لعدم تسرب الصوت إليها بتاتا،وهي صورة غليظة للإصرار والعناد، كما أنها صورة بدائية لأطفال البشرية الكبار»[11] .

ومن أمثلة صيغة استفعل الدالة على المبالغة فعل "استعمل"، قال تعالىعلى لسان صالح عليه السلام في سياق تذكيره قومه بنعم الله عليهم « قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ »[12]، ويعد فعل "استعمر" الوحيد في القرآن الكريم، ومعنى الاستعمار «الإعمار أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة»، ويرى الألوسي أن استفعل معناه "أفعَل" «ويقال أعمرته الأرض، واستعمرته إذا جعلته عامرها وفوضت إليه عمارتها»[13]، وثمود كانوا يمتازون باستغلال

1- المصدر نفسه، ج2، ص304 .

2- سورة الأنبياء، الآية 68 .

3- ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م8،ج16، ص104 .

4- سورة نوح، الآية 7.

5- الألوسي :روح المعاني، م16،ج29، ص196، وينظر أيضا الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م14،ج29، ص118 ، وينظر تفسير أبي السعود، ج8،ص37.

6- سورة هود، الآية 27 ز

7- الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، م14،ج29، ص196 .

8- المصدر نفسه، المكان نفسه .

9- المصدر نفسه، المكان نفسه ، وينظر تفسير أبي السعود ،ج8ص37 .

10- ينظر الألوسي : روح المعاني، م16،ج29، ص123 .

11- سيد قطب :في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون، 1417- 1996م، دار الشروق- القاهرة وبيروت، م6،ج29، ص371 .

12- سورة هود ،الآية 61 .

13- الألوسي :روح المعاني، م7،ج12،ص132 .

الأرض وتسخيرها لمنافعهم، قال تعالى على لسان صالح عليه السلام «واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين»[1].

والقدرة على التصرف في الأرض واستغلالها وجعلها طيعة لجلب المنفعة الخاصة والعامة تعدّ من نعم الله عز وجل تستحق الشكر، وثمود أوتوا هذه الميزة، وهذا المعنى يعد من معاني الاستعمار فاستعمركم أقدركم على عمارتها[2]، ومن معاني الاستعمار أيضا هو الإعمار أي عمركم فيها واستبقاكم «وكان أحدهم يعمّر طويلا حتى أن منهم من يعمر ألف سنة، والمشهور أن الفعل من العمّر وهو مده الحياة بالتشديد»[3]، بمعنى أطال أعماركم، ومما سبق نستنتج أن الاستعمار يدل على عمارة الأرض بالقدرة على التصرف فيها، وصالح عليه السلام كلما يذكرهم بنعمة الاستعمار يعقبهم بأمر القوم على تذكرها، أو تقوى الله أو طاعته أو الاستغفار له والتوبة عليه « وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ »[4].

« أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ »[5]،« هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ »[6]، من خلال ما سبق نستنتج أن المفهوم القرآني للاستعمار هو نعمة من النعم تستحق الشكر، أما المفهوم الحديث للاستعمار الذي معناه استيلاء دولة على دولة وإحكام السيطرة عليها واستغلال خيراتها وثرواتها لصالحها وتشريد سكانها هو من المعاني الدارجة، والأليق أن يطلق على هذا المعنى الاستدمار والخراب[7]، يقول الشعراوي في هذا الصّدد معلقا على معنى الاستعمار في العصر الحديث «أقول إن ذلك خطأ لأنهم لو كانوا دول استعمار،فهذا يعني أنهم يرغبون في عمارة الأرض، ولكنهم في حقيقة الأمر كانوا يخربون في الأرض، ولذلك كان يجب أن تسمى دول الاستخراب»[8]، ومن ثمّ فمفهوم الاستعمار بالمعنى الدارج هو نعمة من النعم يحمل معنى الدمار والخراب، ولذلك استعيض عن ذلك المفهوم بمفهوم يناسب كالاستخراب والاستدمار أو ما شابه ذلك.

تعد دلالة الطلب بصيغة "استفعل" من الدلالات المشهورة عند النحاة وفقهاء اللغة، قال تعالى على لسان الأنبياء نوح، هود، صالح، شعيب، على الترتيب « فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا »[9]« وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ »[10] «فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ »[11]، «وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ»[12]، ف "استغفروا" تدل على أمر القوم بطلب المغفرة من الله الالتجاء إليه، لأن الالتجاء إلى الله بطلب المغفرة دليل على الاعتراف بوجوده من جهة ووحدانيته من جهة ثانية، وبالاستغفار يتحقق معنى العبودية، لأن الإيمان بالله بمجرد الاعتقاد فقط لا يكفي فلابدّ من البرهنة على صدق العبودية بالالتجاء إليه وطلب المغفرة منه أولا قبل كل شيء لأن طلب

1- سورة الأعراف ، الآية 71 .
2- ينظر تفسير أبي السعود، ج4،ص221 .
3- الألوسي :روح المعاني، م7،ج12،ص132 .
4- سورة الأعراف، الآية 74 .
5- سورة الشعراء ، الآية 146-148 .
6- سورة هود ، الآية 61 .
7- محي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ط6، 1419هـ-1999م، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دار اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، م3،ج12ص450 .
8- تفسير الشعراوي، م11، ص25-26 .
9- سورة نوح ، آية 10 .
10- سورة هود ، الآية 52 .
11- سورة هود، الآية 61 .
12- سورة هود ، الآية 90 .

المغفرة يدل على الاعتراف بالتقصير في جناب الله من جهة والنية في الطاعة من جهة ثانية، فلذلك جل الأنبياء يؤكدون ويلحون على أقوامهم بالاستغفار لله عز وجل.

7) فُعِلَ:

قال الله تعالى مدينا حالة الأب والقوم حينما غلبهم إبراهيم عليه السلام بالحجة « فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ »[1]، لقد عبّر القرآن عن عودة القوم إلى صوابهم بالرجوع إلى النفس، وعبر عن عودتهم إلى غيرهم بالنكس «والنكس قلب أعلى الشيء أسفله وأسفله أعلاه: يقال صُلب اللص منكوسا أي مجعولا رأسه مباشرة بالأرض، وهو أقبح هيئات المصلوب، ولما كان شأن انتصاب جسم الإنسان أن يكون منتصبا على قدميه، فإذا نكس صار انتصابه كأنه على رأسه، فكان قوله هنا «نكسوا على رؤوسهم» تمثيلا لتغير رأيهم عن الصواب، كما قالوا إنكم أنتم الظالمون إلى عودة الضلال بهيئة من تغيّرت أحوالهم من الانتصاب على الأرجل إلى الانتصاب على الرؤوس منكوسين، فهو من تمثيل المعقول بالمحسوس، والمقصود به التشنيع، وحرف (على) للاستعلاء، أي علت أجسادهم فوق رؤوسهم بأن انكبّوا انكبابا شديدا بحيث لا تبدوا رؤوسهم»[2]، وهنا الفعل بصيغة ما لم يسمّ فاعله يدل على المبالغة في العودة إلى غيرهم وباطلهم «وما لم يكن لذلك النكس فاعل إلا على أنفسهم بُني الفعل للمجهول فصار بمعنى انتكسوا على رؤوسهم»[3]، وبما أن نفوسهم الخبيثة هي التي كانت سببا في انتكاسهم لم يصرّح بها تحقيرا لشأنها وإمعانا في طيّها وعدم الاهتمام بها. يقول سيد قطب في هذا الصّدد «وحقّا لقد كانت الأولى [رجعوا إلى أنفسهم] نكسة على الرؤوس كما يقول التعبير القرآني في المصوّر العجيب..كانت الأولى حركة في النّفس للنظر والتدبّر، أما الثانية فكانت انقلابا على الرأس فلا عقل ولا تفكير[4].

ثانيا: تعدية الفعل:

الأصل في الفعل المتعدّي أن يتعدّى إلى المفعول به مباشرة، وقد يتعدّى إلى المفعول به بحرف الجرّ ليضيف دلالة جديدة، ولقد استعملت بعض الأفعال في الجدل القرآني متعدية إلى المفعول به بواسطة حرف الجرّ ليضيف دلالة جديدة، ولقد استعملت بعض الأفعال في الجدل القرآني متعدّية إلى المفعول به بواسطة حرف الجر لإيجاد بعض الحجج التي تزيد في اقتناع الطرف الآخر بمدى صدق دعواه وصحة آرائه ومواقفه.

1) تعدية الفعل باللام:

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام « أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »[5]، لقد تعدى الفعل نصح باللام،والأصل أن يتعدّى إلى المفعول به بنفسه "أنصحكم" فلم تعدى فعل النصح باللام؟ وتعدية فعل النصح باللام يدل على معنى الإخلاص والاختصاص «يقال نصحته ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير، فربّ نصيحة ينتفع بها الناصح، فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله عليهم السلام»، فنوح عليه السلام بالرغم من وصف قومه له بالضلال إلا أنه أظهر لهم حسن نواياه وأمانته وإمحاض النصح لهم بما يعود لهم بالنفع والفائدة لهم خاصة، ويظهر الأستاذ الشواري هذا المعنى بجلاء فيقول:" والنصح أن توضح للإنسان المصلحة في العمل وتجرد نيتك بما يشوهه، وهل أنت تنصح آخر بأمر يعود نفعه عليك؟، إنك إن فعلت ذلك تكون النصيحة متهمة، وإن نصحته بأمر يعود عليه

1- سورة الأنبياء ،الآية 64-65 .

2- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير، م8،ج16، ص103، 104 .

3- المصدر نفسه، المكان نفسه

4- سيد قطب :في ظلال القرآنن م4،ج17، ص87 23 .

5- سورة الأعراف، الآية 62 .

وعليك فهذه نصيحة لك وله، ولكن حينما تقول "نصحت لك" أي أن النصيحة ليس فيها مسألة خاصة بك، بل كل ما فيها لصالح من تبلغه فقط، وبذلك يتضح الفارق بين "نصحته" و" نصحت له"»[1]، وما يؤكد معنى إخلاص الأنبياء لأقوامهم وإمحاض النصح لهم دون انتظار فائدة تعود له أو مكافأة تمنح لهم وهو تأكيدهم من حين لآخر على عدم انتظار مقابل من القوم « يَاقوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ »[2] « وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ »[3].

الأصل في فعل "شكَر" أن يتعدى إلى المفعول به مباشرة، ولكن ورد في سياق جدل الأنبياء مع أقوامهم متعديا باللام، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »[4]، وتعدية فعل الشكر باللام أبلغ من تعديته إلى المفعول به مباشرة، وأمر القوم بالشكر هنا يتضمن إخلاص اشكر لمستحقه[5]، وهو الله سبحانه وتعالى لأن القوم ربّما يقومون بواجب الشكر ولكن غير خالص لله عز وجلّ بل إلى الأصنام، فلذلك عدي أمر الشكر باللام.

2) تعدية الفعل بـ "على":

إن فعل "خاف" من الأفعال التي تتعدى بنفسها إلى المفعول به، كما يمكن أن تتعدى إلى المفعول به بـ"على"،قال تعالى على لسان نوح عليه السلام « إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »[6]، وتعدية فعل الخوف بـ" على"،إذا كان الخوف من ضرّ يلحق غير الخائف»[7]، وإظهار نوح الخوف من قومه يدل على إمحاضه النصح لهم وحرصه على سلامته حتى جعل ما يضرّهم كأنه يضرّ به، فهو يخافه كما يخافون أنفسهم»[8]، لأن نوح عليه السلام يعلم ما سوف يلحق بقومه من العذاب إن لم يؤمنوا به، ولكن القوم غير آبهين بما يحذرهم وينذرهم به نوح، وتعدية فعل الخوف بهذا المعنى يدلّ على إخلاصه وتفانيه وحبّه لقومه، وهذا الإخلاص يقتضي من نوح جلب المصلحة والمنفعة للقوم بتجديد النّصح والتوجيه (أنصح لكم)، كما يقتضي منه أيضا درء ما من شأنه أن يكون فسادا للقوم وهلاك لهم بإظهار الخوف عليهم بالتحذير والإنذار (أخاف عليكم عذاب يوم عظيم).

قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام لمّا أعياه أمر قومه « وَيَاقوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ »[9]، وتعدية فعل الأمر بعلى يدل على أمر القوم باستمرارهم على ما هم عليه من التكذيب والعصيان،وعبارة «اعملوا على مكانتكم» يحتمل أن يراد بها الثبات على الحالة التي عليها القوم، ويقال للرجل على مكانتك يا فلان؛ أي أثبت على ما أنت عليه ولا تغير ما أنت عليه[10]، ومعنى العبارة يدل على المعنيين لما لهما من علاقة فالعمل على المكانة يدل على بذل ما في الوسع من أجل البقاء على الحالة التي عليها القوم، ولم يخاطب شعيب قومه بهذا الأمر خطابا حقيقيا بل قال لهم ذلك «على طريقة التهديد أي على غاية تمكّنكم واستطاعتكم يقال: مكّن مكانه إذا تمكن أبلغ التمكن، وإنما قال عليه السلام ردّا لما ادّعوا أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف فيما بينهم لا عزة له»، ونظير هذه الآية "اعملوا ما شئتم".

3) تعدية الفعل بـ "عن":

1- تفسير الشعروا ي ،م7، ص95 41 .
2- سورة هود ، الآية 29 .
3- سورة الشعراء ، الآيات 109-127-145-164-180 .
4- سورة العنكبوت:
5- التحرير والتنوير: م5/ج189/8
6- الأعراف: 59
7- التحرير والتنوير: م5/ج8/ص189
8- المصدر نفسه، المكان نفسه
9- سورة هود: 93
10- الكشاف: م2/ص64-65

ورد فعل "عتى" متعديا بـ "عن" ثلاث مرّات في القرآن الكريم[1]، ويدل على المبالغة في النكير والإنكار، قال تعالى« فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ »[2]، فالقوم خالفوا أوامر رسولهم والتي هي أوامر الله وبالغوا في الإنكار والاستكبار، وعبّر عن هذا بالعتوّ وهو تجاوز الحدّ في الكِبِر وتعديته بـ "عن" لتضمينه معنى الإعراض»[3]، أي أنهم استكبروا وأعرضوا عن عبادة الله وطاعة رسوله وعقروا الناقة التي هي آية من آيات الله وبينة وبرهان على صدق نبوّة صالح عليه السّلام.

4) تعدية الفعل بـ "إلى":

لقد استعمل الأنبياء في جدالهم مع أقوامهم أفعالا متعدّية لإقناعهم واستمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه، قال تعالى على لسان هود عليه السّلام « وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ »[4]، وعدي الفعل بإلى "لتضمينه معنى يضمّ، وهذا وعد بصلاح الحال في الدّنيا"[5]، لأن عادا كانوا يمتازون بميزات خاصة ويتمتعون بنعم لم تكن موجودة عند أمم أخرى،إلا أنهم يعانون من بعض المشاكل التي تقض مضاجعهم يخافون أن تسلب من عندهم هذه الميزات، ومن هذه المشاكل نقص الماء، وقلة الولد ونقص المال[6]، فوعدهم هود بصلاح حالهم إن هم أقبلوا على الله مؤمنين عابدين مستغفرين، والاستغفار كفيل بأن يحل هذه المشاكل «عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، أنه وفد على معاوية، فلما خرج تبعه حجّابه، فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلّمني شيئا لعل الله يرزق لي ولدا، فقال عليك بالاستغفار، فكان يكثر الاستغفار حتى ربّما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية، فقال: هلّا سألته ممّ قال ذلك، فوفد مرة أخرى فسأله الرّجل فقال: ألم تسمع قول هود عليه السلام «يزدكم قوة إلى قوتكم»»، وقول نوح « فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا »[87].

ثالثا: اسم الفعل "هيهات":

يعدّ اسم الفعل "هيهات" من أبرز الصيغ المستعملة من قبل الأقوام في سياق إنكارهم لرسالات الأنبياء، ولقد وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم، قال تعالى على لسان عاد بعد أن أخبرهم هودا بوجود حياة أخرى بعد الحياة الدنيا « أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ »[9]، ولقد اختلف علماء النحو والتفسير في إعراب هيهات، فمنهم من يرى أنها مصدر والاسم الذي يأتي بعده يعدّ خبرا له كالذي اختاره الزّجاج في تفسيره، ومنهم من ذهب إلى أن هيهات اسم فعل ماض من البعد؛ فمعنى هيهات كذا: بعُد وهو رأي جمهور النّحاة[10]، فصيغة هيهات سواء أكانت اسم فعل وهو الأرجح أو مصدر جامد يدل على استبعاد وقوع شيء أو تصديقه أو صحته[11]، وتكرار هيهات لتأكيد الأمر المستبعد من

1- سورة الطلاق: 8، سورة الأعراف: 77-166، الذاريات: 44

2- سورة الأعراف: 77

3- التحرير: م5/ج9، ص225

4- سورة هود: 52

5- التحرير والتنوير:

6- والقوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حرصوا عليها أشد الحرص،فكانوا أحوج شيء إلى الماء، وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة، مستحرزين بها من العدو، مهيبين في كل ناحية، وقيل أراد بالقوة المال، وقيل القوة في النكاح، وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم، الكشاف:م2/ص387

7- سورة نوح: 10 - 11 - 12

8- الكشاف: م2/ص387 (بتصرّف)

9- سورة المؤمنون: 35 - 36

10- ينظر: التحرير والتنوير: م9/ج8، ص54

11- ينظر تفسير أبي السعود: ج6: ص134، وينظر أيضا: روح المعاني: م10/ج18، ص48

قبل القوم؛ وهو البعث بدليل قولهم بعد ذلك «إن هي إلا حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين»[1] .

المطلب الثالث: المشتقات:

تعد المشتقات من أبرز الصيغ الصّرفية التي وردت في ثنايا الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم، ووظفها كل من الطرفين في التعبير عن أغراضه ومقاصده،واستعملها في تقوية آرائه ومواقفه، ومن هذه الصيغ ما يلي:

1) فُعِيل:

قال الله تعال على لسان ثمود حين دعاهم صالح عليه السلام إلى عبادة الله ونبذ الشّرك « وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ »[2]، استعمل القوم اسم الفاعل مريب للدلالة على المبالغة في عدم الاطمئنان من دعوة صالح عليه السّلام، ومريب اسم فاعل من متعدّ، أرابه أوقعه في الريبة؛ وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة، أو من لازم أراب الرجل إذا كان ذا ريبة»[3].

وسبب عدم ارتياحهم لما جاء به صالح راجع إلى كونه نهاهم عن عبادة ما اعتاد عليه آباؤهم «وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه، بل يستنكرون ما هو واجب وحقّ، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده لماذا ؟ لا حجة، لا برهان، لا تفكير، ولكن لأن آباؤهم يعبدون هذه الآلهة وهكذا يبلغ التحجر بالنّاس ن يعجبوا من الحق البين، وأن يعللوا العقائد بفعل الآباء»[4].

إن المعاندين المستكبرين من الأقوام يحاولون أن يمنعوا الدعوات ويبعدوها عن أنفسهم وعن اتباعهم بشتى الوسائل ومن وسائلهم في ذلك وصف النبي المرسل بأوصاف من شأنها أن تحطّ من قيمته، ومن قيمة الرسالة التي جاء بها؛ وهي أوصاف شتى كالجنون والمرض والكذب، واستعمل قوم نوح صفة الضلال، قال اللّه تعالى على لسان الملأ من قوم نوح بعدما عرض عليهم نوح دعوته « إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »[5]، فالملأ لم يكتفوا بوصف نوح بالضلال، بل وصفوا هذا الضلال بالمبين؛ لأنه خالفهم بدعوته في الكثيرين من الأمور التي كانوا يعتقدونها " والمبين اسم فاعل من أبان، المرادف بان، وذلك هو الضلال البالغ الغاية في البعد عن طريق الحقّ، وهذه شبهة منهم، فإنهم توهّموا أن الحق هو ما هم عليه، فلا عجب؛ إذ جعلوا ما بعد عنه بعدا عظيما ضلالا بيّنا لأنه خالفهم، وجاء بما يعدونه من المحال، إذ نفى الإلهية عن آلهتهم، فهذه مخالفة،وأثبتها لله وحده، فإن كانوا وثنيين فهذه مخالفة أخرى، وتوعدهم بعذاب عن ذلك، وهذه مخالفة أيضا، وإن كان العذاب الذي توعدهم به عذاب الآخرة فأخبرهم بأمر محال عندهم وهو البعث، فهي مخالفة أخرى، فضلاله عندهم مبين وقد يتفاوت ظهوره، وادّعى أن الله أرسله، وهذا في زعمهم تعمّد كذب وسفاهة عقل وادعاء محال كما حكي عنهم في قوله تعالى « قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنْ الْكَاذِبِينَ »[6]"[7]، وهكذا تنقلب الموازين فيصبح الضّال هاديا في نظر نفسه، والهادي في نظر سراة القوم ضالا، والساعي إلى الإصلاح مفسدا في نظر من طمست بصيرته «أولئك الذين أضلهم على علم».

2) فَعِيل:

1- سورة المؤمنون: 37
2- سورة هود: 62
3- أبو حيان التوحيدي: البحر المحيط: ج5/ص239
4- سيد قطب، في ظلال القرآن: م4/ج12، ص1907
5- سورة الأعراف: 60
6- سورة الأعراف: 66
7- التحرير والتنوير: م5/ج8، ص190-191

قال الله تعالى على لسان آزر « لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا »[1]، هذا جواب الأب المتغطرس الفظ الغليظ المشفع بالتهديد والوعيد بعد أن دعاه ابنه إبراهيم عليه السلام إلى ترك عبادة الأصنام وإخلاص العبادة لله عز وجل بأرق الكلام وألينه، فبعد أن هدده أبوه بالقتل رجما أمره بالابتعاد عنه فقال:" اهجرني مليّا"، ومليّا يدل على طول المدّة أي دهرا طويلا، ومليّا على وزن فعيل " ولا يعرف له لون مجرّد ولا مصدر، فمليّ مشتق من مصدر ممات، وهو فعيل بمعنى فاعل لأنه يقال أملى له إذا أطال له المدّة فيأتون بهمزة التعدية، فمليّا صفة لمصدر محذوف منصوب على المفعولية المطلقة أي هجرا مليّا، ومنه الملاوة من الدّهر للمدة المديدة من الزّمان، وهذه المادة تدل على كثرة الشيء، ويجوز أن ينتصب على الصفة لظرف محذوف؛ أي زمانا طويلا"[2]، فمليا المقصود منه المبالغة في الهجر أو طول الزمن، وهي وسيلة لجأ إليها الأب لإبعاد الإبن عنه، وطلب الابتعاد عنه بعدا مكانيّا إلى أبعد نقطة وبعدا زمنيّا أي ردحا من الزمن يصل إلى حدّ الممات.

تعدّ الرحمة من أهم الصفات التي اتّصف الله بها عز وجل واستعملها الأنبياء في جدالهم مع أقوامهم لغرس محبة الله في قلوبهم وإقناعهم بالخير العميم الذي سوف يلقونه إن هم استجابوا لدعوتهم وطلبوا من الله أن يغفر لهم ذنوبهم ويكفّر عنهم سيئاتهم. .

ولقد وردت الرحمة صفة لصفات أخرى في القرآن الكريم منها ما يلي:

المغفرة، "غفور رحيم"[3].

التوبة، " تواب رحيم"[4].

الرأفة، " رؤوف رحيم"[5].

العزة، "عزيز رحيم"[6].

فالرحيم صفة مشبهة دالة على المبالغة عند أهل اللغة[7]، واسم الرحمة موضوع في اللغة «لرقة الخاطر وانعطافه نحو حيّ، تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضر عنه وإعانته على المشاق[8]، أما مجيء الرحيم صفة لتواب « لأن قبول التوبة ضرب من الرحمة بهم»[9]، ومجيء الرحيم صفة لغفور «يدل على معنى التجاوز عما تمكن المؤاخذة عليه، لا بمعنى تجاوز الذنب»[10]، ومجيء الرحيم صفة لرؤوف «لأن الرأفة مفسرة بالرّحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة، والفرق بين الرأفة والرّحمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصّة؛ وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإنعام والجمع بين رؤوف ورحيم في الآية يفيد توكيد مدلول أحدهما بمدلول الآخر بالمساواة أو بالزيادة»[11]، ومجيء الرحيم صفة للعزيز – والعزة تدل على تمام القدرة[12]، والغلبة والقهر وتعجيل العقاب[1] إن شاء، يدل على أن الله مهما كانت سطوته وقدرته

1- سورة مريم : 46

2- التحرير والتنوير: م8/ج16، ص120

3- وردت سبعين مرة تقريبا

4- وردت 7 مرات

5- وردت 8 مرات

6- وردت 13 مرة

7 [illegible] 1/ [illegible] 171

8 [illegible] 1/ [illegible] 439

9 [illegible] 2/ [illegible] 121-122

10 [illegible] 2/ [illegible] 25-26

11 [illegible] 25-26

12 [illegible] 9/ [illegible] 102

على القهر والانتقام والمؤاخذة وإنزال العقاب فإنه مع كل ذلك متصف بالرّحمة فلو انتفت صفة الرحمة التي اتصف بها الله عز وجلّ لأصبحت الأرض قاعا صفصفا.
قال تعالى:« لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ »[2]، وقال أيضا :« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ »[3]، فما الذي جعل الله تبارك وتعالى لا يعجّل بالعذاب والانتقام رغم قدرته على ذلك؟ تلك هي رحمته التي وسعت كلّ شيء، وذلك هو إمهاله وعدم إهماله؛ فشعيب عليه السلام في سياق جداله مع قومه عرّف لهم الإله الذي يدعو القوم إلى عبادته وطاعته واجتناب نواهيه بكونه الإله الكثير الحب والودّ لعباده ورؤوف رحيم لطيف بهم، وذلك ليليّن قلوبهم ويغرس في قلوبهم محبّة اللّه، ومن ثمّ يستجيبون لدعوته ويخلصون له العبادة.
والتذكير بغفران الله الدال على سعة رحمته لا يعني التشجيع على الإصرار على المعصية بل التحفيز على الإسراع في طلب المغفرة من الله والتوبة إليه؛ لأن الإنسان مفطور على الخطأ والنّسيان.
ومن الصفات المشبهة على وزن "فعيل" التي استعملت في الجدل القرآني هي الحليم والرّشيد.قال تعالى على لسان شعيب «إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ»[4] صفتان جليلتان وجميلتان، وهما من الصيغ الدالة على المبالغة؛ فالحليم معناها كثير الحلم والرشيد بلوغ مرتبة عليا في الإرشاد والنّصح وحسن التدبير.
ووصف شعيب بهاتين الصفتين ليس وصفا حقيقيا؛ إذ لو كان كذلك لما أعرضوا من دعوته ولما قابلوها بالإنكار والجحود، أو أن الوصفين حقيقيان يراد بهما وصف شعيب قبل نبوته «أي أنّك المتصف بهذين الوصفين،فكيف وقعت في هذا الأمر من مخالفتك دين آبائنا وما كانوا عليه، ومثلك من يمنعه حلمه ورشده عن ذلك»[5]؛ كما قالت ثمود لصالح « يَاصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ »[6]، والأظهر المراد بالوصفين التهكم لأن مقام الاستهزاء « يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا »[7] يأباه وصف شعيب بهذين الوصفين حقيقة،وإنما أريد بهما ضدهما كقوله تعالى:« ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الْكَرِيمُ »[8]"[9]، وقد أكدت هذه الآية التهكمية بأربع توكيدات: حرف إن ولام القسم وصيغة القصر وجملة: لأنت الحليم الرّشيد"[10].
لقد وردت كلمة "عصيّا" في سياق جدل إبراهيم لأبيه ونهيه عن اتباع الشيطان؛لأن الشيطان كان شديد العصيان لله، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام « يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا »[11]، وعصيّا من صيغ المبالغة في عصيان أوامر الله والتمرّد عن

---

1 - [illegible]: 7/[illegible] 7[illegible]
2 - [illegible]: 58
3 - [illegible]: 45
4 - [illegible]: 87
5 - [illegible]: [illegible] 254
6 - [illegible]: 62
7 - [illegible]: 87
8 - [illegible]: 49
9 - [illegible]: [illegible] 233
10 - [illegible]: 6/[illegible] 142
11 - [illegible]: 44

طاعته "وزيادة فعل كان للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربّه وأنه متمكّن منه"[1]، ولقد أطاع آزر الشيطان وبالغ في طاعته إلى مرتبة العبودية، والعبودية أعلى درجة من الطاعة وأعمّ منها، ولذلك نهاه عن عبادة الشيطان بدلا من نهيه له عن طاعته، ونهاه عن ذلك لأن الشيطان بالغ في عصيانه وتمرده عن الله، وسبب هذا التعليل أنّ آزر لو استمرّ في عبادة الشيطان سوف يكون عصيّا لله مثله؛ لأن "المطيع للعاصي عاص، وكل من هو عاص حقيق بأن تستردّ منه النعم وينتقم منه"[2]، وإبراهيم لا يرضى أن يكون من الذين ينتقم الله منهم ويخشى أ نيصل أباه إلى هذا المصير، وهو ما جعله يقول له بعد ذلك « يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا »[3].

3) مفعَّل:

لقد درج الأقوام في تسفيه ما جاء به أنبيائهم من الهدى والرّشاد واستعملوا شتّى الوسائل في ذلك، ومن ذلك وصف أنبيائهم بأوصاف لا تليق بمن يتصدّر للدعوة وتبيين سبل الهداية للنّاس والسّحر من الأوصاف المحبّبة عندهم. قال تعالى على لسان قوم صالح « إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ »[4]، وهذا بعد أن ذكرهم بنعم الله وآلائه عليهم، وبعد أن دعاهم لتقوى الله وطاعته، والمسحّر اسم مفعول سحّره سحرا متمكنا منه «من المسحّرين» أبلغ في الاتّصاف بالتسحير من أن يقال«إنّما أنت مسحّر»[5]"[6]، وكلمة المسحّر من صيغ المبالغة تدلّ على شدّة وطأة السّحر عليه حتى غلب على عقله، ووصفوه بذلك تعريضا بكونه لا يصلح للرّسالة وأعبائها، وهذا مبالغة منهم وإمعانا في تكذيبه وإبعاد دعوته من سائر القوم.

4) فعُول:

إن من الوسائل التي استعملها الأنبياء في إقناع أقوامهم إلى عبادة الله وحده والاستغفار له بما بدر منهم من سيئات وتحفيزهم وتشجيعهم إلى الاقتراب من الله إبراز أهم الصفات التي يتصف بها الله جلّ وعلى كصفة " الودود"، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام « وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ »[7].

وودود على وزن فعول بمعنى فاعل، مشتق من الودّ وهو الحبّ، ودود بناء مبالغة أي أن الله كثير وشديد مبالغ في المحبّة لمن يقبل إلى الله عز وجلّ بالتوبة والإنابة إليه"[8]، وحبه لعباده يتجلّى في الإحسان إليهم واللطف بهم "ومحبته لهم سبب في استغفارهم وتوبتهم، ولولا ذلك ما وفقهم إلى استغفاره والرجوع إليه، فهو يفعل بهم فعل الوادّ بمن يودّه من الإحسان إليه»"[9]، فالإنسان العاقل ذو الفطرة السّليمة حينما يعلم أنّ الله الذي أمر أن يعبده شديد الحبّ له لطيف به غزير الإحسان له، فمن دون شكّ لا يتردّد في إخلاص العبادة له، والتوبة إليه بما بدر منه من ذنوب وآثام، أما من استولى الكبر على قلبه وطمست بصيرته وتكدّرت فطرته يقول كما قال

1- [illegible] 8/16 [illegible] 117
2- [illegible] 9/16 [illegible] 142
3- [illegible] 45
4- [illegible] 153
5- [illegible] 9/12 [illegible] 177
6- [illegible] 185
7- [illegible] 90
8- [illegible] 6/12 [illegible] 46 [illegible] 7/12 [illegible] 183 [illegible] 184
9- [illegible] 255

قوم شعيب جوابا لشعيب « قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ »[1].

5) مِفعَال:

إن من الصيغ المستعملة في جدال الأنبياء مع أقوامهم صيغة "مِفعال"، قال الله تعالى على لسان هود عليه السلام مخاطبا قومه « وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا »[2]، وعلى لسان نوح « فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا »[3] ومدرار على وزن "مِفعال" الدالة على المبالغة كمِقدام ومعطار[4]،ومدرار "حال من السماء صيغة مبالغة من الدرور،وهو الصّب أي غزيرا"[5]، أو هو يدل على تتابع المطر من غير إضرار، فالمدرار إذن: "هو المطر الذي يتوالى تواليا مصلحًا لا مفسدا، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين نزول المطر يقول: اللهم حوالينا ولا علينا"، ومتى أرسل المطر مدرارا متتابعا مصلحا، فالأرض تخضرّ وتعمر الدنيا وتزداد قوة إلى قوّتنا"، واستعمال النبيان هود ونوح صيغة المبالغة في إنزال المطر الدالة على سعة رحمة الله بعباده وعموم خيراته لاستمالة القوم وإغرائهم، مما من شأنه أن يكون سببا في استجابة القوم لدعوتهم وقبولها.

6) فَعّال:

إن صيغة فعّال الدّالة على المبالغة استعملت في الجدل القرآني لإقناع الخصوم لكي يستجيبوا للدعوة التي عرضها الأنبياء عليهم، وهي عبادة الله والإنابة إليه وطلب المغفرة منه.

قال الله عز وجل على لسان نوح عليه السّلام:« فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا »[6]، وغفّار على وزن فعَّال "وغفّار أبلغ من المغفرة من غافر لأن فعّالا يدلّ على كثرة صدور الفعل، وفاعلا لا يدلّ على الكثرة"[7]، ووصف مغفرة الله لهؤلاء القوم بصيغة المبالغة يدلّ على كمال غفران الله[8]، وأنه "دائم المغفرة كثيرها للتائبين"[9]، واستعمال صيغة المبالغة من قبل نوح بعد أن أمرهم بالاستغفار لكي يقطع دابر كلّ علّة يتعلّلون بها عن عدم إقبالهم إلى الله وطلب المغفرة منه كأن يتخوّفوا من أن لا يتقبّل توبتهم لكون ذنوبهم عظيمة فطمأنهم بأن الله يغفر لهم سالف ذنوبهم مهما كانت عظيمة إن هم أخلصوا عبادتهم لله ورجعوا إليه تائبين مستغفرين، وأكثر من ذلك وعدهم بالخير العميم « يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا »[10].

7) فُعَّال:

لقد عبّر القرآن الكريم عن مواقف الأقوام من دعوات أنبيائهم وردود أفعالهم الدنيئة تجاهها بصيغ تصوّر هذه الرّدود، وكصيغة فعّال الدالة على المبالغة، قال تعالى على لسان نوح عليه

1- ǻȂǼǵǿȅ: 91

2- ǻȂǼǵǿȅ: 52

3- ǳǿǬǵǿȅ: 10-11

4- ǿǳǬǻǼǺ: ȳ7/ǯ2 Ȗ 120

5- ǾǼǻǼǽǾǼ: ȳ6/ǯ2 Ȗ 96

6- ǳǿǬǵǿȅ: 10

7- ǼǻǼǽǾǼǾǼǽǾǼ: ǯ2 Ȗ 180

8- ǾǼǻǼǽǾǼǾǼ: ȳ14/ǯ29 Ȗ 197

9- ǿǳǬǻǼǺ: ȳ16/ǯ29

10- ǳǿǬǵǿȅ: 11-12

السلام « وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا »[1]، وصيغة كُبّار على وزن فُعّال، وكُبار صيغة مبالغة للدلالة على الأمر الكبير جدّا أوالكبير للغاية"[2]، وصيغة "فُعّال" وردت في ألفاظ قليلة مثل "طوّال" أي طويل جدّا، وعجّاب أي عجيب، وحُسّان، وجُمّال أي جميل، قُرّاء كثير القراءة، ووُضّاء أي وضيء[3]، ولقد تعجّب بعض الأعراب من فصاحة القرآن من أجل هذه الصيغة الدّالة على المكر والكيد الكثير عندما سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ هذه الآية «فقال: ما أفصح ربّك يا محمّد!،وإذا اعتبر التنوين في مكرًا للتفخيم زاد أمر المبالغة في مكرهم أي كبيرا في الغاية، وذلك احتيالهم في الدّين وصدّهم للناس عنه وإغراؤهم وتحريضهم على إذاية نوح عليه السّلام»[4]، وتتجلى دلالة المكر الموصوفة بصيغة المبالغة في كونهم " مكروا لإبطال الدّعوة وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس، ومكروا لتزيين الكفر والضلال والجاهلية التي تخبط فيها القوم، وكان من مكرهم تحريض النّاس على الاستمساك بالأصنام التي يسمونها آلهة « وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ »[5]. .

هذه الإضافة "آلهتكم" لإثارة النخوة الكاذبة والحميّة الآثمة في قلوبهم وخصصوا من هذه الأصنام أكبرها شأنا فخصوها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامّة المضللين الحميّة والاعتزاز « وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا »[6]،وهي أكبر آلهتهم التي ظلّت تعبد في الجاهليات بعدهم إلى عهد الرسالة المحمّديّة»[7].

1- ẽǵǫǭdz: 22

2- ÃŢĀäţĀĀĀĀǬǭ: ȳ14/ǯ29Û î207 ,ÃŢŲŘ: ǿǭdzäţĂŐ: ȳ26/ǯ29Û î131

3- ÃŢĀäţĀĀĀĀǬǭ: ȳ14/ǯ29Û î207

4- ǿǭdzäţĂŐ: ȳ16/ǯ29Û î131

5- ẽǵǫǭdz: 22

6- ẽǵǫǭdz: 23

7- ÊŔǕĒ: Ž ŞŸǑÃǕȷ: ȳ6/ǯ29Û î3716

الفصل الثالث

الخصائص النحوية التركيبية للجدل القرآني

تمــهــيــد

قبل أن أتحدث عن الخصائص النحوية (التركيبية) للجدل القرآني لا بد من أن أشير إلى بعض المفاهيم المتعلقة بهذا المستوى من الدراسة.

مفهوم النحو و التركيب و الإفادة :

يقول ابن جني في باب القول عن النحو " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع و التحقير و التكسير و الإضافة و النسب و التركيب و غير ذلك "[1] ،فابن جني يقصد بالنحو معرفة كلام العرب و ذلك بالإحاطة بالجانب الصرفي المتمثل في التثنية و الجمع و التحقير (التصغير) و التكبير و الإضافة والنسب ،و الإحاطة بالجانب النحوي المتمثل فيما يتركب أو يتألف أو يتعلق و يسند ، و يوجد من اللغويين من اقتصر في تعريفه للنحو على الجانب التركيبي . يقول الجرجاني معرّفا علم النحو بأنه " علم يعرف به أحوال التراكيب من الإعراب و البناء و غيرهما ......و قيل علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفاسده "[2] و قريب من هذا التعريف بشيء من التفصيل يعرّف السكاكي النحو قائلا " إعلم أنّ النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب و قوانين مبنية عليها ليحرز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية ، و يقصد بكيفية التركيب تقديم الكلم بعض على بعض و رعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك وبالكلم نوعيها المفردة وما هي في حكمها"[3].

فالنحو إذن هو الإلمام بكلام العرب و معرفة القواعد و القوانين التي تعصم من الخطأ والزلل ، و التركيب هو الأساس الطبيعي للنحو، و أصل من أصوله، و حقيقة من حقائقه ، فلا يمكن معرفة النحو دون معرفة نظام العرب وتقاليدهم في تركيب و تأليف الألفاظ ،و اقتفاء أثرهم في ذلك و أي تعريف للنحو أو الكلام و الجملة إلا و يرد فيه مصطلح التركيب أو ما شابهه كالتأليف و الإسناد و التعليق يقول عبد القاهر الجرجاني " اعلم أن الواحد من الاسم و الفعل و الحرف يسمى كلمة فإذا ائتلف منها اثنان فأفاد نحو اخرج زيد سمي كلاما و سمي جملة "[4] و يقول سيبويه " هذا باب المسند و المسند إليه و هما ما لا يغني واحد منهما عن الأخر و لا يجد منه المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ و المبني عليه وهو قولك عبد الله أخوك و هذا أخوك ، و مثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأولي بدّ من الأخر في الابتداء[5]، و أفرد الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بابا بيّن فيه أهمية التعليق و أنّه الأساس في نظم الكلم، إذ يرى"أن لانظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض و يبني بعضها على بعض ، و تجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل و لا يخفى على أحد من الناس"[6] و أعطى لذلك أمثلة فقال " أن تعمد إلى الاسم فتجعله فاعلا أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما ضميرا للأخر و تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا

---

1) [illegible] 34 .

2) [illegible] 1406 [illegible] 1996. [illegible] 295 .

3) [illegible] 1420 [illegible] 2000 [illegible] 75 .

4) [illegible] 1 [illegible] 1410 [illegible] 1990 [illegible] 107.

5) [illegible] 23 .

6) [illegible] 1415 [illegible] 1994 [illegible] 54 .

منه " [1] . فالتركيب هو الأساس في النحو، كما أن النحو هو أساس التركيب أيضا ، بمعنى أي تركيب لا بدّ و أن يخضع إلى قوانين علم النحو وأصوله ، يقول الجرجاني " و اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، و تعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فعلا فلا تزيغ عنها ، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك" [2] و ليؤدي الكلام دوره و وظيفته في الاتصال لا بدّ من تحقق عنصر الإفادة، إذ لا يكفي ربط الكلم بعضه ببعض و لو كان وفق قوانين النحو فلا بدّ أن يؤدي الكلام معنى و دلالة ، يقول الجرجاني في هذا الصدد " ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالاتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " [3] إذن فأي كلام لا بدّ أن تتحقق فيه العناصر الثلاثة لكي يضمن عملية الاتصال، و هي أن يخضع لقواعد النحو ، وأن يكون مركّبًا أن يكون مفيدا .

ثانيا : مفهوم الجملة و أقسامها

لقد اختلف اللغويون و النحاة القدامى في تحديد معنى الكلام و الجملة و انقسموا إلى رأيين، رأي يرى بأنّهما مترادفان و رأي آخر يقول بعدم ترادفهما .

- أما الرأي القائل بأنّ الكلام مرادف للجملة يمثله كلاّ من ابن جني و الجرجاني و الزمخشري و ابن يعيش ، فابن جني يعرّف الكلام بأنّه " كل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه و هو الذي يسميه النحويون الجمل ، نحو زيد أخوك و قام محمد ، و ضرب سعيد ، و في الدار أبوك ، و صه و مه ، و حاء و عاء في الأصوات و حس و لب و أف و أوه فكل لفظ استقل بنفسه ، و جنيت منه ثمرة معناه فهو كلام " [4] و بعد أن فرغ من التمييز بين القول و الكلام خلص إلى " أنّ الكلام إنّما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها ، المستغنية عن غيرها و هي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها " [5]،و يرى الجرجاني " أنّ الواحد من الاسم والفعل و الحرف يسمّى كلمة ، فإذا ائتلف منهما اثنان فأفادوا نحو خرج زيد ، سمّي كلاما و سمي جملة "[6]،ويعرّف الزمخشري الكلام بأنّه " المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، و ذلك لا يتأتى إلاّ في اسمين كقولك : زيدٌ أخوك و بشرٌ صاحبك، أو في فعل و اسم نحو قولك : ضُرب زيد ، و انطلق بكر و تسمى جملة "[7]، و يرى ابن يعيش رأي الزمخشري فيقول : " إعلم أنّ الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه و يسمى الجملة نحو زيد أخوك و قام بكر "[8] .

- أمّا الرأي الذي لا يرى ترادفا بين الكلام و الجملة هو ابن هشام الذي عرّف الكلام بأنّه " القول المفيد بالقصد ؛والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، و الجملة عبارة عن الفعل و فاعله كقام زيد ،و المبتدأ و خبره ، كزيد قائم ، و ما كان بمنزلة أحدهما نحو " ضُرب اللص ، و " أقائم الزيدان ، و " كان زيدٌ قائما " و " ظننته قائما " و بهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس ،وهو ظاهر قول صاحب المفصل ، فإنّه بعد

---

1) [illegible] .
2) [illegible] 70 .
3) [illegible] 51 .
4) [illegible] 17 .
5) [illegible] 32 .
6) [illegible] 107 .
7) [illegible] 20 .
8) [illegible] 20 ، 21 .

أن فرغ من حد الكلام قال : ويسمى جملة و الصواب أنّهما أعم منه ، إذ شرطه الإفادة ، بخلافها ، و لهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، و كل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام ".[1]

من التعاريف السابقة تستنتج ما يلي :

1) ـ الرأيان يتفقان في تعريف الكلام أولا ثم الجملة ثانيا ، و بعد ذلك يختلفان في ترادفهما أو عدمه.

2) ـ الرأيان يتفقان على عنصر التركيب و ما شابهه من تأليف و إسناد كشرط أساسي للكلام (الجملة)

3) ـ الرأيان يتفقان أيضا على عنصر الإفادة كشرط أساسي للكلام (الجملة) .

4) ـ بما أنّ الجملة هي أعم من الكلام في نظر الرأي الثاني لأنّها تضم جملا مفيدة كجملة المبتدأ و الخبر وجملة الفعل و الفاعل ، و ما كان بمنزلتهما و جملا غير مفيدة كجملة الشرط وجملة الجواب و جملة الصلة ، والكلام هو القول المفيد للقصد فإنّ الرأي الثاني متفق مع الرأي الأول على ترادف الكلام و الجملة في عنصر الإفادة و الرأي الأول القائل بترادف الكلام و الجملة، تحدث فقط عن التركيب المفيد و سموه كلاما (جملة) ،و لم يتحدث عن التركيب الغير مفيد كما تحدث عنه الرأي الثاني، و لو تحدث عن التركيب الغير مفيد و مثله بأمثلة لاعتبره جملة ولم يعتبره كلاما، كما أشار إلى ذلك الرأي الثاني، إذن فالرأيان متفقان على أن الكلام و الجملة مترادفان في عنصر التركيب و الإفادة و غير مترادفان في عدم الإفادة، فكل كلام جملة و ليس كل جملة كلام، وسبب عدم تمييز اللغويين و النحويين بين الجملة و الكلام تمييزا دقيقا يرجع في رأي محمد العيد ارتيمة " إلى طريقة دراستهم التي فرضتها ضرورات الوضع الراهن آنذاك ، حين كانت تحليلية لا تركيبية ، أي أنّها كانت تعنى بمكونات التركيب أي الأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه ، إذ لم يتوقف عند التراكيب كتراكيب مليًا ،فلم تفرد للجملة مثلاً أبواب خاصة في مصنفات قدماء النحاة عدا بعض التعاريف التي غالبا ما تتصدر مصنفاتهم لها لكونها قاعدة الحديث و منطلق الدراسة المفصلة الدقيقة للمفاهيم الإفرادية للأجزاء التحليلية التي درست دراسة وافية سيرت فيها كل خصائصها الذاتية و العرضية من بنية و موقع و محل إعرابي و ما يطرأ عليه إثر كل تحول وفق كل حالة مما لا مجال فيها لمستزيد"[2].

5) – يعد تعريف ابن جني للجملة أشمل و أدق من التعاريف الأخرى لأنّ ابن جني من خلال الأمثلة التي ساقها (صه و مه و رويدا و حاء و عاء و حس و لب و أف و أوه) لا يعتبر الإسناد ركن أساسي و شرط أساسي ليتحقق معنى الجملة و يؤيد هذا الرأي من اللغويين المحدثين محمد عبد اللطيف حماسة فهو لا يعتبره قرينة أساسية ليتحقق معنى الجملة بل يعتبر الإسناد قرينة من القرائن الكثيرة و من ثم " لا يعني أن كل جملة مفيدة – لا بد – مشتملة على الإسناد ، إذ أننا ينبغي أن نعترف بوجود جملة ذات طرف واحد مؤيد لمعناها اعتمادا على قرائن الأحوال ، أو الموقف اللغوي الذي يكون الكلام أو السياق وهو كبرى القرائن ".[3]

(1 [illegible] 1411 [illegible] 1991 [illegible]
[illegible] 1 [illegible] 431 .

(2 [illegible]
[illegible] 1984/1985 [illegible] 54 .

(3 [illegible] 83 .

و يورد أمثلة لجمل مفيدة غير إسنادية كجملة القسم و أسلوب الإغراء أسلوب النداء [1] ويعود سبب عدم اهتمام اللغويون القدامى على التراكيب غير الاسنادية " منهجهم البنيوي الوظيفي الذي هدفوا من استخدامه إلى معرفة القوانين التي تحكم اللغة العربية كنظام فاستوجب ذلك منهم الانطلاق من الوحدة التي لا تنفصم بين الشكل والمضمون لأنّ البنية اللغوية لا تستقل عن وظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة ". [2]

6) أمّا ما يتعلق بأقسام الجملة فعلماء العربية القدامى يتفقون كلهم على تقسيم الجملة إلى جملة اسمية و جملة فعلية ، ثم يضيف بعضهم الجملة الشرطية و الجملة الظرفية ، و لقد أشار الزمخشري عند ذكره لأنواع الجملة الواقعة خبرا إلى أربعة أنواع للجملة الفعلية و اسمية و شرطية و ظرفية [3] انطلاقا من نظرته إلى الجانب الشكلي ،لذلك انتقد هذا التقسيم شارح كتاب المفصل و اعتبر هذا التقسيم " هو تقسيم ابن علي الفارسي و هي (أي الجملة) في الحقيقة ضربان فعلية و اسمية لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين [4] الشرط فعل و فاعل و الظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر وهو فعل و فاعل". [5]

و قد قسم ابن هشام الجملة إلى اسمية و فعلية، و زاد قسما ثالثا هو الجملة الظرفية " فالاسمية هي التي صدرها اسم كزيد قائم ، و هيهات العقيق ، و قائم الزيدان عند من جوزوه وهو الأخفش و الكوفيون ، و الفعلية هي التي صدرها فعل ، كقام زيد و ضرب اللص و كان زيد قائما و ظننته قائم و يقوم زيد و قم و الظرفية [6] هي المصدرة بظرف أو مجرور نحو : أعندك زيد و أفي الدار زيد ، إذا قدرت زيدا فاعلا بالظرف و الجار و المجرور ، لا بالاستقرار المحذوف و لا مبتدأ مجبرا عنه بهما و مثل الزمخشري لذلك بفي الدار من قولك " زيد في الدار" وهو مبني على أن الاستقرار المقدر فعل لا اسم ، و على انه حذف وحده و انتقل الضمير إلى الظرف بعد أن عمل فيه " [7] و انتقد الزمخشري عند اضافته الجملة الشرطية و قال " و زاد الزمخشري و غيره الجملة الشرطية ، و الصواب أنها من قبيل الفعلية " [8] ،و لقد قسم ابن هشام الجملة قسمة أخرى باعتبار الوصف إلى كبرى و صغرى [9] و ذات وجه و ذات وجهين[10] ، فالكبرى هي الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية نحو زيد قام أبوه

---

1) [illegible]

2) [illegible] 64 [illegible] 65 .

3) [illegible] 1 [illegible] 88 .

4) [illegible] 78 .

5) [illegible] 1 [illegible] 88[illegible]89 .

6) [illegible] 78 .

7) [illegible] 2 [illegible] 344 .

8) [illegible]

9) [illegible] 2 [illegible] 437[illegible]438 .

10) [illegible] 2 [illegible] 440 .

،و يسميها أيضا جملة ذات وجهين، أو اسمية نحو زيد أبوه قائم ويسميها أيضًا جملة ذات وجه، فالجملة ذات وجهين هي جملة اسمية المبتدأ وفعلية الخبر والجملة ذات وجه هي جملة اسمية المبتدأ و اسمية الخبر و الجملة الصغرى هي جملة خبر المبتدأ سواء أكانت فعلية أو اسمية .

و بعد عرضنا لأراء علماء العربية القدامى حول تقسيم للجملة يمكن القول أنّ الجملة إمّا أن تكون فعلية أو اسمية فلا وجود لجملة شرطية و جملة الظرف لأنّ بالتقدير يمكن إرجاعها إلى التقسيم الأصلي للجملة ، و أمّا تقسيم ابن هشام للجملة من حيث الوصف إلى صغرى و كبرى وذات وجه و ذات وجهين فلا يعدّ تقسيما جديدا للجملة و إنّما هو تفريع لها لا غير[1] .

أمّا إذا أتينا إلى وجهة نظر المحدثين حول مفهوم الجملة نجد أنهم لم يضيفوا إلى معنى الجملة شيئا جديدا عن الشرح والتبسيط ،و لم تخرج تعاريفهم عن تعاريف علماء العربية للجملة وخصوصا تعريف ابن جني الذي كان شاملا دقيقا يقول ابراهيم أنيس في تعريفه للجملة بأنّها " أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء أتركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر [2] و يعرّف مهدي المخزومي الجملة بأنّها " أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه ، و ليس لازما أن يحتوي العناصر المطلوبة كلها ،و قد تخلو الجملة من المسند إليه لفظا أو من المسند ، لوضوحه و سهولة تقديره"[3] .

أمّا تقسيم المحدثين للجملة فتقسيم عبد اللطيف حماسة يُعدّ من التقسيمات الشاملة انطلاقا من تعريف الجملة الذي استنبطه من تعريف ابن جني الشامل الدقيق ، فهو يقسم الجملة إلى ثلاثة أقسام[4] و كل قسم يحتوي على أقسام ثانوية فالتقسيم الأول للجملة يسمى الجملة التامة الإسنادية[5] ، ويدخل تحت هذا التقسيم الجملة الاسمية و الجملة الفعلية و الجملة الوصفية ،و التقسيم الثاني سمّاه الجملة الموجزة [6] و يدخل تحت هذا القسم الجملة الفعلية الموجزة والجملة الاسمية الموجزة و الجملة الجوابية الموجزة ، أمّا التقسيم الثالث يتعلق بالجمل غير الاسنادية [7] و يندرج تحت هذا التقسيم جملة الخالفة ، و جملة التوجيه ، و جملة المدح و الذم ، و جملة خالفة الصوت ، و الجملة القسمية والجملة التحذيرية و الاغرائية.

وفي داستي للجملة في الجدل القرآني سأتطر ق للحديث عن الجملة الاسمية المثبتة والمنفية مجردة ومؤكدة ، كما أتحدث عن الجملة الفعلية الماضوية و المضارعية المثبتة والمنفية مجردة ومؤكدة ،ثم أتناول الجملة الشرطية ليس باعتبارها تقسيما للجملة ،وإنّما باعتبارها ظاهرة متميزة في الجدل القرآني، كما أتطرق في الأخير إلى الحديث عن الجملة الاستفهامية ، وجملة الأمر والنهي .

---

1) [illegible] 30 .
2) [illegible] 276–277 .
3) [illegible] 33 .
4) [illegible] 78–115 .
5) [illegible]
[illegible] 79 83–84 .
6) [illegible] 87 88 .
7) [illegible] 97 .

المبحث الأول: الجملة الاسمية

المطلب الأول: الجملة الاسمية المثبتة

<u>أولا</u> : الجملة الاسمية المثبتة المجردة

هي الجملة البسيطة المكونة من المبتدأ و الخبر ، الخالية من عنصر التأكيد ، و عدد الجملة الاسمية المثبتة في الجدل القرآني قليلة جدا إذا ما قورنت بالجمل الاسمية المؤكدة و عددها (خمس جمل)

- قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : " اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ " [1]
- قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام " رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ " [2]

" وَ هُوَ خَيرُ الحَاكِمِينَ " [3]

" وَ أَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ " [4]

و قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " سَلَامٌ عَلَيْكَ " [5]

بعد استعراضنا لهذه الآيات نلاحظ أنّها التزمت بنظام الجملة الاسمية العادي (المبتدأ + الخبر) إلّا الجملة الخامسة فقد تقدم فيها الخبر على المبتدأ ، و لقد ورد المبتدأ اسما مفردا كلفظ الجلالة " الله" ولفظ الربوبية المتصل بياء المتكلم "ربي" و ورد ضميرا منفصلا للمخاطب " أنت" و للغائب " هو" و ورد شبه جملة جار و مجرور" عليك" ، و أمّا الخبر فلقد جاء اسما مفردا " أعلم " (مرتين) "خير" (مرتين) " سلام"(مرة واحدة).

و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكلين التاليين :

<u>1) - المبتدأ (اسم مفرد / ضمير) + خبر (اسم مفرد) + مشتقات</u>

<u>2) - خبر مقدم (اسم مفرد) + مبتدأ مؤخر (جار و مجرور)</u>

- تدل الجملة الاسمية الواردة على لسان نوح " اللهَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ " [6] على تعليل قوله السابق " لَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ اللهُ خَيْرًا " [7] يرجع علم ذلك إلى الله لأنّه أعلم فيما في نفوسهم " و تعليقه بالنّفوس تنبيه لقومه على غلطهم في قولهم " وَ مَا نَرَى لَكُمْ مِنْ فَضْلٍ " [8] بأنّهم نظروا إلى الجانب الجسماني الدنيوي و جهلوا الفضائل و الكلمات النفسانية و العطايا اللدنية التي الله أعلم بها "[9]، وإيراد اسم التفضيل "أعلم " يدل على أنّ الله أكثر علما مما يعلمونه لأنّ علمهم مقصور على ظواهر الأشياء دون بواطنها ،و إيراده التعليل بالجملة الاسمية المشتملة على اسم التفضيل يدل على ثبوت صفة العلم المطلق لله عز و جل.

---

1) [illegible] 31 .

2) [illegible] 188 .

3) [illegible] 87 .

4) [illegible] 82 .

5) [illegible] 47 .

6) [illegible] 31 .

7) [illegible] .

8) [illegible] 27 .

9) [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 8 [illegible] 59 .

- و هذا المعنى الذي تدل عليه هذه الجملة هو المعنى نفسه في قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام " رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ" [1] حينما أمره قومه بإسقاط العذاب عليهم " فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ " [2] لينفي عن نفسه مهمة إسقاط العذاب عليهم بإثباتها لله تعالى الذي يعلم أعمال القوم الظاهرة و الباطنة و يعلم وقت نزول العذاب عليهم و نوعه و كيفيته.

- أمّا قوله تعالى على لسان شعيب " وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ " [3] تذييل لكلام سابق وهو قوله تعالى " فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا " [4] و وصف الله بالعدل في حكمه باستعمال اسم التفضيل و الجملة الاسمية يدل على ثبوت ذلك فيه و قوله تعالى أيضا على لسان شعيب " وَ أَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ" [5] في سياق دعائه و أتباعه أن يفتح [6] عليهم بالنّصر على قومهم عندما هددوهم بالإخراج من أرضهم ، أو أن يرتدوا عن دينهم و استعمالهم اسم التفضيل و توجههم إليه بضمير المخاطب " أنت " يدل على يقينهم بنصرة الله لهم على أعدائهم.

- و جواب إبراهيم عليه السلام لأبيه بقوله تعالى على لسانه " سَلَامٌ عَلَيْكَ " [7] و هو سلام توديع و متاركة كقوله تعالى " لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ "[8] و قوله " وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا "[9] /[10]وهي إشارة إلى إنهاء الجدال مع أبيه بعدما كان رده له قاسيا و شديدا مشفوعا بالتهديد والوعيد " و من حلم إبراهيم أن كانت متاركته أباه منوية بالإحسان في معاملته في آخر لحظة " [11] و حيّاه قبل انصرافه و اعتزاله له و لقومه و دعا له بالسلامة، و يدل حرف " على " على الاستعلاء المجازي المفيد لتمكن السلامة .[12]

ثانيا : الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة :

هي الجملة الاسمية التي تدل على التوكيد بالأدوات إنّ أو لكنّ أو لعلّ، أو بالتوكيد اللفظي أو المعنوي ،أو بالتقديم والتأخير أو بزيادة بعض الحروف المفيدة للتوكيد ، و تنقسم إلى جملة مؤكدة بمؤكد واحد و جملة مؤكدة بأكثر من توكيد.

1) الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بمؤكد واحد :

و تنقسم إلى جملة مؤكدة بالأداة و جملة مؤكدة بغير أداة التوكيد.

أ) الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بالأداة :

لقد التزم هذا النمط من الجمل الترتيب العادي للجملة الاسمية المؤكدة بالأداة وعددها ثماني عشرةجملة ،وهي على الشكل التالي :

---

1) [illegible] 188 .
2) [illegible] 187 .
3) [illegible] 87 .
4) [illegible] .
5) [illegible] 89 .
6) [illegible] 126 [illegible]
7) [illegible] 47 .
8) [illegible] 55 .
9) [illegible] 63 .
10) [illegible] 20 .
11) [illegible] 121 .
12) [illegible] 20 .

أداة التوكيد + اسمها + خبرها

قال الله تعالى على لسان الأنبياء :

ـ صالح عليه السلام " إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ" [11]

ـ شعيب عليه السلام " إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" [2]

ـ هود عليه السلام " إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "[3]

ـ شعيب عليه السلام " إِنِّي عَامِلٌ" [4]

ـ إبراهيم عليه السلام " إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي " [5]

ـ نوح عليه السلام " إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ "[6]

ـ إبراهيم عليه السلام " إِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ "[7]

ـ شعيب عليه السلام " إِنِّيَ أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ"[8]

ـ هود عليه السلام " إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"[9]

ـ هود عليه السلام " إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ"[10]

ـ نوح عليه السلام " إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا"[11]

ـ إبراهيم عليه السلام " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ"[12]

ـ نوح عليه السلام " لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[13]

ـ هود عليه السلام " لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[14]

ـ نوح عليه السلام "لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" [15]

ـ هود عليه السلام " لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [16]

" لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ"[17]

ـ إبراهيم عليه السلام " إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا" [18]

بعد استعرضنا لهذه الآيات نستنتج ما يلي :

ـ إنّ الأدوات الدالة على التوكيد هي ثلاثة " إنّ " وردت في ثلاث عشرة جملة " لعلّ" وردت في ثلاث جمل و " لكنّ " في جملتين ،ولقد وردت أغلب أسماء أدوات التوكيد ضمائر.

ـ أكثر الضمائر تواترا هو ضمير المتكلم في سبع جمل ، ثم يليها ضمير جماعة المخاطبين ، و ضمير جماعة الغائبين في جملتين.

---

1) ـ سورة هود الآية 61
2) ـ سورة هود الآية 90
3) ـ سورة هود الآية 56
4) ـ سورة هود الآية 93
5) ـ سورة الصافات الآية 99
6) ـ سورة هود الآية 29 .
7) ـ سورة الشعراء الآية 77
8) ـ سورة هود الآية 84
9) ـ سورة هود الآية 54
10) ـ سورة هود الآية 56
11) ـ سورة نوح الآية 5
12) ـ سورة مريم الآية 45
13) ـ سورة الأعراف الآية 61
14) ـ سورة الأعراف الآية67
15) ـ سورة الأعراف الآية 63
16) ـ سورة الأعراف الآية 69
17 ـ سورة الشعراء الآية 129
18 ـ سورة العنكبوت الآية 17

ـ ورد اسم إنّ مفردا مضافا إلى ياء المتكلم ثلاث مرات و هي المتصلة بلفظ الربوبية، وورد اسما موصولا.

ـ ورد خبر الجملة الاسمية المؤكدة مفردا (قريب ، رحيم ، عامل ، ذاهب ، ملاقو عدوا ، رسول) و ورد جملة فعلية ("دعوت قومي" ، " أراكم " ، " توكلت " ، "دعوت " ، " أخاف " ، " ترحمون " ، " تفلحون " ، " "تخلدون " ، " لا يملكون ") و ورد شبه جملة جار و مجرور (على صراط مستقيم).

ـ ضمائر المتكلمين هم الأنبياء و ضمائر المخاطبين هم الأقوام ، و ضمائر الغائبين هم أتباع الأنبياء و الأصنام .

أمّا دلالات هذه الجمل فإن أغلبها يدل على التعليل

ـ لمّا أمر صالح عليه السلام قومه بإفراد العبودية لله ، و ذكّرهم بنعم الله عليهم أمرهم بالاستغفار و التوبة وعلّل ذلك بوصف الله بشدة القرب و سرعة الإجابة " إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ"[1] لأنّهم ربّما استعظموا ذنوبهم وأيسوا من عدم مغفرة الله لذنوبهم ، لذلك أكّد هاتين الصفتين ليدخل الطمأنينة في نفوسهم و ليشجّعهم على الإقبال على الله و طلب المغفرة منه " و القرب هنا مستعار للرأفة و الإكرام لأنّ البعد يستعار للجفاء و الإعراض ......و المجيب هنا مجيب الدعاء وهو الاستغفار و إجابة الدعاء و إعطاء السائل مسئوله " [2] ،و من جانب آخر يقرّر صالح مؤكّدا لمعاني صفات الله في نفوس قومه و هذا من مناهج الجدل القرآني في تثبيت أركان العقيدة في النفوس " و يؤكّد القرآن صفات الله حتى يستقر الإيمان بما في النفوس ، و ذلك هو الأساس الذي ينبني عليه الدين ، فنسمعه يقول مكرّرا مؤكّدا في كثير مما يكرره ، إنّ الله على كل شيء قدير ، إنّ الله بما تعملون بصير ، إنّ الله واسع عليم .....فهذا التأكيد يقرر معاني الصفات في النفس و إذا تكررت هذه المعاني في النفس انبثق منها العمل الصالح المبني على أساس من الإيمان المكين "[3]

ـ لمّا أمر شعيب قومه بالاستغفارعلّل ذلك بقوله تعالى علىلسانه"إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ"[4]بالجملة الاسمية المثبتة المؤكّدة و وصف الله عز و جل بالرحمة و الود بصيغة المبالغة ، ليرقق قلوبهم و يقرر في نفوسهم معاني صفات الله الحسنة و يغرس فيها حبّ الله ليُقبلوا على الله عابدين مستغفرين تائبين.

ـ بعد أن أمر هود قومه بأن يكيدوا له ألوانا من الكيد و تدبير إلحاق الضرر به تعجيزا لهم لعلمه و يقينه أنّهم لا يستطيعون ذلك علّل ذلك بقوله تعالى على لسانه " إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ"[5] ،وتأكيد توكّله بإنّ يدل على يقينه بربه ،و وثوقه به، وهو لم يصرّح لقومه بعدم استطاعتهم ذلك بل ألمح إلى ذلك" بطريق برهاني ، يعني أنّكم و إن بذلتم في مضادتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي ، فإنّي متوكل على الله تعالى وواثق بكلاءته وهومالكي ومالككم ، لا يصدر عنكم شيء و لا يصيبني أمر إلا بإرادته ، و جيء بلفظ الماضي لأنّه أدل على الإنشاء المناسب للمقام ، ثم إنّه عليه السلام برهن على عدم قدرتهم على ضرّه مع توكله به سبحانه بقوله " مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا" [6]أي إلّا هو مالك لها قادر

---

1) [illegible] 61 .
2) [illegible] 12 [illegible] 109 .
3) [illegible] 144 .
4) [illegible] 90 .
5) [illegible] 56 .
6 [illegible] 56 .

عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه سبحانه وتعالى"[1] و تأكيد توكله على الله ربه بإضافة الرب إلى نفسه ، و إضافته إليهم ليقرّر في نفوسهم أنّه ربّهم حتى هم مهما بالغوا في الجحود و الإنكار، و ينبههم أنّهم تحت ملكه و قبضته وسلطانه و يعرّض بهم عدم إيمانهم به ،و يربيهم لكي يتأسوا و يقتدوا به.

ـ و قد تفيد الجملة الاسمية المؤكدة تعليلا لجملة معللة سابقة كقوله تعالى على لسان هود عليه السلام " إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[2] فهذه الجملة تعليل لقوله تعالى السابق على لسان هود " إنّي توكلت على الله ربّي و ربّكم " التي هي تعليل للأمر بأن يكيدوا له و معنى قوله " إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [3] أي توكلت عليه لأنّه أهل لتوكلي عليه لأنّه متصف بإجراء أفعاله على طريق العدل و التأييد لرسله (و على) للاستعلاء المجازي مثل " أولئك على هدى من ربهم " مستعار للتمكن المعنوي وهو الاتصاف الراسخ الذي لا يتغير ، و الصراط المستقيم مستعار للفعل الجاري على مقتضى العدل و الحكمة لأن العدل يشبه بالاستقامة " [4]

ـ لقد أجاب نوح قومه حينما أمروه بطرد أتباعه الضعفاء بأنّ طرد أتباعه ليس من أخلاقه وصفاته و علّل ذلك بقوله تعالى على لسانه " إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ" [5] وكأنّ القوم ينكرون حقيقة البعث غفلة، أو جهلا، أو تجاهلا ، و لذلك نبّههم إلى هذه الحقيقة بالتأكيد في سياق إجابته لهم " و تأكيد الخبر بإنّ ، إن كان اللقاء حقيقة لرد إنكار قومه البعث ، و إن كان اللقاء مجازا فالتأكيد للاهتمام بذلك اللقاء " [6]و نوح من خلال ردّه لهم لا يريد أن يعلم ما تكنّه صدور أتباعه و لا يريد أن يشقّ على قلوبهم ليعلم حقيقة إيمانهم، بل ترك هذا الأمر لله الذي سوف يلاقونه لا محالة، فهو الذي يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور فيكافئ من يستحق المكافأة و يعاقب من يستحق العقاب .

ـ لمّا أمر شعيب قومه بإخلاص العبادة لله نهاهم عن الخيانة و السرقة و تطفيف الكيل، و علّل ذلك بقوله تعالى على لسانه " إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ " [7] و المقصود بالخير [8]الثروة الواسعة و المال الكثير [9] الذي يدل على يسر حالهم و بسطة رزقهم، و الذي يغنيهم عن إيجاد مورد سيء للرزق،وهو تطفيف الكيل و الميزان، و يدل تأكيد يسر حالهم بالجملة الاسمية المؤكدة على استنكار شعيب لهذه العادة السيئة ، التي اعتادوا عليها وهم في غنى عنها " و عقب هذا التعليل بتعليل آخر " وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ" [10]تحذيرا لهم من عواقب كفران النعمة و عصيان واهبها "[11] .

ـ لمّا أنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه عبادة الأصنام ، و جادله برفق و لطف علّل ذلك في الأخير بقوله تعالى على لسانه " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" [12] وتعليل الخوف من العذاب بعد الأمر بعبادة الله و اجتناب ما نهى الله عنه، هو ما درج عليه أنبياء آخرون، مثل نوح و هود و صالح و شعيب غير أنّ خوف إبراهيم من أبيه ليس كخوف

---

1 ـ الألوسي: روح المعاني، م 7 ، ج12 ، ص124 .

2 ـ سورة هود الآية 56 .

3 ـ السورة نفسها والآية نفسها

4 ـ التحرير والتنوير، م 6 ، ج 12 ، ص101 .

5 ـ سورة هود الآية 29 .

6 ـ التحرير والتنوير، م6 ، ج12 ، ص56 .

7) ـ سورة هود الآية 84 .

8) ـ لقد عبر القرآن عن المال بكلمة خير في قوله تعالى " وإنه لحب الخير لشديد " وقوله " إن ترك خيرا " .

9) ـ ينظر الكشاف ، م 2 ، ص401 ، وينظر أيضا التحرير، م 6 ، ج12 ، ص137 .

10) ـ سورة هود الآية 84 .

11) ـ التحرير ، م6 ، ج12 ، ص137 وينظر أيضا روح المعاني: م7 ، ج12 ، ص172 .

12) [illegible] 45 .

الأنبياء من أقوامهم لأنّ الأنبياء يخافون حلول العذاب على أقوامهم و إبراهيم يخاف من أبيه أن يصاب بمسّ من العذاب فالخوف من المسّ أبلغ من حلول العذاب لغلبة عاطفة الأبوة عليه.

ـ من دلالات الجملة الاسمية المؤكدة التحريض [1]قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي"[2] و إعلان إبراهيم العداء للأصنام بالجملة الاسمية المؤكّدة غير مبال بما يمكن أن يصاب بضرر في زعم قومه،لأنّه متيقن سلفا أنّ هذه الأصنام لا تنفع عابدها ،و لا تضرّ جاحدها و منكرها [3] وأقرّ بعدائه لها و لم يخبرهم بعدائها لهم، و لم يقل لهم إنهم عدو لكم، و نصح بها نفسه أولا " لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، و مما أراد لنا إلا بما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول ، و أبعث على الاستماع منه و لو قال فإنهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة "[4] فهو توجيه وإرشاد غير مباشر و تعريض ، و قد يكون أثر التعريض بالنفوس أبلغ و أمضى و أجدى من التصريح.

ـ و من الدّلالات الأخرى للجملة الاسمية الإبطال ، لقد استعمل إبراهيم في جداله لقومه الجملة الاسمية المؤكدة فقال تعالى على لسانه " إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا"[5] ليبطل اعتقادهم بأن الآلهة ترزقهم[6] ولذلك عقب ذلك بأمرهم بالتوجه إلى الله و طلب الرزق منه وإفراده بالعبادة و شكره على نعمه التي أسبغها عليهم " فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [7]

ـ لقد اتخذ هود عليه السلام وسيلة أخرى في جداله لقومه عاد وهو الإشهاد الذي يعد بمثابة القسم الدال على توكيد الخبر ، قال تعالى على لسانه " إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ" [8]،لمّا أمر هود قومه بعبادة الله و الاستغفار له، و وعدهم بصلاح حالهم دنيا و أخرى، ونهاهم عن عصيان أوامر الله ، قابلوه بالإنكار و الجحود و الإعراض، و اتهموه بالجنون، و لمّا رأى ما رأى من قومه من صدود و عناد و لا مبالاة واستهزاء أعلن مؤكدا " براءته من آلهتهم و شركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله و شهادة العباد [9] ، فهو لم يكتف بالتأكيد على براءته بالجملة الاسمية بل أشهد الله ، و أشهد قومه على ذلك ليحمّلهم المسؤولية، وليقيم عليهم الحجة يوم يقوم الإشهاد ، كما فعل الرسول صلى الله عليه و سلم في خطبة الوداع.

ـ و من دلالات الجملة الاسمية المؤكدة الاستدراك بـ " لكنّ " قال تعالى على لسان نوح هود وعليهما السلام "وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [10] ، فنوح و هود استعملا أسلوب

---

1) ـ يقول البلاغيون في فضل هذا الأسلوب وقيمته في الدعوة " ووجه حسنه تطلب إسماع المخاطبين الذين هم أعداء المسمع الحق على وجه لا يورثهم مزيد من الغضب، وهو ترك التصريح بنسبهم إلى الباطل ومواجهتهم بذلك ويعين على قبوله لكونه أدخل في امحاض النصح لهم حيث لا يريد لهم ما يريد لنفسه " د .محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط 5 ، 1421 هـ 2000 م ، أميرة للطباعة، الناشر مكتبة وهبة عابدين، القاهرة، ص340 .

2) ـ سورة الشعراء الآية 77 .

3) ـ ينظر التحرير، م9 ، ج18 ، ص139 - 140 .

4 ـ الزمخشري : الكشاف: م 3، ص309 .

5 - سورة العنكبوت الآية 17 .

6 - ينظر الطاهر بن عاشور : التحرير، م 10 ، ج20 ، ص 225 .

7 - سورة العنكبوت الآية 17 .

8 - سورة هود الآية 54 .

9 ـ الزمخشري : الكشاف ، م2، ص 388 .

يقول ابن يعيش" ومعناه الإستدراك كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابا ولا بد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الإستدراك ولذلك لا تقع إلا بين كلامين متغايرين في النفي والإيجاب... فإن كان ما قبلها موجبا كان ما بعدها منفيا وإن كان ما قبلها منفيا كان ما بعدها موجبا" شرح المفصل، ج8 ، ص 80 .

10 [illegible] 61 [illegible] 67 .

الاستدراك لينفوا عن أنفسهم التهم التي ألصقها بهم قومهم ، وهي التمكن من الضلال بالنسبة لنوح ، و التمكن من السفاهة بالنسبة لهود، و ليؤكّدوا خلاف ذلك بذكر حقيقة أنفسهم و بما جاءوا من أجله، فنوح و هود جاءوا لهدف واحد هو تبليغ ما كلّفهم به الله تعالى إلى أقوالهم والقيام بالنصح و التوجيه وإخبار أقوامهم بأمور جديدة كإخلاص العبادة لله ، البعث و العقاب و الثّواب في الآخرة ، و هذا ما حسبوه ضلالا و سفاهة ، و شأن (لكنّ) أن تكون جملتها مفيدة معنى يغاير معنى الجملة الواقعة قبلها و لا تدل عليه الجملة السابقة،و ذلك هو حقيقة الاستدراك الموضوعة له لكن و أكثر وقوعها بعد جملة منفية ،لأنّ النفي معنى أوقع فيكثر أن يحتاج المتكلم بعده إلى زيادة بيان فيأتي بالاستدراك "[1] و هذا ليؤكد نفي التوهم أو الزعم أو التهمة التي ألصقت بها.

ـ و من أدوات التوكيد الداخلة على الجملة الاسمية (لعلّ) للتوقع المفيدة ،للترجي أوالتعليل[2] قال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام"أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[3] و قال على لسان هود عليه السلام "أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[4] فنوح عليه السلام بين دوره المتمثل في إنذار قومه من عذاب الله لكي يتقوا الله،و حينما يتقوا الله تحصل رحمة الله بهم فبسبب الإنذار يحصل التقوى،وبسبب التقوى تحصل الرحمة ،وكذلك الشأن في هود عليه السلام فبعد أن ذكّر قومه بنعمة خلافة قوم نوح و بسطة في أجسامهم و العقولهم أمرهم بشكر هذه النعم،لكي يحصل الفلاح لهم فـ(لعلّ) في كلا الآيتين السابقتين تفيد التعليل المراد منه إطماع القوم، و تحفيزهم لكي يأتمروا بالأوامر،و ليقبلوا على الله عابدين شاكرين،أمّا قوله تعالى على لسان هود عليه السلام "وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ"[5] فـ(لعلّ) هنا تفيد الترجي أي ترجون الخلود ويراد بها التهكّم أنّ عادا كانت تبني البنايات المرتفعة، و القصور العالية ، و الصهاريج و الخزانات لغرض العبث ولا يستعملونها في الصالح العام وما يرجع بالفائدة لهم ولغيرهم، بل يتخذونها وسيلة للّهو و العبث،فلمّا رأى هود قومه بهذه الحالة السيئة أقرّهم عليها ، و رجا خلودهم في الدنيا من أجل تلك التصرفات السيئة .

ـ من دلالات التوكيد التهديد قال تعالى على لسان شعيب " إنيّ عامل " بعد قوله " اعملوا على مكانتكم"[6] والأمر هنا يدل على التهديد ،والجملة الاسمية المؤكدة بعدها تدل على التهديد أيضا، أي أنتم استمرّوا على كفركم وجحدكم و أنا استمرّ على ما أنا عليه من الهدى،ثم قال بعد ذلك " فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ "[7] ،أي فسوف تعلمون حقيقة أنفسكم و

---

1 - التحرير،م 5 ، ج8 ، ص193 .

2 - " لعلّ ترج قال سبويه لعلّ وعسى طمع واشفاق وهي تنصب الإسم وترفع الخبر؛ تقول في الترجي لعلّ زيدا يقوم ، وفي الإشفاق لعلّ بكرا يضرب وهذا معناها ومقتضى لفضها لغة إذ أنها إذا وردت في التنزيل كان اللفظ على ما يتعارفه الناس والمعنى على الإيجاب بمعنى لكي لاستحالة الشك في أخبار القديم سبحانه فمن ذلك قوله تعالى" اعبدو ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون" كي تتقوا. وكذلك قوله تعالى " إذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى" أي ذاهبا على رجائكما وطمعكما من فرعون فالرجاء لهما أي باشروا أمره مباشرة من يطمع في إيمانه. وكذلك قوله تعالى " واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون " معناه كي تفلحوا أي من عمل بالطاعة وانتهى إلى أوامر الله كان الفلاح مرجوا له فاعرفه " شرح المفصل لابن يعيش، ج8 ، ص85 - 86 .

3 - سورة الأعراف الآية 63 .

4 - سورة الأعراف الآية 69 .

5 - سورة الشعراء 129 .

6 - سورة هود الآية 61 .

7 [illegible] 61 .

حقيقتي و مآلكم الذي سوف تؤولون إليه بعد أن تكشف الحجب و من ثم تدركون مدى صدقي لكم و اهتمامي بكم و رعايتي لكم و كذبكم و ضلالكم و تجبّركم وتعنتكم.
- و من دلالات الجملة الاسمية المؤكدة على التهديد قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام لما أعياه أمر قومه " إنّي ذاهب إلى ربي سيهد يني " بما أنّكم لا تستجيبون لدعوتي و كذبتم رسالتي و أعرضتم عنها و حاولتم إحراقي فإنيّ ألجأ إلى الله ناصري و مؤيدي و أتركك على ما أنتم عليه من الجحود و الإنكار و الاستكبار، و أكل أمركم إلى الله ، حينما يسمع القوم هذه المقالة من إبراهيم عليه السلام ينتابهم الفزع و الخوف من المصير الذي سوف يؤولون إليه بعد أن ذهب إبراهيم و تركهم لله ينفّد فيهم حكمه و مشيئته.

ب) الجملة الاسمية المؤكدة بغير الأداة :

وهي الجمل المؤكدة بالتقديم و التأخير المفيد للاختصاص وهي ثلاث جمل ،
قال تعالى على لسان :
- هود عليه السلام " هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ " [1]
- ابراهيم " الذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي "[2]
"وَ الذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِي " [3] .
إذا تأملنا هذه الجمل الثلاث وجدنا أنّ المسند إليه وهو الضمير " هو" تقدم على المبتدأ و الخبر الفعلي وهي الأفعال (أنشا – يهدي – يطعم) و يمكن صياغة هذه الجمل وفق الشكل التالي :
المبتدأ (الضمير المنفصل " هو" + الخبر (الجملة الفعلية) .
- أمّا دلالة هذه الجمل فإنّها تدل على الاختصاص ، وغالبا ما يرد هذا الأسلوب " في المقامات التي تدعو إلى التوكيد و التقرير، مثل مواجهة الشك في نفس المخاطب و الرغبة في إقناعه ، و مثل ردّ الدعوى التي يدعيها المخاطب ، و مثل أن يكون المتكلم معنيا في كلامه،مقتنعا به فهو يريد أن يثبته في القلوب قويا مقررا كما هو مقرر في نفسه،وغير ذلك في مقامات التقوية و التقرير...و الأمر الثاني هو الاختصاص أي أنّ الفعل خاص بالمسند إليه لا يتعداه إلى غيره ، و ذلك يكون إذا ساعد السياق ذلك ...ثم إنّ الصور التي تفيد الاختصاص لا تخلو دلالتها من التوكيد و التقرير ، و إن كانت الدلالة الواضحة هي الاختصاص لأنّ الحقيقة هي أنّ الاختصاص متضمن للتوكيد تأمل قوله تعالى " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا"[4] تجد أن التقديم يفيد أنّه لم ينزله إلاّ الله سبحانه و هذا هو معنى الاختصاص و فيه أنّه لا محالة أنزله الله "[5] و يعدّ الجدل القرآني من أثرى و أخصب المقامات التي يفيد فيها تقدم المسند إليه على الخبر الفعلي التوكيد و التقرير و الاختصاص.
- لمّا أمر صالح قومه بعبادة الله و نفي عبادة غيره قال تعالى على لسانه معلّلا ذلك " هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" [6] أي بسبب إنشائه لكم و إعماركم للأرض فاعبدوه دون غيره،و أكّد هذا المعنى بتقديم المسند إليه " هو" على الخبر الفعلي المتعلق بالإنشاء و الاستعمار الذي يفيد الاختصاص أي لم ينشئكم منها و لم يستعمركم إلا هو سبحانه دون غيره و بما أنّه كذلك فينبغي أن تكون عبادتكم خاصة و خالصة له دون سواه .

---

1 - سورة هود الآية 61 .
2 - سورة الشعراء الآية78 .
3 - سورة الشعراء الآية 79 .
4) - سورة الزمر الآية 23 .
5) - محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، 221 ،227، 228 .
6) - سورة هود الآية 61 .

- و في سياق ذكر إبراهيم لألاء الله و نعمه عليه قال تعالى على لسانه " الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي "[1] وتقدم الضمير " هو " على الخبر الفعلي يهديني ، يطعمني ، يسقيني يدل على أنّ هذه الأفعال مختصة بالله قاصرة عليه دون سواه[2].و هذا ليبطل زعم الكفار أنّ الأصنام تقوم بهذا الدور ممّا يمكن أن يعتقد القوم اشتراك أصنامهم في القيام بهذا الدور، و مجيء ضمير الفصل المفيد للاختصاص ليبطل اشتراك الأصنام في تصريف شؤون البشر كثير في القرآن،ومن أمثلته قوله تعالى " و أنّه هو أضحك و أبكى وأنّه هو أمات و أحيا و أنّه خلق الزوجين الذكر و الأنثى من نطفة إذا تمنى ، و أنّ عليه النشأة الأخرى ، و أنّه هو أغنى و أقنى و أنّه هو رب الشعرى و أنّه أهلك عادا الأولى و ثمودا فما أبقى"[3] ،وقد استخدم القرآن هنا ضمير الفصل في الأفعال التي هي مظنة الاشتراك ، كما ترى ذلك في جملة الإضحاك و الإبكاء و الإماتة و الإحياء " الإغتناء و الإقتناء ، أما حيث لا تدعي الشركة فلا حاجة إلى هذا الضمير كما ترى في جمل خلق الزوجين"و النشأة الأخرى و إهلاك عادا الأولى" [4]

2 الجملة الاسمية المثبتة المؤكدة بأكثر من مؤكد

و هي الجملة الاسمية التي يلتقي فيها مؤكدين أو ثلاث أو أربع مؤكدات ، و عدد الجمل المؤكدة بأكثر من مؤكد (واحد و ثلاثون جملة) منها (اثنان و عشرون جملة) وردت في كلام الرسل و (تسع جمل) وردت في كلام الأقوام ، و أغلب هذه الجمل ورد مؤكدا بأداة التوكيد (إنّ) وردت جملتان مؤكدتان " لكنّ " و أربع جمل مؤكدة بغير أدوات التوكيد

- لقد ورد إسم الأداة ضميرا للمتكلم في (ثلاث عشر جملة) و ضميرا لجماعة المتكلمين في (سبع جمل)،و ضميرا للغائب في (ثلاث جمل) ،وضميرا للمخاطب في جملة واحدة و اسما مفردا متصلا بضمير المتكلم وهما لفظ الربوبية في جملتين .

- لقد ورد المبتدأ اسما مفردا في جملتين وهما لفظ الألوهية و ضميرا منفصلا في جملتين

و أمّا خبر الجملة المؤكدة بأكثر من توكيد فلقد ورد جملة فعلية في (ست عشرة جملة) و شبه جملة في (أربع جمل) و جملة اسمية منسوخة بكان في جملتين .

و لقد التزم أغلب الجمل الترتيب العادي للجملة الاسمية المؤكدة وهي أداة التوكيد + اسمها + خبرها إلا بعض الجمل التي تقدم فيها متعلق الخبر وهي (تسع جمل) و يمكن صياغة أنماط هذه الجمل وفق الأشكال التالية :

1) أداة التوكيد (إنّ /لكنّ) + اسمها (ضمير المتكلم) + خبرها (جملة فعلية)

2) أداة التوكيد (إنّ) +اسمها (لفظ الجلالة متصل بياء المتكلم) + متعلق + الخبر (اسم مفرد)

3) أداة التوكيد (إنّ) +اسمها (ضمير متصل / اسم مفرد) + خبرها (جملة اسمية منسوخة بكان

---

1) [illegible] 8 ، 79 .

2) [illegible] 9 ، 18 ، 142 ، 143 .

3) [illegible] 43 ، 51

4) [illegible] 151 ، 152 .

4) أداة التوكيد (إنّ) +إسمها (ضمير) + خبرها (جملة اسمية مؤكّدة)
5) أداة التوكيد (إنّ) +اسمها (ضمير) + خبرها (شبه جملة مؤكّدة)
6) أداة التوكيد (إنّ) +اسمها (ضمير) + ضمير الفصل + خبرها
7) أداة التوكيد (إنّ) +اسمها (ضمير) + خبرها (جملة فعلية مؤكدة " بقد"
8) أداة التوكيد (إنّ) +اسمها (ضمير) + متعلق (شبه جملة) + خبرها
9) المبتدأ (اسم مفرد لفظ الجلالة) + الخبر (جملة فعلية)
10) المبتدأ (ضمير منفصل) + متعلق (جار و مجرور) + الخبر

النمط الأول :

أداة التوكيد (إن – لكن) + اسمها (ضمير) + خبرها (جملة فعلية)

وهي (سبع جمل) على لسان الأنبياء قال تعالى على لسان الأنبياء :

- نوح عليه السلام " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"[1]
- هود عليه السلام " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" [2]
- هود عليه السلام " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" [3]
- نوح عليه السلام " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ " [4]
- شعيب علين السلام " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ " [5]
- نوح عليه السلام " إِنِّي دَعَوْتُكُمْ جِهَارًا " [6]

" إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا " [7]

" وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ " [8]

- هود عليه السلام " لَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ " [9]

فالجمل الخمسة الأولى مؤكدة بمؤكدين هما الأداة (إنّ) و تقدم متعلق المفعول به " عليكم " و الجملة السادسة والسابعة مؤكدة بمؤكدين أيضا هما أداة التوكيد إنّ و المفعول المطلق (جهارا – إسرارا) و الجملة الثامنة والتاسعة مؤكدة بمؤكدين هما أداة التوكيد لكنّ و إظهار المفعول به في مقام الإضمار.

- تدل الجمل الخمسة الأولى على خوف الأنبياء على أقوامهم،والشيء المخوف هو عذاب يوم القيامة الموصوف بكونه عظيمًا في كلام نوح و هود، و أليمًا في كلام نوح، و محيطًا في كلام شعيب ،و كل هذه الجمل المؤكدة بإنّ تفيد تعليل ما سبقها من أمر بإخلاص العبادة لله كنوح ، وهود و شعيب ، أو أمر و نهي كما أمر شعيب قومه بعبادة الله و نهاهم عن نقص المكيال والميزان ، أو أمر بالتقوى و تذكير بنعم الله على القوم كي يشكروها و لا يكفروها ،كما فعل هود عليه السلام، و كون هذه الجمل المؤكدة دالة على التعليل للأوامر والنواهي و المواعظ لأنّ فطرة الإنسان تتطلّع إلى معرفة السبب في هذه الأوامر و النواهي،و كأنّها تتوقع

---

1) [illegible] 59 .
2) [illegible] 135 .
3) [illegible] 21 .
4) [illegible] 26 .
5) [illegible] 84 .
6) [illegible] 8 .
7) [illegible] 9 .
8) [illegible] 29 .
9) [illegible] 23 .

عقابا يلحق بها فهي في أمسّ الحاجة إلى تعليل هذه الأوامر و النواهي بالتوكيد و القرآن يستجيب لهذه التطلعات و هذه الإشراقات [1] على لسان الأنبياء، و تقدم متعلق المفعول به على عامله يدل على اهتمام هؤلاء الأنبياء بأقوامهم .

- لقد أكّد نوح في سياق شكواه لربه أن دعوته لقومه كانت بكيفيات مختلفة ،فجهر بالدعوة في حال الجهر ،وأكّد هذه الطريقة في الدعوة باسم مصدر جهر وهو وصف لمصدر فعل " دعوتهم" أي دعوتهم دعوة جهارا [2] و بما أنّ الجهر نوع من أنواع الدعوة نصب كمفعول مطلق كأن تقول قعد القرفصاء أي قعد قعدة القرفصاء ،لكونها إحدى أنواع القعود،ويجوز أن يكون "جهارا" في موضع الحال أي مجاهرا [3]، و لقد جمع بين الجهر و الإسرار كخطوة أخرى " لأنّ الجمع بين الحالتين أقوى في الدعوة و أغلظ من إفراد إحداهما فقوله " أعلنت لهم " تأكيد لقوله "دعوتهم جهارا " ذكر ليبنى عليه عطف " و أسررت" و المعنى أنّه توخى ما يظنّه أوغل إلى قلوبهم من صفات الدعوة فجهر حين يكون الجهر أجدى مثل مجامع العامة ، و أسرّ للذين يظنّ هم متجنبين لوم قومهم عليهم في التصدي لسماع دعوته و بذلك تكون ضمائر الغيبة في قوله " دعوتهم " و قوله " أعلنت لهم وأسررت لهم موزعة على مختلف الناس " [4] ،و إخبار نوح بهذه التوكيدات (التأكيد بالأداة وبالمصدر) في سياق شكواه لربه يدل على تعجبه من إصرار قومه على الكفر بالرغم من تعدد طرق ومناهج الدعوة .

- أمّا قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ "[5] فهو تأكيد لقوله تعالى على لسانه " إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ " [6] ،فبعد ما أمره قومه بطرد الضعفاء و نفى عن نفسه هذه الصفة ، و علّل ذلك بالجملة الاسمية المؤكدة " أنّهم ملاقو ربهم" زاد هذا التأكيد تأكيدا بجملة " وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ " الدالة على الاستدراك " أي لا ريب في ذلك و لكنكم تجهلون فتحسبوهم لا حظوة لهم و أن لا تبعة في طردهم " [7] و أمّا إظهار المفعول به " قوما" ليؤكدّ " أنّ جهلهم صفة لازمة لهم كأنّها من مقومات قوميتهم " [8]

- لمّا أمرت عاد هود عليه السلام أن يأتيهم بالعذاب تعجيزا له أجابهم بقوله تعالى على لسانه " إِنَّمَا العِلمُ عِنْدَ اللهِ وأُبَلِّغُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ " و معنى الاستدراك أنّ الله موصوف بصفة العلم المطلق أي علم إتيان العذاب و أنّ مهمة الرسول هو تبليغ ما أمر به ،ولكنكم تجهلون هذه الصفات و تجهلون حقيقة الرسل والمهمة التي أنيطت بهم ، وهي تبليغ الرسالة لا غير وأمّا أظهار " قوما في مقام الاظمار ليؤكّد كما سبق الإشارة إليه آنفا " تمكّن الجهالة منهم حتى صارت من مقومات قوميتهم " [9]

<u>**النمط الثاني :**</u>

<u>أداة التوكيد (إنّ) + اسمها (مفرد متصل بياء المتكلم) + متعلق الخبر (جار و مجرور / ظرف) + الخبر (مفرد)</u>

---

1 - محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، ص 85 - 86 .
2 - ينظرالطاهر بن عاشور : التحرير، م 14 ، ج29 ، ص 197 .
3 - ينظر الكشاف، م4 ، ص 604 .
4 - ينظر المصدر السابق ، المكان نفسه .
5 - سورة هود الآية 29 .
6 - سورة هود الآية 29 .
7 - الطاهر بن عاشور : التحرير، م 6 ، ج12 ، ص56 .
8 - المصدر نفسه ، المكان نفسه
9 - المصدر نفسه ، م 12 ، ج26 ، ص48 .

قال تعالى على لسان هود و شعيب عليهما السلام :

ـ "ِإنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ " [1]

ـ " إِنَّ رَبِّي ِبمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ " [2]

ـ الجملتان مؤكدتان بتوكيدين هما أداة التوكيد و تقدم متعلق الخبر على عامله، و تدلان على تعليل ما سبق فقوله تعالى على لسان هود عليه السلام "ِإنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ " [3] تعليل لجملة "وَ لَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا " [4] في سياق نفي ضرر كفرهم لله " فالله يلحق بكم الاستئصال وهو أعظم الضرر و لا تضرونه أقل ضرر من جراء المقارعة و المحاربة " [5]و علّل عدم الضرر بقوله تعالى على لسانه "ِإنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ " و " الحفيظ" أصله مبالغة الحافظ وهو يضع المحفوظ في حيث لا يناله أحد غير حافظه وهو كناية عن القدرة و القهر" [6] ،ويدلّ تقديم معمول الخبر على عامله على توكيد استيلائه و سلطانه على كل شيء،وتدل (على) على الاستعلاء و التمكن المجازي الملائم لمعنى الاستيلاء و القدرة و القهر.

ـ أمّا قوله على لسان شعيب عليه السلام " إِنَّ رَبِّي ِبمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ "[7] يدلّ على التهديد ،و أنّ الله على وشك أن يعاقبهم على ما اقترفوه من آثام بعد أن وبّخهم " أرهطي أعز عليكم من الله و اتخذتموه وراءكم ظهريا " [8] و تقديم معمول الخبر على عامله يفيد توكيد أنّ أعمالهم ليست خافية عن الله ، محيط " موصوف بأنّه فاعل الإحاطة و أصل الإحاطة حصار الشيء شيئا من جميع جهاته، مثل إحاطة الظرف بالمظروف، و السور بالبلد و السوار بالمعصم " [9]

<u>النـمـط الثـالث :</u>

<u>أداة التوكيد (إنّ) + اسمها (ضمير متصل / اسم مفرد) + خبرها (جملة اسمية منسوخة)</u>

قال تعلى على لسان نوح و إبراهيم عليهما السلام:

ـ " إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " [10]

ـ " إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً " [11]

ـ " إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا "[12]

الجملة الأولى مؤكدة بإنّ و الجملة المنسوخة و الجملة الثانية و الثالثة مؤكدتان بثلاث مؤكدات هي الأداة "إنّ" و الجملة المنسوخة ،و تقدم معمول خبر الجملة الاسمية المنسوخة على عامله .

ـ لمّا أمر نوح قومه بالاستغفار علّل ذلك بقوله تعالى على لسانه " إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " [13] و أكّد وصف الله بالغفران بأداة التوكيد إنّ و ثبوت هذه الصفة فيه بكان ، و كمال غفرانه بصيغة

---

1 ø ĕęğĿŢäăĂ 57 .

2 ø ĕęğĿŢäăĂ 92 .

3 ø ĕęğĿŢäăĂ 57 .

4 ø ăĂĄĄĖĂ .

5 ø ĂĂĄĂĄ ĄĂ ĂĂĂĄĂĂ 6ŨŽ 12Û îĂ103 .

6 ø ĂĂĄĂĄĂĂĄĂĂĂĂĄ .

7 ø ĕęğĿŢäăĂ 92 .

8 ø ăĂĄĄĖĂ .

9 ø ĂĂĄĂĂĂŨ 6Ûŷ 12Û î152 .

10 ø ĕęğzďäăĂ 9 .

11 ø ĕęğĂĄäăĂ 47 .

12 ø ĕęğĂĄäăĂ 44 .

13 ø ĕęğzďäăĂ 9 .

المبالغة غفارا [1] ،و تأكيد هذه الصفة بهذه المؤكّدات ليقررها في نفوس قومه لعلّها تؤتي أكلها فتكون سببا لهدايتهم.

ـ عندما وعد إبراهيم أباه بأن يستغفر له الله ـ بالرغم من الرد البالغ في التهديد و الوعيد من قبل أبيه – علّل ذلك بقوله تعالى على لسانه " إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً " [2] و الحفي الشديد البر و الإلطاف [3] البليغ في الإكرام و العناية والاهتمام [4] و تقدم الظرف " بي " يدل على يقينه بلطف الله و عنايته به ،و علّل استغفاره لأبيه بأداة التوكيد والجملة الاسمية المنسوخة تعريضا بأبيه لينتبه إلى المعبود الحق الذي يحظى ببالغ العناية و الاهتمام و الإلطاف و الإكرام من قِبَله كل من يخلص له العبادة .

ـ عندما نهى إبراهيم أباه عن عبادة الشيطان علّل ذلك بقوله تعالى على لسانه " إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا " [5] و أكّد إبراهيم عصيان الشيطان لربه بأداة التوكيد و الجملة الاسمية المنسوخة، ووصف الشيطان بعَصِيا وهي من صيغ المبالغة ليدلّل على تمكن العصيان من الشيطان وتمرده و ثباته على ذلك ، و أظهر اسم الشيطان في مقام الاظمار لينفر أباه منه [6] ، و هذا يدل دلالة صريحة على حبّ إبراهيم لأبيه و إشفاقه من أن يصيبه مكروه، أو يناله ضرر أو أن يكون محل سخط و غضب من الله.

<u>النمط الرابع :</u>

<u>أداة التوكيد (إنّ) + اسمها (ضمير) + خبرها (جملة اسمية مؤكدة باللام)</u>

ـ قال تعالى على لسان أهل مدين :" إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ " [7]

ـ لقد جاءت هذه الجملة مؤكدة بأربع توكيدات وهي الأداة و لام التوكيد ، و ضمير الفصل ، و الجملة الاسمية ، و تدل على تهكم أهل مدين من شعيب عليه السلام ،ووصفه بصفتي الحلم والرشد بصيغة المبالغة لا يدل على إعجابهم به حقا بل إنّهم أرادوا عكس ذلك أي أنّهم نسبوه " إلى غاية السفه و الغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبضّ حجره ، فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك " [8]

<u>النمط الخامس :</u>

<u>أداة التوكيد (إنّ) + اسمها (ضمير) + خبرها (شبه جملة مؤكدة باللام)</u>

ـ قال تعالى على لسان ثمود قوم صالح :" وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ " [9]

هذه الجملة مؤكدة بمؤكدين هما أداة التوكيد و لام التوكيد.

ـ لمّا عرض صالح عليه السلام دعوته المتمثلة في أمر قومه بعبادة الله و إخلاص العبادة له و تذكيرهم بفضل الله عليهم وهو الإيجاد و الاستعمار ،و أمرهم بالاستغفار لله و التوبة من

---

1 [illegible] 14 [illegible] 29 [illegible] 197 .
2 [illegible] 47 .
3 [illegible] 8 [illegible] 16 [illegible] 121 .
4 [illegible] 9 [illegible] 16 [illegible] 148 .
5 [illegible] 44 .
6 [illegible] 8 [illegible] 16 [illegible] 116 [illegible] 117 .
7 [illegible] 87 .
8 [illegible] 2 [illegible] 404 .
9 [illegible] 62 .

ذنوبهم جحدوا هذه الدعوة و رفضوها من أساسها ،و وصفوا أنفسهم بالشك في صدق نبوة صالح عليه السلام " وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ " وأكّدوا شكّهم بإنّ و اللام و ظرفيه " في " الدالة على أنّ هذا الشك مسيطر عليهم و متمكن منهم و محيط بهم من كل جانب ،جحودا لدعوة صالح عليه السلام ، و إظهار نون الجمع مع نون إنّ المؤكدة زيادة إظهارا لحرف التوكيد ،والإظهار نوع من التحقيق [1] قال الفدا " من قال إنّنا ، أخرج الحرف عن أصله" لأن كناية المتكلم - نا – فاجتمعت ثلاث نونات ، و من قال إنّا استقل اجتماعهما فاسقط الثالثة و أبقى الأوليين " [2] [3]

النمط السادس :

أداة التوكيد (إنّ) + اسمها (ضمير) + (ضمير الفصل) + خبرها

- لمّا بيّن إبراهيم لقومه أنّ الأصنام التي يعبدونها لا تستطيع رفع الضرر عنها ، فلو كانت آلهة لدافعت عن نفسها ،و لو كان كبيرهم كبيرهم حقا لدافع عن حاشيته فرجع القوم إلى أنفسهم و أعرضوا عن مجادلة ابراهيم حينما وجدوا أنه بريء قال بعضهم لبعض " إِنَّكُمْ أَنتُمْ الظَّالِمُونَ " [4] فوصفوا أنفسهم بالظلم لإبراهيم بإنّ وضمير الفصل المفيد للاختصاص [5] ،و لقد وصفوا محطّم الأصنام حينما وجدوها مهشمة " إِنَّهُ لَمِنْ الظَّالِمِينَ " [6] وبعد مجادلتهم لإبراهيم وبعد أن أفحمهم أرجعوا الظلم على أنفسهم و أكّدوه .

النمط السابع :

الأداة (إنّ) + اسمها (ضمير) + خبرها (جملة فعلية مؤكدة بقد / اللام)

- قال تعالى على لسان ابراهيم :" إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ " [7]
- قال تعالى على لسان الأقوام :
- قوم نوح " إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " [8]
- قوم هود " إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ " [9]
" إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ " [10]
- قوم شعيب" إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً " [11]

إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا سأل أباه مستنكرا عبادته للأصنام التي لا تنفع و لا تضر و لا تغني عنه شيئا، علّل هذا الاستنكار بقوله تعالى على لسانه " إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ "[1]

---

1 - ينظر التحرير، م6 ، ج12 ، ص 110 .
2 - روح المعاني، م 7، ج12 ، ص133 .
3 - لقد اعترض أبو حيان التوحيدي على اسقاط النون الثالثة عند اجتماع ثلاث نوتان ويرى أن حذف النون الثانية أولى" والذي اختاره أن " نا" ضمير المتكلمين لا تكون المحذوفة لأن في حذفها حذف بعض اسم وبقي منه حرف ساكن، وإنما المحذوفة النون الثانية من إن فحذفت لاجتماع الأمثال، وبقي من الحرف الهمزة والنون الساكنة، وهذا أولى من حذف ما بقي منه حرف، وأيضا فقد عهد حذف هذه النون من غير ضمير المتكلمين، ولم يعهد حذف نون "نا" فكان حذفها من إن أولى" البحر المحيط ، ج5 ، ص 239 .
4 - سورة الأنبياء الآية 64 .
5 - ينظر الطاهر بن عاشور: التحرير، م 8 ، ج16، ص103 .
6 - سورة الأنبياء الآية 59 .
7 - سورة مريم الآية 43 .
8 - سورة الأعراف الآية 60 .
9 - سورة الأعراف الآية 66 .
10 - السورة نفسها، الآية نفسها .
11 [illegible] 91 .

أي أنّه جاءه علم يجهله أبوه و أكّد ذلك ب"إنّ" المؤكدة و "قد" المفيدة للتحقيق لفعل مجيء العلم أي أنّ هذا العلم جاءه حقا و صدقا لا كذبا و لا افتراء و قصد بهذا العلم علم الوحي و النبوة لكي يتبعه و يعد هذا دليل على حق العالم أن يتبع [2] .

ـ استعمل الأقوام أكثر من مؤكّد في وصف أنبيائهم بأبشع الأوصاف و أقبحها لكي تستقرّ هذه الأوصاف في قلوب و عقول العامة من القوم فلا يستجيبون لدعوات هؤلاء الأنبياء ، ويلقوا في نفوس الأنبياء الرعب و الوهن والضعف و الشك لكي يترددا في تبليغ هذه الدعوات أو يكفوا عن ترديدها لأقوامهم .

ـ فإذا تأملنا الجوابات الواردة في كلام الأقوام نجدها مؤكدة بإنّ و اللاّم و " في " الدالة على الظرفية و التي تدل على تمكن صفة الضلال [3] في نوح " فكأنّ الضلال جاء ظرفا له وهو فيه " [4] وهو تعبير مجازي على انغماس نوح في الضلال كأنّه محيط به من كل الجوانب إحاطة الظرف بالمظروف [5]، و كذلك صفة السفاهة [6] التي وصف بها هود من قبل قومه فهي متمكنة فيه ،و محيطة به من كل جانب إحاطة الظرف بالمظروف ، و وصف قوم شعيب شعيبا بالضعف أي " غير ذي قوة و لا منعة فالمراد بالضعف عن المدافعة إذا راموا آذاه " [7] ،و لقد فسّر العلماء معنى الرؤية المؤكدة باللام في الآيات الثلاث بالرؤية القلبية بمعنى العلم و الاعتقاد و اليقين، أي " إنا لنوقن انك في ضلال مبين " [8] و " أنا نعلم أنك في سفاهة " [9] و بعد أن وصف هود بالسفاهة و وصفوه بالكذب بالجملة الاسمية المؤكدة بـ إنّ و اللام ،و المراد بالظن اليقين أي إنا لنوقن أنك من الكاذبين و قولهم من الكاذبين أبلغ من أنهم لو قالوا كاذبا لأنهم بذلك يلحقونه بزمرة الكاذبين و أنّه منهم .

<u>النمط الثامن :</u>

<u>أداة التوكيد (إنّ) + اسمها (ضمير) + متعلق الخبر (شبه جملة) + الخبر</u>

قال تعالى على لسان نوح و هود و صالح و شعيب عليهم السلام :

ـ " إنِّي لَكُم ْرَسُولٌ أَمِينٌ " [10]

و قال على لسان نوح و هود و شعيب عليهم السلام :

ـ " إنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " [11]

ـ " إنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ " [12]

ـ " إنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ " [1]

---

1 [illegible] 43 .

2 [illegible] 115 .

3 [illegible] 109 .

4 [illegible] 324 .

5 [illegible] 148 .

6 [illegible] 112 .

7 [illegible] 148 .

8 [illegible] 190 .

9 [illegible] 202 .

10 [illegible] 178/143/125/107.

11 [illegible] 25 [illegible] 2 .

12 [illegible] 71 .

قال تعالى على لسان ثمود :

ـ " إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ "[2]

هذه الجمل مؤكدة بمؤكدين هما إنّ و تقديم متعلق الخبر على عامله .

ـ إنّ الأنبياء قبل أن يعرضوا دعوتهم على أقوامهم و يكون الجدل حول مضمون هذه الدعوات يعرّفون بأنفسهم قبل كل شيء،و يوضّحون غرضهم ومقصدهم،ولقد تكررت الآيات التي تعرّفنا بحقيقة هؤلاء الأنبياء والغرض الذي جاءوا من أجله بألفاظها نفسها في الجمل الواردة في سورة الشعراء على لسان نوح و هود وصالح وشعيب " وهي و إن كانت مقولة على ألسنة عدة رسل توحي لتكرارها بعبارة واحدة بصدق هؤلاء الرسل و تثبيت التصديق بهم "[3] و تصدير هؤلاء الأنبياء الجمل الدالة على هدفهم و غرضهم بأداة التوكيد لأنّهم يعلمون سلفا أنّ أقوامهم يترددون و ينكرون خبر هذه الدعوة لأنّ المخاطب إذا كان خالي الذهن استغنى عن المؤكدات،و إذا كان مترددا احتاج إلى توكيد الخبر ، و إذا أنكر الخبر احتاج إلى توكيد أقوى فالتوكيد يستعمل أو يستغنى عنه يحسب احتياجات المخاطب، و يستعمل التوكيد بدرجات مختلفة، قلة وكثرة وفق أحوال الإنكار و تكاثر عناصر التوكيد وفق تصاعد أحوال الإنكار[4] ،و أقوام هؤلاء الأنبياء ينكرون أي جديد يطرأ على حياتهم لأنّهم راضون بالواقع الذي يرونه صوابًا ،و بالمقابل يرفضون سلفًا لأي فكرة جديدة تحاول تغيير واقعهم ، و من ثمّ فأذهانهم غير خالية بل هي مترددة و منكرة و لذلك أكّد الأنبياء غرضهم من مجيئهم إلى هؤلاء الأقوام و تقديم معمول الخبر " لكم " على عامله يدل على الاهتمام بهؤلاء الأقوام، و أنّ الدعوة جاءت خصيصا لهم تعود بالنفع لهم إن قبلوها .

ـ و أمّا جملة " إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " قد جاءت مثل النمط السابق ،و مضمونها هو غرض مجيء نوح عليه السلام و هو الإنذار و التوضيح لحقيقة الدعوة التي جاء من أجلها " و نذير مبين " "و منذر موضح لحقيقة الأمر و اللام في "لكم " للتقوية أو التعليل ، أي لأجل نفعكم من غير أن أسألكم أجرا "[5] ،و مجيء غرض الدعوة جملة اسمية مؤكدة يدل على أنّ نوحا كان جريئا شجاعًا واضحًا ومفصحًا عن غرضه وهو الإنذار، و مبيّنا حجّته، و لا يتمتم و لا يجمجم و لا يتلعثم في دعوته ،و لا يدع لبسًا و لا غموضًا في حقيقة ما يدعو إليه ،و في ما ينتظر المكذبين بدعوته "[6]

ـ أمّا الجملة الثالثة و الرابعة فإنّهما تدلان على التهديد و الوعيد فهود عليه السلام بعد غضبه من قومه عاد حينما أمروه بإتيان العذاب لكي يصدّقوا دعوته ،هددهم بنزول العذاب عليهم و أمرهم بالانتظار ،و أكّد انتظاره معهم ليريهم مدى صدقه و أمانته و صدق رسالته عندما ينزل العذاب عليهم ، و كذلك الشأن في قصة شعيب مع قومه أهل مدين فإنّه لمّا أعياه أمرهم بعدما وصفوه بالضعف ،و تهكّموا به و هدّدوه بالرجم لولا وجود رهطه لأنّه ليس قويا عزيز الجانب في نظرهم ،فغضب عليهم و أنكر عليهم ذلك ،و هدّدهم هو الآخر بنزول العذاب عليهم وأمرهم بالترقب وأكّد ارتقابه ليريهم مدى صدقه و إخلاصه،و مدى كذبهم و كفرهم و جحودهم حينما ينزل العذاب عليهم .

---

1 [illegible] 93 .

2 [illegible] 76 .

3 [illegible] 144 .

4 [illegible] 80 ، 81 .

5 [illegible] 16 ، 29 ، 119 .

6 [illegible] 6 ، 29 ، 3711 .

ـ أمّا قوله تعالى على لسان ثمود " إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ " هو جواب لأتباع قوم صالح من المؤمنين حينما قالوا "إِنَّا بِالَّذِي أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ " [1] و تأكيد إيمانهم بالجملة الاسمية للدلالة على أنّ الإيمان متمكن منهم بمزيد إثبات ... فلم يتركوا للذين استكبروا مطمعا في تشكيكهم ، بله صرفهم عن الإيمان برسولهم ، و أكّدوا الخبر بحرف إنّ لإزالة ما توهموا من شك الذين استكبروا في صحة إيمانهم " [2]

و توكيد خبر كفرهم بإنّ المؤكدة يدل على إصرارهم و تصلّبهم ،و تمكّن الكفر منهم و أعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير إيذانا بأنّهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو و الاستكبار (إنا بالذي أمنتم به كافرون) ،و إنّما لم يقولوا إنّا بما أرسل به كافرون إظهارا لمخالفتهم إياهم و ردّا على مقالتهم " [3] و تقديم المجرورين متعلقا الخبر " بما أرسل به " " بالذي آمنتم به " على عامله يدل على الاهتمام بمدلولي الموصولين في الجملتين .

النمط التاسع :

المبتدأ (اسم مفرد لفظ الجلالة) + الخبر (جملة فعلية).

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :" وَ اللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا " [4] و ذلك في سياق تذكيرهم بنعم الله و آلائه عليهم ، و من هذه النّعم نعمة الإنشاء التي عبّر عنها بالإنبات " للمشابهة بين إنشاء الإنسان و إنبات النبات من حيث كليهما تكوين كما قال تعالى " وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا " [5] أي أنشأها ،كما يقولون زرعك الله للخير و يزيد به الشبه هنا قربا من حيث أن إنشاء الإنسان مركب من عناصر الأرض" [6]

و لقد أكّد هذا الإنبات بمصدر الفعل أنبت و لم يقل " إنباتا " لأنّ نباتًا أخف و لأنّه مستعمل في فصيح الكلام [7] ،ويدل هذا التأكيد على تكريم الإنسان و تصويره في أحسن صورة و أكملها كما عبّر عن حور العين في الجنة " إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً" [8] أي إنشاء حسنا في أكمل صورة ،و تقديم الفاعل على الفعل أو المسند إليه على الخبر الفعلي يدل على تأكيد اختصاص الله بفعل إنشاء الإنسان و تصويره في أحسن صورة .

ـ و من النعم التي ذكر بها نوح قومه لينتبهوا و يرتدعوا نعمة بسط الأرض، و جعلها مهيأة لهم وراحة لهم قال تعالى على لسانه " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا " [9] فهذه منّة أخرى تستحق الشكر وهي تتمثل في جعل الأرض كالبساط وهو " ما يفرش للنّوم عليه و الجلوس من ثوب أو زربية فالإخبار عن الأرض بساطا تشبيه بليغ ، أي كالبساط ،و وجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه بحيث لا يوجع أرجل الماشين و لا يقضّ جنوب المضطجعين " [10] و تقديم متعلق المفعول به (لكم) للجملة الفعلية الواقعة خبرا يدل على تأكيد جعل الأرض بساطا لأجلكم لا غير، وهذا يدل على رحمة الله بهم كما يدل تقدّم الفاعل على فعله على تأكيد

---

1 [illegible] 75 .

2 [illegible] 224 .

3 [illegible] 243 .

4 [illegible] 17 .

5 [illegible] 37

6 [illegible] 204 [illegible] 606 .

7 [illegible] 204 .

8 [illegible] 35

9 [illegible] 19 .

10 [illegible] 205 .

اختصاص الله بجعل الأرض بساطًا ، وتعريضا بآلهة القوم التي ليس بمقدورها القيام بذلك الدور.

النمط العاشر :

المبتدأ (ضمير متصل) + متعلق (جار و مجرور) + الخبر

ـ في سياق ردّه عن تهمة السفاهة و الكذب و تبيان الغرض الذي جاء من أجله قال تعالى على لسان هود عليه السلام :" وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ " [1] بالجملة الاسمية المؤكّدة لدليل على أنّ نصحه لهم و صف ثابت متمكن منه وأنّ ما زعموه سفاهة هو نصح و أتبع " ناصح " ب"أمين" وهو الموصوف بالأمانة لرد قولهم " لنظنك من الكاذبين "، لأنّ الأمين هو الموصوف بالأمانة، و الأمانة حالة في الإنسان تبعثه على حفظ ما يجب عليه من حق لغيره ... و ضدها الخيانة " [2] و لقد تقدّم متعلق الخبر " لكم " على الخبر ليؤكد لهم بأنّه مهتم بهم و بما ينفعهم وأنّ مجيئه لأجلهم لا غير.

ـ و في سياق ردّه على قومه ،و نفي أن يكون في زمرة اللاعبين و الفريق الموصوف باللعب، وإبطال ذلك واثبات ربوبية الله و نفي ألوهية الأوثان ، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ " [3] ،و قوله من الشاهدين إضرابا على قولهم " أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّاعِبِينَ " [4] ليعلن لهم بأنّه مرسل من الله ليبلّغ دين التوحيد ،و يكون من الشاهدين على أممهم لأنّ كلّ رسول سوف يشهد على أمته ،و إبراهيم لم يقل أنا شاهد على ذلكم بل قال أنا على ذلكم من الشاهدين و قدم متعلق الخبر على ذلكم " للاهتمام و العناية " "و من الشاهدين" مبالغة في الشهادة على أمته وهذا التأكيد بمثابة القسم [5]

---

1 [illegible] 68 .

2 [illegible] 203 .

3 [illegible] 56 .

4 [illegible] 55 .

5 [illegible] 96 .

المطلب الثاني : الجملة الاسمية المنفية

أولا : الجملة الاسمية المنفية المؤكدة

الجملة الاسمية المنفية في الجدل القرآني هي التي دخلت عليها أداة من أدوات النفي ،و أمّا الجملة الاسمية المنفية المؤكدة هي التي دخل على خبرها حرف من حروف الزيادة المفيدة للتأكيد كا"الباء" و "من" أو تقدّم أحد معموليها على عاملها كتقدّم الخبر على المبتدأ ،و تقدم متعلق الخبر على الخبر ، فأمّا ما يتعلق بالجملة المنفية المجردة من التأكيد لا وجود لها في الجدل القرآني ، و لذلك سأقتصر على ذكر الجملة الاسمية المنفية المؤكدة بمؤكد واحد و الجملة الاسمية المنفية المؤكدة بأكثر من مؤكد.

1) الجملة الاسمية المنفية المؤكدة بمؤكد واحد :

بعد التأمل في هذا النوع من الجمل و جدت تسع جمل إسمية منفية مؤكّدة ؛منها (ست جمل واردة في كلام الأنبياء و (ثلاث جمل) واردة في كلام الأقوام

- قال تعالى على لسان الأنبياء :

نوح عليه السلام : " وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " [1]

" وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا "[2]

" وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ " [3]

" مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ "[4]

" لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ" [5]

هود عليه السلام : " لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ "[6]

- و قال تعلى على لسان عاد قوم هود

" مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ " [7]

" مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ "[8]

" وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ "[9]

- لقد تصدرت أداة النفي " ما " سبع جمل و أداة النفي "لَيس" جملتين ، وجاء المبتدأ اسما مفردا (علمي) وضمير منفصلا للمتكلم (أنا) مرتين و ضميرا منفصلا للمتكلمين (نحن) ثلاث مرات ، و ضميرًا منفصلاً لجماعة المخاطبين (أنتم) مرة واحدة ، و أمّا الخبر فقد جاء اسما مفردا " طارد" (مرتين) ، تارك ، معجزين ، معذبين ، مبعوثين و جاء اسما موصولا و صلته (ما كانوا يعملون)

---

1 [illegible] 112 .

2 [illegible] 29 .

3 [illegible] 114 .

4 [illegible] 33 .

5 [illegible] 61 .

6 [illegible] 67 .

7 [illegible] 138 .

8 [illegible] 37 .

9 [illegible] 53 .

ـ و لقد جاء خبر هذه الجمل مؤكدا بالباء الزائدة باستثناء جملتين لم يرد فيهما التوكيد بالباء.
ـ لقد التزمت هذه الجمل الترتيب العادي لمكونات الجملة الاسمية المنفية المؤكدة إلاّ جملتين تقدم فيهما الخبر على المبتدأ و يمكن صياغة هذين النمطين وفق الشكل التالي :

(1) أداة النفي (ما) + المبتدأ (اسم مفرد / ضمير منفصل) + خبر (إسم مفرد مؤكد /جملة مؤكدة)

(2) أداة النفيس (ليس) + الخبر (جار و مجرور) + المبتدأ (اسم مفرد) .

<u>النمط الأول :</u>

<u>أداة النفي (ما) + المبتدأ (اسم مفرد / ضمير منفصل) + الخبر (اسم مفرد مؤكد / جملة مؤكدة)</u>

ـ فأمّا قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "[1] يدل على عدم العناية و والاهتمام بما في نفوس أتباعه من إخلاصهم و عدمه، لأنّ وظيفته تكمن في الحكم على الظواهر، و لا يريد أن يشقّ على قلوب أتباعه،و معنى كلامه "و ما علمي بما كانوا يعملون ثابت ... و حاصله و ما وظيفتي إلاّ اعتبار الظواهر دون الشقّ على القلوب والتّفتيش عما في السّرائر ، فما يضرّني عدم إخلاصهم في إيمانهم كما تزعمون"[2] و هو يعلم أنّ اهتمامه بموضوع سرائر متبعيه لا تجنى منه فائدة ،و من ثم فهو مقتنع بما يظهرون و يحكم به و يترك حسابهم لله [3] و سبب ردّه بنفي اهتمامه على بواطنهم و أسرار قلوبهم لأنّ الكبراء قد طعنوا في إيمان هؤلاء الأتباع ،و أنّهم لم يؤمنوا عن نظر و بصيرة و تفكير عميق و اقتناع، وإنما تسرّعوا في إيمانهم بمحض هواهم و خفة عقولهم.
ـ و أمّا قوله تعالى على لسان نوح " وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا " [4]" وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ " [5] هو جواب لقومه حينما وضعوا من شأن دعوته كونها استجاب لها الأراذل من الناس " وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ "[6] و الأولى في نظرهم أنّ النبوة تستحق أن تكون من نصيبهم لا من نصيبه و أتباعه ، و المقصود أيضا أنّهم لا يريدون أن يخلطوا أنفسهم بعامة الناس ،و لكي يستجيبوا لدعوته عليه أن يطرد هؤلاء الأتباع لكي يؤمنوا به كما صرّحوا بهذا في قولهم " قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ " [7] ،فكان جواب نوح مبطلا لمقولتهم و مقرّرا و مؤكّدا تشبثه بأصحابه بتوظيف الباء الزائدة المفيدة للتأكيد ،و عبّر عن أتباعه بطريق الموصولية " لما يؤذن الموصول من تغليظ قومه في تعريضهم له بأن يطردهم بما أنهم لا يجالسون أمثالهم إيذانا بأنّ إيمانهم يوجب تفضيلهم على غيرهم الذين لم يؤمنوا به ،و الرغبة فيهم فكيف يطردهم " [8] ،فكان نفيه طرد أتباعه مؤكّدًا ومصحّحًا في نفس الوقت لمقولة قومه

---

1 - [illegible] 112 .
2 - [illegible] 11 [illegible] 19 [illegible] 160 - 161 .
3 - [illegible] 7 [illegible] 30 .
4 - [illegible] 29 .
5 - [illegible] 114 .
6 - [illegible] 27 .
7 - [illegible] 111 .
8 - [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 55 .

نعت أصحابه بالأراذل ،و نعتهم بالإيمان ليؤكّد حقيقة مفادها أنّ الإيمان و عدمه هو المعيار و المقياس الحقيقي لمكانة الناس عنده ،و عند الله بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية.

ـ و أمّا قوله تعلى على لسان نوح عليه السلام " وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ " [1] معناه"بناجين و فالتين من العذاب " ،و أنتم في قبضته لا يمكن أن تفلتوا منه و لا أن تمنعوا العذاب "[2] و يدلّ هذا المعنى على التهديد و الوعيد فالله ليس عاجزًا عن أن يوقع بهم العذاب وهم لا يستطيعون منعه عن أنفسهم " والباء في قوله بمعجزين " تفيد التأكيد ،والجملة الإسمية المنفية تدل على استمرار النفي و تأكيده [3]

ـ و أمّا قوله تعالى على لسان عاد " وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ " [4] "مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ " [5] " مَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا " [6] يدلّ على نفي القوم و إنكارهم الشديد للعذاب الذي سوف يقع عليهم والبعث ،و إنكارهم التخلي عن آلهتهم ،وجاء الإنكار مؤكّداً بالباء الزائدة و الجملة الاسمية الدالة على استمرار النفي .

<u>النمط الثاني :</u>

<u>أداة النفي (ليس) + الخبر (جار و مجرور) + المبتدأ (اسم مفرد)</u>

ـ لقد دلت الآيتان اللتان تقدم فيهما الخبر على المبتدأ في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ"[7] و على لسان هود عليه السلام " لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ "[8] على إنكار و نفي التهمتان اللتان ألصقها عليهما قومهما و الباء في قولهما " بي " للمصاحبة أو الملابسة وهي تناقض معنى الظرفية المجازية من قولهم " في ضلال " فإنّهم جعلوا الضلال متمكن منه ،فنفى هو أن يكون الضلال متلبس به " [9]و كذلك الشأن في السفاهة ،و قال نوح ليس بي ضلالة وكان الأولى أن يقول ليس بي ضلال ليكون جوابه مكافئا لمقولتهم " في ضلال " ،و قال ليس بي ضلالة و هذا لينفي عن نفسه أقل الضلال " فالضلالة هي أخص من الضلال كما لو قيل لك : ألك تمر فقلت مالي تمرة " [10] فكذلك نوح نفى عن نفسه أن يكون قد أضل أقل الضلال ليزيل نفسه كل أثرللضلال المتوهم من قبل القوم و نفي أقل الضلال عن نفسه أبلغ من نفي الضلال بشكل عام .

2) الجملة الاسمية المنفية المؤكدة بأكثر من مؤكد :

أمّا فيما يتعلق بالجملة المنفية المؤكدة بأكثر من مؤكد فلقد عثرت على أربع عشرة جملة منها (إحدى عشرة جملة) على لسان الأنبياء ،و (ثلاث جمل) على لسان الأقوام ، و من هذه الجمل تسع جمل مكرّرة.

ـ قال الله تعالى على لسان الأنبياء نوح ، هود و صالح و شعيب عليهم السلام :

---

1 [illegible] 33 .

2 [illegible] 61 .

3 [illegible] 68 .

4 [illegible] 138 .

5 [illegible] 37 .

6 [illegible] 53 .

7 [illegible] 112 .

8 [illegible] 67 .

9 [illegible] 192 .

10 [illegible] 109 .

" مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ "[1]

لقد تكررت هذه الجملة تسع مرات في كلام الأنبياء

- قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام : " وَ مَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ "[2]

" مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ "[3]

- و قال على لسان عاد قوم هود : " مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ "[4]

" مَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ " [5]

- و قال على لسان أهل مدين قوم شعيب: " مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ "[6]

- إذا تأملنا هذه الجمل وجدناها تبتدئ كلها بأداة النفي " ما ".

- لقد جاء المبتدأ اسما مجرورا لفظا بحرف الجر الزائد مرفوعا محلا في الجملة الأولى ، وجاء اسما مفردا (قوم) ،وجاء ضميرا منفصلا للمتكلم (أنا)، و جاء ضميرا منفصلا لجماعة المتكلمين (نحن)، و جاء ضميرا منفصلا للمخاطب المفرد (أنت) .

- أمّا الخبر فقد جاء جارا و مجرورا بمن لفظا في الجملة الأولى مرفوعا محلا ،وجارا ومجرورا بالباء لفظا ومرفوعا محلا في الجمل المتبقية .

- لقد تقدم الخبر على المبتدأ في الجملة الأولى و تقدم معمول الخبر على عامله في الجمل الأخرى المتبقية ،ويمكن صياغة هذه الجمل وفق النمطين التاليين :

1) أداة نفي (ما) + خبر مقدم (جار و مجرور) + مبتدأ مؤخر (اسم مفرد مؤكد بمن)

2) أداة نفي (ما) + مبتدأ (اسم مفرد / ضمير) + متعلق + الخبر (اسم مفرد مؤكد بالباء)

النمط الأول :

أداة نفي (ما) + خبر مقدم (جار و مجرور) + مبتدأ مؤخر (اسم مفرد مؤكد بمن)

- قال تعالى على لسان الأنبياء نوح و هود وصالح و شعيب :" مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ "[7] .. لقد جاءت هذه الجملة مقرونة بالأمر بعبادة الله ، و تدل على تعليل الأمر بعبادة الله و توضيح حقيقة العبادة التي أمر بها الأنبياء أقوامهم و معناها " أفردوه بالعبادة لا تشركوا به شيئا ، إذ ليس لكم إله غيره سبحانه على أنه لا اعتداد بالعبادة مع الإشراك فالأمر بها يستلزم الأمر بإفراده سبحانه "[8] فلا يكفي أن يعبدوا الله دون أن يفردوه بالعبادة و يخلصوا له العبادة ،فلذلك جاءت جملة " مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ " لتنفي إشراك غيره في العبادة و أكّد تعليل انتفاء وجود إله يستحق العبادة دون الله بتقديم الخبر " لكم" على المبتدأ للاختصاص و " من" المؤكدة لتنفي

---

1 - نوح (سورة الأعراف 59 - المؤمنون 23) - هود (سورة الأعراف 65 - سورة هود 50 - سورة المؤمنون32) - شعيب (سورة الأعراف 85 - سورة هود 84) صالح (سورة الأعراف 73- سورة هود 61) .

2 - سورة هود الآية 89 .

3 - سورة هود الآية 86 .

4 - سورة هود الآية 53 .

5 - سورة المؤمنون الآية 38 .

6 - سورة هود الآية 91 .

7 - قرئ "غيره" بالحركات الثلاثة، بالرفع على المحل لأنّ "غيره" صفة الإله وأنّه مبتدأ مرفوع محلا، وقرئ بالكسر باعتبار لفظه موصوف إله مجرور بحرف الجر الزائد، وقرئ بالنصب على الإستثناء، وحكم "غير" حكم الإسم الواقع بعد "إلا"أي مالكم من الاه إلا إياه ، وقرأ ابن وثاب والأعمش وأبو جعفر والكسائي" غير" بالجر وقرأ باقي السبعة "غيره" بالرفع، وقرأ عيسى بن عمر"غير" بالنصب على الإستثناء ،والجر والرفع أفصح ، ينظر الكشاف م2 ، ص109 ، البحر المحيط ج 4 ، ص324 ، تفسير أبي السعود، ج3 ، ص 235 ، وينظر التحرير والتنوير، م 5 ، ج8 ، ص189 ، وم9 ، ج 18 ، ص41 .

8 - روح المعاني، م 7 ، ج 12 ، ص118 .

خبر وجود إله غير الله ، و يدل تكرار الأمر بعبادة الله دون سواه بألفاظها نفسها في كلام الأنبياء على مجيء الأنبياء لهدف واحد هو توحيد الألوهية و توحيد الربوبية .

النمط الثاني:

أداة نفي (ما) + مبتدأ (اسم مفرد / ضمير) + متعلق + الخبر (اسم مفرد مؤكد بالباء)

- وأمّا قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام " مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ "[1] بعد أن أمر قومه بعبادة الله و اتّباع أوامره و اجتناب نواهيه ، ليوضّح لهم و يشرح لهم و يبين لهم الهدف الذي جاء من أجله ،و لينفي كلّ وهم يرد في خاطر قومه من أنّه جاء ليحصي أعمالهم و يعُدّها و يجازيهم بها[2] أو أن يجبرهم على أشياء لم يقتنعوا بها ،بل تركهم لعقولهم و نفوسهم ليختاروا بأنفسهم الطريق الذي اقتنعوا به[3]،وبين لهم أنّه جاء منبّهًا إلى الخير، وناصحا وموجّها ومرشدا إلى طر يق الحق و الصواب ، وينذرهم بالعذاب يوم القيامة إلى عصوه ،و أكّد النفي عن نفسه إحصاء أعمالهم ،أو إجبارهم وإكراههم بالباء الزائدة المؤكدة " بحفيظ" و تقديم معمول الخبر على عامله ليؤكد لهم عدم سيطرته وتمكنه عليهم بالإجبار و القسر و الإكراه.

- و لقد حذّر شعيب قومه من مغبة إنكارهم لدعوته و عصيان أوامر الله و ارتكاب نواهيه من أن يصيبهم ما أصاب الأمم الماضية بعدما جحدت نعم الله عليهم و عصت أنبيائه ، و آخر هذه الأقوام بالنسبة لقوم شعيب قوم لوط ،و حال قوم لوط ليست ببعيدة عنهم ،قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام " وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ "[4] بُعدا زمنيا أو مكانيا " و مراده عليه السلام إنكم إن لم تعتبروا بمن قبل لقدم عهد أو بعد مكان فاعتبروا بهؤلاء فإنّهم بمرأى و مسمع منكم ،وكأنّه إنّما غيّر أسلوب التحذير ،و اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأنّ ذلك مغن عن ذكر ما أصابهم لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرموقة ، و يجوز أن يراد بالبعد البعد المعنوي أي ليسوا ببعيد منكم في الكفر و المساوئ فاحذروا أن يحلّ بكم ما حلّ بهم من العذاب "[5] ، و ذكّرهم بعدم بعد قوم لوط منهم لكي يعتبروا و يستخلصوا الدروس مما حصل للأمم الماضية و أقربها منهم قوم لوط ، و نفى خبر بُعد قوم لوط و أكده بحرف الجر الزائد و قدّم معمول الخبر " منكم " على عامله لينبههم على شدة قربهم لهم ،و يوجد فرق بين القول " و ما قوم لوط ببعيد منكم " و القول " و ما قوم لوط منكم ببعيد " و وضع متعلق الخبر " منكم " بجانب عبارة قوم لوط ليؤكد قربهم الشديد بهم.

- أمّا قوله تعالى على لسان قوم هود " وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ "[6] و " وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ "[7] يدل على نفي عاد الإيمان و التصديق بما جاء به هود عليه السلام ،و أكّدوا خبر نفيهم ذلك بالباء الزائدة المفيدة لاستمرار نفيهم وإنكارهم[8] ،و تقديم معمول الخبر " لك " " له " على عامله لتأكيد عدم إذعانهم و استجابتهم له لأنّهم الأشراف والسادة ؛فلا تسمح لهم منزلتهم بالخضوع و الائتمار بأوامر العامة من الناس و الانتهاء بنواهيهم.

---

1 [illegible] 86 .
2 [illegible] 2 [illegible] 402 [illegible] 7 [illegible] 12 [illegible] 175 .
3 [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 141 .
4 [illegible] 89 .
5 [illegible] 7 [illegible] 12 [illegible] 183 .
6 [illegible] 53 .
7 [illegible] 38 .
8 [illegible] 10 [illegible] 18 [illegible] 49 .

- لمّا هدّد قوم شعيب شعيبا بالرجم لولا مراعاة مكانة رهطه عندهم ، و كان رهط شعيب باقين على الكفر لذلك وقرهم قوم شعيب بكف الأذى عن قريبهم لأنّهم يكرهون ما يؤذيه لقرابته لهم كما فعلت قريش لمّا راعت عم محمد صلى الله عليه و سلم، قال تعالى على لسان قوم شعيب " وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ "[1] و أكّدوا استطاعة رجمهم له لأنّه ليس بعزيز أي بذي غلبة و منعة و عزّة منزلة في نفوسهم"[2] ،و تعديته بحرف (على) لما فيه من معنى الشّدة والوقع على النفس كقوله تعالى " عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ " أي شديد على نفسه ،فمعنى و ما أنت علينا بعزيز أنّك لا يعجزنا قتلك و لا يشتّد على نفوسنا لأنك محقر عندنا و ليس لك من ينصرك منا ،و لا تستطيع غلبتنا ،وأكدوا نفي كونه عزيزا بذي غلبة بالباء ،و الجملة الاسمية لاستمرار انتفاء العزة و تقديم معمول الخبر (علينا) على عامله ليؤكدوا نفي الاستعلاء و التمكن منهم.

المطلب الثالث :

الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر (بالنفي و الاستثناء و إنّما)

تمهيد

تعد الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر (النفي و الاستثناء و إنما) من التراكيب النحوية المميزة في القرآن الكريم بصفة عامة و الجدل القرآني بصفة خاصة لما يؤدي من وظائف و دلالات ،و في دراسة قامت بها الأستاذة ربيعة الكعبي حول هذا الموضوع وجدت أنّ القرآن الكريم وظّف الحصر بالنفي والاستثناء نسبة 74,92 بالمائة و الباقي استثناء تام [3]

و سبب توظيف القرآن لهذا النوع من التركيب لكونه " الوسيلة البيانية الأقوى لمواجهة التحدي أو ما يسمى النفي العنادي ، كما يقول السكاكي التي جابه بها الكفار و الجاحدون للرسالة النبوية ، و هي الأقوام في الوقت نفسه للتبرئة مما ألصقه الكفار بالله و بالرسول، و التنزيه و لتخليص الأذهان من الوهم و الإيهام الذي كان يعمد إليه المضلّلون عن كتاب الله و عن رسالته و بدا لنا الاستثناء على هذا الأساس وسيلة فعّالة للتعبير الأقوى عن الغرض لمواجهة الإصرار و لرفع التعميم بالتخصيص ، خاصة و أنّ خطاب الله يقوم أو يدور أغلبه على أحكام و قصص للاعتبار و الذكر ، وهذا الأسلوب يحتاج إلى أدوات كلامية قاصمة لا تترك للظن سبيلا للاستيلاء على النفوس " [4].

و بعد إحصائي للجمل المفيدة للقصر بالنفي و الاستثناء و إنّما في الجدل القرآني تحصلت على (ثماني و عشرين جملة)، منها (أربع و عشرين جملة اسمية) و (أربع جمل فعلية) و سبب إفرادي لهذا النوع من الجمل الاسمية دون تصنيفه ضمن التصنيف العادي للجملة و المتمثل في النفي والاثبات لأنّ هذا النوع من الجمل يجمع بين النفي و والإثبات.

و القصر لغة " الحبس" [5] قال تعالى " حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ " [6] أي محبوسة فيها " [1] وقال بعضهم " هو في اللغة عدم المجاوزة إلى الغير فهو من قصر الشيء على كذا إذا لم

---

1 [illegible] 91 .

2 [illegible] 5 [illegible] 256 .

3 [illegible] 1 [illegible] 1993 [illegible] 112

4 [illegible] 160 .

5 [illegible] 2 [illegible] 166 .

6 [illegible] 72

يتجاوزه إلى غيره "[2]،و القصر اصطلاحا هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص "[3] و معنى ذلك " أن تجعله له و ألاّ تجعله لغيره ، و كأنّك قلت هو له و ليس لغيره ففيها إثبات و نفي ، إثبات منصوص عليه ، ونفي متضمن في هذا الإثبات ، فقولك إنّما جاء محمد فيه إثبات المجيء لمحمد و نفي المجيء عن غيره و قد جاء النفي من طبيعة دلالة القصر ،لأنّ المجيء ما دام مقصورا على زيد فإنّه منفي عن غيره ، وهذا اقتضاء عقلي "[4] فهذه الجملة أفادت حكمين وهو ثبوت المجيء لمحمد و نفي المجيء عن غيره ومن ثمّ فالقصر بالنفي و الاستثناء "في قوة جملتين فهو طريق من طرق الإيجاز في التعبير كما أنه يقصد منه تمكين الكلام و تقريره في الذهن"[5].

أولا) الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر بالنفي و الاستثناء

1) النفي و الاستثناء بإن و إلا

إنّ عدد هذا النوع من الجمل (ثلاث عشرة جملة)

ـ قال تعالى على لسان الأنبياء :

نوح عليه السلام " إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ " (سورة هود الأية 29)

نوح ، هود ، صالح و شعيب " إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ " (سورة الشعراء الآيات 109 ، 127 ، 145 ، 180)

هود عليه السلام " إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي " (سورة هود الآية 51)

نوح عليه السلام " إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي" (سورة الشعراء الآية 113)

ـ و قال أيضا على لسان الأنبياء

نوح عليه السلام " إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ " (سورةالشعراء 115)

هود عليه السلام " إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ " (سورة هود الآية 50)

ـ و قال على لسان قوم نوح و هود

قوم نوح " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ " (سورة المؤمنون 25)

قوم هود " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا " (سورة المؤمنون 38)

" إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا " (سورة المؤمنون 37)

" إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ " (سورة الشعراء 137)

ـ إذا تأملنا هذه الجمل نجد أنّ أداة النفي (إن) في صدر هذه الجمل والأداة (إلاّ) واقعة بين المبتدأ و خبره ،و المبتدأ موصوف و الخبر صفة ، وجاء المبتدأ اسما مفردا مضافا (أجري ، حسابهم) ،و ضميرا منفصلا للمفرد المتكلم ((أنا) ،و المفرد الغائب (هو) ،والمفردة الغائبة(هي)،و جماعة المخاطبين (أنتم) ،و جاء اسم إشارة (هذا) .

ـ أمّا الخبر فقد جاء جارا ومجرورا (على رب العالمين ، على ربي ، على الذي فطرني) وجاء اسما مفردا (نذير ، مفترون ، رجل ، حياتنا خلق) ،و يمكن تقسيم هذا النمط من الجمل إلى نمطين وفق الشكل الثاني :

1) أداة النفي (إن) + المبتدأ (اسم مفرد مضاف) + إلاّ + الخبر (جار و مجرور)

---

1 [illegible] 166 .

2 [illegible] 166 .

3 [illegible] 166 .

4 [illegible] 268 .

8 [illegible] 37 .

2) أداة النفي (إن) + المبتدأ (ضمير منفصل / اسم إشارة) +إلاّ + الخبر (اسم مفرد)

النمط الأول :

أداة النفي (إن) + المبتدأ (اسم مفرد مضاف) + إلا + الخبر (جار و مجرور)

ـ أمّا ما يتعلق بدلالة هذا النمط من الجمل فإنّها تفيد قصر الأجر عل الله في الجمل الثلاثة الأولى ،و قصر حساب أتباع نوح على الله ، وهي قصر موصوف على صفة ، و تكرار قصر موصوف وهو الأجر على صفة وهو الله في خطاب الأنبياء لأقوامهم في الجمل الثلاثة الأولى بنفس الألفاظ و بنفس التركيب يدل على اتفاق الأنبياء عليهم السلام في ذلك ، و تقرير هذا المعنى في ذهن الأقوام و القصر يدل على الاختصاص أي أنّ مكافأة الأنبياء ومنح أجورهم لا يتجاوز إلى غيره .

ـ و سبب كون هذه التراكيب هي من قبيل قصر الموصوف على الصفة ،و الموصوف هو الأجر و الحساب و الصفة هي " على ربي " لأنّ المجرور الخبر في قوّة الوصف و المجرورات و الظروف الواقعة أخبارا تتضمن معنى يتصف به المبتدأ وهو الحصول و الثبوت المقدر في الكلام بكائن أو مستقر "[1] و التقدير أجري مقصور على الاتصاف بكونه، على الله " أي أجر ي كائن على الله وهو قصر إفراد إضافي أي لا يتجاوز الكون على الله إلى الاتصاف بكونه عليكم ،و كذلك الشأن في حساب الأتباع ،و التقدير حسابهم مقصور على الاتصاف بمدلول على ربي و كذلك قدّره السكاكي في المفتاح وهو قصر إفراد إضافي أي لا يتجاوزه الكون على ربي إلى الاتصاف بكونه علي و هو ردّ لما تضمنه كلام قوله من مطالبته بإبعاد الذين آمنوا لأنّهم لا يستحقون أن يكونوا مساوين لهم في الإيمان الذي طلب نوح من قومه "[2] ،و تأكيد الأنبياء لأقوامهم أنّهم لا يريدون مقابلا لما يدعونهم إليه احتراسا و إزاحة لما يمكن أن يتوهمه الأقوام من أنّهم يريدون مقابلا لما يقدمونه من نصائح و مواعظ ،و أنّهم في غنى عن أجرهم الذي ربما يحتاجونه في تدبير أحوالهم و قوام عيشهم ، فالله الذي أوجدهم هو الذي يتكفل برزقهم [3] و ليؤكدّوا أن دعوتهم لأقوامهم دعوة خالصة ،
وليس لهم من خلالها هدف أو مطمع دنيوي[4] .

النمط الثاني :

أداة النفي (إن) + المبتدأ (ضمير منفصل / اسم إشارة) + إلاّ + الخبر (اسم مفرد)

- أما قصر ضمير المتكلم " أنا" على النذارة هو تعليل لجملة سابقة " وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ " [5] وهذا لينفي عن نفسه ما يمكن أن يصفوه به أو يتوهموا من أنّه يتصف به ،وهو طرد أتباعه من المؤمنين، و معناه ما أنا إلاّ رسول مبعوث لإنذار المكلفين و زجرهم عما لا يرضيه سبحانه و تعالى ، سواء كانوا من الأشر فين أو الأرذلين فكيف يتسنّى لي طرد من وصفتموهم أنهم أرذلون ، وحاصله أنا مقصور على إنذار المكلفين لا أتعداه إلى طرد الأرذلين منهم ، أو ما عملي إلاّ إنذاركم بالبرهان الواضح و قد فعلته ،و ما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين ، و حاصله أنا مقصور على إنذاركم لا أتعداه إلى استرضائكم "[6] ،فنوح عليه السلام استعمل الجملة المؤكدة بالنفي و الاستثناء ليبرئ نفسه من كل تهمة تلتصق به ،أو ادعاء يدعيه

---

1 [illegible] 9 [illegible] 19 [illegible] 162 – 163 .
2 [illegible] 9 [illegible] 19 [illegible] 162 [illegible] 2 [illegible] 112 – 113 .
3 [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 55 [illegible] 7 [illegible] 12 [illegible] 12 .
4 [illegible] 4 [illegible] 12 [illegible] 1896 – 1897 .
5 [illegible] 114 .
6 [illegible] 11 [illegible] 19 [illegible] 162 .

عليه القوم ،و يؤكد لهم في الوقت نفسه و ليقرر في نفوسهم الهدف الذي جاء مخصوصا من أجله لا يتعداه إلى غيره ،وهذا يبدو جليا من إيلاء ضمير المتكلم حرف النفي لينفي عن نفسه أي شبهة أو زعم و يقصر نفسه على الإنذار المبين الواضح.

- أمّا قوله تعالى على لسان هود مخاطبا قومه " إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ " [1] هو قصر جماعة المخاطبين وهم قومه على صفة الافتراء و الكذب باتخاذهم آلهة دون الله ليؤكد افتراءهم على الله لأنهم اتخذوا الأوثان شركاء لله في العبودية [2] و يراد بهذه الجملة توكيد التوبيخ و الإنكار [3]

- و لقد اتخذ الأقوام القصر بالنفي بإن و الاستثناء وسيلة للنيل و الحط من شأن الأنبياء و رميهم بالأوصاف القبيحة و الشنيعة مثل الجنون و الكذب كما ،و ظفوه في إنكار البعث و التشبث بعادات الأجداد .

- قال تعالى على لسان قوم نوح " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ "[4] أي أنّ نوحا مصاب بمس من الجن و أنه مقصور عليه ،وهو قصر قلب أي أنّهم قلبوا صفة النبوة و جعلوها جنونا لكي ينفوا عنه أنّه رسول من الله و ليبرّروا تكذيبهم له ،و ليحملوا القوم على تكذيبه ، و كما وصف نوح من قبل قومه بالجنون وصف هود من قبل قومه بالكذب و قصوره عليه قصر قلب أيضا قال تعال على لسان قوم هود " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا " [5] ،أي أنّ هود عليه السلام حاله مقصورة على الكذب و ادعاء الرسالة ، و جملة افترى على الله الكذب " صفة لرجل وهي منصبّ الحصر فهو من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب إضافي أي لا كما يزعم أنّه مرسل من الله " [6]

- و استعمل الكبراء من القوم أسلوب القصر للحط من قيمة نوح و هود عليهما السلام وتصغير شأنهما و التقليل من خطورتهما و جعل أمرهما أمرا ليس بذي بال لكي يصرفوا الناس عنها .

- و لقد علّلت عاد استبعادها للبعث و نفيه و إنكاره باستعمالها أسلوب القصر و قصر الحياة بحياتهم الدنيا قال تعالى على لسانهما " إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا " و استعملت الضمير " هي " وهو ضمير لا يعود على ما قبله بل يمهد إلى ما سيتلوه من بيان " و أصله إن الحياة إلا حياتنا الدنيا ثم وضع " هي " موضع الحياة ، لأن الخبر يدل عليه ويبينها ، و منه هي النفس تتحمل ما حملت ، وهي العرب تقول ما شاءت ، و المعنى لا حياة إلا هذه الحياة ، لأنّ إن النافية دخلت على " هي " التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس "[7] ،أي أنّ عادا نفت نفيا قاطعا و مؤكدا أن تكون هنالك حياة أخرى خلاف حياتهم التي يعيشونها،و قصوروا الحياة الدالة على الجنس بالحياة التي هم فيها ،فلا وجود في نظرهم لحياة أخرى تقوم بعد تلك الحياة .

---

1 [illegible] 50 .
2 [illegible] 386 [illegible] 2 [illegible] 7 [illegible] 12 [illegible] 119 .
3 [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 94 .
4 [illegible] 25 .
5 [illegible] 38 .
6 [illegible] 9 [illegible] 18 [illegible] 57 .
7 [illegible] 3 [illegible] 182 [illegible] 183 .

ـ بعد أن رفضت عاد دعوى هود عليه السلام و مواعظه و نصائحه علّلت ذلك بأنّ ما هم عليه من العادات و الأخلاق من عادات الأجداد قال تعالى على لسانها " إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ "[1] و الخُلُق[2] بضمتين هو " السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر فيشمل طبائع الخير و طبائع الشر و لذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلاّ بقيد يُضم إليه فيقال :خُلُق حسن و يقال في ضده سُوء الخلق أو خُلُق ذميم "[3] ،و قصر عاد أخلاقها و سجاياها بأخلاق وسجايا الأجداد إصرارا على التمسك بها ،و نفي أي خلق أو سجية طارئة يدل على افتخارها ومدح نفسها لما هي عليه من العادات المتشبثة بها لا لشيء إلّا لكونها عادات أجدادها، و أسلافها وبالمقابل ترفض العادات الأخرى[4]

2) النفي و الاستثناء " بما " و " إلا " :

أمّا ما يتعلق بهذا النوع من القصر فعدد جمله قليل إذا ما قارناه بالنوع الأول وهي (ست جمل) جملتين وردتا في سياق كلا م الأنبياء و (أربع جمل) في كلام الأقوام ، فأمّا الأنبياء فقد وظفوا هذا النوع في توضيح بعض المفاهيم المتعلقة بالعقيدة و تقريرها في أذهان أقوامهم ، و أمّا الأقوام لقد وظفوه في جحودهم و إنكارهم لدعوات أنبيائهم بالحط من قيمتهم .

ـ قال تعالى على لسان هود و شعيب عليهما السلام

" مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا "[5]

" وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ "[6]

ـ و قال على لسان الأقوام :

قوم نوح و قوم هود " مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ "[7]

قوم صالح و شعيب " مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا "[8]

إذا تأملنا هذه الجمل نجدها تبتدئ بأداة النفي " ما " و تتوسط " إلاّ " المبتدأ و الخبر و المبتدأ مقصور و الخبر مقصور عليه .

و لقد جاء المبتدأ في الجملة الأولى جارا و مجرورا (من دابة) و اسم مفردا (توفيقي) في الجملة الثانية و اسم إشارة في الجملة الثالثة و ضميرا منفصلا للمخاطب المفرد (أنت) في الجملة الرابعة .

و أمّا الخبر فقد ورد جملة اسمية (هو آخذ) في الجملة الأولى و جار و مجرور في الجملة الثانية واسما مفردا في الجملة الثالثة و الرابعة .

و يمكن صياغة هذا النوع من القصر وفق الأشكال التالية :

1) أداة النفي (ما) + المبتدأ (جار و مجرور) + إلاّ + الخبر (جملة اسمية)
2) أداة النفي (ما) + المبتدأ (اسم مفرد) + إلاّ + الخبر (جار و مجرور)

---

1 [illegible] 137 .

2 [illegible] 316 .

3 [illegible] 19 [illegible] 171 .

4 [illegible] 19 [illegible] 133 - 132 .

5 [illegible] 56 .

6 [illegible] 88 .

7 [illegible] 24 [illegible] 33 .

8 [illegible] 154 [illegible] 186 .

3) أداة النفي (ما) + المبتدأ (ضمير منفصل / اسم إشارة) + إلاّ + الخبر (اسم مفرد)

ـ بعد أن أعلن هود عليه السلام توكله على الله علل توكله بقوله تعالى على لسانه " مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا "[1] و هذه الجملة جاءت صفة لاسم الجلالة أو الحال منه ،و الغرض من هذه الجملة التعريف بصفات الله و تأكيدها لتستقر في أذهان القوم ،و الناصية مقدم شعر الرأس ،و معنى الجملة أنّ الله مالك و قاهر لكل ما يدبّ على الأرض ،و قادر عليه و يصرفه حيث يشاء و لا يستعصي و لا يعجزه أحد منها ،و استعمل عبارة الأخذ بالناصية على المقدرة و القهر و التسلط مجازا أو كناية[2] و تدل " من " في قوله " من دابة " توكيد عموم ما يدب على الأرض معنى القصر هنا أن كل ما يدب على الأرض مقصور على ملكية الله و قهره و قدرته و يدل تعليل توكله على الله لكونه المالك القاهر القادر المتسلط على كل شيء و أنتم أيها القوم تحت سلطته و ملكه و قهره و حكمه .

ـ إنّ من أدب الأنبياء في دعوتهم و جدالهم لأقوامهم أنّهم يستحضرون معية الله و يذكرون صفاته في كل تصرفاتهم و أحوالهم و أحكامهم و لا يخطون مرحلة إلّا و يتذكرون فضل الله و آلائه عليهم ،و يدينون له بالولاء الكامل ، لمّا صرّح شعيب عليه السلام بوظيفته و الدور الذي أنيط به وهو الإصلاح قدر الاستطاعة قال الله تعلى على لسانه " وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ "[3] وقصر توفيقه وسداده على الله معناه "ماكوني موفقا لتحقيق ما أتوخاه من إصلاحكم إلا بالله أي بتأييده و معونته و اختار بعضهم أن يكون المراد و ما توفيقي لإصابة الحق و الصواب في كل ما آتي وأذر إلاّ بهدايته تعالى و معونته "[4] و هو قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا و تأكيد شعيب اختصاص الله بمعونته بالقصر تربية لقومه كي يقتدوا به في الشعور بالضعف و الفقر و الذلة أمام الله الموصوف بصفات القوة و الغنى و الجبروت و القدرة .

ـ أمّا الجمل الواردة في كلام الأقوام تفق في معنى واحد وهو قصر رسلهم على البشرية قصر موصوف على صفة ، و قصر هؤلاء الأقوام أنبيائهم على أنّهم بشر مثلهم للحطّ من قيمتهم و تهوين أمرهم و توهينه[5] ومبالغة منهم في الوضع من رتبهم العالية المتمثلة في النبوة[6]، و تكذيبهم في دعوى الرسالة ،و أوهم كبراء القوم لأقوامهم أنّ كون هؤلاء الرّسل بشرا مثلهم يمنع من أن يكونوا واسطة بين الله و بينهم ،وهو وهم ضلت بسببه العديد من الأمم[7] وهي شبهة ضلت تخايل للبشرية كلّما جاءها رسول "[8] ،و ما يدل على بشرية نوح هو أنّه يريد أن يكون أفضلهم في نظرهم " يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ "[9] و ما يدل على بشرية هود كونه يأكل و يشرب كما يأكلون و يشربون " مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ "[10] و أما الجملة الثالثة و الرابعة فقد جاءتا توكيدا لوصف كل من صالح و شعيب من قبل قومهما بالإنسان المسحور الذي تغلّب عليه السحر " إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ

---

1 [illegible] 56 .
2 [illegible] 12 [illegible] 6 [illegible] 3 [illegible] 101 - 100 [illegible] 7 [illegible] 12 [illegible] 124 .
3 [illegible] 88 .
4 [illegible] 12 [illegible] 7 [illegible] 180 .
5 [illegible] 6 [illegible] 133 .
6 [illegible] 10 [illegible] 18 [illegible] 38 .
7 [illegible] 3 [illegible] 9 [illegible] 18 [illegible] 42 .
8 [illegible] 5 [illegible] 19 [illegible] 12 26 .
9 [illegible] 24 .
10 [illegible] 33 .

مِثْلُنَا " [1] " إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا " [2] و وصف كل من قوم صالح وقوم شعيب صالحا وشعيبا أنّهما من المسحرين يدل ضمنيا على تكذيبهم لهم.

<u>ثانيا</u>) الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر و إنّما

<u>تمهيد</u>

لقد عقد الجرجاني فصلا كاملا بيّن فيه الفرق بين القصر بالنفي و الاستثناء ،و القصر بإنّما ورأى أنه لا يصلح النفي و الاستثناء في الكلام الذي صلحت فيه إنما [3]،كما يرى أيضا أنّ "إنما" تأتي لخبر لايجهله المخاطب و لا يدفع صحته ،و أمّا الخبر بالنفي و الاستثناء يكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه[4] و أشار إلى فرق دقيق آخر بين الاستعمالين "إنما جاء ني زيد" و "ما جاء ني إلاّ زيد" ويرى أن "إنما" يفيد الكلام بعدها إثبات مجيء زيد و نفيه عن غيره و أمّا النفي و الاستثناء فيفيد احتمالين أحدهما اختصاص زيد بالمجيء و نفيه عن غيره و يراد من كلامك ليس إعلام المخاطب بأنّ زيدا قد جاءك و لكن لتعلمه أيضا أنّه لم يجيء إليك غيره و الاحتمال الثاني يفيد ما أفادته " إنما" ويكون معنى الكلام ليعلم المخاطب مجيء زيد لا غيره [5] .

ـ و لقد عقد إبراهيم أنيس فصلا للتفريق بين القصر بالنفي و الاستثناء و القصر بإنّما استعرض أراء الجرجاني وارتأى أنّ القصر " لا يعدو أن يكون تأكيدا للكلام و مبالغة في توضيح الأحكام وتثبيتها في الأذهان ،غير أنّ التأكيد مع إنّما توكيد الإثبات ، و مع أداة النفي و "إلاّ" تأكيد النفي وشتان بين التأكيدين ،و من الواجب الفصل بين هذين النوعين من التأكيد و ربط التأكيد " بإنما " بنظائره من وسائل تأكيد الإثبات كالقسم و إنّ الناصبة وحدها أومع لام الابتداء إلى غير ذلك من وسائل الكلام المثبت ،أمّا تأكيد النفي فيتخذ طريقا مستقلا ويشير إلى دلالات خاصة لا نكاد نلاحظها مع " إنما " و ما يشبهها " [6] و استعرض كل الآيات القرآنية التي وصف فيها النبي صلى الله عليه و سلم بأنه بشير أو نذير أو رسول و اعتبر أنّ الآيات تدل على نفي صفة الألوهية على الرسل تشير إلى أمر سابق و تؤكد نفيه [7] أمّا الآيات التي صدرت بإنّما فهي كلام ابتدائي يؤكد صفة ثابتة للرسول [8] / [9].

ـ و من بين من تحدث عن الفرق بين الأسلوبين محمد محمد أبو موسى . و خالف رأي إبراهيم أنيس الذي أنكر الدلالة الوضعية للقصر الذي تحدث عنه البلاغيين ،و اعتبرهما مجرد تأكيد النفي وتأكيد الآيات و قال " لم نقرأ دراسة ذكرت دلالة النفي و الاستثناء عن القصر إلاّ ما كتبه المرحوم إبراهيم أنيس في كتابه من أسرار اللغة " [10] و وافقه في دلالة القصر للأسلوبين على تأكيد الكلام ومبالغة توضيح الأحكام و تنبيه الأذهان ،وهو ما ذهب إليه القدماء

---

1 ø [illegible] 153 øø 154 .

2 ø [illegible] 185 ø 186 .

3 ø [illegible] 1415 ø ø
1994 [illegible] 218 .

4 [illegible] 218 ø 219 .

5 ø [illegible] 221 ø 222 .

6 ø [illegible] 190 ø 191 .

7 ø [illegible]

8 ø [illegible]

9 ø [illegible] 191 ø 192 ø 193 .

10 ø [illegible] 132 .

،إلاّ أنه أغفل الدلالة الوضعية للأداة وهي كونها دلالة ذات وجهين وجه هو الإثبات و الدلالة عليه نصيه أو دلالة بالمنطوق ، ووجه هو النفي و الدلالة عليه بالمفهوم الذي هو أقوى المفاهيم [1].

ـ أمّا فيما يتعلق بدلالات كل من النفي و الاستثناء إنّما " أن جملة النفي و الاستثناء فيها نفي و إثبات فهي توكيد مضمون الكلام سابق بما فهيا من معنى النفي فمعنى الآيات التي جاءت على لسان المعاندين [2] تفيد تأكيد أنّكم لستم رسلا و وجه إفادتها هذا توكيد إنّما تقصرهم على البشرية ، و ما داموا بشرا فحسب . إذن ليسوا رسلا بناء على عقيدة الأقوام فتأكيد النفي انبثق من الإثبات على وجه التخصيص " [3]

و أمّا ما يتعلق بإنّا فيرى كما يرى البلاغيون " أنّ دلالة "إنما" على القصر دلالة وضعية و إنها تفيد القصر في كل صورة من صوره فتأتي للقصر الحقيقي بقسميه التحقيقي و الادعائي كما تفيد القصر الإضافي بأقسامه الثلاثة تحقيقيا و ادعائيا" [4] و من دلالاتها أيضا أنها لا تأتي إلا حين يراد تصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم منها و النفي الذي تدل عليه إنما كما يراه البلاغيون هو متضمن مخبوء و خافت ليس من الجهارة و من القوة ما للنفي في " ما " و " إلاّ " كما تدل أيضا في نظر المؤلف على " معاني مأنوسة قريبة من النفوس " فلا تدخل على الحقائق الغريبة و الأفكار البعيدة هذا هو الأصل فيها .... وهذا بخلاف " ما " و " إلاّ" التي تسمع لها قعقعة و تجد لها حدة و لذلك لا تصاغ بها إلا المعاني النافذة و الحقائق النادرة التي من شأن النفوس أن تذكرها و تقيم دونها الأسوار ، و من هنا رأيناها كأنها مرأب يفتح بها المتكلم أبواب القلوب أما إنّما فهي كما قلنا أداة دقيقة هامسة لا تنزعج النفوس بما دخلت عليه و لا ترفض ما جاء في وعائها "[5].

ـ و مما سبق نستنتج أن أسلوب القصر يتضمن حكمين هما النفي و الاستثناء في إفادته للتوكيد و لا يمكن أن يدل على توكيد حكم دون آخر فقوله تعالى " إنْ هُوَ إلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ " حينما أثبت له أنه نذير مبين على وجه الاختصاص و أنه ليس إلا ذلك فقد نفى عنه الجنون من أبلغ وجه و آكده و ذلك لأنه لا يضطلع بهذه المهمة الكبيرة إلاّ من كان مكتمل العقل صحيح النفس منضبط الفؤاد عن وجهين الأول هو اطرحاها من جهة قصره عليه السلام على الإنذار و البشارة ، و الوجه الثاني أنه ما دام عليه السلام موصوفا بهذه الصفة المقتضبة حتما قوة العقل وصحة اليقين فهو بالقطع ليس كما زعموا " [6]

و أما قول المؤلف أنّ "إنما" تدل على معاني مأنوسة و لا تدخل على الحقائق الغريبة و الإنكار البعيد لا يمكن تعميم هذه الدلالات على كل السياقات الواردة فيها "إنما" لأنها قد تفيد معنى مناقضا تماما لما قاله المؤلف فقول قوم صالح و شعيب لأنبيائهما " إنما أنت من المسحرين " لا يدل على معنى مأنوس بل فيه معنى الزجر و التعنيف كما أنّها دخلت على معنى غريب كإلصاق تهمة السحر على النبي ،وجعله وسيلة لإنكار نبوته و أمّا قوله تعلى على لسان هود عليه السلام " إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ " فيه معنى الليونة و الرفق بالخصم في توضيح وجهة نظره الخاطئة.

---

1 [illegible] .
2 [illegible] 23
3 [illegible] 134 .
4 [illegible] 138 .
5 [illegible] 148 .
6 [illegible] 135 .

أمّا إذا أتينا إلى الحديث عن الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر بإنّما في الجدل القرآني لانعثر إلاّ على ثلاث جمل فقط مقارنة بعدد الجمل الواردة بالنفي و الاستثناء وهي جملة واحدة وردت في كلام هود عليه السلام و جملتين مكررتين بنفس الألفاظ في كلام قوم صالح و قوم شعيب.
ـ قال تعالى على لسان هود عليه السلام " إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ "[1]
ـ و قال أيضا على لسان ثمود و آل مدين " إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ المُسَحَّرِينَ "[2]
إذا تأملنا الجملتين نجد أنّ أداة القصر تصدرت كليهما و جاء المقصور الذي هو المبتدأ اسما مفردا (العلم) في الجملة الأولى و ضميرا منفصلا في الجملة الثانية (أنت) و جاء المقصور عليه و هو الخبر ظرفا في الجملة الأولى (عند الله) و جاء و مجرورا في الجملة الثانية(من المسحرين) و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي :
إنّما + المقصور (مبتدأ (اسم مفرد / ضمير منفصل) + المقصور عليه (خبر (شبه جملة)

لمّا أمر قوم هود هودا أن يأتيهم بالعذاب الذي أوعدهم به تعجيزا له و تكذيبا لما جاء به ،قال الله تعالى على لسان هود عليه السلام " إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللهِ "[3] و أفاد القصر بإنّما إثبات علم وقت نزول العذاب على لله على الاختصاص و نفيه عن نفسه و لو أنّه قال العلم عند الله دون القصر لأثبت العلم على الله دون أن ينفيه عن نفسه و معناه علم نزول العذاب عند الله و ليس عندي[4] ، و يدل هذا النوع من القصر على معنى مأنوس و على الرفق بالقوم و اللطف بهم .
و أما القصر بإنّما الوارد في كلام قومي صالح و شعيب يفيد توكيد عدم أهلية أنبيائهم للنبوة وذلك بإثبات تمكن السحر منهم و اشتداد وطأته عليهم و نفي نبوتهم .

المبحث الثاني : الجملة الفعلية

لقد اشتمل الجدل القرآني على جمل فعلية ماضوية و جمل فعلية مضارعية ،مثبتة و منفية ،مجردة ومؤكدة.

المطلب الأول : الجملة الماضوية المثبتة

الجملة الماضوية المثبتة المجردة

إنّ عدد الجمل الماضوية المثبتة المجردة من التأكيد (عشرون جملة) منها (ست جمل) وردت في كلام الأنبياء والباقي هي جمل واردة في كلام الأقوام أو محكية عنهم والتزم أغلب هذه الجمل الترتيب العادي للجملة الفعلية الماضوية و يمكن تقسيم هذه الجمل إلى ثلاث أنماط :

النمط الأول :

فعل + فاعل أو نائب فاعل + متعلقات الجملة

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: " فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ "[5]

---

1 [illegible] 23 .
2 [illegible] 153 .
3 [illegible] 23 .
4 [illegible] 144 .
5 [illegible] 25

ـ قال تعالى في شأن قوم صالح :" عَتَوا عَن امر رَبّهم"[1]
ـ قال تعالى في شأن قوم ابراهيم: " فَرَجَعُوا إلِى أنفُسِهِمْ " [2]
" نُكِسُوا عَلى رُءُوسِهِمْ " [3]

نلاحظ أنّ هذه الجمل مكونة من فعل و فاعل و متعلقات الجملة إلاّ الجملة الأخيرة فجاء فعلها فعلا ماضيا مبنيا للمجهول و لقد جاء الفاعل ضميرا مستترا في الجملة الأولى و جاء نائبًا للفاعل لفعل (نكس)،وجاء ضميرًا مستترًالفعل (عمي) و جاء أيضا ضميرا متصلا بالواو للجماعة الغائبين(رجعوا ، ،عتوا)و جاءت متعلقات هذه الجمل جار و مجرور(إلى أنفسهم، على رؤوسهم،عليكم).

النمط الثاني :

الفعل + الفاعل + المفعول به

ـ قال تعالى عل لسان ابراهيم عليه السلام :" بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ " [4]
ـ قال تعالى على لسان هود عليه السلام: " بَوّأَكُمْ " [5]
ـ و قال تعالى في شأن قوم نوح و هود " كَذَّبُوهُ " [6]
ـ قوم نوح " كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوح الْمُرْسَلِينَ " [7]
ـ قوم هود " كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ "
ـ قوم صالح " كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ "
ـ قوم شعيب " كَذَّبَ أصْحَابُ الْأيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ "
ـ قوم صالح " عَقَرُوهَا " [8]
" عَقَرُوا النَّاقَة " [9]
ـ قال تعالى على لسان قوم نوح "جَادَلْتَنَا " [10]
" أكْثَرْتَ جِدَالَنَا " [11]

ـ جاء الفاعل في هذه الجمل اسما ظاهرا (قوم نوح ، عاد ، ثمود ، أصحاب الأيكة ،كبيرهم) وجاء ضميرا متصلا واوا لجماعة الغائبين (كذبوا ، عمروا) ،تاء متحركة للمخاطب (أكثرت ، جادلته) ، وضميرًا مستترًا (بوأكم) تقديره الله.

ـ و جاء المفعول به اسما ظاهرا (المرسلين ، الناقة ، جدال)،و جاء ضميرا متصلا "هاء" للغائب و الغائبة (كذبوه ، عقروها) ،"نـا" جماعة المتكلمين (جادلتنا)، وكاف الخطاب (بوأكم).

---

1 [illegible] 77
2 [illegible] 64 .
3 [illegible] 65 .
4 [illegible] 63 .
5 [illegible] 139 .
6 [illegible] 64 [illegible] 105 .
7 [illegible] 105 ، 123 ، 141 ، 176 .
8 [illegible] 65 [illegible] 157 .
9 [illegible]
10 [illegible] 32 .
11 [illegible] .

ـ و لقد التزمت هذه الجمل الترتيب العادي للجملة الفعلية إلا جملة واحدة تقدم فيها المفعول به على الفاعل لاتصال الفعل بضمير النصب هاء في جملة " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا"

<u>النمط الثالث :</u>

<u>الفعل + الفاعل + المفعول به أول + مفعول به ثاني</u>

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام:" أَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ " [1]

"جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا " [2]

ـ جاء الفاعل في الجملة الأولى ضميرا مستترا تقديره الله و المفعول به الأول ضميرا متصلا "ياء" المتكلم (أتان) و المفعول به الثاني اسما ظاهرا (رحمة) ،أما الجملة الثانية فلقد جاء الفاعل أيضا ضميرا مستترا تقديره الله والمفعول به ا"لأول و الثاني اسما ظاهرا (الشمس ، سراجا).

ـ أمّا ما يتعلق بدلالات هذه الجمل فإنّ الجمل الواردة في كلام الأنبياء تدل على الإقرار بفضل الله على النبي نوح عليه السلام أنّه أتاه النبوة ، و تذكير قوم نوح بفضل الله عز و جل و آلائه عليهم كونه سخّر لهم الأرض و ما فيها لهم، و تذكير قوم هود بفضل الله أن يؤتيهم في الأرض و جعلها مستقرا لهم ، و سخرية ابراهيم من قومه حينما أرادوا أن يقرّوه بفعل تحطيم الأصنام و قال لهم " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " و هو لم يقصد نسبة الفعل إلى الصنم و إنّما قصد أن يقر أنّه كسّر الأصنام بأسلوب تعريضي يراد من خلاله تبكيت القوم و إلزامهم الحجة ، يقوم الزمخشري " وهذا كما لو قال لك صاحبك و قد كتبت كتابا بخط ر شيق و أنت شهير بحسن الخط : أأنت كتبت هذا ، و صاحبك لا يحسن الخط و لا يقدر إلاّ على خرمشة فاسدة ، فقلت له بل كتبته أنت ، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به ، لا نفيه عنك ، و اثباته للأمّي أو المخرمش لأن اثباته – و الأمر دائر بينكما للعاجز منكما – استهزاء به و اثبات للقادر " [3] و كذلك فعل ابراهيم بقومه .

ـ أمّا الجمل الواردة في شأن الأقوام فكلّها جاء ت محكية عن ردود أفعالهم تجاه ما جاء به أنبيائهم و لقد تكرر فعل (كذّب) ثلاث مرات و فعل (رجع)الدال على الرجوع إلى الصواب والتعقل و مخالفة الأوامر ،و (التمرد) ثلاث مرات و فعل رجع الدال على الرجوع إلى الصواب والتعقل من قبل قوم ابراهيم مرة واحدة ثم فعل (النكس) الدال على النكوص و الرجوع إلى الغي والضلال مرة واحدة و فعل (جادلت) و (أكثرت) الوارد في كلام قوم نوح يدل على الضجر عما ساقه نوح من حجج .

الجملة الماضوية المثبتة المؤكدة :

لقد وردت الجملة الماضوية المثبتة المؤكدة بأنواع متعددة من التوكيد كالتوكيد " بقد " ،و " لقد " ،و تقديم ما حقه التأخير ، و التوكيد بمصدر الفعل، و التوكيد اللفظي، و التوكيد المعنوي .

أ) **<u>التوكيد بـ " قد "</u>**

---

1 [illegible] 28 .

2 [illegible] 16 .

3 [illegible] 121 .

إنّ من وسائل التوكيد في الجملة الماضوية " قد " المفيد للتحقيق وهو يفيد معنى التوكيد [1] و " قد" يفيد تقريب الماضي من الحال من حيث الزمن [2] ،و فيها معنى التوقع؛ يعني لا يقال قد فعل إلاّ لمن ينتظر الفعل أو سأل عنه [3] ، و لقد وردت (سبع جمل) مؤكدة بقد و ورد أغلبها في لسان الأنبياء إلا جملتان وردتا في كلام الأقوام وجاءت بعض الجمل ملتزمة الترتيب العادي للجملة الفعلية الماضوية أي قد + الفعل + الفاعل + المفعول به و جاء البعض منها تقدم فيها المفعول به على الفاعل ، و تقدم في البعض الجار و المجرور على الفاعل ، و منها أيضا ما تقدم الجار و المجرور على المفعول به ، ومنها ما تقدم فيها متعلق الخبر في الجملة الفعلية الناقصة و يمكن صياغة هذه الأنماط وفق الأشكال التالية:

1) قد + الفعل + الفاعل (ضمير متصل) + المفعول به (ضمير متصل)

- قال تعالى على لسان قوم نوح :" قَدْ جَادَلْتَنَا " [4]

2) قد + الفعل + الفاعل (ضمير مستتر) + مفعول به أول(ضمير متصل) + مفعول به ثاني(اسم ظاهر)

- قال تعالى على لسان نوح : " وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" [5]

3) قد + كان + اسمها (ضمير متصل) + جار و مجرور + خبر كان(اسم ظاهر)

- قال تعالى على لسان قوم صالح :" قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا " [6]

4) قد + فعل + مفعول به مقدم (ضمير متصل) + فاعل(اسم ظاهر) + جار و مجرور

- قال تعالى على لسان صالح و شعيب عليهما السلام : " قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ "[7]

5) قد + فعل + جار و مجرور + جار و مجرور + فاعل + حرف عطف + اسم معطوف

- قال تعالى على لسان هود عليه السلام: " قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ "[8]

- أما قوله تعالى عل لسان نوح عليه السلام " وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " [9] فجاء في سياق إنكاره على قومه عدم تعظيم الله و الخوف من بطشه و سطوته ، و الجملة جاءت حالا مؤكدا أي كيف لا تعظمون الله في حالة تحققكم أنه خلقكم أطوارا "[10]

- بعد أن أمر كل من صالح و شعيب قومهما بعبادة الله و إفراده بالعبادة دون غيره علّلا ذلك بتحقق مجيء البيّنة " أي أعبدوه وحده لأنّه جعل لكم آية على تصديقي فيما بلغت لكم " [11] والتعبير ب(قد) و فعل المجيء "يراد به المستقبل القريب تنبيها على تحقق وقوعه ... قد جاءتكم قد أعدت لأن تجيئكم إذا كنتم تؤمنون عند مجيئها " [12]

---

1 [illegible] 2 [illegible] 417 .
2 [illegible] 5 [illegible] 147 .
3 [illegible] .
4 [illegible] 32 .
5 [illegible] 14 .
6 [illegible] 62 .
7 [illegible] 73 [illegible] 85 .
8 [illegible] 71 .
9 [illegible] 14 .
10 [illegible] 14 [illegible] 29 [illegible] 201 .
11 [illegible] 5 [illegible] 8 [illegible] 217 .
12 [illegible] 5 [illegible] 8 [illegible] 241 .

ـ بعد أن أظهرت عاد الكفر و الجحود و العصيان و اللامبالاة لما جاءهم به هود عليه السلام وأمرته بأن يأتي لهم بالعذاب لإظهار عجزه قال تعالى على لسانه " قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ " ،و معنى وقع عليكم حقّ و وجب و ثبت و قدر [1] ،و لقد أفادت " قد " وقوع العذاب وجعلت ما هو متوقع واقع [2] ،وخلصت الفعل الماضي (وقع) إلى المستقبل القريب إشعارا للقوم بتحقق و وقوع العذاب عليهم لا محالة" [3]و تقديم الجار و المجرور عليكم من ربّكم يدل على التهديد و الوعيد و التهويل من شأن العذاب الواقع ليلقى في نفوس القوم الخوف و الرعب و الهلع و تركهم يترقبون ذلك العذاب في كل لحظة.

ـ بعد أن أفحم نوح قومه بالأدلة القوية و البراهين القاطعة و الحجج المقنعة قال الله تعالى على لسان قومه " يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا " [4] ،فهذه الجملة تدل على انتصار نوح على قومه في المجادلة انتصارا حقيقيا بحيث جعل القوم يصلون إلى حد اليأس و القنوط و الملل و السأم من كثرة الأدلة و الحجج التي ساقها عليهم ،و وصل إلى حد الإكثار في نظرهم ،فكان مقالهم يقول قد جادلتنا و لسان حالهم يقول قد أفحمتنا و أعلنوا انهزامهم و انتصار نوح عليه السلام عليهم بقد المفيد لتحقيق ذلك.

ـ لمّا أمر صالح قومه بعبادة الله و ذكّرهم بنعمة الاستعمار في الأرض لم يناقشوه فيما عرض عليهم ،بل قالوا له كنّا نؤمّل فيك خيرا لأنّك تحمل خصالا و أخلاقا حميدة تُرشّحك لأن تكون سيدا للقبيلة و تكون حاميا لها وناصرا لآلهتها [5] قبل أن تجيئنا بما جئت به ،و أكّدوا هذا الخبر بقد المفيدة للتوكيد لكي يؤثرواعلى عواطفه و مشاعره حيث تتزاحم في نفسه عاطفة الانتماء إلى القبيلة و عاطفة السيادة على القوم و عاطفة حب الظهور مما يكون سببا في التخلي عن دعوته في نظرهم،ولكن هيهات .

ب) <u>التوكيد بـ " لقد "</u>

و لقد ورد هذا النوع من التوكيد في جملتين إحداهما وردت في كلام إبراهيم عليه السلام و الأخرى في كلام قومه .

ـ قال تعالى على لسان سيدنا ابراهيم عليه السلام: " لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " [6]

ـ قال تعالى على لسان قومه :" لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ " [7]

دخلت " لقد " في الجملة الأولى على الجملة الاسمية و المنسوخة بفعل كان الناقص و دخل فاصل بين اسم كان وخبرها وهو ضمير منفصل ليفيد التوكيد و يمكن صياغة هذه الجملة وفق الشكل التالي :

<u>لقد + كان + اسمها (ضمير متصل) + ضمير منفصل مفيد للتوكيد + عاطف و معطوف + خبر كان (جار ومجرور)</u>

---

1 [illegible] 113 [illegible] 209 .

2 [illegible] .

3 [illegible] 210 .

4 [illegible] 32 .

5 [illegible] 109 .

6 [illegible] 54 .

7 [illegible] 65 .

دخلت " لقد " أيضا في الجملة الثانية على الجملة الفعلية المكونه من الفعل و الفاعل و يمكن صياغتها وفق الشكل التالي :

<u>لقد + فعل + فاعل (ضمير متصل) + ما (النافية) + اسمها + خبرها (جملة فعلية)</u>

ـ حينما سأل إبراهيم قومه مستنكرا عبادتهم أصناما من دون الله علّلوا عبادتهم لها بعبادة آبائهم لها ،رماهم بقوس واحدة وهي وصفهم و آبائهم بالضلال قال تعالى على لسانه " لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "[1] و أكّد ضلالهم و بُعدهم عن جادة الصواب بأربع تأكيدات هي لام القسم و قد المفيد للتحقيق و أنتم المؤكدة للضمير المتصل لفعل كان (كنتم) إضافة إلى دلالة فعل الكون على ثباتهم و ظرفية " في " الدال على انغماسهم في الضلال و وصف هذا الضلال بكونه مبين ظاهر لا شبهة فيه، و عطفهم مع آبائهم و جعلهم شركاء في التخطئة ليتيقنوا أنه لا عذر لهم في اتباع سيرة الأجداد المنحرفة ،و لا عذر للآباء في اتخاذ الأصنام آلهة من دون الله لأن حقيقة الألوهية منتفية عنهم[2].

ـ لمّا تغيرت آراء قوم ابراهيم بعدما كادوا يعترفون بحجة ابراهيم رجعوا إلى الجدال و العناد وانقلبوا على أنفسهم و نكسوا على رؤوسهم ،قال الله تعالى على لسانهم " لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ "[3] اعترفوا و تيقنوا أن هذه الأصنام لا تنطق و ذلك بلام القسم و "قد" المفيدة للتحقيق وخاطبوا إبراهيم و لم يخاطبوا به أنفسهم حيث قالوا لقد علمت ولم يقولوا لقد علمنا احتياطا وحذرا من أنفسهم من أن ينالها إبراهيم أكثر من الاستهزاء و السخرية المشفوع بالإنكار و التوبيخ .

<u>ج) التوكيد بالتقديم و التأخير :</u>

ـ قال تعالى على لسان شعيب و أتباعه من المؤمنين :" عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا "[4]

ـ قال تعالى عل لسان نوح و ابراهيم عليهما السلام: " وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا "[5]

" وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ "[6].

ـ ففي الجملة الأولى تقدم الجار و المجرور على الفعل و الفاعل ،و تقدم على المفعول به الثاني في الجملة الثانية والثالثة .

ـ يدل تقديم الجار و المجرور عل الفعل توكلنا على " افادة الاختصاص تحقيقا لمعنى التوحيد و نبذ غير الله ،والتفويض إليه في كنايتهم أمر أعدائهم "[7] ،و تقديم الجار والمجرور المفيد للظرفية في قوله تعالى على لسان نوح "وجعل القمر فيهن نورا " ليخصّ وصف القمر من بين سائر الكواكب بالنور " مبالغة في وصفه بالإنارة لأنّ إنارة ضوء القمر مفيد للأرض بخلاف غيره من النجوم الأخرى[8] ، و ذكر ذلك في سياق تعداد نعم الله

---

1 [illegible] 54 .

2 [illegible] 8 [illegible] 16 [illegible] 95 .

3 [illegible] 65 .

4 [illegible] 89 .

5 [illegible] 16 .

6 [illegible] 53 .

7 [illegible] 5 [illegible] 9 [illegible] 11 .

8 [illegible] 14 [illegible] 29 [illegible] 203 .

على قومه ليتذكروها و يشكروا النعم ، و أما تقديم الجار و المجرور في كلام قوم إبراهيم للاهتمام بعبادة الأصنام دون غيرها.

د) التوكيد المعنوي :

وهي جملة واحدة وردت في كلام شعيب و أتباعه قال تعالى على لسانهم " وَسِعَ رَبّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا "[1]

و لقد أكد كل من شعيب و أتباعه سعة علم الله بلفظ " كل " وهو توكيد معنوي يفيد كثرة الإحاطة و سعتها وتقديم " كل شيء " على المفعول به " علما " للمزيد من توكيد سعة علمه و كثرة الإحاطة

و وصف الله بسعة علمه في سياق ردهم تهديدات القوم تعليمالهم صفات الله و تقريرها في نفوسهم .

هـ) التوكيد اللفظي :

- قال تعالى على لسان هود عليه السلام " وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ "[2]

- لقد أمر هود قومه بتقوى الله و علّق فعل التقوى باسم الموصول بصلته الدالة على إمداد الله عز و جل لهؤلاء القوم بالنعم العظيمة و الآلاء الكثيرة التي لا تعد و لا تحصى ،و أجمل ذكر النعمة ثم فصّلها لكي يهيّء السامعين لتلقي ما يرد بعده فقال " الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ " ثم فصّل بقوله " أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ " و أعيد فعل (أمدكم) في جملة التفصيل لزيادة الاهتمام بذلك الامداد فهو للتوكيد اللفظي "[3].

و) التوكيد بالمصدر

- قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام : " وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا "[4]
- قال تعالى على لسان نوح عليه السلام في شأن قومه :

" اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا "[5]
" مَكَرُوا مَكْرًا كُبّارًا "[6]

- أمّا قوله تعالى على لسان شعيب " وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا "[7] فرزقا هو تأكيد لفعل رزقني ،و المراد بالرزق الحسن هو ما رزقه من النبوة و الحكمة ،و قيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس و لا تطفيف "[8]

و أمّا قوله تعالى في شأن قوم نوح على لسان نوح"اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا"[9] "مَكَرُوا مَكْرًا كُبّارًا "[10] توكيد فعل استكبروا بمفعوله المطلق للدلالة على تمكن الاستكبار [11] و توكيد فعل

---

1 [illegible] 89
2 [illegible] 132 [illegible] 133 .
3 [illegible] 29 [illegible] 170 .
4 [illegible] 88 .
5 [illegible] 7 .
6 [illegible] 22 .
7 [illegible] 88 .
8 [illegible] 2 [illegible] 404 .
9 [illegible] 7 .
10 [illegible] 22 .
11 [illegible] 14 [illegible] 29 [illegible] 196 .

المكر بمفعوله يدل أيضا على شدة مكررهم و كيدهم لنوح بتدبير الحيل و تحريض الناس على آذاه [1].

ثانيا : الجملة الماضوية المنفية

يكاد يخلو الجدل القرآني من الجمل الماضوية المنفية المجردة و يخلو من الجمل الماضوية المنفية المؤكدة لقد وردت جملتان ماضويتان مجردتنا من التوكيد في كلام قوم نوح و قوم هود

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح " مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ " [2]

ـ قال على لسان قوم هود " مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ " [3]

لقد التزمت كلا الجملتين الترتيب العادي للجملة الفعلية المسبوقة بأداة نفي .

أداة النفي (ما) + الفعل + الفاعل + ملحقات الجملة

و تصدرت كلا الجملتين بأداة نفي (ما) ،و (ما) هو حرف نفي إذا دخل على الفعل المضارع أفاد نفيه في الحال و إذا دخل على الفعل الماضي أفاد قرب نفيه في الحال ،و هي تفيد توكيد نفي الفعل إذا كان مثبتا بلام القسم وقد المفيدة للتحقيق قال ابن يعيش " فأمّا ما فإنّها تنفي ما في الحال فإذا قيل هو يفعل و تريد الحال فجوابه و نفيه ما يفعل و كذلك إذا قربه و قال لقد فعل فجوابه و نفيه ما فعل لأنّ قوله لقد فعل جواب قسم فإذا أبطلته و أقسمت قلت ما فعل لأن (ما) يتلقى بها القسم في النفي و تقديره و الله ما فعل " [4]

ـ أمّا قوله تعالى على لسان قوم نوح " ما جئتنا ببينة " [5] يدل على الجحود و الإنكار[6] لأن هودا جاءهم بمعجزات كثيرة ،و لكن لم يذكرها القرآن و أشار إليها القرآن في قوله تعالى " و تلك عاد جحدوا بآيات ربهم" ،و لعلّ تلك البيّنات لم تكن طبقا لمقترحاتهم [7].

ـ و أمّا قوله تعالى على لسان قوم هود " مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ " [8] يدل على إنكارهم و تكذيبهم لمضمون الدعوة بعد أن أنكروا الداعي لها " مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ " ،[9]والمقصود من اسم الاشارة في قوله " مَا سَمِعْنَا بِهَذَا " ما دعا إليه نوح من عبادة الله و الاخلاص العبادة له و ليس المراد بالسماع السماع بأذانهم بل المراد ما بلغ إليهم وقع مثل هذا الذي سمعوه في زمن آبائهم ،و بما أنّهم يجهلون ما سمعوه من نوح فإنّهم جعلوا ذلك سببا للإنكار و التكذيب و البطلان [10] و الإنسان إذا جهل شيئا عاداه و كان الأولى بهم أن يتدبروا و يتأملوا قوله هود لعلهم يؤمنون به .

المطلب الثاني : الجملة المضارعية

أولا : الجملة المضارعية المثبتة

---

1 [illegible] 14 [illegible] 29 [illegible] 207 .

2 [illegible] 53 .

3 [illegible] 24 .

4 [illegible] : [illegible] 8 [illegible] 109 .

5 [illegible] 53 .

6 [illegible] 2 [illegible] 387 .

7 [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 97 .

8 [illegible] 24 .

9 [illegible] .

10 [illegible] 9 [illegible] 18 [illegible] 43 .

1) الجملة المضارعية المثبتة المجردة

ـ بلغ عدد الجمل المضارعية المثبتة المجردة في الجدل القراني (ثلاث عشرة جملة) ؛(عشر جمل) واردة في كلام الأنبياء و (ثلاث جمل) واردة في كلام الأقوام.

ـ و لقد التزمت هذه الجمل الترتيب العادي للجملة المضارعية فعل + فاعل + مفعول به و أحيانا تعقبها المتعلقات و يمكن صياغة هذه الأنماط وفق الأشكال التالية :

1) فعل + فاعل (ضمير مستتر / متصل) + جار و مجرور

ـ قال تعالى على لسان نوح: " أَنْصَحُ لَكُمْ " [1]

ـ و قال على لسان شعيب : " تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ " [2]

2) فعل + فاعل (ضمير مستتر / متصل) + مفعول به (ضمير / اسم مفرد)

ـ قال تعالى على لسان نوح: " يُعِيدُكُمْ فِيهَا " [3]

ـ و قال أيضا على لسان ابراهيم :" أَعْتَزِلُكُمْ " [4]

" أَدْعُوا رَبِّي " [5]

" تَخْلُقُونَ إِفْكًا " [6]

ـ و قال على لسان قوم نوح : " يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ " [7]

ـ و قال على لسان قوم ابراهيم : " نَعْبُدُ أَصْنَامًا " [8]

3) فعل + فاعل (ضميرمستتر/متصل) + مفعول به أو ل (ضمير / اسم مفرد) + مفعول به ثاني (اسم مفرد)

ـ قال تعالى على لسان نوح صالح شعيب عليهم السلام :

" أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي " [9]

" وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا " [10]

" وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا " [11]

ـ و قال على لسان قوم نوح :" نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ "[12]

4) فعل + فاعل (ضميرمستتر) + جار و مجرور + مفعول به

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : "أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " [13]

---

1 [illegible] 62 .

2 [illegible] 85 .

3 [illegible] 18 .

4 [illegible] 48 .

5 [illegible] .

6 [illegible] 17 .

7 [illegible] 24 .

8 [illegible] 71 .

9 [illegible] 62 .

10 [illegible] 74 .

11 [illegible] 86 .

12 [illegible] 27 .

13 [illegible] 62 .

- إذا تأملنا الفاعل في الجمل السابقة وجدناه ضميرا مستترا في أغلبها ،و يدل على المتكلم (أبلغكم ، أنصح ، أعلم ، اعتزل ، أدعو) وهو كلام الأنبياء، أو يدل على جماعة المتكلمين (نعبد ، نظن) و هم الأقوام، أو يدل على الغائب (يعيدكم) وهو الله سبحانه و تعالى و (يريد ، يأكل يشرب) وهو يدل على الأنبياء في لسان الأقوام، و جاء الفاعل ضميرا متصلا وهو واو الجماعة وهم الأقوام في لسان الأنبياء(تخلقون ، تصدون ، تبغون تنحتون) .

- أمّا المفعول به فلقد جاء اسما ظاهرا (رسالات ، الجبال ، بيوتا ، عوجا ، كاذبين ، ربي ، إفكا)

و جاء ضميرا متصلا (يعيدكم ، اعتزلكم ، أبلغكم ، تبغونها ، نظنكم) و أغلب الضمائر هي كاف الخطاب لجماعة الخاطبين وهم الأقوام .

- و الجمل المضارعية الواردة في كلام الأقوام تدل على دورهم و وظيفتهم كالتبليغ و النصح وتذكير الأقوام بنعم الله عليهم و إقرارهم بما يقومون به من تكذيب و الصد عن سبيل الله .

- و قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " وَ تَخْلُقونَ إفْكًا "[1] و معناه " تخلق بمعنى تكذّب ومعناه "تخلّق بمعنى تكذّب و تخرّص"[2] و الإفك معناه الكذب ،و اختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة و شركاء لله أو شفعاء له، أو معناه وضع أخبار و أوصاف مكذوبة[2] ،و يدل الفعل المضارع على استمرار هؤلاء القوم ووتماديهم في ذلك.

- لمّا أمر شعيب عليه السلام قومه بعبادة الله نهاهم عن بعض الأعمال السيئة كالقعود في الطرقات و صد الناس عن سبيل الله.

- أمّا الجمل المضارعية الواردة في كلام الأقوام فإنّها تدل على عدم اعتراف هؤلاء الأقوام برسلهم ،ووصفهم بالأكل و الشرب لكي ينفوا عنهم الرسالة كما فعل قوم هود ،و افتخارهم بعبادتهم للأصنام كما فعل قوم إبراهيم ،و وصف رسلهم بالكذب كما فعل قوم هود أيضا،و قوم نوح لمّا نفوا أن يكون نوح رسولا لكونه بشرا مثلهم ،و نفوا دعوته لكونها اتبعها الأراذل و نفوا أن يكون نوحا و اتباعه أفضل منهم أضربوا عن ذلك كله و وصفوهم بالكذب؛ فزعموا أنّ نوحا و من تبعه كاذبين، و الظن يستعمل في العلم و اليقين أي تعلم يقينا أنّكم كاذبين [3]

2) الجملة المضارعية المثبتة المؤكدة :

لقد وردت الجملة المضارعية المثبتة المؤكدة بأنواع مختلفة من المؤكدات، وهي التأكيد باللاّم الموطنة للقسم ،ونون التوكيد الثقيلة ،و التوكيد بالسين و سوف، و التوكيد بلام التعليل، و التوكيد بالتقديم و التأخير والتوكيد بالمصدر، و عدد الجمل المؤكدة (خمس عشرة جملة) منها جملتان واردتان في كلام الأقوام و ثلاثة عشرة جملة وردت في كلام الأنبياء .

أ) التوكيد باللام الموطئة للقسم و نون التوكيد الثقيلة

- يؤتى بالقسم عادة ليؤكد مضمون الخبر [4]،و أمّا اللام فتأتي موطئة أو ممهدة لجواب القسم وتفيد التوكيد أيضا ،و تسميتها موطئة للقسم فيها تجوّز و إنّا هي موطئة لجوابه [5] وهذه اللاّم تدخل على الجملة الاسمية والفعلية ،و إذا دخلت على الفعل المضارع فلا بدّ من دخول النون

---

1 [illegible] 17 .

2 [illegible] 10 [illegible] 20 [illegible] 225 .

3 [illegible] 6 [illegible] 2 [illegible] 49

4 [illegible] 3 [illegible] 40 .

5 [illegible] 4 [illegible] 338 .

الخفيفة أو الثقيلة على الفعل المضارع [1] ،و النون الثقيلة أو الشديدة و النون الخفيفة من حروف المعاني "يراد بهما التأكيد ،و لا تدخلان إلاّ على الأفعال المستقبلة خاصة وتؤثرّان فيها تأثيرين تأثيرا في لفظهما ، وتأثيرا في معناها ؛فتأثير اللفظ بإخراج الفعل إلى البناء بعد أن كان معربا ،وتأثير المعنى إخلاص الفعل للاستقبال بعد أن كان يصلح لهما ،والمشدّدة أبلغ في التأكيد من المخفّفة لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد فقولك اضربَن خفيفة النون بمنزلة قولك و اضربوا كلكم ،و قولك اضربنَّ مشددة النون بمنزلة اضربوا كلكم أجمعون ومظنّة هذه النون الفعل المستقبل المطلوب تحصيله لأنّ الفعل المستقبل غير موجود فإذا أريد حصوله أُكّد بالنون إيذانا بقوة العناية بوجوده ،و مظنتها ما ذكر من المواضع فمن ذلك فعل القسم نحو و الله لأقومنّ ، و أقسمت عليك لتفعلنّ قال تعالى " وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ " [2 / 3]

ـ و لقد وردت جملة واحدة مؤكدة بالقسم و اللام الموطنة لجوابه و نون التوكيد الثقيلة قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ " [4] ،حينما وجد إبراهيم عليه السلام أنّ الجدال مع أبيه و قومه بالحجة العلمية العقلية لم يجد نفعا انتقل إلى جدالهم بالحجّة العملية و هي كسر الأصنام وأكّد قيامه بكسر الأصنام بثلاث توكيدات وهي القسم (تا لله) ،و اللام الموطنة للقسم ، و الفعل المضارع المؤكد بالنون الثقيلة (لأكيدنّ) إيذانا لقوة عنايته و اهتمامه بما سيقوم به لأنّ النون الثقيلة تؤكد الفعل الذي سيحصل في المستقبل " أن الفعل المستقبل غير موجود فإذا أريد حصوله أكد بالنون ايذانا بقوة العناية بوجوده"[5]و حرف القسم (تاء) تختص بالقسم على أمر متعجب منه و تختص باسم الجلالة [6]

ـ لقد وردت جملتنان مضارعيتان مؤكدتين باللام الموطئة للقسم و نون التوكيد الثقيلة على لسان قوم شعيب " لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا " [7] " لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا " [8] وهو جواب يدل على التهديد والوعيد لشعيب و الذين آمنوا معه بإخراجهم [9] من القرية أو يعودوا إلى ما كانوا عليه من الشرك ،و أكّدوا وعيدهم باللاّم الموطنة للقسم و نون التوكيد الثقيلة ليتيقن شعيب والذين اتبعوه أنّ القوم منجزون وعيدهم لا محالة " لأنّ أحد الأمرين مُرض للمقسمين و أيضا فإنّ التوكيد مؤذن بأنّهم إن أبوا الخروج من القرية فإنّهم يُكرهون على العود في ملّة القوم كما دل عليه قول شعيب في جوابهم " أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ " و لمّا كان اتهام للتوعد و التهديد كان ذكر الاخراج من أرضهم أهم ، فلذلك قدموا القسم عليه ثم أعقبوه بالمعطوف بحرف أو" [10]و يمكن صياغة هذا النمط من الجمل وفق الشكل التالي :

1) ـ <u>القسم + المقسم به (لفظ الجلالة) + اللام الموطنة للقسم + الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد الثقيلة + الفاعل (ضمير مستتر) + المفعول به (اسم مفرد)</u>

---

1 [illegible] 20 [illegible] 21

2 [illegible] 57 .

3 [illegible] 37 [illegible] 39 .

4 [illegible] .

5 [illegible] 39 .

6 [illegible] 16 [illegible] 97 .

7 [illegible] 88 .

8 [illegible] .

9 [illegible] 5 .

10 [illegible] 6 .

2) ـ اللام الموطنة للقسم + الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد الثقيلة + الفاعل (ضمير مستتر) + المفعول به (ضمير متصل)

ب) التوكيد بالسين و سوف

ـ السين المفردة هي حرف تنفيس يختص بالمضارع و يخلّصه من الحال إلى الاستقبال ،و معنى التنفيس "التوسيع وذلك أنّها نقلت المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال " [1]و تدل على تأكيد الوعد بالخير و الوعيد بالشر ، قال تعالى " أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ " [2] السين تفيد وجود الرحمة لا محالة فيه ،وتؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك " سأنتقم منك يوما " [3]

ـ أما سوف فهو " حرف يدل على التأخير و التنفيس و زمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف " [4] قال تعالى " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى "[5] جمعت هذه الآية تأكيدين هما لام الابتداء

و سوف ، و تفيد سوف أن العطاء كائن لا محالة إن تأخر [6] و سوف تفيد الوعد والوعيد كالسين ، و غالبا ما تختص السين بالوعد و سوف بالوعيد [7]

و لقد وردت جملتنان مؤكدتان إحداهما بالسين المفيد لتأكيد الوعد و الأخرى بسوف المفيد لتأكيد الوعيد في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم .

ـ قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام " سَأَسْتَغْفِرُ لكَ رَبِّي "[8]

و السين في هذه الجملة تدل على تأكيد الوعد بالاستغفار لأبيه في المستقبل القريب ، وهو وعد بالخير لأبيه ،و تقديم الجار و المجرور لك على المفعول به (ربي) يدل على اهتمامه بأبيه وتخصيص الاستغفار له بالرغم من غلظة أبيه و جفائه و قسوته و غطرسته و تهديده و وعيده بالرجم حتى الموت ،وهذا من أدب الأنبياء و أخلاقهم الرفيعة تجاه أقوامهم .

ـ قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: " سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ " [9]

جاءت هذه الجملة في سياق تهديد شعيب لقومه و وعيدهم بالعذاب بعدما رأى انكارهم و جحودهم لدعوته ،و بعد أن أظهروا استهزائهم به و احتقارهم لشأنه و اللامبالاة برسالته وتدل " سوف " على تأكيد الوعيد بالعذاب الواقع بهم لا محالة و إن تأخر بعض الشيء .

و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي :

1) السين + الفعل المضارع + الفاعل (ضمير مستتر) + الجار و المجرور + المفعول به

2) سوف + الفعل المضارع + الفاعل(ضمير متصل) + مفعول به (الموصول و صلته)

ج) التوكيد بلام التعليل :

---

1 [illegible] 1 [illegible] 158 .

2 [illegible] 71 .

3 [illegible] 2 [illegible] 418 .

4 [illegible] 4 [illegible] 282 .

5 [illegible] 5 .

6 [illegible] 2 [illegible] 418 .

7 [illegible] 4 [illegible] 283 .

8 [illegible] 47 .

9 [illegible] 93 .

إنّ ذكر حكم من الأحكام معللا أبلغ من ذكره بلا علة [1] واللام المفيدة للتعليل من مؤكدات الفعل المضارع ،و لو تأملنا الجدل الدائر بين الأنبياء و أقوامهم نجد أغلبه معلّلا من جانب الأنبياء و أغلب كلام الأقوام غير معلل ،و ما من أمر أو نهي أو نصح أو وعظ إلاّ و نجده معللا في كلام الأنبياء.

ـ قال تعالى على لسان نوح " أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا "[2]

فقول نوح عليه السلام " لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا " بعد أن استنكر تعجبهم من كون الرسالة جاء بها رجل منهم و علّلها بالإنذار من عذاب يوم القيامة و التقوى للنجاة من ذلك العذاب و تعليل الأحكام يقوي من شأنها و يقنع الأقوام للاستجابة لها .

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا " [3]

لم يخلق الله هذا الكون و ما فيه إلا لحكمة أرادها و علة تعود بالنفع للإنسان ،و لقد وضّح نوح لقومه الحكمة من جعل الأرض بساطا في سياق تعداد آلاء الله و نعمه على قومه و على الناس جميعا "للاشارة إلى جميع النعم التي تحصل للناس من تسوية سطح الأرض مثل الحرث و الزرع ، إلى نعمة خاصة وهي اليسر في الأرض و خصت بالذكر لأنها أهم لاشتراك كل الناس للاستفادة منها" [4] و إفهام نوح قومه أنّ الله لم يخلق هذا الكون بهذه الكيفية إلاّ أن يكون في خدمة الإنسان و تلبية حاجاته و تطلعاته ،و تأكيد هذه العلة للقوم لكي يقنعهم بالإيمان بالله ، و ترك عبادة غيره و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكلين التالي :

1) <u>لام التعليل + الفعل المضارع + الفاعل (ضمير متصل)</u>
2) <u>لام التعليل + الفعل المضارع + الفاعل (ضمير متصل)+جار و مجرور+ المفعول به (اسم مفرد)</u>

<u>د) التوكيد بالتقديم و التأخير :</u>

ـ قال تعالى على لسان نوح :" وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ " [5]
" وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " [6]

ـ قال تعالى على لسان صالح :" تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا " [7]
" وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا " [8]

ـ قال تعالى على لسان نوح و ابراهيم: " إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " [9]

---

1 [illegible] 3 [illegible] 91 .
2 [illegible] 63 .
3 [illegible] 19 [illegible] 20 .
4 [illegible] 14 [illegible] 29 [illegible] 205 .
5 [illegible] 12 .
6 [illegible] .
7 [illegible] 74 .
8 [illegible] 149 .
9 [illegible] 88 [illegible] 17

إذا تأملنا هذه الجمل وجدنا متعلق المفعول به (لكم) تقدم على المفعول به في الجملة الأولى الثانية و متعلق المفعول به (من سهولها) (من الجبال) تقدم على المفعول به (قصورا) (بيوتا) في الجملة الثالثة و الرابعة و وتقدم المتعلق (إليه) على الجملة الفعلية (ترجعون).
يدل التقديم في الجمل الأربعة الأولى على العناية و الاهتمام و الجملة الخامسة على الاختصاص .
و يمكن صياغة هذه الأنماط من الجمل وفق الأشكال التالية :
1) <u>الفعل المضارع+الفاعل(ضمير مستتر) + الجار و المجرور + المفعول به (اسم مفرد)</u>
2) <u>الفعل المضارع+الفاعل(ضمير متصل) + الجار و المجرور + المفعول به (اسم مفرد)</u>
3) <u>الجار و المجرور + الفعل المضارع + الفاعل (ضمير متصل)</u>

<u>ثانيا : الجملة المضارعية المنفية</u>

1) <u>الجملة المضارعية المنفية المجردة</u>

أمّا ما يتعلق بالجملة المضارعية المنفية المجردة في الجدل القراني فإنناعثرنا على(ثلاث جمل) فقط ، جملتان وردتا في كلام نوح و شعيب عليهما السلام و جملة واردة في كلام قوم شعيب.
ـ قال تعالى على لسان نوح و شعيب عليهما السلام :" لَا أَعْلَمُ الغَيْبَ " [1]
"وَمَاأُرِيدُأَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىمَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ" [2]
ـ قال تعالى على لسان قوم شعيب :" مَانَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ " [3]
ـ أمّا قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " لَا أَعْلَمُ الغَيْبَ " [4] فالأداة " لا " كما يقرر علماء النحو إنّما تفيد نفي المستقبل ، قال سيبويه و إذا قال هو يفعل و لم يكن الفعل واقعا فنفيه لا يفعل ،فـ (لا) جواب هو يفعل إذا أريد به المستقبل ،فإذا قال القائل يقوم زيد غدا و أريد نفيه قيل لا يقوم لأنّ (لا) حرف موضوع لنفي المستقبل ،و كذلك إذا قال ليفعلن وأريد النفي قيل لا يفعل لأن النون تصرف الفعل للاستقبال " [5] ،و قد تفيد نفي المضارع لإرادة دوام نفيه ،و قول نوح لقومه لا أعلم الغيب يعني أنّه ينفي عن نفسه علم الغيب على الدوام ونفيه غير مفيد لأنّ علم الغيب يختص به الله تبارك و تعالى دون غيره.
أمّا في الجملة الثانية فإنّ شعيبا يريد أن ينفي عن نفسه إرادة مخالفتهم و يبرّىء نفسه من أية تهمة يوجهونها إليه ، من أنّه يخالف ما يأمرهم به قال الزمخشري " يُقال خالفني فلان إلى كذا : إذا قصده و أنت مولّ عنه ، وخالفني عنه إذا ولىّ عنه و أنت قاصده " يُقال الرجل صادرا عن الماء فنسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء يريد أنّه قد ذهب إليه واردا و أنا ذاهب عنه صادرا ،و منه قوله تعالى " وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ " يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم لأستبدّ بها دونكم " [6] ،أو يريد من قوله " و ما أريد أن

---

1 [illegible] 31 .
2 [illegible] 88 .
3 [illegible] 91 .
4 [illegible] 31 .
5 [illegible] 109 .
6 [illegible] 145 .

أخالفكم " النفي عن نفسه إرادة المخالفة من أجل المخالفة فقط بل يريد إصلاح أنفسهم و ترشيدها " و على هذا الوجه يتعلق " إلى ما أنهاكم عنه " بفعل أريد و كذلك " أن أخالفكم " يتعلق ب(أريد) على حذف حرف لام الجر و التقدير ما أريد إلى النهي لأجل أن أخالفكم إلا لمحبة خلافكم " [1] والجملة التي تليها مباشرة تبين المقصد الأساسي من شعيب "إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ" [2] .

ـ أما قوله تعالى على لسان قوم شعيب " مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ" [3] ليس المراد به انتفاء فهمهم لما يلقي على أسماعهم لأنّ شعيبا كان فصيحا و لذلك لُقب بخطيب الأنبياء لكن قصدهم اللامبالاة و عدم الاهتمام بدعوته رغبة عنه وكراهيته له " وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ" [4] أو كانوا يفقهونه و لكنهم لم يقبلوه فكأنّهم لم يفقهوه ،و قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه : ما أدري ما تقول ، أو جعلوا كلامه هذيانا و تخليطا ، لا ينفعهم كثير منه " [5] وعدم الاهتمام و الاستهانة و الاستهزاء به و بدعوته لقصد تيئيسه وتقنيطه لكي يتخلى عن دعوته.

2 الجملة المضارعية المنفية المؤكدة :

لقد جاء ت الجمل المضارعية المنفية مؤكدة بتوكيدات مختلفة ؛منها التقديم و التأخير وهو الغالب و الجملة الاسمية المؤكدة الواقعة مقول قول منفي ، و الجملة المضارعية المنفية بلن المفيدة للتوكيد ،و الواقعة مقول قول منفي ، و لام الجحود ، و حرف الجر الزائد المؤكد لبعض أجزاء الجملة المضارعية المنفية ،و المفعول المطلق ،و عدد الجمل المنفية المؤكدة (تسع جمل) (ثماني جمل) منها واردة في كلام الأنبياء و جملة واحدة واردة في كلام قوم نوح .

أ) التوكيد بالتقديم و التأخير :

ـ قال تعالى على لسان نوح و هود عليهما السلام :

" لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا" [6]

"لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا" [7]

ـ و قال أيضا على لسان نوح عليه السلام:"وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ" [8]

ـ ففي الجملة الأولى والثانية تقدّم متعلق المفعول به الثاني ،وفي الجملة الثالثة تقدم الخبر (عندي) على المبتدأ (خزائن الله) و يدلّ التقديم في الجملة الأولى و الثانية على الاهتمام ، و(عليه) يعود على ما جاء به كلا من نوح و هود من مواعظ و نصائح و توجيهات تبرئة لنفسيهما مما يمكن أن يدّعي عليهم القوم بأنّهم يريدون مالا أو مقابلا لما يدعون إليه ،أمّا تقديم الظرف (عندي) على المبتدأ يدل على اهتمامه بنفسه برد الشبهة الملصقة بها وهي علمه الغيب.

---

1 [illegible] 145 .
2 [illegible] 88 .
3 [illegible] 91 .
4 [illegible] 25 .
5 [illegible] 148
6 [illegible] 29 .
7 [illegible] 51 .
8 [illegible] 31 .

ب) التوكيد بالجملة الاسمية المؤكدة الواقعة مقول قول فعل مضارع منفي

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام " وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ"[1] و هذه الجملة هي رد لقولهم " ما نراك إلا بشرا مثلنا " أي إنّي لم أقل لكم أنّي ملك كي تقولوا لي ما نراك إلا بشرا مثلنا ،و أكّد مقول القول بالجملة الإسمية المؤكدة لينفي عن نفسه التهمة التي ألصقوها به .

ج) التوكيد بـ " لن "

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : " وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا"[2]

و هذا ردآخر لادّعاء القوم أنّ أتباع نوح الذين سماهم الملأ من القوم أراذلا لا ينالهم من الله فضلا و خيرا، و لا يتبوءون منزلة عليا عند الله لأنهم ضعاف فقراء ، و نفى نوح هذا الادّعاء و الوهم و أبطله لعدم وجود علاقة بين الضعف في الأمور الدنيوية من فقر و حرمان و عوز ،و بين نيل الأجر و الخير و الفضل و الكرامة الإلهية[3] ،و ولسان حاله يقولى كما قال تعالى "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"[4]و التقي مكرم عند الله مهما كان حاله و لونه و جنسه ومرتبته في السلّم الاجتماعي " و وجيء بحرف النفي (لن) الدالة على تأكيد نفي الفعل في المستقبل تعريضا بقومه لأنّهم جعلوا ضعف أتباع نوح عليه السلام و فقرهم دليلا على انتفاء الخير عنهم فاقتضى دوام ذلك ما داموا ضعفاء فقرا فكان لسان حالهم يقول لن ينالوا خيرا فكان رده عليهم بأنه لا يقول " لن يؤتيهم الله خيرا "[5]

د) التوكيد بـ " لام الجحود "

ـ قال تعالى على لسان شعيب :

" وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا"[6]

لقد أجاب شعيب و أتباعه قومهم الذين هددوهم بالإخراج من المدينة أو أن يعودوا ويرتدوا عن دينهم بقولهم " قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا"[7] وأكّدوا عدم رجوعهم إلى ما كانوا عليه قبل الإيمان بقولهم بعد ذلك " وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا " و أكّدوا نفيهم العود في ملتهم بلام الجحود لأن الارتداد عن الدين من أعظم الجرائم.

هـ) التوكيد بحرف الجر الزائد

ـ قال تعالى على لسان نوح و هود و صالح و شعيب عليهم السلام : " مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ "[8]

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح: " وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ "[9]

ـ إضافة إلى تقدم متعلق المفعول به الثاني على عامله في الجملة الأولى دخول حرف "من " على المفعول به المنصوب محلا المجرور لفظا ليؤكد نفي أي أجر و أي مقابل مهما كان، احتياطا لما يمكن أن يتوهم الأقوام من أنبيائهم كونهم يريدون مقابلا لدعوتهم

---

1 [illegible] 31 .

2 [illegible] 31 .

3 [illegible] 38 .

4 [illegible] 13

5 [illegible] .

6 [illegible] 89 .

7 [illegible] .

8 [illegible] 109 .

9 [illegible] 27 .

،و وتكرار الجملة نفسها بألفاظها في كلام الأنبياء يدل على اجماعهم على نفي لما يمكن أن يتوهمه الأقوام و ليؤكدوا أنّ دعوتهم خالصة لا يشوبها طمع مقابل دعوتهم مهما كان قليلا.

ـ لقد جاءت الجملة الثانية منفية مؤكدة بتقديم متعلقا المفعول به على عاملهما و هما (لكم علينا) والأصل في الجملة ما نرى فضلا لكم علينا ، ذلك للاهتمام بهم و يدل على ضعف بصيرتهم و سطحية تفكيرهم فبدلا من أن يتفكروا في مضمون الدعوة التي جاءهم بها نوح ،و بدلا من أن يجعلوا مضمون الدعوة نصب أعينهم و جلّ اهتمامهم و تفكيرهم ، جعلوا ذلك منصبًّا على شخص نوح و من تبعه ،فما من حكم أو رأي إلاّ و ينصب على شخص نوح و من تبعه لا يتعداه إلى مضمون للدعوة و (من) تفيد توكيد نفي عموم الأفضلية عنهم و تجريدهم من أي فضل ينالون في نظرهم .

و) التوكيد بالمصدر :

ـ قال تعالى على لسان هود عليه السلام : " وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا " [1]

و شيئا هو مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنّه من نوع الصفة أي إضرارا [2] و أفاد تأكيد نفي الضرر بالله و المقصود من التأكيد بالمفعول المطلق (شيئا) التخصيص على العموم بنفي الضر لأنّه نكرة في حيز النفي أي فالله يلحق بكم الاستئصال وهو أعظم الضرر ، و لا تضرونه أقل ضرر [3]و توكيد نفي أي ضرر بالله من جهتهم يدل على أنّ أعمالهم و تصرفاتهم لا علاقة لها بالله و ليقرّر في نفوسهم أن الله غني عنهم و عن العالمين.

ثالثا : الجملة المضارعية المؤكدة بالقصر (بالنفي و الاستثناء و إنما)

1) الجملة المضارعية مؤكدة بالنفي و الاستثناء

جاءت الجملة المضارعية المؤكدة بالنفي والاستثناء في سبع جمل ؛منها ثلاث جمل واردة في كلام الأقوام و أربعة في كلام الأنبياء .

ـ قال تعالى على لسان نوح و هود عليهما السلام : " لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ " [4]

ـ قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام : " إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ " [5]

ـ قال على لسان صالح عليه السلام: " فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ "[6]

ـ قال على لسان قوم نوح: " مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا "[7]

" وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ "

ـ قال على لسان قوم هود: " إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ " [8]

ـ إذا تأملنا الجمل السابقة نجد أنّ المقصور عليه جاء مفعولا به في ست جمل ،و جاء فاعلا في جملة واحدة والمقصور الواقع مفعولا به جاء اسما مفردا في خمس جمل (الإصلاح

---

1 [illegible] 57 .

2 [illegible] 2 . 1416 [illegible] 1995 [illegible]
[illegible] 296 .

3 [illegible] 12 [illegible] 60 .

4 [illegible] 26 . [illegible] 21

5 [illegible] 88 .

6 [illegible] 63 .

7 [illegible] 27 .

8 [illegible] 54

، غير تخسير ، بشرا ، الله) و جاء جملة فعلية (اعتراك بعض آلهتنا بسوء) و أمّا المقصور عليه الواقع فاعلا فلقد جاء اسما موصولا و صلته (الذين هم أراذلنا).

ـ أمّا قوله تعالى على لسان نوح و هود " ألا تعبدوا إلا الله " فإنّها جاءت مفسرة لتؤكد مفهوم العبادة المرجوة من قومه و المتمثلة في النفي الدال عن النهي و الاثبات ،و معناه نهي القوم أن يعبدوا أي شيء و اثبات العبادة لله فقط دون سواه .

ـ و أمّا الجملة الواردة في كلام شعيب عليه السلام فإنّها جاءت لتؤكد دورهو وظيفته المتمثلة في إصلاح قومه و إرشادهم و تربيتهم ،وهي كما سبقت الإشارة إليه جاءت لتنفي ما قد يتوهمه القوم من أنّه يريد مخالفتهم لأجل المخالفة أو ليسبقهم في اقتراف ما نهاهم عنه .

ـ و جاءت جملة القصر لتوضّح دوره الأساسي الذي جاء خصيصا من أجله وهو إسداء الخير لقومه كي يسعدوا دنيا وآخرا .

ـ لمّا حاول قوم صالح استدراج صالح عليه السلام بإخباره بما كانون يترجّون و يأملون فيه لما يمتاز من خصال ،لكي يتخلى عن دعوته التي أنكروها منه، أجابهم صالح بأنّ طاعته لهم و عصيانه لله خسارة ما بعدها خسارة "ما تزيدونني غير تخسير " أي أنّ مجادلتكم في إثنائي عن مهمتي و تثبيطي عن عزيمتي زيادة لي في الخسران .

ـ و أمّا الجمل المؤكدة بالقصر الواردة في كلام الأقوام فإنّها تدل على الحط من قيمة الأنبياء وأتباعهم

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح: " مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا " [1] "و ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي"[2].

فالقوم هنا قصروا رؤيتهم البصرية السطحية التي تهتم بظواهر الأشياء لا بحقاقها على أنّ نوحا بشر مثلهم ليؤكّدوا إنكارهم و نفيهم المطلق لنبوة نوح عليه السلام ،و قصرهم أتباع دعوته على الأراذل من الناس في نظرهم ليؤكدوا نفي نبوته من جانبه هو لكونه بشرا مثلهم و من جانب أتباع دعوته لكونهم أراذل الناس .

ـ لقد برّرت عاد عدم إيمانها بدعوة هود عليه السلام بقوله تعالى على لسانهم " إن نقول إلا اعتراك آلهتنا بسوء " [3] ،و لقد اعتاد الأقوام أن يلفقوا التهم الباطلة على أنبيائهم لكي يثنوهم عن دعوتهم ،و يحذّروا من يريد اتّباعهم ،و من هذه التهم ادّعاء أنّ هودا أصابته بعض الآلهة بمس من الجنون حينما أنكر عبادتها ،وهي تهمة ملفّقة يلفقها المكابرون و المعاندون و المعارضون إذا أعوزتهم الحجج التي يدافعون بها ،و يردّون عن أنفسهم ما يرونه ادّعاء وكذبا ،و ادّعاءهم أنّ الأصنام أصابته يدل على " بله شديد و جهل مفرط حيث اعتقدوا من حجارة أنّها تنتصر و تنتقم" [4]

2) الجملة المضارعية المؤكدة بالقصر بإنّما :

لقد وردت جملتان مضارعيتان مؤكدتان بالقصر بإنّما إحداهما في كلام نوح و الأخرى في كلام إبراهيم عليهما السلام .

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :" إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ " [5]

ـ قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام :" إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا " [1]

---

1 [illegible] 27 .

2 [illegible] .

3 [illegible] 54 .

4 [illegible] 122 .

5 [illegible] 33 .

- و قصر الإتيان بالعذاب على الله دون غيره هو جواب للقوم عندما طالبوا نوحا بأن يأتيهم بالعذاب ،بعد أن رد على دعاويهم بالحجة العقلية و البرهان الواضح ،و سئموا منه و أعياهم أمره .

- و أمّا قصر عبادة قوم إبراهيم على الأوثان ليصحّح لهم إبراهيم مفهوم العبادة و ليوضح ويؤكد لقومه حقيقة ما يعبدون ،و الأوثان جمع وَثَن بفتحتين و هو صورة من حجر أو خشب مجسّمة على صورة إنسان أو حيوان " [2] أي أنّ ما تعبدون ما هي إلاّ صور و تماثيل مصنوعة ليس فيها وصف غير ذلك ،و لا تدرك وهو قصر قلب لإبطال إلهية تلك الصور [3] و إظهار حقيقتها للتحقير من شأنها و التنقيص من قيمة ما يعبدون.

المبحث الثالث : الجملة الشرطية

تمهيد

الجملة الشرطية هي عبارة عن مركب من جملتين الأولى منها جملة الشرط و الثانية جوابها ،و جملة الجواب أو الجزاء كما يسميها النحويون هي سبب و علة جملة الشرط ،و لا يمكن فصل جملة الشرط عن جملة الجواب لأنّهما جملة واحدة كالجملة الاسمية و التي تتكون من المبتدأ و الخبر ،و الجملة الفعلية المكونة من الفعل و الفاعل ،و المبتدأ يحتاج دائما إلى الخبر ،و الفعل يحتاج إلى الفاعل ،و لا يمكن الاستغناء عن الطرفين و كذلك جملة الشرط فهي " ليست جملتين إلا بالنظر العقلي و التحليل المنطقي و أمّا بالنظر اللغوي فجملتا الشرط جملة واحدة ، و تعبير لا يقبل الانشطار لأنّ الجزأين المعقولين فيها إنّما يعبران معا عن فكرة واحدة ، لأنّك إذا اقتصرت على واحدة منها أخللت بالإفصاح عمّا يجول في ذهنك ،و قصرت عن نقل ما يجول فيه إلى ذهن السامع " [4] و تعدّ " إن " أمّ حروف الشرط ،و سبب كونها كذلك لأنّ " لها من التصرف ما ليس لغيرها ؛ألا تراها تستعمل ظاهرة و مضمرة ،و يحذف بعدها الشرط و يقوم غيره مقامه و تليها الأسماء على الاضمار " [5]

و تنقسم الأدوات الأخرى المفيدة للشرط إلى أدوات دالة على الشرط بالأصالة و هي ثلاثة : إن ، إذا و لو . و أدوات دالة على الشرط بالكناية ،و الكنايات في الشرط هي كلمات تضمنت معنى " إن" فحملت عليها واستعملت استعمالها [6] " و هي " ما" ، " من " ، مهما " ، "أي " ، " أين "

" متى " ، " أيان " ، " كيف " ، أنى " و حيثما.

أمّا إذا أتينا إلى الحديث عن الجملة الشرطية في الجدل القرآني نجد أنّ عددها (تسعة وعشرون جملة) و يمكن تقسيم الجمل الشرطية إلى قسمين : جمل شرطية مصدرة بأدوات الشرط وجمل شرطية غير مصدرة بأدوات الشرط.

---

1 [illegible] 17

2 [illegible] 0 [illegible] 20 [illegible] 224 .

3 [illegible] 11 [illegible] 20 [illegible] 214 .

4 [illegible] 2 [illegible] 1406 [illegible] 1986/ [illegible] 57 ø 58 .

5 [illegible] 7 [illegible] 48 .

6 [illegible] 2 [illegible] 1406 [illegible] 1986/ [illegible] 60 .

المطلب الأول : الجملة الشرطية المصدرة بأدوات الشرط

أربعة وهي

وهي أربعة أنواع من الجمل بحسب الأدوات ؛ جمل شرطية مصدرة بأدات(إن) وجمل شرطية مصدرة بأدات(إذا)وجمل شرطية مصدرة بأداة (لو) وجمل شرطية مصدرة بأدات (لولا)

أولا : الجملة الشرطية المصدرة بأداة الشرط " إن "

و ينقسم هذا النوع من الجمل الشرطية إلى ثلاثة أقسام :

- جمل شرطية جوابها محذوف دل عليه ما تقدم جملة الشرط.
- جمل شرطية جوابها محذوف دل عليه ما جاء بعد جملة الشرط
- جمل شرطية جوابها محذوف دل عليه جواب القسم

1) الجملة الشرطية ذات جواب محذوف دل عليه ما تقدم جملة الشرط

و عدد هذه الجمل (ثلاث عشرة جملة) منها (ثماني جمل) وردت في كلام الأنبياء و (خمس جمل) وردت في كلام الأقوام .

- قال تعالى على لسان الأنبياء :

نوح عليه السلام: " مَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ " [1]

صالح عليه السلام: فَمَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ " [2]

نوح عليه السلام:" وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ " [3]

إبراهيم عليه السلام:" ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " [4]

شعيب عليه السلام:" ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [5]

شعيب وأتباعه : " قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ " [6]

(1

إبراهيم عليه السلام:" فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ " [7]

شعيب عليه السلام :" بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ " [8]

- قال تعالى على لسان الأقوام:

قوم نوح:" فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ " [9]

قوم هود: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ " [10]

قوم صالح :" ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ "

قوم شعيب:" فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ "

11

---

1 [illegible] 30 .

2 [illegible] 63 .

3 [illegible] 34 .

4 [illegible] 17 .

5 [illegible] 85 .

6 [illegible] 89.

7 [illegible] 63 .

8 [illegible] 86 .

9 [illegible] 32

10 [illegible] 70 .

11 [illegible] 187 .

قوم ابراهيم : "حَرِّقُوهُ وَانصرُوا آلِهَتَكُمْ إنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ " [1]

إذا تأملنا هذه الجمل فإنّنا نجدها وفق النمط التالي :

<u>جملة + أداة الشرط + جملة الشرط</u>

و الجملة الواقعة قبيل أداة الشرط اختلف النحاة في تفسيرها فأمّا الكوفيون يرون أنّ جواب الشرط هي الجملة المتقدمة على جملة الشرط ،و أمّا البصريون يمنعون تقدم الجواب أو جز ء منه على جملة الشرط ، ويعتبرون الجملة المتقدمة هي دليل جواب الشرط و ليست جوابا [2] و الجواب محذوف وجوبا ،حجة البصريون في عدم جواز تقدم جواب الشرط على الشرط " لأنّ الشرط صدر الكلام ، بل هو دال عليه و كالعرض عنه " [3] و لو اعتبرت الجملة المتقدمة لجملة الشرط جوابا لها لكانت مجزومة إذا كانت فعلا أو لزمتها الفاء إن كانت جملة اسمية[4] ،و يرى جماعة من البصريين أنّه يوجد فرق في المعنى بين تقديم جملة جواب الشرط و تأخيرها ؛فإذا قلت أزورك إن زرتني فالمتكلم بنى كلامه على الوعد بدون شرط ثم ارتأى أن يشترط فاشترط ،بخلاف ما إذا بدأ المتكلم بالشرط فقال إن زرتني أزورك بأنّه بنى كلامه من أوله بالشرط [5] ،و يرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ الحدث لما المتقدم آكد و أكثر تحقيقا من المتأخر ؛و يعطي ثلاث أمثلة لثلاثة أنماط من الجمل الشرطية فيقول: "

إن درست فأنت ناجح

أنت إن درست ناجح

أنت ناجح إن درست

فالجملة الأولى مبنية على الشرط ابتداء والثانية مبنية على اليقين حتى إذ ا مضى الكلام على اليقين أدركك الشرط فاستأنفته في الكلام فالنجاح في الجملة الأخيرة أوكد لأنّ الإخبار مضى على اليقين ، أما الشرط فمتأخر ، ثم الثانية لأنّ الشرط اعترض الخبر، ثم الأولى لأنّ الكلام فيها مبني على الشرط ابتداء " [6]

نستنتج من خلال كلامه أنّ الجملة الشرطية ذات جواب محذوف أوكد و أيقن من الجملة الشرطية الكاملة ،و لقد أضاف بعض اللغويين دلالات أخرى معنوية لجملة الشرط المحذوف جوابها ويزعم قطرب " إنها بمعنى قد " فذكّر إن نفعت الذكرى" و زعم الكوفيون أنّ إن الشرطية المحذوف جوابها تفيد معنى إذ في قوله تعالى " وَ اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " " لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ " .

من دلالات الجملة الشرطية المحذوف جوابها التعليل بمعنى إذ قال تعالى " وَ أَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " وقوله تعالى" اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ " ، و من دلالاتها أيضا التهييج " إن كنت ولدي فأطعمني " أو التأدب بأدب الله عن قوله تعالى " لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ " .

و إذا أتينا إلى تحليل الجمل السابقة نجد أنّ الجملة الدالة على جواب الشرط جاءت جملة فعلية في أغلب الجمل و وردت ثلاث جمل اسمية و الجمل الفعلية الدالة على جواب الشرط

---

1 [illegible] 68 .

2 [illegible] 744 .

3 [illegible] 1421/2000 [illegible] 106 .

4 [illegible]

5 [illegible] 1420/2000 [illegible] 122 .

6 [illegible]

جاءت أمرا ست مرات (إئتنا ثلاث مرات) و نفيا مرة واحدة (لا ينفعكم) وجاءت ماضية مؤكدة ب"قد" مرة واحدة (قد افترينا) و أمّا جملة الشرط فلقد ورد أغلبها جملة اسمية منسوخة بكان إلا أربع جمل وردت فعلية و الجمل المنسوخة بكان جاء اسمها ضميرا متصلا للمفرد المخاطب (كنت) (أربع مرات) و جماعة المخاطبين (كنتم) أربع مرات و جماعة الغائبين ((كانوا) مرة واحدة ، أمّا خبرها فقد جاء اسما مفردا ثلاث مرات (مؤمنين) مرتين (فاعلين) و وجاء جملة فعلية مرتين (تعقلون – ينطقون) و جاء جارا و مجرورا بـ " من " أربع مرات (من الصادقين) ثلاث مرات (من المرسلين) مرة واحدة .

أما الجمل الأربعة فإنها جاءت كلها ماضية (طردت – عصيت – أردت – عدنا)
و يمكن صياغة أنماط هذه الجمل وفق الأشكال التالية :

1) جملة فعلية مصورة بأداة استفهام (من) + إن + جملة الشرط (فعلية ماضوية)
2) جملة فعلية مصدرة بأداة النفي (لا) + إن + جملة الشرط (فعلية ماضوية)
3) جملة فعلية مصدرة "بقد " + إن + جملة الشرط (فعلية ماضوية)
4) جملة فعل الأمر + إن + جملة الشرط (اسمية منسوخة بكان)
5)جملة اسمية + متعلقات + إن + جملة الشرط (اسمية منسوخة بكان)

<u>النمط الأول :</u>

<u>جملة فعلية مصدرة بأداة الاستفهام (من) + إن + جملة الشرط (فعلية ماضوية)</u>

تفيد جملة الشرط الاحتراس و الاحتياط من وقوع شيء محتمل ،وجيء بالجملة الاستفهامية الدالة على جواب الشرط لدفع وقوع ذلك الاحتمال فنوح عليه السلام ساءل قومه عن إمكانية نصرته بإعانته أو تخليصه أو إنجائه من عذاب الله و سخطه[1] لو استجاب لهم و طرد أتباعه ،و كأنّي بنوح يسائل قومه مفترضا و محتملا : هب لو أنّي استجبت لكم و قمت بطرد أتباعي فمن يا ترى يخلصني مما أنا مقبل عليه ، و تفيد " إن " الشك لأن قيامه بطرد أتباعه أمر مشكوك فيه ، و ما ينطبق على نوح في احتمال طرد أتباعه و ما يترتب عليه ينطبق على صالح في احتمال عصيانه لله بالمساهلة في تبليغ الرسالة و عدم نهي قومه [2]

<u>النمط الثاني :</u>

<u>جملة فعلية مصدرة بأداة النفي (لا) + إن + جملة الشرط (فعلية ماضوية)</u>

تدل الجملة المتقدمة على جملة الشرط في قوله تعالى على سان نوح " وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ " [3] على جواب الشرط و ليست جوابا له و تدل على يأس نوح من قومه ،و ما يؤكد هذا اليأس وقوع جملة الشرط معترضة لجملة شرط أخرى و هي قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ " و جواب هذه الجملة هي الجملة المتقدمة على جملة الشرط الواقعة معترضة و هي قوله تعالى " لا ينفعكم نصحي " والتقدير إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي [4]

<u>النمط الثالث :</u>

<u>جملة فعلية مصدرة " بقد " + إن + جملة الشرط (فعلية ماضوية)</u>

---

1 [illegible] 12 [illegible] 6 [illegible] 56 [illegible] 4 [illegible] 203 .
2 [illegible] 7 [illegible] 12 [illegible] 134 .
3 [illegible] 34 .
4 [illegible] 7 [illegible] 12 [illegible] 68

أما قوله تعالى على لسان شعيب و أتباعه " قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ " [1] فالجملة السابقة لجملة الشرط هي دليل جواب الشرط و ليست جوابا مقدما وهي تفيد الاحتراس و الاحتياط من قبل شعيب و أتباعه من احتمال استجابتهم لقومهم ،و ارتدادهم عن الدين و جيء بما يدفع وقوع هذا الاحتمال بجملة فعلية تفيد التحقيق أي لو عدنا في ملتكم لارتكابنا أمرا عظيما و خطيرا و فادحا و يفسر صاحب الكشاف هذه الجملة تفسيرين أحدهما يفيد التعجب و الآخر يفيد القسم " فإن قلت كيف أسلوب قوله " قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم " قلت هو إخبار مقيد بالشرط و فيه وجهان أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنّهم قالوا ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الاسلام ، لأنّ المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر لأنّ الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا و لا ند له ،و المرتد مثله في ذلك و زائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق و الباطل ، و الثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى و الله قد افترينا على الله كذبا "[2]

النمط الرابع :

جملة فعل الأمر + إن + جملة الشرط (اسمية منسوخة بكان)

جاء الأمر في هذه الجمل الشرطية مرة واحدة على لسان إبراهيم عليه السلام و خمس مرات على لسان الأقوام و جملة الأمر تدل على جواب الشرط و ليست جوابا له و تفيد " إن" الشك و الاحتمال و يمكن تقسيم دلالات هذا النمط إلى ثلاث دلالات.

أ) التهكم :

و ذلك في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ " [3] و قال هذه الجملة بعد أن قال لهم " بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " و بعد أن أقر في أنفسهم أن الصنم الكبير لا يمكن أن يفعل ذلك عن طريق التهكم و أمرهم أن يسألوا الأصنام الأخرى لعلها تصرّح هي أيضا بالفاعل لينفي عنها فعل تحطيم الأصنام عن طريق التهكم أيضا ،فلو قال فاسألوهم لفهم أنّه يريد أن يتهكم بهم و لكن أكد تهكمه بإيراد " إن " الشرطية الدالة على الشك فكان تهكما على تهكم.

ب)التعجيز :

أمّا الجمل الشرطية الذي تقدمت عليها أفعال الأمر إئتنا (المكرر ثلاث مرات) و أسقط (مرة واحدة) على لسان الأقوام يراد بها اختبار هؤلاء الأقوام لأنبيائهم في مدى صدق نبوتهم و يراد بها التعجيز أيضا ،و جاءت جمل الشرط جملة اسمية منسوخة بكان الدالة على ثبوت صدق النبوة والرسالة ،و جاءت أخبار هذه الجمل أسماء مجرورة بمن الدالة على جعلهم من الجماعة الصادقين أو المرسلين المفيد لتوكيد صدق النبوة و الرسالة أيضا ،و مجيء الجملة الاسمية المنسوخة بكان و خبرها المفيدة للتأكيد بعد " إن " الشرطية المفيدة للشك يدل على أنّ شك الأقوام في صدق رسلها و أنبيائها كان شكا مؤكدا بكان و الجار و المجرور.

ج) التحريض و التحميس

أما الجملة الواردة على لسان قوم إبراهيم " حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ " [4] فجملة الأمر" حرقوه " و المعطوف عليها " أنصروا " تدل على اختبار الملأ من القوم

---

1 [illegible] 89 .

2 [illegible] 126 .

3 [illegible] 63 .

4 [illegible] 68 .

عامة القوم في مدى حماسهم و شدة ولائهم ،و قوة حبهم لأصنامهم و منزلتها و مكانتها في نفوسهم ،بأمرهم بحرق إبراهيم ،" إن كنتم فاعلين " إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤازرا [1] و كأنّ الملأ من القوم يريدون لأتباعهم برهانا على صدق ولائهم للأصنام من خلال الأمر بحرق إبراهيم لأنّه ربما يصعب على بعض النفوس عقاب إبراهيم بالحرق.

النمط الخامس

جملة اسمية +متعلقات + إن +جملة الشرط (إسمية منسوخة بكان)

ـ أمّا الجمل الشرطية التي جاءت فيها الجملة الدالة على جواب الشرط اسمية جاءت واقعة تعليلا لما سبق من أمر بالعبادة لله و إخلاص العبودية له،و أمر بإيفاء الكيل و الميزان ،و نهى عى بخس الناس أشيائهم و الإفساد في الأرض " اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " [2] " اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [3] " وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " [4]

ـ تدل جملة الشرط في هذه الجمل على التحفيز و التشجيع فقوم شعيب إن آمنوا و عملوا الصالحات فسينالون خيرا عظيما ،و يراد بالخير السمعة الطيبة مع المتعاملين مع قوم شعيب و التي يجنون من خلالها أرباحا طائلة لأنّ الناس يرغبون أن يعاملوا ذوي الأخلاق الحسنة كالأمانة و الصدق و الاخلاص و الوفاء ، و قوم إبراهيم سيجنون خيرا عظيما إذا تفطنوا لمعنى تلك الأوامر و النواهي و فقهوا معنى العبودية و اختصاص الله بالألوهية [5] و ميزواوا الخير من الشر و نظروا بعين الدراية و البصيرة لا غير الجهل و النظر السطحي [6].

2) الجملة الشرطية ذات جواب محذوف دل عليه ما جاء بعد جملة الشرط :

ـ قال تعالى على لسان ابراهيم و هود عليهما السلام :

" وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ " [7]

" فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ " [8].

ـ إذا أتينا إلى تحليل هاتين الجملتين نجد أنّ جملة الشرط فعلية فعلها مضارع و الجملة الدالة على الجواب مصدرة بـ " الفاء " و " قد " و الجملة الفعلية الماضوية و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي :

أداة الشرط (إن) + جملة الشرط (فعلية) + الفاء + قد + جملة فعلية مستأنفة)

ـ أما قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام: " وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ " [9]فإنّ المفسرين يرون أن الجملة التي تلت جملة الشرط " فقد كذّب أمم من قبلكم " ليست جوابا في الحقيقة و إنّما هي تعليل لجواب مقدم و الأصل إن تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فإنّ الرسل

1 [illegible] 10 [illegible] 17 [illegible] 100 .
2 [illegible] 16 .
3 [illegible] 85 .
4 [illegible] 85 .
5 [illegible] 10 [illegible] 20 [illegible] 224 .
6 [illegible] 3 [illegible] 432 ـ 433 .
7 [illegible] 18 .
8 [illegible] 57 .
9 [illegible] .

قبلي قد كذبتهم أقوامهم فأضروهم ،و تدل هذه الجملة على تسلية إبراهيم لنفسه لأنّه ليس الوحيد من كذبّه قومه ، فلقد سبقه أنبياء كذبتهم أقوامهم مثل شيت و إدريس و نوح و هود و صالح عليهم السلام و له في هؤلاء الذين سبقوه أسوة و سلوة [1].

ـ و أمّاقوله تعالىعلى لسان هود عليه السلام:"فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ " [2] جواب الشرط محذوف دلت عليه الجملة " فقد أبلغتكم ما أرسلت به " ،وهي تعليل لها و هذه الجملة تدل على تبرئة هود و تنصله من تبعات تكذيب قومه و التقدير " إن تتولوا فما علي كبيرهَم منكم ، فإنّه قد برئت ساحتي بالتبليغ وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان ".

3) الجملة الشرطية ذات جواب محذوف دل عليه جواب القسم :

لقد ورد هذا النمط من الجملة الشرطية في أربع آيات كلها واردة في كلام الأقوام

ـ قالى تعالى على لسان قوم نوح :" لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ "[3]

آزر " لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ "[4]

قوم هود " وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ "[5]

قوم شعيب " لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ "[6]

ـ إذا تأملنا هذه الجمل نجد أنّها دخلت عليها اللاّم[7] ،و اللام الموطئة للقسم إذا دخلت على الشرط كان الجواب للقسم و ليس للشرط ،و أمّا إذا جاء الشرط وجاء بعده القسم فإنّ الجواب للشرط ؛يقول ابن الحاجب " إذا تقدم القسم أول الكلام ظاهرا أو مقدّرا سواء إن أو لو أو لولا ، أو أسماء الشرط و بعده كلمة الشرط فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم و يستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه "[8]،و يقول ابن يعيش " إذا اجتمع الجزاء والقسم فأيهما سبق الآخر و تصدر كان الجواب له مثل تصدر الشرط قولك: إن تقم و الله أقم جزمت الجواب بحرف الجزاء لتصدره وألغيت القسم لأنه حشو ،و مثال تصدر القسم قولك و الله لئن أتيتني لآتينك فاللام الأولى موطئة و الثانية جواب القسم "[9] .

ـ إذا رجعنا إلى الجمل الأربعة الآنفة الذكر نجد أنّ جملة الشرط جاءت فعلية فعلها مضارع منفي في الجملة الأولى و الثانية و مثبت في الجملة الثالثة و الرابعة ،و أمّا جواب القسم الدال على جواب الشرط فقد جاء مصدّرا باللاّم المؤكدة الرابطة لجواب القسم و الجملة الفعلية المؤكدة بنون التوكيد الثقيلة في الجملة الأولى والثانية ،و الجملة الاسمية المؤكدة بإنّ و اللام في الجملة الثالثة و الرابعة و يمكن صياغة هذين النمطين وفق الشكلين التاليين :

1) <u>اللام الموطئة للقسم + إن + جملة الشرط (مضارعية منفية) + اللام الرابطة لجواب القسم + الجملة الفعلية المؤكدة .</u>

---

1 [illegible] 433 [illegible] 11 [illegible] 20 [illegible] 215 . [illegible] 10 [illegible] 20 [illegible] 226 .

2 [illegible] 57 .

3 [illegible] 116 .

4 [illegible] 46 .

5 [illegible] 34 .

6 [illegible] 90 .

7 [illegible] 9 [illegible] 22 .

8 [illegible]

9 [illegible] 9 [illegible] 22 .

2) <u>اللام الموطئة للقسم + إن + جملة الشرط (مضارعية مثبتة) + اللام الرابطة لجواب القسم + الجملة الإسمية المؤكدة</u>

- و الجمل الأربعة منها جملتان موجهتان إلى عامة القوم و جملتان موجهتان إلى الأنبياء .

- تدل الجمل الموجهة إلى عامة القوم على التحذير قال تعالى على لسان قوم هود " وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ " [1] و قال على لسان قوم شعيب " لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ "[2] و جواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم ،وهذا الكلام وارد في كلام الملأ من القوم و موجه إلى العامة يحذرونهم من عاقبة الطاعة و الامتثال للأوامر و ذلك بالقسم المحذوف الذي دلت عليه اللام الموطئة للقسم ؛فالقوم يحلفون على أتباعهم من أنّهم إذا انقادوا للأنبياء سيخسرون .

- جواب القسم الدال على الخسران مؤكد بإنّ و اللام و إذا الواقعة بين اسم إن و خبرها [3] في الجملة الأولى و إنّ و اللام في الجملة الثانية ،و الخسران المرد التحذير منه هو ما يلحق بهم من ضرر في الدنيا من جراء غضب آلهتهم عليهم [4] أو خسران فوائد البخس و التطفيف بالنسبة لقوم شعيب [5] أو خسران العقول و انحطاط آرائهم و غبنها و إذلالا للنفوس [6] .

أما الجملة الشرطية الموجهة إلى النبي نوح عليه السلام من قبل قومه و إبراهيم عليه السلام من قبل أبيه فإنّها تدل على التهديد و الوعيد ،قال تعالى على لسان قوم نوح " لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمَرْجُومِينَ " [7] و قال تعالى على لسان آزر " لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ "[8] فقوم هود و شعيب هدّدوا أتباعهم بالخسران لكي يثنوهم عن عزمهم على اتّباع أنبيائهم ،و قوم نوح و آزر اتفقوا في التهديد والوعيد لنوح و إبراهيم عليهما السلام بالرجم بالكلام كالسّب و الشتم أو بالفعل كالرمي بالحجارة حتى الموت [9] ليكفّوا عن مواعظهم و أوامرهم و نواهيهم وادعائهم الرسالة ،و جواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم ، و جاء جواب القسم مصدرا باللام الرابطة لجواب القسم المفيدة للتوكيد ،و جاء الفعل المقسم عليه مؤكّدا بالنون الثقيلة ليؤكدوا عزمهم على تنفيد تهديدهم وعيدهم ، وهذا شأن من عجز عن المضي في الجدل بالحجة و البرهان ،فلمّا واجههم أنبيائهم بحججهم الواضحة ومنطقهم السليم لجأوا إلى ما يلجأ إليه الطغاة و المتجبرون في كل مكان عندما تعوزهم الحجة و تخذلهم و تضعف قوتهم العقلية و الفكرية يلجأون إلى التهديد بالقوة المادية الغليظة [10] .

---

1 [illegible] 34 .

2 [illegible] 90 .

3 [illegible] 133 .

4 [illegible] 13

5 [illegible] 126 .

6 [illegible] 133 .

7 [illegible] 116 .

8 [illegible] 46 .

9 [illegible] 120 .

10 [illegible] 26 [illegible] .

ثانيا : الجملة الشرطية المصدرة بإذا

"إذا" هي ظرف للمستقبل يتضمن معنى الشرط ،و تختص بالدخول على الجملة الفعلية ويكثر ورود الفعل بعدها ماضيا ،و يقلّ ورود الفعل المضارع بعدها[1] ، و من دلالاتها أنّها تفيد الأمر المتيقن و المظنون الكثير الوقوع بخلاف " إن " فإنها تستعمل في المشكوك و الموهوم و النادر ،و لهذا قال تعالى " إذا قمتم إلى الصلاة فاغتسلوا" ثم قال "و إن كنتم جنبا فاطّهروا " فأتي بـ " إذا" في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه و بـ "إن" في الجنابة لندرة وقوعها بالنسبة إلىالحدث" [2] و يقول ابن يعيش " إن " في الجزاء مبهمة لا تستعمل إلاّ فيما كان مشكوكا في وجوده و لذلك كان بالأفعال المستقبلة لأنّها قد توجد و قد لا توجد و لذلك لا تقع المجازاة بإذا و إن كانت للاستقبال لأنّ الذاكر لها كالمعترف بوجود ذلك الأمر كقولك :"إذا طلعت الشمس فائتني" ولو قلت :"إن طلعت الشمس فأتني" لم يحسن إلاّ في اليوم المغيم الذي يجوز أن ينقشع الغيم فيه وتطلع الشمس ،و يجوز أن يتأخر فقولك إذا طلعت فيه اعتراف بأنها ستطلع لا محالة " [3] و لقد وردت ثلاث جمل شرطية مصدرة بإذا في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم

- قال تعالى على لسان قوم هود:

" أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ "[4]

- قال تعالى على لسان هود عليه السلام:

" وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ "[5]

- قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام:

" وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي " [6]

إذا تأملنا هذه الجمل الشرطية المصدّرة بإذا نجد أنّ جملة الشرط جاءت فعلية ماضية في الجمل الثلاثة و جملة جواب الشرط محذوفة دلت عليها الجملة الاسمية المؤكدة في الجملة الأولى و جاء فعلية ماضوية في الجملة الثانية و جملة اسمية مصدرة بفاء الجواب في الجملة الثالثة .

و يمكن صياغة هذا النمط من الجمل الشرطية وفق الأشكال التالية :

1) - أداة الشرط (إذا)+ جملة الشرط(فعلية ماضوية)+ جملة اسمية مؤكدة مستأنفة

2) - أداة الشرط(إذا)+جملة الشرط(فعلية ماضوية)+جملةجواب الشرط(فعلية ماضوية)

3) - أداة الشرط (إذا) + جملة الشرط (فعليةماضوية) + جملة جواب الشرط (اسمية)

- أمّا الجملة الأولى فإنّها جاءت واقعة بين اسم إنّ و خبرها في قوله تعالى " أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ "[7] و التقدير أيعدكم أنكم مخرجون أحياء إذا متم و كنتم ترابا [8] وجاءت هذه الجملة في سياق إنكار قوم هود البعث و يدل ذلك ما جاء بعد هذه

---

1 [illegible] 1 [illegible] 108.

2 [illegible] 1 [illegible] 149.

3 [illegible] 9 [illegible] 4.

4 [illegible] 35.

5 [illegible] 130.

6 [illegible] 80.

7 [illegible] 35.

8 [illegible] 18 [illegible] 10 [illegible] 46.

الجملة " هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ " و دخول (إذا) على فعل الموت يدل على اليقين لأنّ الموت أمر لا شك فيه.

ـ و أمّا الجملة الثانية جاءت في سياق توبيخ هود عليه السلام لقومه على ما يقترفون من أعمال سيئة كالضرب و التعدي المبالغ فيه، باستعمال السوط أو السيف و نحوه حين تسلطهم و تجبّرهم ،دون شفقة و لا رحمة ،و الضرب لا يقصد به التأديب بل الجور و الظلم [1] وجاء جواب الشرط الدال على الحال مرادفا للشرط لتأكيده و إقرار القوم عليه و توبيخهم به .

ـ أمّا الجملة الواردة في كلام إبراهيم " إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي " [2] فقد وردت في سياق ذكر نعم الله و آلائه عليه ،و تعريضا بقومه الذين كفروا بالله و لم يؤمنوا به وهو الذي غمرهم بالنعم الكثيرة الظاهرة و الباطنة و دخول (إذا) على فعل المرض لأن المرض سوف يطرأ عليه في المستقبل و أنّه أمر يقيني و ليس مشكوكا فيه ، و جاء جواب الشرط بالجملة الاسمية ليؤكد اختصاص الله بالشفاء و يرد على قومه زعمهم أنّ الأصنام تنفع ،و من بين منافعها أنها تشفي الناس من أمراضهم وعللهم و أسقامهم.

<u>ثالثا</u> : الجملة الشرطية المصدرة بـ " لو"

لقد وردت جملة واحدة مصدرة بأداة الشرط " لو" في الجدل القرآني

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح: " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً " [3]

جاءت جملة الشرط فعلية ماضوية و جاء الجواب جملة فعلية ماضوية مصدرة باللاّم [4]

ـ تستعمل أداة الشرط " لو" لما مضى من الزمن وهي تفيد امتناع الأول لامتناع الثاني [5] أي امتناع جوابها لامتناع فعل شرطها ، و في الجملة الواردة في كلام قوم نوح تفيد لو امتناع إنزال الملائكة من قبل الله لامتناع مشيئته ، و جاءت هذه الجملة في سياق إنكار قوم نوح لنبوته و جاءت معطوفة على قوله تعالى على لسانهم " مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ " و حذف مفعول فعل المشيئة لظهوره من جواب لو ؛أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلا و حذف مفعول المشيئة جائز إذا دلت عليه القرينة و ذلك من الايجاز [6] و تدل هذه الجملة على الانكار فبعد أن أنكروا بشرية الرسول أنكروا على الله مشيئته إنزال الملائكة و كأنّهم في هذه الجملة يلومون و يعاتبون الله انتفاء إنزاله الملائكة لانتفاء مشيئته و هذه قمّة الجرأة على الله و على رسوله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

---

1 [illegible] 11 [illegible] 9 [illegible] 165

2 [illegible] 80 .

3 [illegible] 24 .

4 [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] 9 [illegible] 23 – 24 .

5 [illegible]
6 [illegible] 224 .

6 [illegible] 9 [illegible] 18 [illegible] 42 – 43 .

رابعا : الجملة الشرطية المصدرة ب "لولا"

قال الله تعالى على لسان أهل مدين :" وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ " [1]

إذا تأملنا طرفا الجملة الشرطية وجدنا أن جملة الشرط مختلفة عن جوابها ، فلقد جاءت جملة الشرط اسمية محذوفة الخبر و جاء الجواب جملة فعلية مصدرة بلام الجواب و يعدّ هذا النمط من أهمّ أنماط الجملة الشرطية المصدرة بـ " لولا " قال ابن هشام " لولا" على أربعة أوجه أحدهما أن تدخل على جملتين اسمية ففعلية لربط امتناع الثانية لوجود الأولى نحو " لولا زيد لأكرمتك " أي لولا زيد موجود لأكرمتك " [2] و الاسم الذي يلي لولا يكون مبتدأ و ليس المرفوع بعد لولا فاعلا لفعل محذوف و لا بلولا لنيابتها عنه ولا بها أصالة ، خلافا لزاعمي ذلك بل رفعه بالابتداء " [3]

- تدل الجملة الواردة في كلام أهل مدين على التهديد و الوعيد فقوم شعيب علّلوا امتناع رجمهم لشعيب لوجود الرهط الذين هم أقرباء لشعيب و من عشيرته، و معنى الجملة لولا مراعاة جانب رهطك لقتلناك " شر قتلة أو أبعدناك و طردناك و خلعناك [4] و يرى الشعراوي " أنّ هذا التهديد يحمل تحديا كأنّهم ظنوا أنّ بقدرتهم الفتك به لأنّهم يبغضون حياته ، و أعلنوا حجة واهية و هي أن رهطه أي قومه و أهله .... ما زالوا على عبادة الأصنام و أن هذا الرهط سيغضب عليهم لأي ضرر يصيب شعيبا و تناسوا أن الذي أرسل شعيبا عليه السلام لا بدّ أن يحميه "[5]

المطلب الثاني : الجملة الشرطية الخالية من الأداة

المقصود من هذا النمط من الجملة الشرطية الجملة الإنشائية التي تتضمن جوابا مثل جواب جملة الشرط المصدرة بإن ،و لقد عقد سيبويه بابا بخصوص هذا النمط قال فيه " هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جوابا لأمر أو نهي أو لاستفهام أو تمن أو عرض ،فأمّا ما انجزم بالأمر فقولك: إئتني آتك ،و أمّا ما انجزم بالنهي فقولك: لا تفعل يكن خيرا لك ،و أمّا ما انجزم بالاستفهام فقولك : ألا تأتني أحدثك ؟ و أين تكون أزورك ، و أمّا ما انجزم بالعرض فقولك : ألا تنزل تُصب خيرا " [5] ،و لقد أفادت هذه الجمل الانشائية معنى إن و لذلك كان جوابها مجزوما و النحويون يقدرون هذا الجزم " بتقدير المجازاة و أنّ جواب الأمر و الأشياء الأخرى التي ذكرناها معه هو جواب الشرط المحذوف في الحقيقة لأنّ هذه الأشياء غير مفتقرة إلى الجواب و والكلام بها تام ألا ترى أنّك إذا أمرت فإنّما تطلب من المأمور فعلا ،و كذلك النهي و هذا لا يقتضي جوابا لأنّك لا تريد وقوف وجود غيره على وجوده ، و لكن متى أتيت بجواب كان على هذا ، فإذا قلت في الأمر إئتني أكرمك و أحسن إلي أشكرك فتقديره بعد قولك ائتني إن تأتني أكرمك كأنّك ضمنت الإكرام عند وجود الإتيان و وعدت بالإكرام عند وجود الإتيان و ليس ذلك ضمانا مطلقا و لا وعداواجبا إنّما معناه إن لم يوجدلم يجب وهذه طريقة الشرط والجزاء " [6] فجواب جملة الأمر- المتضمنة

---

1 [illegible] 91.

2 [illegible] 1 [illegible] 301.

3 [illegible].

4 [illegible] 12 [illegible] 185.

5 [illegible] 3 [illegible] 93 [illegible] 94.

6 [illegible] 7 [illegible] 48.

لأداة الشرط و فعل الشرط المقدرين – يكون مجزوما يدل على الوعد و يتحقق الوعد حينما يلبى الأمر و يستجاب له و تحقق الوعد مرهون و مشروط بتلبية الأمر و أمّا جملة النهي التي تتضمن أداة الشرط و فعل الشرط المقدرين مثل قولك لا تزر زيدا يهنك على تقدير لا تزر زيدا إن تزر زيدا يهنك "[1]، والفرق بين جواب الأمر وجواب النهي أنّ جواب الأمر مشروط بالوعد بالخير وجواب النهي مشروط بالوعيد بالشر . و لقد وظّف الأنبياء في جدالهم مع أقوامهم هذا النمط من الجملة الشرطية الذي يلائم طبيعة الجدل الدائر بينهما .

أولا : جملة الأمر المتضمنة معنى الشرط

ـ قال تعالى على لسان الأنبياء :

ـ نوح عليه السلام :

"اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى " [2]

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " [3]

ـ هود عليه السلام: "

"وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ "[4]

ـ إبراهيم عليه السلام:

" فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا "[5]

ـ إذا تأملنا هذه الجمل الأربعة وجدناها تتكون من جملة فعل الأمر المتضمنة للشرط المقدر و جواب مجزوم و الأمر في هذه الجمل موجه إلى الأقوام.

ـ لقد جاءت جملة الأمر المتضمنة لمعنى الشرط المقدر في الجملة الأولى مكونة من أوامر متعددة (اعبدوا، اتقوا ، أطيعوا) وجاءت جملة الجواب مكونة من وعدين (مغفرة الذنوب ، تأخير الآجال)

ـ تضمنت جملة الأمر في الجملة الثانية أمرا واحدا معللا وهو الاستغفار المعلل بكون الله غفار الذنوب و جاءت جملة الجواب متضمنة لوعود متعددة (يرسل ، يمدد ، يجعل (المكرر مرتين).

ـ تضمنت جملة الأمر في الجملة الثالثة أمرين هما (استغفروا ، توبوا) و تضمنت جملة الجواب وعدين (يرسل ، يزد)

ـ تضمنت جملة الأمر في الجملة الرابعة أمرا واحدا (اتبعني) و تضمنت جملة جوابها وعدا واحدا (أهدك) و تختلف الجملة الأخيرة عن الجمل الأخرى لأنّ الأمر في الجمل الأخرى موجه إلى جماعة المخاطبين وهم الأقوام و هذه الجملة الأمر موجه فيها إلى مخاطب واحد وهو آزر وضمير الوعد في هذه الجملة يختلف عن ضمير الوعد في الجمل

1 [illegible] 48 .
2 [illegible] 3 ـ 4 .
3 [illegible] 10 ـ 11 ـ 12 .
4 [illegible] 52 .
5 [illegible] 43 .

الأخرى لكون الضمير في الجمل الأخرى مسند إلى الغائب وهو الله سبحانه و تعالى و ضمير جواب هذه الحملة مسند إلى المفرد المتكلم وهو إبراهيم.

- الأوامر التي وجهت إلى الأقوام من قبل هؤلاء الأنبياء هي مضمون ما جاء به كل الأنبياء وهو الأمر بعبادة الله ، و تقواه و طاعته و طاعة الرسول ، و الاستغفار و التوبة من الذنوب و الأمر بالإتّباع و أمّا أجوبة هذه الأوامر وعود أخروية وهي مغفرة الذنوب و الفوز بالجنة و وعود دنيوية (نزول المطر ، منح الأموال و البنين ، جعل الجنات و الأنهار ، و الهداية و التوفيق).

- بعد أن عرّف نوح نفسه و وضّح وظيفته و دوره " إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ " [1] أمر قومه بعبادة الله و اتقاء غضبه و طاعتهم لنوح و امتثالهم لما دعاهم إليه من التوحيد [2] ،و وعدهم إن استجابوا لتلك الأوامر بخير الآخرة المتمثل في مغفرة الذنوب [3] و خير الدنيا المتمثل في إطالة أعمارهم و تأخيرها وهو مطلب يرجوه كل الناس و طول العمر من النعم الجليلة لأنّ الانسان مجبول يحب البقاء في الحياة على ما فيها من المنغصات و المكدرات[4].

- بعد أن أمر نوح قومه بالاستغفار علل ذلك بوصف الله بكثر الغفران و وعدهم بغفران ذنوبهم وهو وعد بخير الآخرة ،ثم وعدهم بخير الدنيا و ذلك [5]

بـارسال السماء عليهم مدرارا و السماء هي المطر و الإرسال مستعار للإيصال و الإعطاء و تعديته بعليكم لأنّه يأتي من أعلى و المدرار الكثير الدرور،و الإمداد بالأموال و كل ما يحتاج إليه الإنسان و يبذل ما في وسعه لاقتنائه

جعل الجنات لهم وهي النخيل و الاعناب جعل الأنهار لهم و اعادة فعل الجمل لتوكيد الاهتمام بهم وجعل الأنهار لأنهها قوام الجنات لأنها تسقى بالأنهار.

- و أمّا القوة المراد الزيادة فيها في جواب أمر هود لقومه بالاستغفار و التوبة هي القوة في الحال أو القوة في النكاح أو القوة في كثرة عددهم و صحة أجسامهم و سعة أرزاقهم [6]

لمّا أخبر إبراهيم عليه السلام أباه بأنّه جاءه علم لا يعلمه أبوه ،أمر أباه أن يتبعه و وعده إن اتّبعه سوف يهديه إلى الطريق القويم و الحياة السعيدة الهنيئة دنيا أخرى .

ثانيا : جملة النهي المتضمنة معنى الشرط

قال تعالى على لسان صالح عليه السلام " لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "

" لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ "

" لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ "

- الجمل الثلاثة هي جملة واحدة مكررة و تختلف فقط في أوصاف العذاب (أليم – قريب – يوم عظيم) و تتكون هذه الجمل من نهي متضمن للشرط المقدر و جوابه و أمّاالدلالة المعنوية للنهي المتضمن للشرط هو نهي صالح قومه بعدم مس الناقة و الإضرار بها أدنى ضرر ،و جواب النهي هو وعيد بالعذاب الذي يلحق بهم إن راموا أذى الناقة فهو وعيد بالشر مقابل النهي المتضمن للشرط.

---

1 [illegible] 2

2 [illegible] 14 [illegible] 29 [illegible] 188 ، 189 .

3 [illegible] .

4 [illegible] .

5 [illegible] 1 [illegible] 29 [illegible] 198 ، 199 .

6 [illegible] 2 [illegible] 386 [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 96 ، 97 .

ـ و ما تجدر ملاحظته أنّ الجملة الشرطية بغير أدوات الشرط التي استعملها الأنبياء ووظفوها في جدالهم مع أقوامهم تعد وسيلة من وسائل الاقناع ،فإذا أمروا وعدوا أقوامهم بما يعود لهم بالخير لهم دنيا و آخرى ترغيبا لهم و استمالة لهم إلى الإيمان و التصديق بدعوتهم و إذا عفوا أوعدوا أقوامهم بما يعود لهم بالشر و الوبال دينا و آخرى ترهيبا لهم من مغبة الكفر والجحود و العصيان .

المبحث الرابع : الجملة الاستفهامية

تمهيد :

يعد الاستفهام من أبرز و أهم الخصائص اللغوية التي امتاز بها الجدل القرآني، لأنّه من طبيعة الجدل فلا يمكن أن يدور جدل بين طرفين خال من الاستفهام و الاستفهام حقيقته طلب الفهم [1] يقول ابن يعيش " الاستفهام و الاستخبار بمعنى واحد فالاستفهام مصدر استفهمت أي طلبت الفهم و هذه السين والتاء تفيد الطلب"[2] ،و قد يفيد الاستفهام معاني أخرى مجازية تستفاد من السياق و من هذه المعاني النفي و التعجب و الاستبعاد و الأمر و التمني و التشويق و التقدير و الإنكار [3]

و الاستفهام الوارد في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم هو استفهام خرج من معناه الحقيقي إلى معاني مجازية أخرى ،و عدد الجمل الاستفهامية الواردة في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم (إحدىو أربعون جملة) و أغلب هذه الجمل وردت بالهمزة و عددها (إحدى و عشرون جملة)و ورد بأداة استفهام (ما) في (خمس جمل) ،و الأداة (من) في جملتين ،و (هل) في جملة واحدة.

ومن المعاني المجازية التي أفادها الاستفهام الانكار والتقرير

<u>المطلب الأول</u> : الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى الانكار

الاستفهام الانكاري يفيد معنى النفي و السر في العدول عن النفي إلى أسلوب الاستفهام المراد به النفي لأنّ الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه .

و لمّا كان المسؤول يجيب بعد تفكير و روية عن هذه الأسئلة بالنفي ، كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي وهو أفضل من النفي ابتداء " [4]

ـ قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : " وَ مَا تَعْبُدُونَ " [5]

" مَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ " [6]

ـ قال تعالى على لسان آزر " :أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ " [7]

ـ قال تعالى على لسان نوح و هود عليهما السلام :" أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ " [1]

---

1 [illegible] 326ص .

2 [illegible] 151ص .

3 [illegible] 182ص ـ 188 .

4 [illegible] 163ص .

5 [illegible] 85 .

6 [illegible] 87 .

7 [illegible] 46 .

ـ قال تعالى على لسان قوم هود " أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا " [2]
ـ قال تعالى على لسان هود و ابراهيم عليهما السلام " أَفَلَا تَعْقِلُونَ " [3]
ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام " أَفَلَا تَذَكَّرُونَ " [4]
ـ قال تعالى على لسان هود و نوح عليهما السلام :" أَفَلَا تَتَّقُونَ " [5]
ـ قال تعالى على لسان نوح و هود و شعيب عليهم السلام :" أَلَا تَتَّقُونَ " [6]
إذا تأملنا الجمل السابقة نجد ما يلي :

ـ ورود أغلب الجمل فعلية فعلها مضارع (تعبدون ، تعقلون ، تذكرون ، تتقون) وجملتين فعليتين فعلها ماضي (عجبتم - جئتنا) ،و جملتين اسميتين (ظنكم برب العالمين راغب عن آلهتي)

ـ أغلب هذه الجمل دخلت عليها همزة الاستفهام إلاّ جملتين دخلت عليهما " ما " الاستفهامية

ـ دخول حرف العطف بين أداة الاستفهام و الجملة (أو عجبتم – أفلا تذكرون – أفلا تعقلون – أفلا تتقون)

ـ التزام الجمل الترتيب العادي للجملة التي دخلت عليها أداة الاستفهام، أداة الاستفهام + الجملة (فعلية / اسمية) باستثناء بعض الجمل التي فصل بين أداة الاستفهام و الجملة حرف عطف أداة الاستفهام + حرف عطف + جملة.

- كل الجمل وردت في كلام الأنبياء إلا جملتان وردتا في كلام الأقوام
- تدل " ما " [7] الاستفهامية متصلة ب" إذا " التي هي اسم إشارة على الاستفهام الإنكاري لأنّ ما يعبدونه يراه إبراهيم و ليس خاف عنه ،و لذلك انصرف الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار[8]، فلمّا رأى إبراهيم حالة قومه و ما يعبدونه من الأصنام " هتف بهم هتاف الفطرة السليمة في استنكار شديد ماذا تعبدون ؟ فإنّ ما تعبدون ليس من شأنه أن يعبد ، ولا أن يكون له عابدون و ما يعبده الإنسان في شبهة من حق إنّما هو الإفك المحض والافتراء الذي لا شبهة فيه " [9]

ـ لقد أنكر إبراهيم على قومه عبادتهم للأصنام بقوله تعالى على لسانه " مَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ " [10] و معناه " أي شيء ظنكم بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رب العالمين ؟ فيه حتى تركتم عبادته سبحانه بالكلية ؟ أو علمتم أي شيء هو حتى اجترأتم على الإفك عليه ولم تخافوا " [11] لأنّ قوم إبراهيم كانوا يؤمنون بما يسمى السعد و النحس و الخير والشر ، ويعتقدون الطيرة ،و يتخذون لكل كوكب هيكلا ،و يجعلون فيه أصناما تناسب ذلك الكوكب

---

1 [illegible] 63 [illegible] 69 .
2 [illegible] 70 .
3 [illegible] 51 . [illegible] 67 .
4 [illegible] 30 .
5 [illegible] 65 . [illegible] 23 .
6 [illegible] 106 ، 124 ، 142 ، 177 .
7 [illegible] 1 [illegible] 328 .
8 [illegible] 18 [illegible] 23 [illegible] 138 .
9 [illegible] 5 [illegible] 23 [illegible] 2992 .
10 [illegible] 87 .
11 [illegible] 13 [illegible] 23 [illegible] 149 .

وكانوا يستنزلون روحانيا تلك الكواكب و يستدلون من أوضاعها عل ما يطرأ في الكون من حوادث [1] .

ـ لقد أنكر آزر على ابنه إبراهيم رغبته عبادته الأصنام بقوله تعالى على لسانه " أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيم "[2] ' و الرغبة عن الشيء تركه عمدا و الانصراف عنه و أجاب آزر ابنه إبراهيم بفضاضة و غلظة و ناداه باسمه و لم يقابل يا أبت يا ابني [3] و قدّم الرغبة على ضمير المبتدأ للاهتمام " و فيه ضرب من التعجب و الإنكار لرغبته عن آلهته و أنّ آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد " [4] ،و رغب عنها أقرب الناس إليه وهو ابنه ، و أنكر آزر رغبة ابنه إبراهيم بالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ (راغب)[5] و فاعل سد مسد الخبر ،" لأن المقام يتطلب جملة اسمية للدلالة على ثبات المسند إليه ،و يتطلب الاهتمام بالوصف دون الاسم لغرض يوجب الاهتمام به فيلجأ البليغ إلى الإتيان بالوصف أولا و الاتيان بالاسم ثانيا" [6]

ـ تدل الهمزة في قوله تعالى على لسان نوح وهود عليهما السلام " أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ " [7] على الاستنكار أي أنّ نوحا و هودا يستنكرون تعجب قومهم من مجيء الذكر و الموعظة من ربهم على رجل مثلهم و الواو للعطف و المعطوف عليه محذوف و التقدير أكذبتم و عجبتم أو استبعدتم و عجبتم[8]/ [9]

ـ لقد أنكر قوم هود مجيء هود ليأمرهم بعبادة الله و ينهاهم عن عبادة غيره و ذلك رغبة منهم في انهماكهم على تقليد الأجداد و حبّا لما ألفوه و ألفوا أسلافهم عليه [10] ،و يعلق سيد قطب على هذا الموقف من قوم هود فيقول " إنّه مشهد بائس لاستبعاد الواقع المألوف للقلوب و العقول ،هذا الاستبعاد الذي يسلب الانسان خصائص الانسان الأصلية ، حرية التدبر و النظر ، وحرية التفكير و الاعتقاد و يدعه عبدا للعادة و التقاليد ، وعبدا للعرف و المألوف ، و عبدا لما تفرضه عليه أهوائه و أهواء العبيد من أمثاله ،و يغلق كل باب للمعرفة و كل نافذة للنور "[11]

ـ أمّا دلالة دخول الهمزة على أداة النفي " لا " في قوله تعالى على لسان إبراهيم وهود عليهما السلام " أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"[12] ، تدل على الإنكار لأنّها جاءت في سياق إنكار إبراهيم

---

1 [illegible] .

2 [illegible] 46 .

3 [illegible] 183 .

4 [illegible] 19 .

5 [illegible] 16 [illegible] 309 .

6 [illegible] 16 [illegible] 118 .

7 [illegible] 63 [illegible] 69 .

8 [illegible] 111 [illegible] 3 [illegible] 236 .

9 [illegible] 8 [illegible] 151 .

10 [illegible] 3 [illegible] 239 .

11 [illegible] 3 [illegible] 1311 .

12 [illegible] 51 . [illegible] 67 .

قومه عبادة الأصنام و تضجّره لعدم تدبرهم في الأدلة العقلية الحسية الواضحة [1] " أفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " [2] و إنكار هود عدم إيمان قومه و عدم تعقلهم بإخلاص نصحه لهم فيما يأمرهم به " لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ " [3] و تدل على الإنكار أيضا في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ " [4] لأنّها واردة في سياق الإنكار على مطالبة الملأ من قومه طرد أتباعه معللا ذلك بسؤالهم عن إمكانيتهم نصرته و رد غضب الله عنه إن هو طردهم " مَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ " [5] لأنّ طردهم إهانة تؤذيهم بلا موجب معتبر عند الله و الله لا يحب إهانة أوليائه " [6]

ـ و أمّا قوله تعالى عل لسان نوح و هود عليهما السلام " أَفَلاَ تَتَّقُونَ " [7]و ذلك بعد تعليله الأمر بعبادتهم لله " مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ " أي ليس لكم أي إله غيره فلم تعبدون أصناما من دونه " و جملة " أَفَلَا تَعْقِلُونَ " استفهامية إنكارية معطوفة بفاء التفريع على جملة " مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ " ،و المراد بالتقوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الالهية ، و فيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك و إنّما بدأ بالإنكار عليهم إغلاظا في الدعوة و تهويلا لفظاعة الشرك " [8]

ـ و أمّا قوله تعالى على لسان الأنبياء نوح و هود و صالح و شعيب " أَلَا تَتَّقُونَ "[9] في سياق بداية دعوتهم لأقوامهم يدل على الإنكار لامتناع هؤلاء الأقوام الامتثال لدعواتهم و متعلق التقوى في الجملة السابقة محذوف " فقيل (ألا تتقون) عذاب الله و عقابه على شرككم و قيل (ألا تتقون) مخالفة أوامر الله فتتركوا عبادتكم الأصنام "[10] أو يراد به التخصيص و لا تعد (ألا) حينئذ حرفين همزة استفهام ونفي بل حرفا واحدا وهوحرف التخصيص لتباطئهم عن تصديقه [11] .

و لقد وردت دلالات أخرى مع دلالة الانكار في جدال الأنبياء مع أقوامهم وهذه الدلالات هي : الثنية و التحقير و التهويل و التشنيع و الإبطال ، و التنقيص و الاستهزاء ووالتوبيخ و التهكم و التعجب.

---

1 [illegible] 8 [illegible] 16 [illegible] 104 .

2 [illegible] 67 .

3 [illegible] 51 .

4 [illegible] 30 .

5 [illegible].

6 [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 56 .

7 [illegible] 65 . [illegible] 23 .

8 [illegible] 5 [illegible] 8 [illegible] 201 .

9 [illegible] 106 ، 124 ، 142 ، 177 .

10 [illegible] 7 [illegible] 29 .

11 [illegible] 9 [illegible] 19 [illegible] 158 .

1) التنبيه :

قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام :

" لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا " [1] .

ـ وردت هذه الجملة مضارعية مسبوقة بما الاستفهامية ،و لقد حذف ألف مد ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها بقول ابن هشام " و يجب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جرت وإبقاء الفتحة دليلاً عليها نحو فيمَ ، إلامَ و علامَ و بمَ "[2] و علّل حذف ألف ما الاستفهامية بين الجملة الاستفهامية و الجملة الخبرية أنّ ما الاستفهامية تحذف لإفادة الاستفهام كقوله تعالى " فيمَ أنت من ذكراها " لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ " و تثبت لإفادة الخبر كقوله تعالى " لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَ"[3]

و يمكن صياغة هذا النمط من الجملة الاستفهامية وفق الشكل التالي :

<u>اللام + ما الاستفهامية + جملة فعلية فعلها مضارع.</u>

يدل الاستفهام الذي دخلت عليه اللام على التعليل و طلب إبراهيم من أبيه أن يعلل عبادته للأصنام التي لا تسمع و لا تبصر و لا تغني عنه شيئا لينبهه إلى شناعة رأيه و قبحه و فساده فكيف يعبد أبوه من انتفت عنه تلك الأوصاف [4] لأنّ الأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى منه قدرة و قوة و سلطانا و أن " يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان و أسنى فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان لا يسمع و لا يبصر و لا يملك ضرا و لا نفعا " [5] .

2) التحقير:

ـ قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام :"مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ" [6]

الاستفهام في هذه الجملة وقع على اسم الاشارة (هذه) الدالة على كنه هذه التماثيل ويمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي :

<u>ما الاستفهامية + اسم الإشارة (مبتدأ) + خبر</u>

استعمل إبراهيم أسلوب تجاهل العارف في سؤاله الإنكاري عن حقيقة و كنه التماثيل التي يعبدها قومه ليومىء إليهم أنّ تلك التماثيل لا تلائم بين حقيقتها كتماثيل و بين وضعها كمعبودات [7]و سمّى الأشياء بمسمياتها و سمّى تلك الأصنام المنحوتة من الأحجار و الخشب تماثيل [8]و لم يسميها آلهة ليحتقرها و يحط من قيمتها و يصغر من شأنها و يزيد من قوة إنكاره واستخفافه بقومه من تعلقهم بتلك التماثيل و عكوفهم على عبادتها .

3) التهويل :

---

1 [illegible] 42 .

2 [illegible] 328 .

3 [illegible] .

4 [illegible] 6 [illegible] 182 .

5 [illegible] 4 [illegible] 16 [illegible] 2311 .

6 [illegible] 52 .

7 [illegible] 8 [illegible] 16 [illegible] 93 [illegible] 3 [illegible] 118 .

8 [illegible] 4 [illegible] 17 [illegible] 2385 [illegible] 6 [illegible] 299 .

ـ قال تعالى على لسان صالح عليه السلام" مَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ"[1]

ـ " من " الاستفهامية يستفهم بها للعاقل و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي:

من الاستفهامية + جملة فعلية مضارعية.

يراد من هذا الاستفهام التهويل عن عاقبة صالح عليه السلام إن عصى أمر الله و استجاب لما يرجو منه قومه و " من" واردة هنا في مقام النفي معناه لا ينصرني أحد منكم من الله إن عصيته و علّل إنكاره لما يرجوه من قومه بهذا الاستفهام .

4) التشنيع:

ـ قال تعالى على لسان إبراهيم " مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنْ الظَّالِمِينَ" [2]

بعد رجوع قوم إبراهيم من عيدهم السنوي فوجئوا برؤية أصنامهم محطمة و مهشمة وأشاروا إلى الأصنام المحطّمة باسم الإشارة " هذا" و عبروا عنها بالآلهة ،و نسبتها إلى أنفسهم يدل على تمسكهم بها و استنكارهم الشديد لهذه الحال التي وجدوا فيها معبوداتهم و مبالغتهم في التشنيع لما أصاب آلهتهم التي تستحق التعظيم و التوقير [3]كأنهم لم يدر في خلدهم يوما ما أن يقع للأصنام ما وقع لها لقوة عظمتها في نفوسهم و شدة تعلقهم بها و ولائهم لها .

5) الإبطال و التكذيب:

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام :" أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" [4]

دخلت همزة الاستفهام المفيدة للإنكار على جملة فعلية مضارعية و معناها أنّ الإنكار واقع في فعل الإلزام و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي :

همزة الاستفهام + جملة فعلية مضارعية

إنكار التكذيب أو الإبطال هو من الأنواع الأساسية للإستفهام الإنكاري فإذا كان التكذيب في الماضي كان الاستفهام بمعنى لم يكن و إذا كان في المستقبل كان بمعنى لن يكون [5] وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " أنلزمكموها و أنتم لها كارهون " معناه لن نلزمكم إياها لأنّه لا يجوز إلزام عقل الإنسان و قلبه بشيء يكرهه ،و هو من المحال الذي تعارف عليه الناس و أجمعوا عليه و ليس معناه أنّنا لسنا من الذين يصدر عنهم هذا الإلزام قال الجرجاني في هذا الصدد " ألا ترى أنّ المحال أن تزعم أن المعنى في قول الرجل لصاحبه : أتخرج في هذا الوقت ؟ أتغرر بنفسك ؟ أتمضي في غير الطريق أنه أنكر أن يكون بمثابة من يفعل ذلك و بموضع من يجيء منه ذلك لأن العلم محيط بأن الناس لا يريدونه ،و أنه لا يليق بالحال التي يستعمل فيها هذا الكلام ، و كذلك محال ان يكون المعنى في قوله جل و علا أنلزمكموها و أنتم لها كارهون " أنّنا لسنا بمثابة من يجيء منه هذا الإلزام و إنّ غيرنا من يفعله _ جل الله تعالى و قد يتوهم المتوهم في الشيء من ذلك أنه يحتمل فإذا نظر لم يحتمل

---

1 [illegible] 63 .

2 [illegible] 59 .

3 [illegible] 301 ـ 302 .

4 [illegible] 28 .

5 [illegible] 1419 هـ ـ 1998 م [illegible] 108 .

" [1] و من ثم يفيد هذا الاستفهام الانكاري ابطال الزام نوح و إكراههم و قسرهم على عبادة الله ليس لأنّ ذلك من عادة نوح و من أخلاقه و إنما الإلزام و والإكراه هو محال يجمع عليه كل الناس على بطلانه و لذلك " يظل هذا السؤال في هذه الآية يخاطب كل عقل و يستفزه ليدرك الفقه الحقيقي لحرية العقل و القلب فيعتز بها و يحوطها بما تستحق و يدفع عنها من يحاول اغتيالها من طواغيت الأرض و إن ملأوا الأرض صخبا بالحديث عن الحرية و الديمقراطية و التحضّر"[2]

6)التنقيص :

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح " أَنُؤْمِنُ لكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ" [3]

أفاد دخول همزة الاستفهام على الجملة المضارعية الإنكار و وقع الإنكار على عدم الإيمان في حال اتباع الأراذل من الناس لدعوته و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي :

<u>همزة الاستفهام + جملة فعلية مضارعية + واو الحال + جملة فعلية مضارعية حالية</u>

و لقد علّل الملأ من القوم عدم إيمانهم بنوح عليه السلام لكون دعوته اتبعها الأراذل من الناس و أرادوا من خلال ذلك التنقيص من هذه الدعوة و"لم يعلموا أنّ ضعفاء الناس هم أتباع الرسل كما ورد في حديث هرقل و هذا الذي أجابوا به في غاية السخافة إذ هو مبعوث إلى الخلق كافة ، فلا يختلف الحال بسبب الفقر و الغنى و لا شرف المكاسب و دناءتها "[4]

7)التهكم:

ـ قال تعالى على لسان قوم شعيب " أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا" [5]

دخول همزة الاستفهام على كلمة " صلاة " للإنكار على دعوة شعيب من خلال الصلاة لكونه المظهر الأساسي للعبودية و جاءت بها كل الأديان " و لذلك أنكرها المكذّبون و الملحدون من كل أمة و لأنّ الصلاة هي من أخصّ الأعمال التي دأب عليها شعيب و قصدا للتهكم به و السخرية عليه تكذيبا له فيما جاءهم به ،فإسناد الأمر إلى الصلوات غير حقيقي إذ قد علم كل العقلاء أنّ الأفعال لا تأمر و المعنى أنّ صلاته تأمره بأن يحملهم على ترك ما يعبد آباؤهم "[6]

8) الاستبعاد:

ـ قال تعالى على لسان شعيب و أتباعه من المؤمنين :" أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ" [7]

لمّا هدد قوم شعيب شعيبا و أتباعه بإخراجهم من أرض مدين أو أن يرتدّوا عن دينهم أجابهم شعيب و من تبعه مستنكرين لهذا القرار الجائر التعسفي ،و متعجبا على أخذ قومه هذا القرار مأخذ الجد لما فيه من تأكيدات بإكراههم و حملهم على ما يكرهون ،لأنّ إكراه الإنسان على أمر ما و حمله على فعله أمر يرفضه العقل وهو من المحال ،و تساءل متعجبا و مستبعدا في نفس الوقت لهذا الموقف " ليعلم قومه أنّه أحاط خبرا بما أرادوا من تخييره و المؤمنين بين الأمرين الإخراج أو الرجوع إلى ملة الكفر ، شأن الخصم اللبيب الذي يأتي في

---

1 [illegible] 92 .
2 [illegible] 243 .
3 [illegible] 111 .
4 [illegible] 30 .
5 [illegible] 87 .
6 [illegible] 141 ، 142 .
7 [illegible] 88 .

جوابه بما لا يغادر شيئا مما أراده خصمه في حواره ، و في كلامه تعريض لحماقة خصمه إذ يحاولون حمله على ملتهم بالإكراه ، مع أنّ شأن المحق أن يترك للحق سلطانه على النفوس و لا يتوكأ على عصى الضغط و الاكراه و لذا قال تعالى : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فإن التزام الدين عن اكراه لا يأتي الغرض المطلوب من التدين وهو تزكية النفس و تكثير جند الحق و الصلاح المطلوب "[1]

و ما يؤكد هذا نجد بالمقابل أن الأنبياء يرفضون أن تكون دعوتهم مبنية على الاكراه كما قال تعالى على لسان نوح عليه السلام " أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" [2]

9) التوبيخ :

التوبيخ من الدلالات الأساسية للإستفهام الانكاري و الانكار التوبيخي يكون على فعل قد وقع أو يقع و المقصود بالانكار ما كان ينبغي أن يكون وأنه لا ينبغي أن يكون [3] و لقد وردت عدة جمل تفيد معنى التوبيخ .

قال تعالى على لسان الأنبياء هود ، صالح و ابراهيم و شعيب عليهم السلام

" أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ" [4]

" أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ" [5]

" أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ" [6]

" أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ" [7]

"أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ" [8]

و قال على لسان قوم هود و صالح " أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا"[9]

" أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا" [10]

لقد وردت كل الجمل السابقة مصدرة بالهمزة المفيدة للإنكار و جاءت كل الجمل فعلية مضارعية .

اما قوله تعالى على لسان هود عليه السلام " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ " [11] هو استفهام انكاري يراد به التوبيخ للقوم على بنائهم البنايات المرتفعة " و التطاول بالمقدرة و المهارة و من ثم سماه عبثا و لو كان لهداية المارة و معرفة الاتجاه ما قال لهم : تعبثون فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد و تنفق البراعة و ينفق المال فيما هو ضروري و نافع لا في الشرف و الزينة و مجر اظهار البراعة و المهارة "[12].

---

1 [illegible] 9 [illegible] 7.

2 [illegible] 28.

3 [illegible] 226.

4 [illegible] 128.

5 [illegible] 146.

6 [illegible] 66.

7 [illegible] 95.

8 [illegible] 92.

9 [illegible] 22.

10 [illegible] 62.

11 [illegible] 128.

12 [illegible] 19 [illegible] 2609.

لقد استفهم صالح قومه منكرا أن يتركوا مخلدين في النعيم آمنين من غضب الله و مقته و عقابه " و نزل حالهم منزلة من يظن الخلود و دوام النعمة فخاطبهم بالاستفهام الانكاري التوبيخي وهو المعنى انكار على ظنهم ذلك ، و سلط الانكار على فعل الترك لأن تركهم على تلك النعم لا يكون انكار حصوله مستلزما انكار اعتقاده "[1].

لما غلبه إبراهيم قومه بالحجة المقنعة وقفهم على انحراف اعتقادهم و نحا عليهم باللائمة و التوبيخ و الانكار لعبادتهم لتماثيل لا تنفع و لا تضر " أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ "[2] و أبدى غضب و غيظه و حنقه متعجبا من سخافة عقول تجاوزت كل مألوف "[3]

و في سياق آخر أنكر ابراهيم على قومه عبادتهم الأصنام بالاستفهام الانكاري المنصب على عبادة ما ينحتون لتوبيخهم على عبادة النحت " الاشارة إلى أنهم في الحقيقة إنما عبدوا النحت لأن الأصنام قبلة الحجارة و لم يكونوا يعبدونها و إنما عبدوها بعد أن نحتوها و في الحقيقة ما عبدوا إلا نحتهم "[4] فكيف يعبدون صورا صوروها بأيديهم بأشكال مختلفة[5] و المعبود الحقيقي ينبغي أن يكمن الصانع لا المصنوع و الخالق لا المخلوق[6] و بعد أن أنكر عليهم و بخهم على ذلك وجههم إلى الإله الأحق أن يعبدوه وهو الاله الذي خلقهم خلق أصنامهم و حجارتهم " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ "[7].

كما هدد آل مدين شعيبا بالرجم لولا احترامهم للرهط دون أن يراعوا حرمة الله و حرمة النبوة أنكر عليهم ذلك و وبخهم على تصرفهم و استهانتهم بالأمور العظيمة " لأن الاستهانة بمن لا .... استهانة به عز و جل استهانة بجنابه العزيز و إنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما اثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز و جل مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية التقريع و تكرير التوبيخ حيث أنكم عليهم ترجيح جنبية الرهط على حزبية الله تعالى و ثانيا ينفي العزة بالمرة و المعنى أرهطي أعز عليهم من الله فإنه مما لا يكاد يصح و الحال أنكم لم تجعلوا له حظا من العزة أصلا[8].

و ما يمكن ملاحظته ان الاستفهام الانكاري التوبيخي وظفه الانبياء للوم أقوامهم في انحراف معقتقداتهم و سلوكاتهم لأجل أن يصححوها و ورد الاستفهام الانكاري التوبيخي في كلام الأقوام منصبا على ما هو في طريق الصواب و النهج السليم وهذا يدل على انحراف أنفسهم و بعدها عن جادة الصواب فقوم هود أنكروا على هود عليه السلام مجيئه لدعوتهم إلى جادة الصواب و جعلوا دعوته إلى عبادة الله و الايمان به صرفا و افكا و " لتأفكنا لتصرفنا كما قال الضحاك من الإفك بمعنى الصرف و قيل لتزيلنا بالإفك وهو الكذب عن آلهتنا أي عن عبادتنا "[9] و قوم صالح لما أخبروه لما كانوا يأملون فيه تعريضا له لمخالفته لذلك و يأسا لخيبة أملهم فيه عنّفوه و وبخوه على نهيه لهم عن عبادة الاصنام " و

---

1 [illegible] 5 [illegible] 19 [illegible] 174 [illegible] 175 .
2 [illegible] 66 .
3 [illegible] 4 [illegible] 17 [illegible] 2387 [illegible] 6 [illegible] 303 .
4 [illegible] 13 [illegible] 23 [illegible] 181 .
5 [illegible] 13 [illegible] 352 .
6 [illegible] 5 [illegible] 23 [illegible] 2993
7 [illegible] 96 .
8 [illegible] 4 [illegible] 236 .
9 [illegible] 14 [illegible] 26 [illegible] 39 [illegible] 8 [illegible] 64 .

عبّروا عن أصنامهم بالموصول لما في الصلة من الدلالة على استحقاق تلك الأصنام أن يعبدوها في زعمهم اقتداء بآبائهم لأنهم أسوة لهم ، و ذلك مما يزيد الانكار اتجاها في اعتقادهم "[1] .

المطلب الثاني : الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى التقرير

الاستفهام التقريري يراد به "حمل المخاطب على الإقرار و الاعتراف بأمر قد استقر عنده "[2]

الاستفهام التقريري استفهام إنكاري يفيد النفي و إذا دخل عليه النفي أفاد الإيجاب لأنّ نفي النفي اثبات[3] كقوله تعالى " ألست بربكم "[4] أي أنا ربكم ،و لا بد أن يلي الأداة الشيء الذي تقرر بها فإذا أردت التقرير بالفعل تقول " أفعلت " و إذا أردت التقرير بالفاعل نقول: أأنت فعلت و إذا أردت التقرير بالمفعول به تقول " أهذا فعلت "[5] .

ـ قال تعالى على لسان قوم إبراهيم: " أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ "[6]

ـ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: " أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ "[7]

ـ قال تعالى على لسان نوح و صالح و شعيب عليهم السلام: " أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي "[8]

ـ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا "[9]

ـ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " وَ مَا تَعْبُدُونَ "[10]

" هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ "[11]

ـ الجمل الستة كلها جاءت استفهاما يفيد التقرير و تختلف هذه الجمل من حيث الأدوات الداخلة عليها كدخول الهمزة على الجمل الأربعة الأولى و دخول " هل " على الجملة الخامسة و " ما " على الجملة السادسة " .

ـ و لقد دخلت أدوات الاستفهام على الأفعال المضارعة (تروا – تعبدون – يسمعون) و الفعل الماضي(رأيتم) كما دخلت على الأسماء (أنت – إفكا) و لقد دخلت أداة النفي بين همزة الاستفهام و الفعل المضارع (ألم تروا) و يمكن صياغة هذا النمط من الجمل وفق الشكلين التاليين :

أداة الاستفهام + جملة (فعلية / اسمية)

أداة الاستفهام + اداة نفي + جملة فعلية

ـ يدل دخول همزة الاستفهام على الضمير المنفصل (أنت) في الجملة الأولى على التقرير بالفاعل فالقوم يريدون حمل إبراهيم على أن يقر لهم بأنّ فعل تحطيم الأصنام كان منه و لا

---

1 [illegible] 6 [illegible] 12 [illegible] 110 .

2 [illegible] 2 [illegible] 331 .

3 [illegible] 2 [illegible] 333 .

4 [illegible] 172 .

5 [illegible] 224 .

6 [illegible] 62 .

7 [illegible] 82 .

8 [illegible] 28 [illegible] 63 [illegible] 88 .

9 [illegible] 16 .

10 [illegible] 70 .

11 [illegible] 72 [illegible] 73 .

يريدون أن يقرّ لهم أنّ فعل تحطيم الأصنام قد كان ،لأنّهم يعلمون ذلك لأنّ همزة الاستفهام المفيدة للتقرير قد دخلت على الفاعل و ليس على الفعل و لأن إبراهيم أجابهم " بل فعله كبيرهم هذا " و لو كان التقرير بالفعل لقال إبراهيم فعلت أو لم أفعل[1].

ـ اختلف المفسرون حول إعراب إفكا في الجملة الثانية فمن المفسرين من يقول بأنّها واقعة مفعول به لفعل تريدون و منهم من اعتبرها مفعولا لأجله أي تريدون آلهة من دون الله إفكا و آلهة مفعول به ،و منهم من جعلها حالا أي تريدون آلهة من دون الله آفكين ، قال الزمخشري [2] و تقديم إفكا على الجملة الفعلية المكونة من الفعل و الفاعل يدل على العناية و الاهتمام [3] و ودخول همزة الاستفهام عليه يفيد القوم على الإقرار [4] بما يريدون من عبادتهم آلهة من دون الله و وتوبيخهم و تهديدهم على إفكهم و افترائهم على الله.

ـ أما دخول همزة الاستفهام المفيدة للتقرير يدل على فعل الرؤية في الجملة الثانية معناه أخبروني وهو استفهام عن الرؤية بمعنى الاعتقاد [5]لأن دخول همزة الاستفهام على فعل الرؤية يمنع أن تكون من رؤية البصر [6] و لا يقع فعل الرؤية بهذا المعنى (أخبر وني) إلاّ اسم مفرد أو جملة شرطية و لا يكون الشرط فيها إلاّ ماضيا لأنّ ما بعده جملة الشرط ليست بجواب لها و إنّما هي متعلقة بفعل الرؤية (أرأيتم) و جواب الشرط يكون محذوفا للعلم به أو للاستفهام مع عامله [7] و معنى قوله تعالى على لسان نوح و صالح و شعيب " أرأيتم إن كنت على بينة من ربي " أخبروني إن كنت ذا برهان واضح و متصفا برحمة الله بالرسالة و الهدى ،و غالبا ما يستعمل فعل الرؤية بمعنى أخبروني لمخاطبة الذي ينكر و يجحد الخبر و يراد من الاستفهام التقريري حمل الخصم على الإقرار بالنفي مما يدّعيه و مطالبته بالاعتراف عن خطئه .

ـ تدل الجملة الرابعة على الاستفهام التقريري الذي يراد به التنبيه أو التذكر أو الاعتبار لأنّ دخول الهمزة على أداة النفي يفيد معنيان " أحدهما التنبيه و التذكير كقوله تعالى " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل" و الثاني التعجب من الأمر العظيم كقولك ألم تر إلى فلان يقول كذا و يعمل كذا على طريق التعجب منه "[8] فنوح عليه السلام أراد من قومه " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا " [9] تنبيه القوم و تذكيرهم بدلائل القدرة الإلاهية لعلهم يعترفون بخالقهم بعد أن يتأملوا و يتدبروا في ملكوت السماوات و الارض.

ـ سؤال إبراهيم قومه في الجملة الخامسة عن جنس ما يعبدون ليس سؤالا حقيقيا لأنّ إبراهيم يعلم أن قومه يعبدون تلك الأصنام و إنّما سألهم ليحملهم على أن يقرّوا بحقيقة ما يعبدون وهي كونها أصناما لا تستحق العبادة " لأن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه و لمّا كان المسؤول يجيب بعد تفكير و روية عن هذه الأسئلة بالنفي كان في توجيه السؤال إليه حملا على الإقرار بهذا النفي وهو

---

1 [illegible] 89 .
2 [illegible] 350 .
3 [illegible] 23 [illegible] 13 [illegible] 149 .
4 [illegible]
5 [illegible] 12 [illegible] 6 [illegible] 51 .
6 [illegible] 4 [illegible] 187 .
7 [illegible] 4 [illegible] 153 .
8 [illegible] 4 [illegible] 178 .
9 [illegible] 163 .

أفضل من النفي ابتداء " [1] ، ولقد وجّه ابراهيم هذا السؤال لقومه ليبدأوا في شرح كنه و حقيقة تلك الأصنام التي يعبدونها ومن ثم يشعرون ببطلان تلك العبادة ،" لأن الذي يتصدى لشرح الباطل يشعر بما فيه من بطلان عند نظم معانيه أكثر ممّا يشعر بذلك من يسمعه ،و لأنه يعلم أنّ جوابهم ينشأ عنه ما يريده من الاحتجاج على فساد دينهم و قد أجابوا استفهامه بتعيين نوع معبوداتهم " [2] في زهو و افتخار يقصد من ورائه التعنت والإصرار على ما هم فيه من الباطل و استمراء الضلال " نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ " [3] .
- "هل" حرف موضوع للتصديق الايجابي دون التصور و التصديق السلبي [4] و معنى التصديق الإيجابي أنّها لا تدخل على الجملة المنفية بخلاف الهمزة التي تفيد التصديق الإيجابي و السلبي نحو قوله تعالى " ألم نشرح لك صدرك و يمتنع هل لم نشرح لك صدرك و قد تخرج دلالة هل من الاستفهام الحقيقي إلى دلالات أخرى كالأمر والتمني و العرض و التشويق و التعليم و والإرشاد و التبكيت و الإلزام و النفي و التهويل و التعظيم و التحذير بمعنى "قد" و المراد من قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون " هوإنكار عدم فعالية تلك المعبودات لأنّها لا تسمع و لا تجيب دعائهم لأن من معاني (سمع) الإجابة كما قال تعالى " قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا " و هل تفيد حمل القوم على التصريح بعدم فعالية تلك الأصنام .

المبحث الخامس: جملة الأمر و جملة النهي

المطلب الأول: جملة الأمر

تعد جملة الأمر إحدى الخصائص اللغوية التي امتاز بها جدال الأنبياء مع أقوامهم و الأمر " هو كل ما يمكن أن يطلب به الفعل من الفاعل المخاطب و يكون الطلب على وجه الاستعلاء "[5] و للأمر صيغ أربعة وهي فعل الأمر ، المضارع المقرون بلا و الأمر ، و اسم فعل الأمر و المصدر الغائب عن فعل الأمر [6] و قد يخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى معاني مجازية أخرى أشهرها الإباحة و الدعاء و التهديد و التوجيه و الإرشاد و الإكرام الإهانة و الاحتقار و التسوية و الامتنان و التعجب و التكذيب و التعجيز و الإذلال و إظهار القدرة [7]و تنقسم جملة الأمر من حيث الدلالة في الجدل القرآني إلى جملة أمر حقيقي و جملة أمر مجازي.

أولا: جملة الأمر الحقيقي

لقد ورد أغلب هذا النمط من الجمل في كلام الأنبياء ،و يدل غالبا على الإلزام و لقد جاءت جملة الأمر مكررة في كلام أغلب الأنبياء كما جاءت أيضا غير مكررة و خاصة ببعض الأنبياء و لذلك يمكن تقسيم هذا النمط من الجمل إلى قسمين أحدهما عام يتكرر فيه جملة الأمر في أغلب الأنبياء و الثاني خاص يتعلق بخصوصيات بعض الأقوام.

---

1 [illegible]
2 [illegible] 8 [illegible] 138.
3 [illegible] .71
4 [illegible] 2 [illegible] 303 .
5 [illegible] 5 [illegible] 134 .
6 [illegible] 169 .
7 [illegible] 4 [illegible] 30 ø 31 .

1) جملة أمر حقيقي عام

أ) الأمر بعبادة الله

- قال تعالى على لسان الأنبياء نوح ، هود ، صالح ، شعيب ، إبراهيم عليهم السلام

1) " اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ " [1]

2) " اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي "[2]

3) "وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ" [3]

ب) الأمر بتقوى الله و طاعة الأنبياء

- قال تعالى على لسان الأنبياء : نوح ، هود ، صالح ، شعيب

4)" فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي " [4]

5)" اتَّقُوا الذي أ مَدَّكُم بمَا تَعمَلُون" [5]

6)" وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ " [6]

ج) الأمر بالاستغفار و التوبة

7) " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ " [7]

8) " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ " [8]

إذا تأملنا هذه الجمل نجد أنها تنقسم من حيث مكوناتها إلى ثلاثة أنماط :

1) نمط مكون من فعل أمر واحد و ورد ذلك في الجملة الأولى و الخامسة و السابعة و يمكن صياغته وفق الشكل التالي :

<u>فعل أمر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به (اسم مفرد / اسم موصول و صلته)</u>

2) نمط مكون من فعلين أمرين و ورد ذلك في الجملة الثالثة و الرابعة و الثامنة و يمكن صياغته وفق الشكل التالي :

<u>- فعل أمر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به + واو العطف + فعل الأمر (ضمير متصل) (معطوف عليه) + مفعول به</u>

---

1 [illegible] ([illegible] 59 [illegible] 23)
[illegible] ([illegible] 65 [illegible] 50 [illegible] 32)
[illegible] ([illegible] 73 [illegible] 84)
[illegible] ([illegible] 85 [illegible] 84)
2 - [illegible] 4 .
3 - [illegible] 17 .
4 [illegible] ([illegible] 108 - 109)
[illegible] ([illegible] 126 - 131)
[illegible] ([illegible] 144 - 156)
[illegible] ([illegible] 179)
5 - [illegible] ([illegible] 132)
6 - [illegible] ([illegible] 184)
7 - [illegible] 10 .
8 - [illegible] 52 .
- [illegible] 90 .

3) نمط مكون من ثلاثة أفعال أمر و ورود ذلك في الجملة الثانية و يمكن صياغة هذا النمط وفق الشكل التالي:

<u>فعل أمر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به + حرف عطف + فعل امر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به + حرف عطف + فعل امر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به</u>

ـ يدل تكرار الأمر بعبادة الله دون غيره تسع مرات في الجملة الأولى أن دعوة الأنبياء عليهم السلام واحدة وهي الأمر بعبادة الله عن سواه و نبذ الشرك.

ـ أمّا قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام " اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي " [1] هو توضيح للخطوط العريضة للرسالة و الدعوة وهي " عبادة الله وحده بلا شريك و تقوى الله تهيمن عل الشعور و السلوك ، و طاعته لرسوله تجعل أمره هو المصدر الذي يستمدون منه نظام الحياة و قواعد السلوك .

و في هذه الخطوط العريضة تتلخص الديانة السماوية على الإطلاق ثم تفترق بعد ذلك في التفصيل و التفريع ... و هذه الخطوط العريضة التي دعا نوح إليها في فجر البشرية هي خلاصة دعوة الله في كل جيل بعده " [2] .

ـ ربط الأمر بعبادة الله بالشكر في الجملة الثالثة لأن عبادة الله لا تكفي فلا بد من شكر النعم التي أنعم الله بها على عباده.

ـ قدم الأمر بالتقوى على طاعة الرسول في الجملة الرابعة في كلام نوح و هود و صالح و شعيب لأن تقوى الله هي سبب لطاعة الرسول [3] و تكرار الأمر بالتقوى و الطاعة في كلام الأنبياء نوح وهود و صالح و شعيب يدل على أنّهم مجمعون على ذلك متفقين عليه كما يدل على وحدة الرسالة من حيث الجوهر و المنهج في أصلها الواحد الذي تقوم عليه وهو الإيمان بالله و تقواه و طاعة الرسول الآتي من الله" [4]

ـ أمر هود قومه بالتقوى في الجملة الخامسة لثالث مرة و علق الأمر بالتقوى بالاسم الموصول " لينبه القوم على إحسانه تعالى إليهم و سبوغ نعمته عليهم ،و إبراز صلته "الذي" متعلقة بعلمهم تنبيها لهم و تحريضا على الطاعة و التقوى ، إذ شكر المحسن واجب و طاعته متعينة و مشيرا بأنّ من أمد بالاحسان هو قادر على سلبه و على تعذيب من لم يتقه وهذا الإمداد ليس من جهتكم و انما هو من تفضله تعالى عليكم" [5].

ـ أمر شعيب قومه بالتقوى و علّق الأمر بالاسم الموصول أيضا لينبههم أن الذي خلقهم و أوجدهم قادر على إهلاكهم و تعذيبهم كما أهلك الأولين [6]

ـ المراد بالأمر الاستغفار طلب المغفرة و هي الستر ،و التوبة هي الانسلاخ من المعاصي و الندم على ما سلف منها و العزم على عدم العود إليها لأنه لا يتم إيمان الكافر إلاّ بعد الاستغفار و التوبة" [7]

<u>ج) جملة أمر حقيقي خاص :</u>

---

1 [illegible] 4 .

2 [illegible] 29 [illegible] 3711 .

3 [illegible] 11 [illegible] 19 [illegible] 159 [illegible] 7 [illegible] 30 .

4 [illegible] 5 [illegible] 19 [illegible] 2611 .

5 [illegible] 7 [illegible] 32 .

6 [illegible] 7 [illegible] 37 .

7 [illegible] 5 [illegible] 203 .

ـ قال تعالى على لسان هود و صالح و شعيب عليهم السلام :

1) "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[1]

2) " وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " [2].

3) " وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ " [3]

قال تعالى على لسان صالح عليه السلام

4) " فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ " [4]

ـ قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام

5) "فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ " [5]

ـ قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام

6) "أَوفُوا الكَيْلَ وَ المِيزَانَ " [6]

7) " أُوفُوا الكَيْلَ وَ المِيزَانَ " [7]

8) "وَ أُوفُوا الكَيْلَ "

9) "زِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ "

إذا تأملنا هذه الجمل نجدها وردت كلها في كلام الأنبياء و يمكن تقسيم هذه الجمل إلى الأنماط التالية :

1) جملة فعلية تكرر فيها فعل الأمر مرتين وهي الجملة التي فعل امرها (الفعل أذكروا و يمكن صياغتها وفق الشكل التالي

فعل الأمر اذكروا + إذ + (جملتين / ثلاث جمل فعلية) + فعل الأمر أذكروا

و قد ورد هذا الشكل في الجملة الأولى و الثانية

2) جملة فعلية مصدرة بفعل الأمر أذكروا غير مكرر و يمكن صياغتها وفق الشكل التالي :

فعل الأمر اذكروا + إذ + جملة اسمية + الفاء + جملة فعلية

وقد ورد هذا الشكل في الجملة الثالثة

3)جملة فعلية فعل امرها غير فعل اذكروا + إذ و يمكن صياغتها وفق الأشكل التالية:

فعل أمر + فاعل + مفعول به + جملة فعلية حالية ورد ذلك في الجملة الرابعة

فعل أمر + فاعل + شبه جملة ظرف + مفعول به ورد ذلك في الجملة الخامسة

فعل امر + فاعل + مفعول به ورد ذلك في الجملة السادسة و السابعة و الثامنة

فعل امر + فاعل + جار و مجرور وورد ذلك في الجملة التاسعة .

---

1 [illegible] 69 .

2 [illegible] 74 .

3 [illegible] 86 .

4 [illegible] 73 . [illegible] 64 .

5 [illegible] 17 .

6 [illegible] 85 .

7 [illegible] 85 .

ـ لقد جاء فعل الأمر بتذكر النعم و الآلاء مرتين في كلام هود و صالح عليهما السلام خاصا بقومهما لأنهم امتازوا ببعض النعم لم تكن موجودة في الأقوام التي سبقتهم فقوم هود امتازوا بالقوة في كل شيء ،و ثمود امتازوا بعد خلافتهم بالتبوء في الأرض و اتخاذ السهول قصورا و نحت الجبال بيوتا ،و تكرير الأمر بالتذكر لزيادة التقرير و التعميم بعد التخصيص [1] ولقد ذكّر ذكّر هود و صالح قومهما ببعض نعم الله عليهم و ذكروهم بمطلق النعم[2] و تذكير القوم بالنعم الخاصة بهم و النعم العامة لكي يشكروها و يحذروا من البطر و الأشر ، و ذكر النعم يوحي بشكرها و شكر النعمة تتبعه المحافظة على أسبابها [3]،ولأنّ هذا النفس تنسى النعم فتكفر المنعم فإذا تذكرت النعمة رأت حقا عليها أن تشكر المنعم و لذلك كانت مسألة شكر النعم من أهم مسائل التكليف " [4] .

ـ أمّا الأمر بالتذكر الوارد في كلام شعيب هو أمر خاص بأهل مدين و يتعلق بنعمة الكثرة بعد أن كانوا قلّة " و معنى تكثيره إياهم تيسير أسباب الكثرة لهم بأن قوى فيهم قوة التناسل و حفظهم من أسباب الموتان و يسر لنسلهم اليفاعة حتى كثرت مواليدهم و قلت وفاياتهم فصاروا عددا كبيرا من زمن لا يعمد في مثل مصير أمة إلى عددهم" [5] .

ـ و معنى " إذا " في الجمل الثلاثة الأولى بعد فعل الأمر اذكروا هو اسم زمان في محل نصب المفعول به [6] و معناه اذكروا زمان جعلكم خلفاء بالنسبة لعاد و ثمود و ذكروا زمان كنتم قليلا بالنسبة لأهل مدين.

ـ و أمّا أمر صالح عليه السلام قومه بترك الناقة يستلزم النهي عن التعرض لها و مسّها بسوء بعد أن أخبرهم بأنّها آية من آيات الله لكي يختبر مدى طاعتهم له.

بعد أن أبطل إبراهيم اعتقاد قومه أنّ الأصنام ترزق أمرهم ووجههم لأن يطلبوا الرزق ممن يختص به دون سواه وهو الله و " عند ظرف مكان وهو مجاز ، شبّه طلب الرزق من الله بالبحث عن شيء في مكان يختص به فاستُعيرله"عند"للدلالة على المكان المختص بمايضاف إليه الظرف " [7] و تقديم الظرف على المفعول به لتأكيد اختصاص الله بالرزق دون سواه.

ـ يعد الأمر بايفاء الكيل و الميزان و الوزن بالعدل من الأوامر الفرعية التي اختص بها شعيب بعد الأمر الأساسي وهو عبادة الله دون سواه لأنّ أحوال الناس في زمانه قد تغيرت وتطورت و لذلك هي في حاجة إلى من يوجههم في تلك الأمور الفرعية ،و لذلك كانت دعوة شعيب أوسع من دعوة الرسل السابقين ،و لقد تفشّت ظاهرة التطفيف في الكيل والميزان عند أهل مدين فجاء شعيب ليوجه قومه إلى الكيل والميزان الصحيح الذي لا غش فيه و لا خداع ومعنى إيفاء الكيل " جعله وافيا كاملا غير ناقص " [8] و جعل آلة الكيل التي يكال بها بمقدار ما يقدر بها من الأشياء [9] ،و الكيل هو مصدر يطلق على ما يكال به و هو المكيال [1]

---

1 [illegible] 3 [illegible] 239.

2 [illegible] 4 [illegible] 318.

3 [illegible] 8 [illegible] 3 [illegible] 1311.

4 [illegible] 8 [illegible] 3 [illegible] 203 ـ 204.

5 [illegible] 8 [illegible] 5 [illegible] 248.

6 [illegible] 1 [illegible] 94.

7 [illegible] 20 [illegible] 10 [illegible] 226.

8 [illegible] 18 [illegible] 184.

9 [illegible] 8 [illegible] 5 [illegible] 244.

و القسطاس بضم القاف و كسرها من أسماء العدل و الميزان [2] فالألفاظ أوفوا ، زنوا، القسطاس المستقيم، هي تدل على توجيه قوم شعيب إلى الكيل و الوزن الصحيح الوافي غير الناقص و العادل.

ثانيا جملة الأمر المجازي:

لقد دلت جملة الأمر الواردة في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم على معاني مجازية من هذه المعاني التعجيز و التهكم و الاستهزاء و الاعتبار و التهديد و الوعيد و التحدي و التحريض .

1) __التعجيز:__

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح و هود و صالح:

" فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ " [3]

" ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ " [4]

" فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ " [5]

لقد تحدثت عن هذا النمط من الجمل عندما تعرضت إلى الجملة الشرطية ذات جواب محذوف دلّت عليه الجملة السابقة لجملة الشرط ،و معنى أفعال الأمر (إئت ، أسقط) هو إرادة هؤلاء الأقوام تعجيز أنبيائهم لأنّهم يعلمون سلفا عدم استطاعتهم ذلك ،و لذلك يطلبون ذلك منهم ليبرروّا تكذيبهم بهم لكونهم يحتقرون نبوتوتهم .

2) __التهكم:__

ـ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ " [6/7]

بعد أن أراد قوم إبراهيم حمله على الإقرار بفعل تحطيم الأصنام و أجابهم أن الصنم الكبير هو الذي حطّمها ،و إذا كذبتموني إسألوه و سألوا كل الأصنام إن كانت تنطق " و التهكم واضح في هذا الجواب الساخر ... إنّما أراد أن يقول لهم إنّ هذه التماثيل لا تدرى من حطّمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكا فهي جمادا لا إدراك له أصلا ، و أنتم كذلك مثلها مسلوبوا الادراك لا يميزون بين الجائز و المستحيل ، فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم أنّ هذا التمثال هو الذي حطّمها و يبدوا أنّ هذا التهكم الساخر قد هزّهم هزّا وردهم إلى شيء من التدبر و التفكير " فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ " [8/9]

3) __الاستهزاء:__

ـ قال تعالى علىلسان هود عليه السلام:"إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ "[10]

---

1 [illegible] .

2 [illegible] .

3 [illegible] 32 [illegible] 70 [illegible] 154 .

4 [illegible] 77 .

5 [illegible] 187 .

6 [illegible] 63 .

7 [illegible]

8 [illegible] 64 .

9 [illegible] 4 [illegible] 17 [illegible] 2387 .

10 [illegible] 54 .

أشهد هود على براءته من الشرك بالخبر و الإشاء " لأنّ كل إنشاء لا يظهر أثره في الخلق من شأنه أن يقع بصيغة الخبر لما في الخبر من قصد إعلام السامع بما يضمره المتكلم ،و لذلك كان معنى صيغ العقود إنشاء بلفظ الخبر" [1] و اخبارهم بشهادته و أمرهم بالاشهاد المقصود به الاستهزاء و الاستهانة بهم.

4) الاعتبار:

- قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام : " وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ "[2]

بعد أن أمر شعيب قومه بتذكر نعمة التكثير بعد أن كانوا أقلة أمرهم بالتأمل و النظر في مصير الأقوام السابقة الذين كذّبوا رسلهم لقصد الاعتبار بهم والأمر بالنظر و التأمل موجه إلى الكفار و المؤمنين من اتباعه ،" وهذا الخطاب مقصود به الكافرون من قومه ابتداء و فيه تذكير للمؤمنين منهم بنعمة الله فإنها تشملهم بمن مضوا فإنّه ينفعهم ،و في هذا الكلام تعريض بالوعد للمسلمين و بالنسبة لهم على ما يقولونه من مفسدي أهل الشرك لانطباق حال الفريقين على حال الفريقين من قوم شعيب " [3] وهذا التعريض بالوعد للمسلمين يراد به تسليتهم على ما يلاقونه من ظلم و تعدي حينما أكرهوهم بالإخراج من المدينة أو الارتداد عن دينهم.

5) التهديد و الوعيد:

- قال تعالى على لسان صالح عليه السلام " تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ " [4]

" وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ " [5]

" وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ " [6]

الأمر بالتمتع و العمل على المكانة و الارتقاب في الجمل الثلاثة يراد به التهديد و الوعيد و معنى تمتعوا استمتعوا بالعيش [7] ،و اعملوا على مكانتكم " أي غاية تمكنكم من أمركم و أقصى استطاعتكم و إمكانكم ،و هو مصدر مكن يقال مكان و المكانة فعل و مفعلة من الكون و الميم حينئذ زائدة و فسر ابن زيد – المكانة بالحال : يقال : على مكانتك يا فلان إذا أمرته أن يثبت على حاله و كأنّك قلت اثبت على حالك التي أنت عليها لا تنصرف وهو من استعارة العين للمعنى كما نص عليه غير واحد ، و حاصل المعنى ههنا أثبتوا ما أنتم عليه من الكفر و المشاقة لي و سائر ما لا خير فيه " [8] ،و ارتقبوا أي انتظروا و جاء التهديد بعد أن تمرد قوم صالح لما أمرهم به صالح من عدم الحاق أي ضرر بالناقة فعصوا أمره و عقروا الناقة و عتوا عن أمر ربهم و أمروا صالح بالإتيان بالعذاب دون مبالاة بعواقب ذلك ،و استهانة قوم شعيب بدعوة شعيب و واستهتارهم و لا مبالاتهم و احتقارهم له و جرأتهم عليه بالتهديد و الوعيد برجمه دون مراعاة لحرمة النبوة و نسيان الله و سلطانه وراء ظهورهم.

6) التحدي :

---

1 ø ãÂÃ₳ã ÂÆ ...ÛÂ6ÿ Û12ž Û 99î .

2 ø ẽrǵã ãj ãĊ 86 .

3 ø ãţÔÁóẠÊÅ Û5ÿ Û8ž Û 249î .

4 ø ẽrǵã ÁŤãĊ 65 .

5 ø ẽrǵã ÁŤãĊ 93 .

6 ø ãÊǵã ÁÊẠ ... .

7 ø ÀŢÄ Ûà ÄB ... Â ÿ2Û 392î ø 393 .

8 ø ã ... ÂDÛ7ÿ Û11ž Û 190î .

ـ قال تعالى على لسان هود عليه السلام " فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي "[1]
أمر قومه بالكيد ليس المقصود منه حقيقة الأمر بالكيد بل أراد أن يتحداهم في سطوتهم وقوتهم و جبروتهم و قدرتهم على إلحاق الضرر به و الجو مهيأ لذلك ، لأنه واحد وهم كُثر وأمرهم بالكيد و تحديه لهم " من أعظم الآيات على صدقه و ثقته بوعود ربه من النصر له ، و التأييد و العصمة من أن ينالوه بمكروه ،وهذا و هم حريصون على قتله يرمونه بقوس واحدة "[2] غير أنّهم لا يستطيعون ذلك لعجزهم " و هذه قمة التحدي ، و التحدي هنا معجزة لأنّه ساعة يتحداهم فهو يعلم أن الله سبحانه و تعالى ينصره "[3]

7) التحريض:

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح و قوم ابراهيم " فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ "[4]
" حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ "[5]
" ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ "[6]

ـ الأوامر الواردة في الجمل الثلاث تدل على تواطئ القوم في التنكيل بأنبيائهم و التحريض عليهم و تهيج العامة من القوم على ذلك فنوح عليه السلام بعدما وصفه قومه بالبشرية لنفي الرسالة و النبوة عنه وصفوه أيضا بالجنون و راموا إلحاق الضرر به إلاّ أنّهم طلبوا من اتباعهم أن يتربصوا و يتريثوا في قرار الكيد به ريثما يبرأ من جنونه فقال بعضهم لبعض " احتملوه اصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة ، فإن أفاق من جنونه و إلا قتلتموه "[7]

ـ و إبراهيم عليه السلام حينما بدل كل ما في وسعه لإقناع القوم على بطلان عبادتهم للأصنام حتى كاد أن يقنعهم إلاّ أن كبريائهم و غرورهم جعلهم يتراجعون عن ذلك و انتكسوا في غيهم و تواطؤوا على عذابه " واختاروا أشد العذاب وهو الإحراق بالنار التي هي سبب للإعدام المحض و الإتلاف بالكلية و كذلك كل من أقيمت عليه الحجة و كانت له قدرة يعدل إلى المناصبة و الإذاية كما كانت قريش تفعل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حين دمغهم بالحجة و عجزوا عن معارضة ما أتاهم به عدلوا إلى الانتقام و إيثار الاغتيال فعصمه الله "[8]

المطلب الثاني: جملة النهي

النهي هو طلب ترك فعل على وجه الاستعلاء و على سبيل التحريم ،يؤدّى بالأداة " لا " المفيدة للنهي و تدخل على الفعل المضارع[9] ، ،وقد تخرج صيغة النهي من معناها الحقيقي إلى معاني أخرى مجازية تستفاد من السياق كالدعاء و الالتماس و الإرشاد و التوبيخ و التيئيس و التمني.

---

1 [illegible] 55 .
2 [illegible] 2 [illegible] 233 .
3 [illegible] 11 [illegible] 6508 .
4 [illegible] 25 .
5 [illegible] 68 .
6 [illegible] 97 .
7 [illegible] 3 [illegible] 178 .
8 [illegible] 17 [illegible] 10 [illegible] 100 .
9 [illegible] 57

أمّا ما يتعلق بجملة النهي في الجدل القرآني فإنّ عددها قليل إذا ما قورن بجمل الأمر ،و سبب ذلك أنّ أمر الناس بالقيام بسلوك و فعل معين أخف من حملهم على ترك فعل أو عادة معينة لأنّ الأفعال التي اعتادها الناس يصعب عليهم تركها و الكف عنها.

و النهي إمّا أن يكون بترك سلوك معين أو عدم القيام بسلوك معين ابتداء و لقد جاء النهي عدم القيام بالفعل ابتداء في نهي صالح قومه عدم المساس بالناقة ،و جاء النهي لترك سلوك معين و عادة معينة في نهي شعيب قومه عن بخس الناس أشيائهم و إنقاص الكيل ،وعدم القعود في الطرقات و عدم الفساد في الأرض عموما.

و جمل النهي الواردة في كلام الأنبياء جاء أغلبها مفيدا لمعناه الحقيقي وهو التحريم و جاء أغلبها مكررا و واردا في سياق جدال صالح مع قومه و شعيب مع قومه ،فجمل النهي الواردة في كلام صالح كانت حول موضوع عدم المساس بالناقة أما شعيب فقد جاء في زمان تطورت فيه حياة الناس حيث بدأ الناس يتعاملون مع بعضهم البعض في أمور المعيشة و تطور عقلهم بحيث أصبحوا يستعملون عقلهم في تدبير شؤونهم ،و قيامهم ببعض التصرفات التي اهتدى إليها فكرهم و لكن كانت تصرفات مضرة بهم من حيث لا يشعرون ،و من هذه التصرفات بخس الناس أشيائهم ، القعود في الطرقات و الصدّ عن سبيل الله ،و إنقاص الكيل و الميزان و خيانته و الإفساد في الأرض عموما ،و لقد خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي في بعض السياقات القليلة.

- قال تعالى على لسان صالح عليه السلام:

1) " وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ " [1]

2) " وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ " [2]

- قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام :

3) " وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ " [3]

4) " وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا " [4]

5)" وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " [5]

6) " تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ "[6]

7) " وَلَا تَكُونُوا مِنْ الْمُخْسِرِينَ " [7]

8) " وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ " [8]

- قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام:

9) " لاَتَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا "[9]

- قال تعالى على لسان هود عليه السلام:

10) " وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ " [1]

---

1 [illegible] 73 [illegible] 64 [illegible] 151 .

2 [illegible] 152 .

3 [illegible] 85 [illegible] 85 [illegible] 183 .

4 [illegible] 85 .

5 [illegible] 85 [illegible] 183 .

6 [illegible] 84 .

7 [illegible] 181 .

8 [illegible] 86 .

9 [illegible] 44 .

11) " فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي "[2]

ـ قال تعالى على لسان قوم نوح:

12) "وَ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ " [3]

13) " وَ لَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَ لَا سُوَاعًا وَ لَا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْرًا " [4]

ـ الجمل العشرة الأولى يراد بها حقيقة النهي المفيد للتحريم على وجه الاستعلاء.

ـ أما الجملة الحادية عشرة تفيد التحدي و الثانية عشرة و الثالثة عشرة تفيدان التحريض

ـ و لقد جاءت كل الجمل مصدرة بأداة النهي " لا " و الفعل المضارع

ـ جاء الفاعل في هذه الجمل ضميرا متصلا يفيد أغلبه جماعة المخاطبين وهم الأقوام وجاء ضميرا متصلا يفيد المخاطب المفرد وهو آزر أبو إبراهيم.

ـ و كل هذه الجمل جاءت على وجه الاستعلاء من أعلى إلى أدنى و المقصود بالعلو المعنوي وهي درجة النبوة التي هي واسطة بين الله و بين الأقوام.

و لقد تعرضت للحديث عن جمل النهي الواردة في كلام صالح عليه السلام عندما تحدثت عن جملة الشرط بغير أداة.

ـ أمّا المسرفون الذين نهى صالح قومه عن طاعتهم هم الملأ من القوم و الكبراء الذين يُغرون أتباعهم من عامة القوم ،و يستعملون كل الوسائل لذلك و يستغلون جهلهم و سطحية تفكيرهم ، فالمراد من هذا النهي تحذير عامة القوم من طاعة هؤلاء الكبراء.

ـ إنّ مهمة شعيب عندما بعث إلى قومه تكمن في ثلاث أمور وهي إصلاح الاعتقاد و النهي عن عادات متفشية فيهم ،مثل بخس الناس أشيائهم و نقص المكيال و الميزان ،و الإفساد في الأرض بصفة عامة [5]

ـ و أما النهي عن بخس الناس أشياءهم هو كلام موجه إلى المشتري لحفظ حقوق البائع من أن تضيع لأنّ المشتري قد بخس السلعة لجعل البائع يقبل بيع تلك السلعة بثمن بخس وهي حيلة يستعملها المشتري لكي يتحصل على المال.

ـ و أمّا النهي عن الافساد في الأرض فكلام موجه إلى عامة القوم و المقصود به كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الفساد كالسرقة و الغارة ،و قطع السبيل و إهلاك الزرع [6] و العثيي"من باب سعى و رمى و رضي، و بالواو كدعا وهو الفساد ،و مفسدين حال مؤكدة لعاملها مثل التوكيد اللفظي مبالغة في النهي عن الفساد ، و المراد النهي عن الفساد كله كما يدل عليه قوله تعالى " في الأرض" المقصود منه تعميم أماكن الفساد [7]

ـ و من العادات التي أمرشعيب الناس بتركها و اجتنابها عادة نقص المكيال و خيانته وهي عادة قبيحة تجمع بين خصلتي الغدر و السرقة ، ذلك ليحفظ بهذا النهي حقوق المشتري .

ـ كما حفظ حقوق البائع عند النهي عن بخس السلعة و المخسر هو الذي يلحق الخسارة بغيره ونهاهم أن يكونوا من صنف الذين يتحقق فيهم هذه الخصلة و المراد بالمخسرين

---

1 [illegible] 52 .

2 [illegible] 55 .

3 [illegible] 23 .

4 [illegible] .

5 [illegible] 136 ø 137 .

6 [illegible] 322 .

7 [illegible] 138 .

المطففين الذين ينقصون الكيل و قوله " من المخسرين " أبلغ من قوله " مخسرين " لأنه نهى و تبرأ من أهل هذه العادة القبيحة [1]

- و لقد نهى شعيب قومه عن القعود في الطرقات و صد الناس الذين يريدون اصلاح أنفسهم و يؤمنون بما جاء به شعيبا ، لأنّ القوم كانوا يقفون في طريق كل من يرغب في الإيمان و تعلم التعاليم التي أتى بها شعيبا ،و يمنعونهم من ذلك و أكثر من هذا يوعدنهم بالحاق الضرر بهم.

- و أمّا نهي ابراهيم أباه آزر من اتباع الشيطان هو نهي في معناه الحقيقي الذي يراد به تحريم الأمر المنهي عنه و عبادة الشيطان يراد بها الأصنام لأنّ عبادة الأصنام من تزيين الشيطان و عبر بها عن ذلك ، لينصح عن فسادها و ضلالها لأنّ الضلال و الفساد منسوب إلى الشيطان وهذا معلوم لدى كل الناس غير أنّ الذين يتبعونه هم غافلون و الكلام فيه إيجاز و معناه لا تعبد الأصنام لأنها من تسويل الشيطان [2] وهذا النهي يدل عن التنبيه عن الغفلة وعدم الفطنة.

- كما وضع هود قومه في الحال المثلى التي يجب أن يكونوا عليها وهي عبادة الله و التوجه إليه بالاستغفار مما بدر مهم من ذنوب و معاصي نهاهم عن التولي والإعراض و الرجوع إلى الحالة التي كانوا عليها من الشرك و"مجرمين" حال من حالات التولي والاصرار على الآثام،والإعراض عن قبول أوامر الله [3] وهذا النهي يفيد تحذيرهم من مغبة العودة و الرجوع إلى ما كانوا عليه بعد أن بيّن لهم طريق الحق و الصواب وأقام عليهم الحجة في ذلك.

- و من المعاني التي خرج فيها النهي من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي التحدي قال تعالى على لسان هود عليه السلام " فكيدوني جميعا ثم لا تنظروني " فالأمر في هذه الجملة سبقت الإشارة إليه و قد تطرقت عند الحديث عن معاني جملة الأمر المجازي ،و النهي الوارد في هذه الجملة يفيد هذا المعنى و يزيد من قوته ؛فهود عندما أمر قومه بأن يكيدوا له بإلحاق الضرر عليه بالغ في تحديه لهم بنهيهم بأن لا يتأخروا و لا يتردّدوا بل يعجّلوا بالكيد له مبالغة في الاستخفاف بهم و كناية بأنهم لا يصلون إليه" [4].

- لم تفرز دعوة نوح المخلصة المستمرة و المتعددة الوسائل والطرق والمناهج إلاّ مزيدا من الجحود و الاستكبار والطغيان والمكر والكيد له ولأتباعه، ونهى عامة القوم من أن يتركوا آلهتهم نهيا عاما " لا تدرون ودا ولا سواعا ولا يغوث و يعوق و نسرا " و هذا النهي يراد به التحريض تحريض كل القوم ليتشبثوا بعبادة تلك الأصنام و أن لا يستجيبوا لما دعاهم إليه و كأني بهم يعلنون حالة طوارىء لخطر داهم لا بد من مواجهته لكي لا يستفحل لأن دعوة نوح أصبحت تستحق الاهتمام بعدما استفحلت وانتشرت وهذا يدل على شدة إشراب نفوسهم تلك العبادة و حرصهم عليها و خوفهم الشديد من ضياعها.

1 [illegible] 18 [illegible] 184.
2 [illegible] 16 [illegible] 115.
3 [illegible] 12 [illegible] 97. [illegible] 2 [illegible] 386 [illegible] 387.
4 [illegible] 12 [illegible] 100.

الخاتمة

بعد دراستي للجدل القرآني خصائصه ودلالته خلص البحث إلى جملة من النتائج الخاصة تتعلق بالجانب الصوتي والصرفي والنحوي التركيبي ،ونتائج عامة تتعلق بالجدل بصفة عامة

NǰŮpĂï ĂzDfŽ Lq!Gi Ţ Đ!ƒ NFĸǰ: ŨĂD

(1 ĂăpǹoEĀâăÔζź :

أ ـ تواتر الأصوات

ـ إنّ عدد الأصوات المتواترة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد تواترها في كلام الأقوام، وهذا راجع إلى النّفَس الطويل الذي اتّصف به الأنبياء عليهم السلام في مجادلتهم لأقوامهم، وإقناعهم بالحجج والبراهين، وردّهم عن الافتراءات والأكاذيب والتهم التي يلصقها بهم أقوامهم .

ـ عدد تواتر الأصوات المجهورة أكثر من عدد الأصوات المهموسة، وهذا راجع إلى أنّ أي نص لغوي لا بد أن تحتل فيه الأصوات المجهورة الصدارة في الكثرة، وبما أنّ النص القرآني هو نص صوتي معجز فلا بد أن تحتل فيه الأصوات المجهورة الصدارة في جانبها الكمي، إضافة إلى أنّ سياق الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم يقتضي استعمال الأصوات المجهورة بكثرة لأنّ كل طرف يحتاج إلى الجهر بما يدّعيه وإبطال حجج الخصم باستعمال الأصوات المجهورة .

ـ عدد تواتر الأصوات الشديدة أكثر من عدد الأصوات الرخوة، وسبب كثرة الأصوات الشديدة راجع إلى طبيعة الجدل في حد ذاته كونه يمتاز بنوع من الحدة والشدة في الكلام بين الطرفين المتجادلين ،وهذه الشدة متأتية من أنّ كل طرف يدافع وينافح ويكافح ويستعمل كل ما أوتي من وسائل البيان بغية التشبث والتمسك برأيه ومحاولة إبطال آراء الخصم ودحض حججه .

ـ احتلت الأصوات الشبه الصائتة الصدارة في الكثرة في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم لما تحمل هذه الأصوات من دلالات النهي والنفي والتنبيه والاستفهام إضافة إلى أنّ أغلب فواصل الآيات الواردة في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في موسيقى فواصل القرآن .

ـ عدد تواتر الأصوات المستفلة يفوق عدد الأصوات المستعلية ،والسبب يعود إلى قلة استعمال الأصوات المستعلية في الكلام عموما لصعوبة نطقها مقارنة بالأصوات المستفلة التي لا يجد المتكلم حرجا وكلفة عند النطق بها، وبما أن هذه الأصوات يصعب نطقها فهي كذلك تثقل كاهل السامع لها وتسبب له ضيقا وحرجا، بينما الأصوات المستفلة هي سهلة وخفيفة نطقا وسماعا والأنبياء يتلطفون في مجادلتهم لأقوامهم حتى في اختيار الأصوات الملائمة التي تستسيغها وتقبلها آذان أقوامهم، ويحرصون كل الحرص على إيصال ما يدعون إليه إلى أسماع القوم بطريقة لا يشعر القوم بالملل و الضجر عند سماعها ،فالأنبياء يتواضعون مع أقوامهم سلوكا وكلاما، ولا يتشدقون بالأصوات التي تثقل كاهل الأقوام بل يوصلون دعوتهم بأيسر طريق وأخف كلام.

ـ صفة الإنفتاح في الأصوات هي الصفة الغالبة في الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم مقارنة بصفة الإطباق، والسبب يرجع إلى ما قيل في الأصوات المستعلية والمستفلة .

ـ أمّا ما يتعلق بالأصوات الصائتة فإنّ الفتحة هي أكثر الأصوات الصائتة تواترا وهذا راجع إلى سهولة النطق بالفتحة، ثم تليها الكسرة، ثم الضمة بعد ذلك .

ب) تكرار الأصوات :

ـ أمّا ما يتعلق بتكرار الأصوات في سياق جدال الأنبياء مع أقوامهم فإن تكرار الأصوات أدّى دلالات تتعلق بكلا الطرفين، فتكرارها في كلام الأنبياء جاء موافقا للرد على الإفتراءات والإدعاءات الباطلة،و إظهار الحقائق ، وتزييف مزاعم الأقوام، والرد على تهديدات الأقوام وتنبيه الأقوام بوجود الله، ومحاولتهم تثبيت ألوهية الله في نفوس الأقوام، كما تدل على رعاية الله واهتمامه بهؤلاء الأقوام، وتمسك الأنبياء و إلحاحهم في دعوتهم، وإمحاض النصح لأقوامهم، والتذكير بعظم النعم التي أسبغها الله على بعض الأقوام .

وأمّا الأقوام فقد وظفوا بعض الأصوات لإلصاق التهم الباطلة على أنبيائهم، وتزييف بعض الحقائق، وتذمرهم من دعوة أنبيائهم، والغيظ والغضب والحنق الشديد، وتهديدهم الأنبياء بالعذاب، وشدة رفضهم لنبوتهم واحتقارهم وازدرائهم بهم وبأتباعهم ونفي الأفضلية والمزية عنهم .

ج) المقاطع

وظّف كل من الأنبياء والأقوام المقاطع القصيرة والطويلة والمقفلة للتعبير عن أغراضهم

ـ تدل المقاطع المقفلة في كلام الأنبياء على سرعتهم في دعوتهم لأقوامهم، وسرعة وفاء الله بوعده واستجابته للأقوام إن آمنوا بأنبيائهم، وتدل على الزجر والتأنيب كما تدل على التذكير بنعم الله على الأقوام، وإشعار الأقوام بجدية الأنبياء فيما جاءوا من أجله، والحرص والحزم والدعوة والتزام الحدود، وعدم تجاوزها والعفة المطلقة والعدل والإنصاف .

ـ أمّا المقاطع الطويلة فلقد وردت في سياق كلام الأنبياء لتؤدي وظيفة أمر الأقوام بعبادة الله والإنابة إليه، ونصحهم وإرشادهم وتوجيههم إلى الخير ،وعدم البقاء في الكفر والظلال، وأمرهم بالسلوكات الحسنة، ونهيهم عن السلوكات السيئة وأمّا المقاطع القصيرة فقد قامت بدور المساعد للمقاطع المقفلة والطويلة .

أمّا الأقوام فقد وظّفوا المقاطع المقفلة في التكذيب لما جاء به الأنبياء والتهديد والوعيد الشديد إن لم ينتهوا عن دعوتهم، ووظّفوا المقاطع الطويلة للتعبير عن اللامبالاة والتهاون، وتضييع المزيد من الوقت، والمبالغة في الإصرار والتمادي في طريق الظلال، والتمسك بعبادة الأجداد والتشبث بها، وأمّا المقاطع القصيرة فلقد أعانت المقاطع المقفلة والطويلة في التعبير عن أغراض القوم .

د) النبر والتنغيم

ـ النبر إمّا أن يكون مراعاة للأداء الصوتي، ويسمى بنبر القاعدة أو الصيغة، وإمّا قصدا لدلالة معينة ويسمّى نبرا دلاليا (تأكيديا)

ـ النبر القاعدي (نبر الصيغة) والنبر الدلالي يعدّ وسيلة لفهم القرآن إن طبّقه المجودون والمرتلون للقرآن.

ـ دل النبر في كلام الأنبياء دلالات عدة أهمها التركيز على إخلاص العبادة لله وحده دون غيره، التنبيه عن المآل الذي سوف يؤول إليه الأقوام إن لم يؤمنوا بما جاء به الأنبياء، والاستنكار الشديد على غفلة الأقوام وعبادتهم آلهة من دون الله ، وحث الأقوام على الرجوع إلى الله وطلب المغفرة منه، والتذكير بآلاء الله ونعمه على الأقوام ،ووصف الله بسعة رحمته وسرعة إجابته وشدة محبته للمنيبين إليه .

ودلّ النبر في كلام الأقوام دلالات عدة وهي النفي الصريح لدعوة الأنبياء، وصفها بالكذب، والحط من قيمة النبوة وأتباع الأنبياء، وشدة تمسكهم بعقيدة الأجداد والتظاهر بعدم الفهم لما دعوا إليه ،وتعظيم أنفسهم، والافتخار ببأسهم وقوتهم، وتهديدهم للأنبياء .

ـ أمّا التنغيم فهو يتراوح من الثبات والهبوط في كلام الأنبياء المناسب لمقام النصح والإرشاد والنهي والصعود المناسب لمقام الاستفهام الإنكاري والتعجب، أما التنغيم في كلام الأقوام فهو يتراوح بين الثبات والهبوط المناسب لمقام الاستهزاء والاحتقار والإنكار والرفض لدعوات الأنبياء .

2) الجانب الصرفي

الاسم

ـ عدد الأسماء الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير الأسماء الواردة في كلام أقوامهم

ـ عدد الأسماء يفوق عدد الأفعال وسبب كثرة الأسماء يعود إلى طبيعة موضوع الجدل وهو إرساء دعائم العقيدة وتثبيتها في القلوب وذلك بالتعريف بالله واليوم الآخر، وصفات الله، والإيمان بالرسول والرسالة التي جاء بها، كما تدل الأسماء على خصوصيات بعض الأقوام وما هو شائع في زمانهم كما تدل أيضا على ردود أفعال الأقوام السلبية وذلك وصف أنبيائهم أوصافا سلبية هم وأتباعهم وساهمت في إيجاد تصنيف جديد للأقوام .

ـ لقد دل الاسم النكرة في الجدل بين الأنبياء وأقوامهم على التعميم، والتقليل ، والتنظيم والنوعية.

ـ من خصائص الاسم المعرفة الإظهار في مقام الإضمار، عود الضمير إلى ما بعده تقدم الضمير على الخبر العقلي، دلالة إسم الإشارة على التحقير والتصغير من شأن الأنبياء، الحط من قيمة الأصنام، ودلالة إسم الموصول على الاستحقاق والتفخيم، والتوبيخ والاهتمام، والذم، والتشهير، ودلالة الاسم المضاف إلى معرفة، التحبيب والاعتزاز، التذكير بنعم الله، التشريف، الاختصاص .

الفعل

ـ عدد الأفعال الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد الأفعال الواردة في كلام الأقوام.

ـ عدد الأفعال المضارعة أكثر من عدد الأفعال الماضية وعدد أفعال الأمر.

ـ تدل الأفعال على حركية وفعالية الأنبياء في تصحيح عقيدة سلوك أقوامهم، كما تدل بالمقابل على حركية وفعالية الأقوام في تخطئة وتسفيه وتكذيب وتضليل أنبيائهم .

ـ يعد الفعل المضارع أكثر الأفعال ورودا نظرا لكونه أكثر حركية من الأفعال الماضية وأفعال الأمر، واستمدّ هذه الحركية من تعدد دلالاته وهي التحديد والتعليل، التوبيخ، النفي ، التوكيد، النهي .

ـ استعان الأنبياء بالأفعال الماضية لتذكيرهم بنعم الله عليهم وبالمقابل وظّف الأقوام بعض الأفعال الماضية في إنكار دعوات الأنبياء ونفيها .

ـ قامت الأفعال الماضية بدور حكاية أدوار الأنبياء في سبيل دعوتهم لأقوامهم كما حكت بالمقابل ردود أفعال الأقوام نحو أنبيائهم .

ـ يعود سبب قلة أفعال الأمر إلى طبيعة الجدل وهي سعي كل طرف إلى إقناع الطرف الآخر بصحة دعواه والسعي إلى تعليل أحكامه وآرائه والتنويع في أسلوب الإقناع، وفعل الأمر يراد به طلب القيام بالفعل في المستقبل، والجدل ليس أوامر فوقية تجبر الطرف الآخر على القيام بها وتطبيقها، بل هو محاولة إقناع الطرف الآخر بتعليل الأوامر، وسلوك بل أساليب شتى ليقتنع بها ثم يطبقها .

ـ أفعال الأمر التي استعملها الأنبياء في جدالهم لأقوامهم يراد بها الخير والصلاح والهدى والرشاد والفائدة الدنيوية والأخروية وبالمقابل قابل الأقوام وأوامر أنبيائهم الدالة على الخير لهم بمطالبتهم الإتيان بالعذاب، وإسقاط العذاب عليهم، ومطالبتهم بالهجران والأكثر تآمر الأقوام على إلحاق أبلغ الضرر على أنبيائهم والكيد لهم بألوان من الكيد .

ج) صيغ الفعل
في جدال الأنبياء مع أقوامهم استعمل كلا الطرفين صيغا مزيدة للدلالة على المعاني منها ما هو مزيد بحرفين كـ (افتعل) التي تدل على مبالغة الأقوام على احتقار أتباع الأنبياء و(تفعّل) الدالة على تكلف الأنبياء الفضل والمكانة العالية وهي تهمة من التهم ألصقها بعض الأقوام على أنبيائهم ، و(انفعل) دلت على الانتظار والترقب وهو تهديد من الأنبياء لأقوامهم، و(أفعل) دلت على ضجر بعض الأقوام من جدال أنبيائهم لهم، و(فعّل) تدل على مبالغة بعض الأقوام في إلحاق الضرر على أنبيائهم بغية إسكات صوتهم .
ومنها ما هو مزيد بثلاثة أحرف ك(استفعل) الدالة على مبالغة بعض الأقوام إنكار دعوات أنبيائهم واتخاذ كل السبل والتدابير للحيلولة دون سماع أنبيائهم، وهذا يعود إلى مبالغتهم في التكبر والاستعلاء ودلت أيضا على القدرة على التصرف في الأرض واستغلالها وهي منّة إلهية ذكّر بها الأنبياء أقوامهم ليعرفوا وليعلموا مدى لطف الله بهم لعلهم يرجعون إلى جادة الصواب.
د) تعدية الفعل
لقد استعملت بعض الأفعال في الجدل القرآني متعدية إلى المفعول به بواسطة بعض حروف الجر بغية إقناع الطرف الآخر، من الأفعال ما تعدى بـ "على " لإظهار شدة خوف الأنبياء من نزول العذاب على قومهم أو لتهديدهم على العذاب الشديد إن بقوا على حالهم ، وتعدية بعض الأفعال بـ "عن " يدل على المبالغة في الإنكار، وتعدية بعض الأفعال بـ "إلى" يدل على الوعد بصلاح حال الأقوام إن آمنوا .
ج) المشتقات
ـ تعد المشتقات من أبرز الصيغ الصرفية التي وردت في ثنايا الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم ، ووظفها كلا الطرفين في التعبير عن أغراضه ومقاصده واستعملها في تقوية رأيه وموقفه، ومن الصيغ التي وظفها الأنبياء في سبيل دعوتهم لأقوامهم وتسهيل سبل الهداية لهم (فُعيل) التي دلت على سعة رحمة الله بعباده ،(فَعول) التي تدل على شدة حب الله وودّه للمؤمنين به، (مفعال) التي للدلالة على كثرة خيرات الله و(فعّال) للدلالة على كثرة غفران الله للذنوب (فعيل) للدلالة على مبالغة عصيان الشيطان لله تحذيرا للأقوام منه.
وأمّا الصيغ التي استعملها الأقوام ضدّ دعوات أنبيائهم (فُعيل) للدلالة على المبالغة في عدم الاطمئنان من دعوتهم، والمبالغة في رمي الأنبياء بالظلال، والمبالغة في طلب هجران الأنبياء وابتعادهم، والمبالغة في التهكم على الأنبياء ، (مُفعّل) للدلالة على المبالغة في وصف الأنبياء بالسحر، (فُعّال) للدلالة على شدة ومكر الأقوام لأنبيائهم.
3) الجانب النحوي (التركيبي)
الجملة الاسمية
ـ عدد الجمل الاسمية الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد الجمل الاسمية الواردة في كلام الأقوام .
ـ جاءت أغلب الجمل الاسمية مؤكدة سواء أكانت مثبتة أو منفية، وجاءت مؤكدة بالأدوات وبغير الأدوات كالتقديم والتأخير كما جاءت مؤكدة بمؤكد واحد أو بأكثر من توكيد يصل إلى أربع توكيدات .
ـ التزمت الجملة الاسمية في الغالب الترتيب العادي (المبتدأ + الحبر) سواء أكانت مثبتة أم منفية وسواء أكانت مجردة أم مؤكدة ، ورد أغلب أسمائها ضمائر (متصلة أو منفصلة) كما وردت أغلب أخبارها أسماء ظاهرة .
ـ مضمون الجمل الاسمية الواردة في كلام الأنبياء صفات الله، وظيفت الأنبياء، عدم الاهتمام بما في نفوس أنبيائهم ، عدم طردهم لأتباعهم، عدم نجاة أقوامهم من عذاب الله، إبطال التهم

الملتصقة بهم، عدم الطمع بما في أيدي أقوامهم، ودلالات الجمل الاسمية على: التعليل، التبرئة، التحذير، الإشهاد، الاستدراك، الترجي ، التهكم، الاختصاص، التعجب، التعريض.
ـ مضمون الجمل الاسمية الواردة في كلام الأقوام: الشك، التكذيب، وصف الأنبياء بالظلال، والسفاهة، والجنون، والسحر، والبشرية، إنكار البعث، عدم التخلي عن آلهتهم، عدم الإيمان بأنبيائهم، ودلالاتها: الاحتقار ، الاستهزاء، التهكم، التحذير، التهديد، الافتخار.
ت) الجملة الماضوية
ـ عدد الجمل الماضوية الواردة في كلام الأنبياء أكثر من عدد الجمل الماضوية الواردة في كلام الأقوام
ـ من خصائص الجملة الماضوية أنها التزمت الترتيب العادي للجملة الفعلية (فعل + فاعل + مفعول به) ، وجاء الفاعل فيما ضميرا متصلا واسما ظاهرا في الغالب وقلّ مجيئه ضميرا مستترا ، وأما المفعول به فقد جاء ضميرا متصلا واسما ظاهرا في الغالب وجاءت الجملة الماضوية مؤكدة بـ " قد " و"لقد " و" التقديم والتأخير" " المفعول المطلق" و "التوكيد اللفظي " و" التوكيد المعنوي " .
ـ عدد الجمل الفعلية الماضوية المثبتة المؤكدة أكثر من عدد الجمل الماضوية المثبتة المجردة .
ـ يكاد يخلو الجدل القرآني من الجمل المنفية المجردة، ويحلو من الجمل المنفية المؤكدة.
ـ مضمون الجملة الماضوية الواردة في كلام الأنبياء: الإقرار بفضل الله عليهم، تذكير الأقوام بنعم الله عليهم، تبرئة أنفسهم من التهم الموجهة إليهم، إقرار صفات الله ومحاولة تثبيتها في نفوس الأقوام ، ودلالاتها هي: الاعتراف بالجميل ، التبرئة، التهديد، الإغراء، الاختصاص، الاهتمام .
ـ مضمون الجملة الماضوية الواردة في كلام الأقوام: الضجر، التأثير في الأنبياء لإثنائهم عن عزمهم، ودلالاتها الجحود، الإنكار ، التكذيب، ولقد وردت كثيرا من الأفعال الماضية في شأن الأقوام ومحكية عن ردود أفعالهم تجاه أنبيائهم ومضمونها: التكذيب ،مخالفة الأوامر (عقر الناقة مثلا) التمرد، العتو، الانتكاس .
ج) الجملة المضارعية
ـ عدد الجمل المضارعية الواردة في كلام الأنبياء يفوق بكثير عدد الجمل المضارعية الواردة في كلام الأقوام .
ـ من خصائص الجملة المضارعية أنها التزمت الترتيب العادي للجملة الفعلية (فعل + فاعل + مفعول به) وجاء الفاعل في كل الجمل المضارعية ضميرا إلا ما ندر وجاء ضميرا مستترا في الغالب، وضميرا مستترا في بعض الأحيان، أما المفعول به فقد جاء ضميرا واسما ظاهرا في الغالب، وجاءت جملة مصدرية في بعض الأحيان .
ـ عدد الجمل المضارعية أكثر من عدد الجمل الماضوية، وعدد الجمل المضارعية المثبت أكثر من الجمل المضارعية المنفية، وعدد الجمل المضارعية المؤكدة هي أكثر من الجمل المضارعية المجردة .
ـ مضمون الجمل الواردة في كلام الأنبياء: وظيفة الأنبياء ودورهم، تذكير الأقوام بنعم الله عليهم، إقرار الأقوام بما يقومون به من تكذيب وصد عن سبيل الله، والوعد بالاستغفار، الوعيد بالعذاب ، تسخيرا لله الكون للأقوام ، نفي علم الغيب، نفي مخالفة الأنبياء لأقوام من أجل المخالفة ومن دلالاتها: التعليل، الاهتمام، الاختصاص، التهديد.
ـ مضمون الجمل المضارعية الواردة في كلام الأقوام ، عدم الاعتراف بالأنبياء وبما جاءوا به ، إدعاء عدم فهم الرسالة، نفي الأفضلية عن الأنبياء ، وصف الأنبياء بالكذب ، افتخارهم بعبادتهم للأصنام، الازدراء ، التهكم ، التهديد.

د) الجملة الشرطية
تنقسم الجملة الشرطية في الجدل القرآني إلى جملة شرطية مصدرة بالأداة وجملة شرطية غر مصدرة بالأداة، وأغلب الجمل الشرطية المصدرة بالأداة مصدرة بالأداة " إن " كما أن أغلب هذه الجمل الشرطية ذات جواب محذوف دل عليه ما سبق جملة الشرط أو ما جاء بعدها، وتدل الجملة الشرطية دلالات عدة كالاحتراس ، التهكم، التعليل، التحقير، التشجيع، التعجيز، التحريض، التحميس، التحذير، التهديد، الوعيد .

ـ أما الجملة الشرطية غير المصدرة الأداة فهي جملة إنشائية كجملة الأمر وجملة النهي والتي تتضمن جوابا مثل جواب الشرط، والفرق بين جواب جملة الأمر وجملة النهي أن جواب جملة الأمر هو وعد بالخير وجواب جملة النهي وعيد بالشر غالبا .

ـ مضمون جملة الأمر المتضمنة معنى الشرط هي مضمون ما جاء به الأنبياء من أجله وهي أوامر موجهة للأقوام مثل عبادة الله، وتقواه وطاعته، وطاعة الرسول والاستغفار والتوبة من الذنوب وأما أجوبة هذه الجمل هي وعود دنيوية كنزول المطر، منح الأموال والبنين، جعل الجنات والأنهار، والهداية والتوفيق، ووعود أخروية كمغفرة الذنوب، والفوز بالجنة .

ـ مضمون جملة النهي المتضمنة معنى الشرط يتعلق بعدم مس ناقة صالح والتعرض لها بالأذى، ومضمون جواب جملة النهي الوعيد بالعذاب .

ـ تعد الجملة الإنشائية المتضمنة معنى الشرط وسيلة إقناع استعملها الأنبياء ووظفوها في جدالهم مع أقوامهم؛ فإذا أمروا أقوامهم وعدوهم بالخير الدنيوي والأخروي ترغيبا لهم إلى الإيمان والتصديق بدعوتهم، وإذا نهوا أقوامهم أوعدوهم بما يعود عليهم بالشر والوبال دنيا وأخرى ترهيبا لهم من مغبة الكفر والعصيان .

هـ) الجملة الاستفهامية
يتميز الجدل الدائر بين الأنبياء وأقوامهم بالجمل الاستفهامية الكثيرة نظرا لطبيعة الموضوع وأغلب هذه الجمل الاستفهامية من معناه الحقيقي إلى معاني مجازية كثيرة ، ولقد تصدرت همزة الاستفهام أغلب الجمل الاستفهامية، كما أن أغلبها ورد في كلام الأنبياء .

ـ تنقسم الجمل الاستفهامية التي دلت على معاني مجازية إلى قسمين هما الإنكار والتقرير

ـ لقد تضمن الإنكار معني أخرى كالتنبيه، التحقير، التهويل ،والتشجيع، والإبطال والتكذيب والتوبيخ

ـ يتضمن التقرير إقرار الخصم بالفعل ، وتوبيخه وتهديده، ومطالبة الخصم بالاعتراف عن خطئه، والتنبيه والتذكير، والاعتبار.

و) جملة الأمر وجملة النهي
1) جملة الأمر
ـ تنقسم جملة الأمر في الجدل القرآني إلى جملة أمر حقيقي وجملة أمر مجازي، والأمر في جملة الأمر الحقيقي عام في أغلبه وورد في كلام الأنبياء ومضمونه الأمر بعبادة الله ، والشكر له، والتقوى، وطاعة الرسول، والاستغفار، وخاص ورد في كلام بعض الأنبياء ومضمونه التذكير نعم الله وآلائه، وترك الناقة وعدم التعرض لها بالأذى، طلب الرزق من الله، إيفاء الكيل والميزان والوزن بالقسط والعدل .

ـ وأمّا الأمر الدال على معاني مجازية مضمونه أمر الأقوام الأنبياء بالإتيان بالعذاب ، التذكير بما وقع للأمم الماضية، الاستمتاع بالعيش، الثبات على المكانة، الانتظار، الارتقاب، الكيد ، إلحاق الضرر بالأنبياء، نصرة الآلهة ودلالاته التعجيز ، التهكم، والوعيد، التحدي ، التحريض
2) جملة النهي

جملة النهي قليلة في الجدل القرآني مقارنة بجملة الأمر، والنهي إما أن يكون نهي الناس عن سلوك كانوا يقومون به كنهي شعيب آل مدين عن النجس والإفساد في الأرض أو نهي الناس عن سلوك معين ابتداء كنهي صالح قومه عن مساس الناقة وإلحاق ضرر بها وجملة النهي الوارد في كلام الأنبياء أغلبها يفيد لمعناه الحقيقي وهو التحريم ،وخرج النهي الوارد في كلام الأنبياء و الأقوام من معناه الحقيقي وأدى بعض المعاني المجازية كالتحدي والتحريض والتحذير.

[illegible]

[illegible]

لقد أدى مصطلح الجدل في القرآن دلالاة كثيرة وهي :

ـ السباب والتفاخر الذي يؤدي إلى الإغضاب .

ـ الدفاع والنصرة بالقول .

ـ إبطال الحق وإزالته (إبطال الأحكام الشرعية ،ونبوة الأنبياء ،وأصول العقيدة الإسلامية).

ـ تقرير الحق وإظهاره.

ـ المراجعة في الكلام وله أغراض :

ـ الانتصار للحق والركون إلى الدنيا .

ـ الشفاعة .

ـ المحافظة على المصلحة العامة.

[illegible]

ـ الأنبياء يتناولون الأفكار أو الأقوال أو الأفعال ويحترمون خصومهم من أقوامهم،بينما توجه الأقام في جدالهم مع أنبيائهم إلى تجريح شخصهم والتهجم عليهم والنيل من كرامتهم.

ـ الأنبياء لهم رغبة صادقة في إيصال أقوامهم وإرشادهم إلى الحقيقة ،بينما الأقوام يرغبون في الانتصار على أنبيائهم ،ومحاولة إفحامهم .

ـ الأنبياء يهتمون بمشاعر خصومهم من الأقوام ويحرصون كل الحرص على عدم إيذائها ،بينما الأقوام لا يلقون بالا ولا يأبهون بمشاعر أنبيائهم ويتعمدون في الإساءة إليهم بالقول والفعل .

ـ الأنبياء يوضحون أهدافهم ومقاصدهم صراحة ، بينما أهداف ومقاصد الأقوام غير واضحة.

ـ الأنبياء يمتازون بطول النفس والصبر والتأني في مجادلتهم لأقومهم ،بينما الأقوام يمتازون بالخفة والطيش والتسرع في إصدار أحكام خاطئة غير مؤسسة وغير مسؤولة .

ـ الأنبياء يسلكون طرق ومناهج متعددة ومختلفة في جدالهم مع أقوامهم ولايلجأون إلى التهديد إلاّ بعد أن يتمادى القوم في غيهم ويصروا على ماهم عليه، بينما الأقوام لا يملكون وسيلة إلاّ الإغراء ببعض المكاسب أو اتهام الأنبياء بالتهم الباطلة أوالنيل من شخصهم ونعتهم بأسوء النعوت أو تهديدهم بأبشع العقاب إذا أعوزتهم الحجة .

ـ الأنبياء من مبادئهم الاقناع بالحجة دون اللجوء إلى الإكراه، بينما الأقوام لايجدون وسيلة إلا إكراه الأنبياء بالتنازل عن دعوتهم إما بالإغراء ببعض المكاسب ،أو بالتهديد بإنزال أبشع العذاب عليهم.

ÁÍjão/ÉËãÖ áÕn (ž

مما سبق يمكن أن نستخلص قواعد الجدل المفيد وهي :

- البعد عن الإكراه واستعمال وسائل الضغط .
- التجرد عن المطامع الذاتية .
- عدم الرضوخ للشروط المسبقة .التخلص من الإغراءات و المخادعات .
- ضرورة توضيح المضمون .
- الاهتمام بالأفكار و الأقوال واحترام الأشخاص دون اللجوء إلى تجريحهم .
- تركيز أطرافه على الوصول إلى الحقيقة .
- اهتمام أطراف الجدل بمشاعر بعضهم ،وحرصهم على عدم إيذائها .

ÁÍjão/ÉËãr sÀ (å :

- الإتيان باللأدلة الدالة على ثبوت الدعوة.
- مراعاة طبيعة الموضوع .
- تقديم الموضوع وعرضه بوضوح .
- الإصغاء إلى المدعي والتأمل في أدلته والتمعن فيها .
- المعارضة تكون في صلب الموضوع لأن تكون موجهة إلى الشخص .
- إطلاق العنان للسان للتلفظ بسوء القول من سب وشتم وغيره والإكراه بالوسائل المادية من الطرق البدائية التي لا يقرها عقل ولا يقبلها منطق سليم .

[illegible]

يدل مصطلح الجدل في القرآن الكريم على المخاصمة و المنازعة في الشيء ، إلاّ أنّه يخرج من هذا المفهوم إلى أغراض أخرى وهي :

[illegible]

قال تعالى :" الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ"[1]ومعنى الجدل هنا هو السباب و المغاضبة[2] ، والمراء مع الرفقاء والمكارين [3]، والتفاخر [4]، والصخب مع الأصحاب الذي يؤدي إلى الإغضاب [5].

و السبب في الجدال أنّ قريشًا كانت تخالف سائر العرب فتقف في المشعر الحرام ، وسائر العرب يقفون بعرفة ، وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة ، وهو النسي وردّ إلى وقت واحد وردّ الوقوف ، وهو النسي وردّ إلى وقت واحد وردّ الوقوف إلى عرفة فأخبر الله تعالى أنّه قد ارتفع الخلاف في الحج "[6].

ويعدّ هذا النوع من الجدل مذمومًا بدليل أنّ أداة النهي لأنّه يجرّ إلى المغاضبة و المشاتمة و السباب الذي يتنافى مع الدين الإسلامي ، ولا يقتصر هذا الغرض من الجدل على الناحية الفقهية البحتة بل ينطبق على كل منازعة ومنازعة لغرض التفاخر و السباب كتفاخر القبائل بأحسابها وأنسابها و شعرائها وعظمائها ، والتفاخر بالمال و الحسب و النسب والجاه و السلطان .

[illegible]

ويشمل هذا الغرض كل صيغ الجدل المتعدية ب"عن":

- قال تعالى : "هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا "[7].
- قال تعالى : "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا"[8].

هاتان الآيتان وردتا في سياق قصة بني أبيرق[9]، ومعنى الآية الأولى هاأنتم يا معشر القوم دافعتم عن السارق والخائنين في الدنيا فمن يدافع عنهم في الآخرة في ذلك اليوم العصيب

---

[1] [illegible] 197.
[2] [illegible] 235.
[3] [illegible] 240.
[4] [illegible] 255.
[5] [illegible] 183 [illegible] 131.
[6] [illegible] 241 [illegible] 285.
[7] [illegible] 109.
[8] [illegible] 107.
[9] [illegible] 106.

1، ويعدّ هذا النوع من الجدل جدلاً مذمومًا منهي عنه و يشمل كل دفاع بالباطل ، قال تعالى : "وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ"2 وقال أيضًا :" وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى"3.

ـ قال تعالى: "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"4

ومعنى الجدل في هذه الآية الدفاع بالقول للتنصل من تبعة فعل معين ، أي يأتي كل واحد يدافع عن ذاته5 يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا خلة ولا شفاعة ويحاول جاهدا ليخلّص نفسه ويعتذر عنها6 ، ويحتج عنها بما قدّمت في الدنيا من عمل ، وعبّر عن هذا النوع من الجدل بلفظ المحاجة في قوله تعالى "وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنْ النَّارِقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ"7، وعبّر عنه بلفظ الخصام في قوله تعالى"ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ"8،"قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"9،"هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ"،"قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ"10،"إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ"11.

ممّا سبق يتبين أنّ لفظ الجدل و الخصام دلتا كل منهما على دفاع النفس لنفسها يوم القيامة والاعتذار عن نفسها.

[illegible]

ـ قال تعالى :" وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا"12تبين هذه الآية على أنّ الجدل طبيعة في الإنسان وجبلة متأصلة فيه ومعنى قوله تعالى "وكان الإنسان أكثر شيء جدلا"أنّ الإنسان أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل وجدله أكبر من كل مجادل13 ،لأنّ كل إنسان في طبعه الحرص على إقناع المخالف بأحقية معتقده أو عمله ويبرّر سلوكه بطريقة أو بأخرى ، ويدل على هذا ما روي عن علي بن أبي طالب "أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم طرقه وطرق فاطمة ليل اًفقال : ألا تصليان ؟فقال علي : يا رسول الله إنّما انفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا ، قال:فانصرف رسول الله حين قلت له ذلك ولم يرجع إلي شيئًا، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول " وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً" يريد رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّ الأولى بعلي أن يحمد إيقاظ رسول الله إياه ليقوم من الليل ، وأن يحرص على تكرار ذلك ، وأن يسرّ بما في كلام رسول الله كلام ، ولا يستدل بما يحبّذ استمرار نومه ، فذلك

---

[1] [illegible] 2، 186 .
[2] [illegible] 58 .
[3] [illegible] 152 .
[4] [illegible] 111 .
[5] [illegible] 14، 302 .
[6] [illegible] 14، 356 [illegible] 523 [illegible] 10، 101 .
[7] [illegible] 47 – 48 .
[8] [illegible] 31 .
[9] [illegible] 96 .
[10] [illegible] 28 .
[11] [illegible] 64 .
[12] [illegible] 54 .
[13] [illegible] 229 .

محل تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلّم من جواب علي كرّم الله وجهه"1، وهذا الرد من علي رضي الله عنه الذي برّر به مواصلة نومه همن قبيل الجدل المذموم وليس المراد به الإنكار والتمرّد على رسول الله صلى الله عليه وسلّم وينطبق قول الله تعالى "وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً"على هذا النموذج من الناس كما ينطبق غالبًا على نموذج آخر وهم المكابرين والمعاندين و الجاحدين الذين يجادلون صدًّا عن الدين ولا يستجيبون لموعظة ، والمراد بهؤلاء عمومًا خصوم الأمم لأنبيائها2 ويؤكد هذا النموذج الآية التالية:

ـ قال تعالى :" وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا"3وغرض الجدل في هذه الآية واضح وهو إبطال الحق والتشكيك فيه ، واختيار فعل المضارعة للدلالة على تكرير المجادلة ويدخل ضمن هذا الغرض مايلي:

1 [illegible] :

كقوله تعالى "وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ"وغرض الجدل في هذه الآية إبطال أحكام الإسلام وتحبيب الكفر وشعائره لذلك استأنفت الآية بقوله تعالى "ولئن اطعتموهم إنكم لمشركون"4 أي إذا أطعتموهم في ما يجادلوكم فيه طعنًا في الإسلام وشكًّا في صحة أحكامه سوف تلحقون بالمشركين وتأكيد التحاقهم بالمشركين بإنّ و اللام لأنّ الشك في أحكام الإسلام تعدّ شركًا 5، وهذه الآية نزلت في سياق الشك في أحكام الإسلام و العبث بها تحليلاً وتحريمًا .

أمّا ما يتعلّق بسبب نزول هذه الآية " عن عكرمة أنّ ناسًا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقالوا أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ؟ فقال الله قتلها ، قالوا فتزعم أنّ ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الله حرام ، فأنزل الله " ولاتاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه "6، ويدخل ضمن هذا الغرض أيضًا كل الآيات التي تتحدّث عن جدال المشركين للرسول صلى الله عليه وسلّم لإبطال أحكام الإسلام قال تعالى : " وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنْ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"7، وقوله تعالى على لسانهم "وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ"8 ...

[illegible]

1ـ قال تعالى على لسان سيدنا هود عليه السلام: "قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظِرِينَ" 1وهذا حينما قالت له عاد : "قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

---

[1] [illegible] 5 [illegible] 348.

[2] [illegible] 241.

[3] [illegible] 56 .

[4] [illegible] 121 .

[5] [illegible] 4 [illegible] 302 .

[6] [illegible] 528.

[7] [illegible] 136

[8] [illegible] 138 [illegible] 139.

[1] [illegible] 71 .

فأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ"[1] أي "أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي نعبد الله وحده وندين له بالطاعة خالصًا ونهجر عبادة الآلهة و الأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها ، ونتبرأ منها فلسنا فاعلي ذلك ، ولا نحن متبعوك على ما تدعونا إليه فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على ترك إخلاصنا التوحيد لله ، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان إن كنت أهل الصدق على ما تقول و تعد ".[2]

2 ـ قال تعالى : "وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ"[3] وهذه الآية أتت بعد قوله تعالى "فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ"[4] والمراد بذلك إذا لم يقتنعوا بالأدلة التي تدحض حججهم وأصرّوا على المجادلة مشاغبة واستهزاءً فقل الله أعلم بما تعملون أي فوض أمرهم إلى الله[5] ويعدّ هذا وعيدًا وإنذارًا بأسلوب لين.

3 ـ قال تعالى :" وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" [6] ففي هذه الآية يصف الله سلوك بعض المشركين الذين يدّعون أنهم أصحاب عقول وأحلام وفكر يستطيعون به أن يغلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ويدّعون أنّهم يستمعون إليه غير أنّهم لايفقهون شيئًا ولا تعيه قلوبهم ولا يتدبرون فيما يستمعون إليه لأنّ قلوبهم مغطاة بأغطية وحجب وفي آذانهم صمم وثقل لأنّهم جاهروا بذلك فقالوا "قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ"[7] ومن دلائل جحودهم أنّهم إذا رأوا آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته وحجة من حجج الرسول صلى الله عليه وسلّم لا يصدّقون بها ولا يقرّون بها ،وبلغت جرأتهم مبلغا عظيمًا وذلك عندما أرادوا أن يخاصموا الرسول صلى الله عليه وسلّم ويبطلوا ما يدعو إليه من هدًى وحقر وبينة فقالوا أساطير الأولين .وسبب نزول هذه الآية "أنّ أبو سفيان بن حرب و الوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأمية بن خلف إستمعوا إلى رسول الله وهو يقرأ القرآن فقالوا للنظر : يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟فقال : أساطير الأولين مثل ما كنت أحدّثكم عن القرون الماضية ، وكان النضر بن الحارث كثير الحديث عن القرون الأولى وكان يحدّث قريشًا فيستملحون حديثه فأنزل الله هذه الآية"[8].

4 ـ قال تعالى على لسان المشركين : " وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ"[9] هذه الآية معطوفة على آية سابقة وهي قوله تعالى : "وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ"[10] ويقرّر أكثر المفسرين أنّ هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبعرى للنبيء صلى الله عليه وسلّم لما نزل قوله تعالى " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ"[1] فادّعى إبن الزبعرى أنّه خصم النبيء صلى الله عليه وسلّم فقال له :"أليست النصارى يعبدون المسيح و اليهود عزير وبنو مليح الملائكة ؟ففرح بذلك من قوله ، فأنزل الله :

---

[1] ø ëzǵã ãjÃ ëãëÃ 70 .

[2] øÛãÛÛBÛÛ ÎÛ 528 .

[3] ø ëzǵã Σjãã 68 .

[4] ø ëzǵã Σjãã 67

[5] øÃTÃãHÃÃ ÃÃãÃÛÿÛ ž6Û î330 .

[6] ø ëzǵãÃãÃyãã 25 .

[7] ø ëzǵã ÔYKãã 5 .

[8] øã ãzèU:óžãdÃÃÛÿÛ žÛ î181

[9] ø ëzǵã ÂnÀ ãã 58 .

[10] ø ëzǵã ÂnÀ ãã 57 .

[1] ø ëzǵãÃãõã 98 .

إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ"1ونزلت هذه الآية المذكورة هنا " ولما ضرب بن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون "أي يضجون فرحًا بذلك المثل المضروب فقالوا آلهتنا خير أم المسيح ...وما ضربوا لك هذا المثل في عيسى إلاّ ليجادلوك ...لكونهم قوم شديدوا الخصومة وكثيرو اللدد وعظيمو الجدل "2، وهذا يدل دلالة واضحة أنّ جدالهم لم يكن موضوعيًا ولم يكن وسيلة للبحث عن الحقيقة والإيمان بها بل كان ذاتيًا ووسيلة للنيل من نبوة النبيء ، وهذا بمحاولة اكتشاف بعض التناقضات في زعمهم وإجراء بعض المقارنات الخاطئة محاولة منهم لإبطال نبوة النبيء وما جاء به بالتبع.

5 ـ قال تعالى على لسان قوم نوح : "قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ"3إنّ من وسائل إبطال نبوة الأنبياء مطالبة هؤلاء الأنبياء بأن يأتوهم بما يوعدونهم عندما ييئسوا منهم ومن دعوتهم ومن هؤلاء القوام قوم نوح الذين لم يطيقوا صبرًا على نبيهم واعترفوا بجداله وإفحامهم وإسقاط حججهم ودحض دعاويهم ، فلم يجدوا سبيلاً لإبطال نبوته إلاّ أن يطالبوه بتعجيل ما توعدهم به من عذاب ليختبروا صدق نبوته ، ومثل هذا كثير في القرآن كقول المشركين للرسول صلى الله عليه وسلّم" فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ"4.

ج ـ إبطال أصول العقيدة الإسلامية :

لقد وصلت حدّة المكابرة والمعاندة و المهاترة إلى النيل من ذات الله العلية و السخرية من ماهيته وقدرته وذلك بالطعن في وجوده وإنكار آياته في الآفاق و الأنفس أوفي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعدد هذه الآيات الدّالة عن الجدل في ذات الله وآياته تسع أربع منها في ذات الله و خمس في آياته.

أولاً: الآيات التي وردت فيها لفظة الجدل الدالة على الطعن في ذات الله العلية:

1 ـ قال تعالى :" وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ"5.

2 ـ قال تعالى : "وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ"6 .

3 ـ قال تعالى : "وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ"7.

4 ـ قال تعالى : "أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ"8 .

ـ إذا تأمّلنا الآيات السابقة نجد أنّ لفظ الجلالة متعلق بفعل يجادلون أو يجادل والغالب في المجادلة تكون في الشؤون و الأحوال "وتعليق اسم الجلالة المجرور بفعل يجادلون يتعين أن يكون على تقدير مضاف تدل عليه القرينة أي في توحيد الله أو قدرته على البعث"9 وإعادة الخلائق بقولهم "مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ"1وقولهم أنّ الملائكة بنات الله و القرآن أساطير الأولين.

---

[1] [illegible] 101 .

[2] [illegible] 798 ـ 799 .

[3] [illegible] 32 .

[4] [illegible] 187 .

[5] [illegible] 13 .

[6] [illegible] 3.

[7] [illegible] 8.

[8] [illegible] 21 .

[9] [illegible] 106 [illegible] 174 .

[1] [illegible] 78 .

ـ إنّ كل الآيات جاءت في سياق تقرير محاور العقيدة الإسلامية من وجود الله ووحدانيته ودلائل قدرته؛فالآية الأولى من سورة الرعد جاءت بعد أن تحدّث القرآن عن دلائل قدرة الله وعظمته المتمثلة في السماوات والأرض ، والشمس والقمر والليل والنهار و الزروع و الثمار و البرق و السحاب والرعد ، فبالرغم من هذه الدلائل السالفة يشكون في عظمة الله وقدرته .أمّا الآية الثانية فلقد وردت في سياق قدرة الله على بعث الأجساد بعد فنائها ، وكذلك الأمر بالنسبة للآية الثالثة ، أمّا الآية الرابعة من سورة لقمان فهي أيضًا جاءت في سياق الحديث عن قدرة الله وعظمته المتمثلة في تسخير السماوات و الأرض وإسباغ النعم الظاهرة و الباطنة على الإنسان .

ـ أمّا ما يتعلّق بطبيعة هذا الجدل الذي أنكره الله على بعض الناس أنّه:

ـ جدل بغير علم أي " جدلاً ملتبسًا بمغايرة العلم ، وغير العلم هو الجهل أي جدلاً ناشئًا عن سوء نظر وسوء تفكير "و المراد بالعلم العلم الضروري.

ـ جدل مبني على اتباع الشيطان ووساوسه و اتباع الهوى.

ـ جدل يعوزه الإستدلال و النظر الصحيح الهادي إلى المعرفة .

ـ جدل لا يستند إلى شريعة سماوية أو وحي منزل .

ـ أمّا الذين نزلت في شأنهم آية الرعد فيري الطبري"عن أنس ابن مالك قال بعث النبيء مرّة رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب أن أدعه لي فقال يا رسول الله إنّه أعتى من ذلك !قال : اذهب إليه فادعه، فقال فأتاه فقال: رسول الله يدعوك فقال : من رسول الله ؟ وما الله ؟أمن ذهب هو أم من فضة ، أم من نحاس ؟قال فأتى الرجل النبيء صلى الله عليه وسلّم فأخبره ، فقال : إرجع إليه فادعه قال فاتاه فأعاد عليه ، وردّ عليه مثل الجواب الأول ، فأتى النبيء صلى الله عليه وسلّم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه، قال فرجع إليه فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث الله سحابة بحيال رأسه فرعدت ، فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله " ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال"[1]وأمّا الآيات الأخرى فيروى أنّها نزلت في النضر بن الحارث[2] وكان كثير الجدل فكان يقول الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، والله قادر على إحياء من بلى وصار ترابًا ، وقيل أنّها نزلت على فريق أهل الشرك و الضلالة مثل النضر بن الحارث وأبي جهل و أبي بن خلفلا وقيل نزلت في الأخنس بن شريق[3]. وهذا لا يعني أنّ هذه الآيات تنطبق على هؤلاء فقط بل هي تنطبق على كلّ من يتصف بأوصافهم مثل كثرة الجدل بغير علم ولا بينة ولا استدلال واتباع الهوى .

ولقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الجدل بلفظ المحاجة كقوله تعالى "قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّـهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ"[4] وقوله أيضًا"وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ"[5] وقوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم :" وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّـهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ"[1]...

ثانيًا: الآيات التي وردت فيها لفظة الجدل الدّالة على الطعن في آيات الله :

---

[1] [illegible] 361.

[2] [illegible] 192.

[3] [illegible] 181.

[4] [illegible] 139.

[5] [illegible] 13.

[1] [illegible] 80.

1 ـ قال تعالى : "مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ" 1.
2 ـ قال تعالى : "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ "2.
4 ـ قال تعالى : " الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"3 .
5 ـ قال تعالى : "وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ"4 .
أ) ـ إنّ المراد بالجدل في الآيات السابقة هي الجدل بالباطل الذي يهدف إلى إبطال الحق ودحضه وإزالته ولذلك حصرت الآية الأولى هذا النوع من الجدل في صنف الذين كفروا وكذّبوا الرسل وما جاءوا به من بينات وهدى .
ب) ـ معنى " في آيات الله "في الآيات السابقة في صدق آيات الله بتقدير مضاف دلّ عليه المقام كقوله تعالى "فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ" والتقدير في إهلاك قوم لوط.
ج) ـ إنّ اختيار الفعل المضارع يجادلون في هذه الآيات يدل على كثرة مجادلتهم وتجدّدها واستمرارها ماضيًا وحاضرًا و مستقبلاً لأنّ الكفر والجحود لا يقتصر على فترة معينة بل هو حاصل وموجود في كلّ زمن.
د) ـ إنّ المقصود بالجدال في آيات الله في هذه الآيات هو التكذيب نحو قولهم "أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" ،" سِحْرٌ مُبِينٌ" ، "بِقَوْلِ كَاهِنٍ" ، "بِقَوْلِ شَاعِرٍ"ومطالبتهم للرسول صلى الله عليه وسلّم أن يأتيهم بمعجزات نحو قولهم : "وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا " 5إلاكما أنّ المقصود بآيات الله " دلائله التي نصبها على توحيده وكتبه المنزلة ، وما أظهر على يد أنبيائه من الخوارق6 ، إلاّ أنّ المقصود بالجدل في آيات الله غالبًا القرآن الكريم ونبوة الأنبياء وبالأخص الرسول صلى الله عليه وسلّم .
هـ) ـ أمّا ما يتعلّق بالذين نزلت عليهم هذه الآيات " يروى أنّ الآية الأولى نزلت في الحرث بن قيس أحد المستهزئين"7 وبقية الآيات نزلت في مشركي مكة وكفار قريش .
و) ـ إذا تأمّلنا الآيات السابقة نجد تسلسلاً وارتباطًا بينها وهي كالتالي:
الآية الأولى:تحديد صنف المجادلين وهم الذين كفروا.
الآية الثانية :تحديد طبيعة جدالهم وهو جدال بغير حجة ولا بينة مقرون بقيمته عند الله وهو خطورته وفداحته.
الآية الثالثة :تأكيد طبيعة الجدل مقرون بسبب الجدل وهو الكبر عن قبول الحق واتباعه الممزوج بالحسد
الآية الرابعة : التعجب عن عدم قبولهم للحق وانصرافهم له بدلاً عنه بالرغم من وضوح الدلائل البينة الواضحة .

---

[1] ø ěźǵɫĄẐÃäĂ . 4
[2] ø ěźǵɫĄẐÃäĂ . 35
[3] ø ěźǵɫĄẐÃäĂ . 56
[4] ø ěźǵą Î ǿ?äĂ . 35
[5] ø ěźǵąqěÃäÃ ğ 90 ø 93 .
[6] øĀĂÃĕäȾÛ ǯ Û î451 .
[7] øąƟáØĀăÃȾÛ ǯ Û î 432 ÛĀŞÃǿƶđąğÃÛ ȳ3 Û ǯ4Û î66 .

الآية الخامسة : مآل هؤلاء المجادلين أن لامحيد ولا مهرب من عقاب الله لهم يوم القيامة.
مما سبق نجد أن ّالجدل في الله ووحدانيته ، أوفي آياته من صنيع الكفار الجاحدين المكابرين المكذبين لرسالات الأنبياء المتكبرين عن قبول الحق واتباعه ، المجادلين بغير علم ولا حجة ولا دليل ولا وحي ، المتبعين لأهوائهم وشياطينهم من جن وإنس المستهزئين بوعيد أنبيائهم ، فهؤلاء وأمثالهم إنّما يظلمون أنفسهم وسيصلون سعيرًا.
رابعا: تقرير الحق وإظهاره
إنّ الجدل الذي يراد منه إظهار الحق و الدفاع عنه محمود ومشروع وهو حرفة الأنبياء عليهم السلام
- قال تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[1].
- قال تعالى وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" [2] .
أ) - ففي الآية الأولى هو أمر للنبيء صلى الله عليه وسلّم من قبل الله عز وجل أن يرد عن المشركين المعاندين المكابرين لإبطال مزاعمهم وتصويب معتقداتهم وادعاءاتهم ومفترياتهم على الإسلام ، وأمر الله عز وجل النبيء صلى الله عليه وسلم بالجدل لم يكن مطلقًا دون قيد بل قيّد بالإحسان لإنّ أغلب المجادلين لم يكن جدالهم بالحسنى بلكان جدالهم لإفحامه و النيل من كرامته و التكبر عليه ووصفهم بالنعوت غير اللائقة به كا السحر و الكذب و الكهانة و الجنون والبطش به و بأتباعه وفرض الإقامة الجبرية عليه و، والمجادلة بالحسنى تتمثل في الرفق و اللين واختيار الطرق اليسيرة والسبل السهلة ومخاطبتهم بأحبّ الأسماء إليهم " ومقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم ، و المشاغبة بالنصح ، والسورة بالأناة كما قال تعالى : " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[4/3] .
ب) - أمّا الآية الثانية فتخص مجادلة أهل الكتاب من اليهود و النصارى ، وفيها نهي عن مجادلتهم بصيغة الجمع لأنّ المسلمين قد تعرّضوا لمجادلة أهل الكتاب في غياب حضرة النبيء ,والفرق بين الآية الأولى و الآية الثانية أنّ الآية الأولى موجهة إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم بصيغة أمر مشروط وهو الإحسان ، وأمّا الآية الثانية ففيه نهي عن الجدال بالنسبة للمسلمين لأنّ المسلمين مهما كانت منزلتهم من العلم و الجدل لفإنّه لا يصل إلى علم النبيء، لأنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليسوا كالمشركين العرب لأنّ العرب كانوا أميين وكان اليهود والنصارى يقرأون الكتب السابقة فلذلك يصعب مجادلتهم ، فإذا لم يتسلّح المسلمون بالعلم ومعرفة السبل الحسنة و الطرق السوية لمجادلة الخصوم من أهل الكتاب فلا ينبغي لهم أن يجادلوا هؤلاء .
خامسًا : المراجعةفي الكلام
وله أغراض ثلاثة وهي:
1 - الإنتصار للنفس :والركون إلى الدنيا
وأصدق مثال على ذلك مجادلة المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلّم في غزوة بدر الكبرى والتي حكى الله عنها في سورة الأنفال قال تعالى : "يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا

---

[1] [illegible] 125 .
[2] [illegible] 46 .
[3] [illegible] 34 .
[4] [illegible] 3 .

يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ"1 والمقصود من هذه المجادلة أو المراجعة في الكلام ليس الإنكار والتمرد وإعلان العصيان بل محاولة منهم توضيح الأمر فقط ، وجدالهم يتمثل في قولهم " ما كان خروجنا إلاّ للعير (أي الاستيلاء على قافلة أبي سفيان المحمّلة بالمؤونة)ولو عرفنا لاستعدنا للقتال و الحق هنا نصر ة الإسلام "2وسبب هذا الجدل أنّهم ذهبوا إلى الحرب دون استعداد ، إلاّ أنّ مشيئة الله أرادت أن يظهر الحق بهذا العدد القليل ويسحق الباطل ويزهقه "وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ"3 وهذا النوع من الجدل فيه مذمة لأنّه فيه عناد ومعارضة للحق إلاّ أنّ هذه المذمة لا تعدوا أن تكون معاتبة إلاهية لاتصل إلى الإنكار و اللوم لأنّ من طبيعة الإنسان الميل إلى ملاذ الدنياو الأمور السهلة واجتناب الأمور الصعبة ومواجهة مصير غير منتظر وغير مستعد له .

2 ـ الشفاعة : وتتمثل في مجادلة إبراهيم عليه السلام لرسل الله حينما جاءوا لإهلاك قوم لوط قال تعالى: "فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ"4وقص علينا القرآن هذه المجادلة أيضًا دون لفظ الجدل في سورة العنكبوت قال تعالى : "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ"5 ومجادلة إبراهيم لرسل الله أنّه قال لهم : "أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها ؟ قالوا : لا ، قال فأربعون ؟قالا:لا ، قال:فثلاثون؟قالوا لا،حتى بلغ العشرة .قالوا :لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟قالوا : لا فعند ذلك قال: "إنّ فيها لوطا قالا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله"6 ومن ثمّ ليس المراد بالشفاعة للظالمين العاصين من قوم لوط بل المراد منها أهل الإيمان وهم لوط ومن تبعه وهذا النوع من الجدل فيه مذمة لأنّ فيه مراجعة الكلام لأمر مفروغ منه ومحقق وقوعه، غير أنّه لايرقى إلى الإنكار والوعيد الشديد بدليل وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بالأوصاف الحسنة قال تعالى مباشرة بعد مجادلة إبراهيم للرسل "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ"7.

3 ـ المحافظة على المصلحة العامة :

ويتمثل في مجادلة بنت ثعلبة بن مالك للرسول صلى الله عليه وسلّم في شأن زوجها قال تعالى : "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"8وسبب حدوث هذه المجادلة بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلّم " أنّ زوجها رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم ، فلمّا سلّمت أرادها فأبت فغضب وكان قد ساء خلقه فقال لها أنت كظهر أمي ، قال بن عباس وكان هذا ققي الجاهلية تحريمًا للمرأة ، فجاءت خولة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وذكرت له ذلك فقال لها : حرمت عليه ، فقالت للرسول صلى الله عليه وسلّم : إنّ لي صبية صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا فقال : ما عندي

---

[1] [illegible] 6 .

[2] [illegible] 458 .

[3] [illegible] 7 ø 8 .

[4] [illegible] 74 .

[5] [illegible] 31 ø 32 .

[6] [illegible] 396 .

[7] [illegible] 75 .

[8] [illegible] 1 .

في أمرك شيءفقالت يارسول الله ماذكر طلاقا ، وإنّما هو أبو ولدي واحبّ النّاس إلي فقال حرمت عليه ، فقالت أشكوا إلى الله فاقتي ووجدي ، كلّما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم حرمت عليه هتفت ، وشكت إلى الله، فأنزل الله هذه الآيات" [1]وأغلب المفسرين فسّروا المجادلة بمراجعة الكلام و المحاورة و السؤال[2]، فهذا النوع من الجدل محمود ليس فيه معارضة للحق أو لحكم من الأحكام بل هو بحث عن الحق والعدل الذي فيه محافظة على المصلحة العامة المتمثلة في وحدة الأسرة وانسجامها وعدم تفككها فقبل الله شكواها من فوق سبع سماوات ب"قد" المفيد للتحقيق مع الفعل الماضي سمع، والمقصود بالسماع قبول الشكوى وتفريج كربتها وطمأنة قلبها ، وهذا شأن الله مع كل من يريد الحقيقة الناصعة ويطمئن بعد قلق. وهذا شأن الله مع كل من يبحث عن الحقيقة والإطمئنان والراحة النفسية كإجابته لسيدنا إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى قال تعالى" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [3]

مما سبق يتبين أن الجدل الذي غرضه المراجعة في الكلام يكون محمودا إذا كان في سبيل البحث عن الحقيقة والمحافظة على المصلحة العامة والعدل ويكون مذموما إذا كان يتصادم مع حكم من الأحكام أو نص صريح إنتصارا لأهواء النفس أو الشفاعة لأحد لأن الله " لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ "[4]

بعد هذه الإحاطة المقتضبة لمصطلح الجدل في القرآن الكريم نجد أن للجدل أغراض كثيرة منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم، فكل جدل مخالف لتعاليم الإسلام مذموم كالجدل للتفاخر، أو لإبطال الحق.

---

[1] [illegible] . 7

[2] [illegible] 215 [illegible] 231 [illegible] . 223

[3] [illegible] . 260

[4] [illegible] . 23

ملحق لآيات جدال الأنبياء مع أقوامهم

جدال نوح مع قومه

	[illegible]	[illegible]
[illegible]	1: [illegible] (59) [illegible] 3: [illegible] (61) [illegible] (62) [illegible] (63) [illegible]	2: [illegible] (60) [illegible] 4: [illegible] (64) [illegible]
[illegible]	1: [illegible] (25) [illegible] (26) [illegible] 3: [illegible] (28) [illegible]	2: [illegible] (27) [illegible]

[illegible] :4 [illegible] [(32) [illegible]	[illegible] (29) [illegible] (30) [illegible] [(31) [illegible] [illegible] (33) [illegible] :5 [illegible] [(34) [illegible]	

[illegible]	[illegible]	
[illegible] 2 [illegible] (25) [illegible] (24) [illegible]	[illegible] :1 (23) [illegible] (26) [illegible] 3	[illegible]
(111) [illegible] 2 (116) [illegible] 4	[illegible] 105) [illegible] 1 [illegible] (108) [illegible] (107) [illegible] (106) [illegible] (109) [illegible] (110) [illegible] [illegible] 112) [illegible] 3	[illegible]

	(115) [illegible] (114) [illegible] (113) [illegible] [illegible] (117) [illegible] 5 (118) [illegible]	

وح

1 [illegible]
[illegible] (1) [illegible] (2) [illegible]
[illegible] (3) [illegible]
[illegible] (4)
2 [illegible] (5)
4 [illegible] (8) [illegible]
[illegible] (9) [illegible] (10) [illegible]
[illegible] (11) [illegible]
[illegible] (12) [illegible] (13) [illegible] (14) [illegible]
[illegible] (15) [illegible]
[illegible] (16) [illegible] (17) [illegible]
[illegible] (18) [illegible] (19) [illegible]
[illegible] (20)

3 [illegible] (6) [illegible]
[illegible]
[illegible] (7)

6 [illegible] (26) [illegible]
[illegible] (27)

5 [illegible]
[illegible] (21) [illegible] (22) [illegible]
[illegible] (23) [illegible]
[illegible] (24)

جدال هود مع قومه

[illegible]	[illegible]	
2: [illegible] (33) [illegible] (34) [illegible] (35) [illegible] (36) [illegible] (37) [illegible] (38)	1 [illegible] (32)	[illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]
2: [illegible] (136) [illegible] (137) [illegible] (138) [illegible] (139) [illegible]	1: [illegible] (123) [illegible] (124) [illegible] (125) [illegible] (126) [illegible] (127) [illegible] (128) [illegible] (129) [illegible] (130) [illegible] (131) [illegible] (132) [illegible] (133) [illegible] (134) [illegible] (135) [illegible]	[illegible]
2: [illegible] (22) [illegible]	1: [illegible] (21) [illegible] 3: [illegible] (23) [illegible]	[illegible]

[illegible]	[illegible]	
2: [illegible] (66) [illegible]	1: [illegible] (65) [illegible] 3: [illegible] (67) [illegible] (68) [illegible]	[illegible]

[illegible]	[illegible]	
[illegible]	[illegible]	[illegible]

جدال صالح مع قومه

[illegible]	[illegible]	
2: [illegible] (75) [illegible] (76) [illegible] (77)	1: [illegible] (73) [illegible] (74)	[illegible]
2: [illegible] (62)	1: [illegible] (61)	[illegible]

[illegible] 4	[illegible] 3 [illegible] (63) [illegible] [illegible] (64) [illegible] (65) [illegible] 5	

[illegible]	[illegible]	
[illegible] (153) [illegible] 2	[illegible] (141) [illegible] 1 [illegible] (144) [illegible] (143) [illegible] (142) [illegible] [illegible] (145) [illegible] [illegible] (147) [illegible] (146) [illegible] [illegible] (149) [illegible] (148) [illegible] [illegible] (151) [illegible] (150) [illegible] (152) [illegible]	[illegible]

[illegible] (154) [illegible] (157)	3 [illegible] (155) [illegible] (156)	

جدال شعيب مع قومه

[illegible]	[illegible]	
2 [illegible]	1 [illegible] (85) [illegible] (86) [illegible] (87) 3 [illegible] (88) [illegible]	[illegible]

	[illegible] (89)	[illegible] 4: [illegible] (90) [illegible]

[illegible]

	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible] 1: [illegible] (84) [illegible] (85) [illegible] (86) [illegible] [illegible] 3: [illegible] (88) [illegible] (90) [illegible] (89) [illegible]	[illegible] 2: [illegible] (87) [illegible]

[illegible] 4 (91) [illegible]	[illegible] 5 (92) [illegible] (93) [illegible]	
[illegible] 2 (185) [illegible] (186) [illegible] (187) [illegible]	[illegible] 1 (177) [illegible] (178) [illegible] (179) [illegible] (180) [illegible] (181) [illegible] (182) [illegible] (183) [illegible] (184) [illegible] 3 (188) [illegible]	[illegible]

جدال إبراهيم مع أبيه

[illegible]	[illegible]	
2 [illegible] (46)	1 [illegible] (42) [illegible] (43) [illegible] (44) [illegible] (45) 3 [illegible] (47) [illegible] (48)	[illegible]

جدال إبراهيم مع قومه

[illegible]	[illegible]	
	1: [illegible] (16) [illegible]	[illegible]

2 [illegible]	[illegible] (17) [illegible] (18) [illegible]	

جدال إبراهيم مع أبيه وقومه

[illegible]	[illegible]	
2 [illegible] (53) 4 [illegible] (55) 6 [illegible] (59) [illegible] (60) [illegible] (61) [illegible] (62) 8 [illegible] (64) [illegible]	1 [illegible] (52) 3 [illegible] (54) 5 [illegible] (56) [illegible] (57) [illegible] (58) 7 [illegible]	[illegible]

(65) [illegible] (68) [illegible] 10	[illegible] (66) [illegible] 9 (67) [illegible]	
(71) [illegible] 2 (74) [illegible] 4	(70) [illegible] 1 (73) [illegible] (72) [illegible] 3 [illegible] (76) [illegible] (75) [illegible] 5 [illegible] (78) [illegible] (77) [illegible] [illegible] (80) [illegible] (79) [illegible] (82) [illegible] (81) [illegible]	[illegible]

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير: المثل السائر، قدّم له وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة ط2 ، 1403 هـ / 1983 م منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
- ابن جني: - التصريف الملوكي، صحّحه وفهرس مطالبه وشواهده سعيد بن مصطفى النعسان الحموي ، ط 1 ، 1331 هـ /1931 م ، شركة التمدن الصناعية بالقربية .
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط، د ت ، د نا، د م
- سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق لجنة من الأساتذة، مصطفى السقا ، محمد الزفزاف ، ط1 ، 1974 هـ / 1954 م ، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث العربي ، إدارة الثقافة العامة، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر .
- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي ، ط2 ،1416 هـ /1996 م ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس ، د ط، د ت ، دار صادر بيروت .
- ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط2 1981 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- ابن سينا :رسالة حدوث الحروف ،1302 هـ ، د ط ، د نا ، القاهرة .
- النجاة ، د ط ، 1331 هـ ، مطبعة القاهرة .
- ابن عصفور: الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط4 ، 1399 هـ / 1979 م ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- ابن العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل، د ط ، 1402 هـ/ 1982م دار الكتب العلمية
- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط2 ، 1389 هـ /1969 م ، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- ابن القيم: الفائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط2 ، 1408هـ /1988 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب، قدّم له عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط ، د ط ، 1407 هـ /1988 م، دار الجيل، بيروت، دار لسان العرب ، بيروت .
- ابن هشام (الأنصاري): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 1411 هـ /1991م، شركة أبناء شريف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، صيدا.
- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، د ط، دت ، در الجيل ، بيروت .

1. - ابن يعيش (موفق الدين): شرح المفص للزمخشري، د ط، د ت، إدارة الطباعة المنيرية .
2. - أبو ريان (محمد علي): تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د ط، 1976 م، دار النهضة العربية، بيروت .

3. ـ أبو زيد (أحمد): التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظر المعنوي والصوتي ، د ط، 1992، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء .
4. ـ أبو زهرة (محمد): تاريخ الجدل ، د ط، د ت، دار الفكر العربي.
5. ـ أبو السعود (محمد بن محمد العماري) تفسير أبي السعود المسماة إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط4 ،1414هـ /1994 م مطابع دار إحياء التراث العربي، النشر دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
6. ـ أبو موسى محمد محمد: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط5 ، 1421هـ
7. 2000م ، أميرة للطباعة، مكتبة وهبة عابدين، القاهرة .
8. ـ الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، تحقيق ابراهيم الأبياري، 1967 م، دار الكاتب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة .
9. ـ الاسفرابيني: التبصير في الدين ، تحقيق زاهد الكوثري.
10. ـ الأصفهاني (الحسن بن محمد الراغب): المفردات في غريب القرآن، حققه وضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني ، ط 1 ، 1418 هـ /1998 م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان
11. ـ أكرور مصطفى: حق التلاوة، ط 1 ، 1994 م، دار نجيب للطباعة والنشر.
12. ـ الألمعي (زاهر عواض): مناهج الجدل في القرآن، د ط، د ت ، مطابع الفرزدق التجارية .
13. ـ الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين البغدادي) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصحّحه محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر، دط، 1414هـ/1994 م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان .
14. ـ أمين أحمد: ضحى الإسلام، ط10، د ت ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان .
15. ـ فجر الإسلام، ط10، د ت ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان .
16. ـ أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية
17. ـ دلالة الألفاظ، ط2 ،1963 م، مكتبة الأنجلو المصرية .
18. ـ في اللهجات العربية، د ط، 1973 م ، د نا ، القاهرة .
19. ـ من أسرار اللغة، ط7 ، 1994 م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
20. ـ بدوي أحمد: من بلاغة القرآن الكريم، ط2 ، 1405 هـ /1985 م، مطبعة نهضة مصرن الفجالة ، عالم الكتب، القاهرة.
21. ـ بشر كمال: دراسات في علم اللغة، ط2، 1971، دار المعارف بمصر .
22. ـ علم اللغة العام (القسم الثاني: الأصوات) ، د ط، 1973 م، دار المعارف بمصر، كرنيش، النيل، القاهرة .
23. ـ بلانشي روبير: المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل ، ترجمة أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .
24. ـ البهى محمد: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ط5، دت ، دار الفكر .
25. ـ تريكو جول: المنطق الصوري، ترجمة محمد يعقوبي .
26. ـ التفتزاني سعد الدين: المختصر على تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، د ط، د ت ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

27. ـ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، 1418 هـ /1998م ، عالم الكتب ، القاهرة .
28. ـ مناهج البحث في اللغة.
29. ـ التومي محمد: الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، د ط، د ن، شركة الشهاب، الجزائر .
30. ـ التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ط1، 1418 هـ/1998م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
31. ـ الجرجاني (عبد القاهر): التعريفات، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، ط1،1416هـ/1996م عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان .
32. ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه محمد عبده،وعلق عليه محمد رشيد رضا، ط1، 1415هـ/1994م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان.
33. ـ كتاب أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، ط3، 1403هـ /1983م ، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت.
34. ـ كتاب الجمل في النحو، شرح ودراسة وتحقيق يسري عبد الغني عبد الله، ط1، 1410هـ/1990م، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان .
35. ـ الحديثي خديجة: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ط1 ، 1965م/1385هـ ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد .
36. ـ حسن محمود السيد: روائع الإعجاز في القصص القرآني، دراسة في الأسلوب القصصي المعجز، دط، دت، المكتب الجامعي الحديث، محطة الرحل، الإسكندرية.
ـ الحلبي عيسى البابي: الكافية في الجدل ، د ت، د ط، 1979م ، دنا، القاهرة.
37. حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دط، دت، دار الفكر العربي.
38. ـ الحملاوي: كتاب شذا العرف في فن الصرف، دط، دت، المكتبة العلمية، بيروت .
39. ـ خليفة (مصطفى بن عيسى حاجي): كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط، دت، دنا، دم .
40. ـ الدجني عبد الفتاح: في الصرف العربي، نشأة ودراسة، ط2، 1403هـ /1983م ، مكتبة الفلاح، الكويت .
41. ـ الدرويش محي الدين: إعراب القرآن وبيانه، ط6، 1419هـ/1999م ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق بيروت .
42. ـ الدمشقي (جمال الدين): تاريخ الجهمية والمعتزلة، دط، 1331هـ ، مطبعة المنار.
43. ـ دي لاسي أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ ،ط1، 1972م، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
44. ـ الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد): ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، دراسة وتحقيق وتعليق علي محمد معوض و عادل أحمد بن عبد الجوّاد، ط1، 1416 هـ/1995م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
45. ـ الراجحي عبده: التطبيق الصرفي، دط، دت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .
46. ـ الرازي (الفخر): التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط3، 1405هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان

47. ـ الرافعي مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، ط4، 1394هـ/1974م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
48. ـ الرضى الإستراباذي: شرح الرضى على كافية ابن الحاجب، شرح وتحقيق عبد العال سالم مكرم، ط1، 1421هـ/2000م، عالم الكتب القاهرة .
49. ـ زاهر رفقي، المنطق الصوري تاريخه ومسائله ونقده، ط1، 1400هـ/1980م، دار المطبوعات الدولية .
50. ـ الزرقاوي: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، ط1 ، 1996م، دار الفكر بيروت.
51. ـ الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دط،1408هـ/1988م، دار الجيل بيروت .
52. ـ زكريا إبراهيم: مشكلة الفلسفة، دط، 1971م، مكتبة مصر ،القاهرة .
53. ـ الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، ط1 ، 1415هـ /1991م، دار الكتب العلمية، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة .
54. ـ الزيات محمد حسن: دفاع عن البلاغة، ط2، 1967 م ، مطبعة الإستقلال، عالم الكتب، القاهرة .
55. ـ السامرائي فاضل: معاني النحو، ط1، 1420هـ/2000م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن .
56. ـ السبكي بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، دط، دت، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
57. ـ السعران محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دط، دت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .
58. ـ السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، 1420هـ/2000 م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
59. ـ سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، 1402هـ/1982م، دار الجيل للطباعة، مصر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
60. ـ السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1418هـ/1997م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الدار النموذجية، المطبعة العصرية ، بيروت صيدا .
61. ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبط وتصحيح فؤاد علي منصور، ط1، 1418هـ/1998م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
62. ـ الشعراوي: تفسير الشعراوي، دط، دت، أخبار اليوم، قطاع الثقافة .
63. ـ الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر): الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط6، 1417هـ/1997م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
64. ـ الشيباني عمر التومي: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دط، دت، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس.
65. ـ صافي محمود: الجدول في إعراب القرآن، صرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، ط2، 1416هـ/1985م، دار الرشيد دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت لبنان .
66. ـ صبحي أحمد محمود: في علم الكلام المعتزلة.

67. ـ صليبا جميل: الفكر الفلسفي في الثقافة المعاصرة، دط، دت، منشورات الجامعة الأمريكية، بيروت
68. ـ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية، ط1، 1971م، دار الكتاب اللبناني، بيروت
69. ـ الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دط، 1997م، دار مصر للطباعة، دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع، تونس .
70. ـ عبد الجليل عبد القادر: الأصوات اللغوية، ط1، 1418هـ/1998م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن .
71. ـ عبد الرزاق مصطفى: تمهيد تاريخ الفلسفة الإسلامية، ط2، 1386هـ/1966م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
72. ـ عتيق عبد العزيز: علم المعاني، دط، 1405هـ/1985م، سلسلة في البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيوت .
73. ـ عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية.
74. ـ عطا: مصطفى عبد القادر، تاريخ بغداد، ط1، 1417هـ/1997م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
75. ـ الغرابي مصطفى: تاريخ الفرق ونشأة علم الكلام، ط1، 1948م مطبعة السعادة، المكتبة الحسينية، مصر .
76. ـ فاخوري حنا والجر خليل: تاريخ الفلسفة العربية مقدمات عامة الفلسفة الإسلامية، ط2، 1982، دار الجيل ، بيروت لبنان
77. ـ فرغل يحي هاشم حسن: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، جوانب التفكير في العقيدة الإسلامة، دط، 1392هـ/ 1972 م، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .
78. ـ فضل الله حسين: الحوار في القرآن الكريم، قواعد وأساليب، معطياته، دط،دت، دار المنصوري للنشر، الجزائر .
79. ـ فضل الله مهدي: مدخل إلى علم المنطق،(المنطق التقليدي) ، ط3، (أغسطس)1985م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .
80. ـ فوده عبد العليم السيد: أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، دط، دت، نشر الرسائل الجامعية، مؤسسة دار الشعب القاهرة.
81. ـ فيود بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني دراسة نقدية وبلاغية لمسائل علم المعاني، ط1، 1419هـ/1998م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر الجديدة، دار المعالم الثقافية للنشر ولتوزيع.
82. ـ القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، ط8، 1401هـ/1981م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت.
83. ـ قطب سيد: التصوير الفني في القرآن .
84. ـ في ظلال القرآن، ط25، 1417هـ/1996م، دار الشروق ، القاهرة بيروت .
85. ـ الكعبي ربيعة: التركيب الاستثنائي في القرآن الكريم، دراسة نحوية بلاغية، ط1، 1993م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان.
86. ـ كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط3، دت، دار المعارف،مصر .
87. ـ تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، دت، دار القلم بيروت لبنان .

88. ـ المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة باللغة العربية، وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط7، 1401هـ/1981م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
89. ـ محمود عبد الحليم: نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام
90. ـ المخزومي مهدي: النحو العربي قواعد وتطبيق، ط2، 1406هـ/1986م، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان.
91. ـ النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، 1406هـ/1986م، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان.
92. ـ مطر عبد العزيز: علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح، دط، 1405هـ/1998م ، دار قطر بن الفجاءة.
93. ـ المغربي ابن يعقوب: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص، دط، دت، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
94. ـ الملطي أبو الحسن ممد أحمد الشافعي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، دط، 1949م، دنا
95. ـ نجار رمزي: الفلسفة العربية عبر التاريخ، ط2، 1979م، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت
96. ـ النشار علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط8، دت، دار المعارف، القاهرة
97. ـ النعيمي حسار سعيد: الدراسات اللهجية الصوتية.
98. ـ نقرة تهامي: سيكيولوجية القصة القرآنية، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، دط، 1971م، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع والنشر .
99. ـ نمر نسيب: تطور الديالكتيك عبر التاريخ وقانونه الأساسي وحدة ونضال المتضادات، دط، دت، دار الرائد العربي، بيروت لبنان .
100. ـ ياسوف أحمد: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، إشراف وتقديم نور الدين عتر، ط1، 1415هـ/1994م، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا دمشق.
101. ـ يعقوبي محمد: المنطق الفطري في القرآن الكريم، دط، دت، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ، ابن عكنون، الجزائر.

فهرس الموضوعات